

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد السادس)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد السادس
الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood ^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume:6

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	تفسير سورة المؤمنون
٨٧	تفسير سورة النور
١٧٣	تفسير سورة الفرقان
٢٠٥	تفسير سورة الشعراء
٢٢٣	تفسير سورة النمل
٢٤٥	تفسير سورة القصص
٢٥١	تفسير سورة العنكبوت
٢٩٧	تفسير سورة الروم
٣٢٣	تفسير سورة لقمان
٣٢٧	تفسير سورة السجدة
٣٣٥	تفسير سورة الأحزاب
٤١٣	تفسير سورة سبأ
٤٢١	تفسير سورة الفاطر
٤٤٥	فهرس المواضيع
٤٦١	فهرس الآيات المفسرة



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مَواج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المُنزَّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحى، ويُفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مُؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يحب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتیه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأثار بنوره الوضأ ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَيِّنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظللاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نلناها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تحافت التهمة الداحضة التي افترها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أافية هؤلاء الكذابين المكذبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع آي التنزيل الحكيم كجواهر ثمّان ووُزودٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقيّته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيّ مُغرِق في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبيل وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨م.

وقد حظي تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخبير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بجهده في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّه ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ٧/٣/١٩٨٠م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبته من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرارٌ دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف وربّتها." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً فأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلّا ظلٌّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "المؤمنون"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-١٥: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ
* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١﴾

إن الله ﷻ قد بيّن في بداية سورة "المؤمنون" التي وردت فيها الآية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، كيف يصل الإنسان إلى كماله الروحاني والجسدي بعد اجتيازه المراتب الست الضرورية لتكميله. فقد قسم الله كلاً من الارتقاء الروحاني والجسدي إلى ست مراتب، وجعل المرتبة السادسة مرتبة كمال الارتقاء. وبيّن التطابق بين الارتقاء الروحاني والمادي بصورة خارقة للعادة بحيث لم يسبق إلى هذه المعرفة الجليلة ذهن أيّ إنسان منذ أن خُلق، وإن ادّعى أحد بذلك فعليه تقع المسؤولية أن يثبت وجود هذه الفلسفة المقدسة في كتاب بشر. واعلموا أنه لن يقدر على إثباته أبداً. فإنها معجزة واضحة أن الله ﷻ أظهر في هذه الآيات المباركة التطابق العميق الموجود بين الارتقاء الروحاني والمادي الذي يواجه الإنسان في سبيل بلوغه مرتبة الوجود الكامل. ويتبين من هنا أن الخلق الباطني والظاهري يصدران عن يد واحدة، ألا وهي يد الله ﷻ.

لقد أثار بعض الجهلاء اعتراضاً آخر أيضاً، وهو أن صورة الوجود للإنسان المادي - كما صوّرها الله تعالى في القرآن الكريم بدءاً من حالة النطفة إلى وجوده الجسدي - ليست بصحيحة بحسب الاكتشافات الطبية الحديثة في العصر الراهن، ولكن ذلك يدل على حمقهم إذ فهموا من هذه الآيات كأن الله ﷻ يخلق في الرحم جسم الإنسان بحيث يتفرغ أولاً من خلق عضوٍ واحد تماماً ثم يخلق عضواً آخر. ولكن الآيات لا تعني ذلك بل كما شاهدنا بأم أعيننا حالات الأجنة من المضغة فما فوقها أن الخالق الحقيقي يخلق في الرحم جميع الأعضاء الداخلية والخارجية في آنٍ معاً، أيّ كلها تتكوّن في وقت واحد دون أن يكون في خلقها تقدّمٌ أو تأخّر. غير أنه من الثابت أن وجود الإنسان يكون أولاً علقه ثم تتحول العلقه كلها إلى مضغة في وقت واحد، ثم يصبح بعضها عظاماً في مواضعها المناسبة، ثم تُكسى هذه المجموعة كلها لحماً في وقت واحد

يقال له جلد الجسد، ويُضفى عليه الحسن والجمال. وفي هذه المرحلة يكتمل تكوين الجسم، ثم تُنفخ فيه الروح، وكل هذه المراحل قد شاهدها بأعيننا.

والآن أتناول ذكر المراحل الست الروحانية كما ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم فيقول تعالى: (١) ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٥) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٦) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. وبإزائها جعل ﷺ ست مراحل للارتقاء الجسدي أو المادي كما يقول بعد هذه الآيات:

(١) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (٣) ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ (٤) ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ (٥) ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ (٦) ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

من البديهي كما قلْتُ من قبل أن المرتبة الأولى للارتقاء الروحاني المذكورة في الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾... أي يقون مشغولين في ذكر الله بركة وحرقة، وبإزائها ذُكرت المرحلة الأولى للارتقاء الجسدي أو المادي في الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

فقد جعل الله ﷺ النطفة هي المرتبة الأولى لوجود الإنسان المادي بعد خلق آدم. ومن البديهي أن النطفة هي البذرة التي تتضمن إجمالاً جميع القوى والصفات والأعضاء الداخلية والخارجية والصورة والملامح التي تظهر في المرتبة الخامسة مفصلاً، ثم تظهر في المرتبة السادسة بوجه أتم وأكمل.^١

^١ المراد من المراتب هنا هي تلك المراتب المذكورة آنفاً. والمرتبة الخامسة هي تلك التي يتكوّن فيها الجسد الإنساني في الرحم بالتمام والكمال بقدرة الخالق القدير، وتُكسى العظام لحماً حميلاً، وفي المرتبة السادسة تُنفخ الروح في الجسد. وكما قيل في الأعلى إن المرتبة الأولى للوجود

ولكن مع كل ذلك تكون النطفة في خطر أشد مقارنة مع بقية المراتب لأن الرحم لم يجذبها إليه بعد فهي كالبذرة التي لم تتمكن في الأرض ولم تحطّ بجذب من الرحم إلى الآن. ومن الممكن أن تضيع بعد الدخول في الرحم كالبذرة التي تضيع أحيانا في أرض صلبة. ومن الممكن أيضا أن تكون النطفة ناقصة في حد ذاتها، أي يكون فيها شيء من العيب وتكون غير قابلة للنشوء والنمو، أو ينقصها ما يجعلها جديرة ليجذبها الرحم إليه وتكون كالميت الذي لا حراك فيه. كما يُزرع البذر البالي في الأرض ولكنه لا يكون قابلا للنشوء والنمو من جراء العيب فيه، وإن كانت الأرض صالحة وخصبة. كذلك من الممكن ألا تتعلق النطفة بالرحم ويحرمها الرحم من الجذب إليه جراء بعض العيوب الأخرى التي لا حاجة إلى الخوض في تفصيلها، كما تُداس البذرة تحت الأقدام أحيانا أو تأكلها الطيور أو تُتلف لسبب آخر.

هذه الصفات نفسها توجد في المرتبة الأولى لوجود المؤمن الروحاني. والمرتبة الأولى لوجود المؤمن الروحاني هي تلك الحالة من الخشوع والخضوع والرقّة والحرقة والذوبان التي تيسر للمؤمن في الصلاة وذكر الله، أي خلق الإنسان في نفسه حالة الذوبان والرقّة والتواضع والعجز والتذلل وانقياد الروح والاضطراب والقلق والحرقة، وإيراد خشية الله على نفسه وصرف عنان القلب إلى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ كما بينها الله تعالى في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾. أي يفلح المؤمنون الخاشعون والمتواضعون في الصلاة وفي كل نوع من ذكر الله، الذين يبقون مشغولين في ذكر ربهم بالرقّة والخشوع والحرقة والقلق والكرب وحماس القلب. وهذه الحالة من الخشوع والخضوع المشار إليها آنفا هي المرتبة الأولى لتكوين الوجود الروحاني، أو قولوا بتعبير آخر بأنها هي البذرة الأولى التي تُزرع في أرض العبودية وتشمل إجمالا كافة تلك القوى والصفات والأعضاء والجوارح والصورة والملامح والحسن والجمال

الروحاني هي الخشوع والخضوع والتضرع والحرقة. والحق أن هذه المرتبة أيضا تتضمن إجمالا الأمور التي تظهر للعيان جليا بعد ذلك في الوجود الروحاني للإنسان. منه.

والشمائل الروحانية التي تظهر جليا وتتجلى بصورة بديعة للإنسان الكامل في المرتبة الخامسة والسادسة^١.

ولأن حالة الخشوع والخضوع هي المرتبة الأولى للوجود الروحاني - كالنطفة للوجود المادي - لذلك ذُكرت في المقام الأول في الآية القرآنية على غرار ذكر النطفة، وذُكرت بإزائها ليعرف الذين يتدبرون القرآن أن حالة الخشوع والخضوع في الصلاة هي كالنطفة للوجود الروحاني. وفيها تكمن جميع قوى الإنسان الكامل وصفاته وملامحه الروحانية مثل النطفة تماما، وكما تكون النطفة مهددة بالضياح ما لم تتعلق بالرحم كذلك تماما فإن الحالة الأولى للوجود الروحاني، أي حالة الخشوع والخضوع، أيضا لا تخلو من الخطر ما لم تتعلق بالرب الرحيم.

اعلموا أن فيضان الله إذا كان بدون واسطة أيّ عمل، فيكون منشؤه صفة الرحمانية كما خلق الله ﷻ السماوات والأرض وما بينهما لفائدة الإنسان أو خلق الإنسان نفسه، فكل هذه الأشياء جاءت إلى حيّز الوجود نتيجة فيض الرحمانية. ولكن عندما ينزل فيضان نتيجة عمل أو عبادة أو مجاهدة أو تنسك فيسمى فيضان الرحيمية. هذه هي سنة الله الجارية لبني آدم. فحين يختار الإنسان الخشوع والخضوع في الصلاة وذكر الله فإنه يجعل نفسه حينئذ أهلا لتلقي فيضان الرحيمية. فالفرق الوحيد بين النطفة والمرتبة الأولى للوجود الروحاني - وهي حالة الخشوع والخضوع - هو أن النطفة تحتاج إلى جذب من الرحم، أما حالة الخشوع والخضوع فتحتاج إلى جذب من الرب الرحيم. وكما يمكن أن تضع النطفة قبل أن يجذبها الرحم كذلك يمكن للمرتبة الروحانية الأولى، أي حالة الخشوع والخضوع، أن تنعدم قبل أن تُجذب

^١ المرتبة الخامسة، كما بينها من قبل، مذكورة في الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾، والمرتبة السادسة، مذكورة في الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وهذه المرتبة الخامسة تأتي بإزاء المرتبة الخامسة للوجود المادي التي تشير إليها الآية: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾. والمرتبة السادسة تقابل المرتبة السادسة للوجود المادي التي تشير إليها الآية: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. منه.

إلى الرحيم وتعلق به. كما ترون أن أناسا كثيرين سيكون بشدة في صلواتهم في بداية الأمر ويظهرون حالة الوجد ويصيحون ويُبدون أنواع الجنون في حب الله، ويُظهرون أنواع العشق، ولكن إذ لم يملكو علاقة بالله ذي الفضل - الذي يُسمّى رحيمًا - ولم يُجذبوا إليه بتجليه الخاص، فإن تضرعهم وذوبانهم وخشوعهم وخضوعهم كله يكون بلا حقيقة، وفي كثير من الأحيان تزل قدمهم فتصير حالتهم الأخيرة أسوأ من الأولى. فهذا تطابقٌ عجيب وشيق. فكما أن النطفة التي هي المرتبة الأولى للوجود المادي ليست بشيء ما لم يجذبها الرحم إلى نفسه، كذلك تماما إن حالة الخشوع والخضوع هي المرتبة الأولى للوجود الروحاني وليست بشيء ما لم يجذبها رحم الله إلى نفسه. لذلك ترون ألوفا من الناس الذين كانوا يحظون في فترة من حياتهم بالخشوع والخضوع في صلواتهم وذكر الله وكانوا سيكون وتغمرهم حالة الوجد، ثم داهمتهم لعنة فمالوا دفعة واحدة إلى الأهواء النفسانية وفقدوا من جراء الدنيا الدنية وشهواتها كل ما كانوا قد وجدوه. فهذا مقام خوف، لأن حالة الخشوع والخضوع تضيع في كثير من الأحيان قبل توطيد علاقتها بالرحيمية، وتنفى وتندم قبل أن يعمل فيها جذب الله الرحيم عملَه. ففي هذه المرحلة تشبه حالة الخشوع - التي هي المرتبة الأولى للوجود الروحاني - النطفة التي تضيع قبل أن يجذبها الرحم إليه.

فالخلاصة أن المرتبة الأولى للوجود الروحاني، وهي حالة الخشوع، والمرتبة الأولى للوجود المادي، أي النطفة، متشابهتان من هذه الناحية؛ بمعنى أن المرتبة الأولى للوجود المادي أي النطفة ليست بشيء يُذكر دون جذب الرحم، كذلك المرتبة الأولى للوجود الروحاني، أي الخشوع، أيضا ليست بشيء يُذكر دون جذب الرحيم. وكما أن ألوفا من النطف في الدنيا تضيع، وهي في حالة النطفة، ولا تتعلق بالرحم كذلك تماما إن ألوفا من حالات الخشوع في الدنيا لا تتعلق بالرحيم وتذهب سدى. يفرح آلاف الجهلاء بحالة خشوعهم وخضوعهم وبكائهم وتضرعهم التي تعتر بهم لبضعة أيام ويزعمون أنهم أصبحوا أولياء الله ومن الصلحاء والأقطاب ودخلوا في

زمرة الأبدال ووصلوا إلى الله، بينما الحال أنهم ليسوا بشيء ولا يزالون كالنطفة أو البرعم الذي لم يمسه نسيم الصبا. يا أسفا! فقد هلك عالمٌ من جراء مثل هذه الظنون الباطلة.

واعلموا أن المرتبة الأولى للحالة الروحانية- التي هي الخشوع والخضوع- يمكن أن تضع لأسباب مختلفة، كما أن النطفة- التي هي مرتبة أولى للوجود المادي- يمكن أن تضع نتيجة حوادث مختلفة، من جملتها العيب الذاتي فيها. فمثلا قد تشوب هذا الخشوع شائبة من الشرك أو البدعة أو اللغو. فمثلا يمكن أن تثور الأهواء النفسانية وتتلاطم العواطف النفسانية الخبيثة أو تأخذ بالقلب العلاقات السفلية أو تغلبه أمانٌ لاغية لجيفة الدنيا. فبناء على هذه العلل الخبيثة لا تصلح حالة الخشوع ليوطد الله الرحيم علاقته معها، كما لا يمكن أن تتعلق بالرحم النطفة التي فيها عيب أيّا كان نوعه. لهذا السبب لا يعود خشوع الرهبان الهندوس وتواضع القسيسين المسيحيين عليهم بفائدة. ولو تقدموا في الخشوع والخضوع إلى أن تذوب أجسامهم وتصير هيكلًا عظميا دون أن تكون عليها مسحة من اللحم فلن يُنشئ الرب الرحيم بهم علاقةً، لأن في خشوعهم عيبا ذاتيا. وكذلك لا علاقة بالله الرحيم لأولئك المتصوفين المبتدعين من المسلمين الذين يتركون اتباع القرآن المجيد ويتورطون في ألوف البدعات، حتى أنهم لا يستحون من تعاطي الحشيش والبنج والخمر، وتكون لهم أنواع الفسق والفجور الأخرى مستباحة أيضا كحليب الأم. ولأنهم يكونون في حالة لا تنسجم مع العلاقة بالله الرحيم بل لأن كل هذه الحالات مكروهة عند الله الرحيم، لذا فإنهم مع وجدهم وطربهم ورقصهم بأسلوبهم وإنشاد القصائد وما شابه ذلك يكونون محرومين تماما من العلاقة بالله ويكونون كالنطفة التي احترقت نتيجة مرض الزهري أو الجذام ولم تعد صالحة لأن تتعلق بالرحم. إذًا فإن السبب وراء العلاقة مع الرحم أو الرحيم أو عدمها هو هُوَ، والفرق الوحيد هو العلل الجسدية والروحانية. وكما أن النطفة لا تعود صالحة لتعلق بالرحم نتيجة عللها الذاتية

وليجذبها الرحم إليه، كذلك حالة الخشوع التي هي بمنزلة النطفة لا تصلح لينشئ الله الرحيم علاقته معها بسبب عللها مثل الكبر والعُجب والرياء أو لضلالة أخرى أو بسبب الشرك. فإن أفضلية المرتبة الأولى للوجود الروحاني أي الخشوع تكمن كلها- مثل النطفة تماما- في علاقتها الحقيقية بالله الرحيم. فإن لم تكن لحالة الخشوع علاقة حقيقة بالله الرحيم لا يمكن نشوء العلاقة الحقيقية، فمثلها كتلك النطفة الرديئة التي لا يمكن أن تكون لها علاقة حقيقية بالرحم.

ولا يغيب عن البال أن ما يتييسر للإنسان في بعض الأحيان من الخشوع والوجد والذوق أو المتعة واللذة في الصلاة أو ذكر الله ليس دليلا على أن لصاحبها علاقة حقيقية بالله الرحيم. كما إذا قُذفت النطفة في الرحم وحصلت المتعة أيضا فلا يفهم من ذلك قط أنها تعلقت بالرحم، بل للعلاقة علامات وأمارات أخرى. فاللذة والمتعة في ذكر الله التي يُعبر عنها بالخشوع بكلمات أخرى تشبه نطفة تُقذف في الرحم. ولا شك أن ذلك الوقت يكون وقت اللذة المتناهية من حيث المتعة المادية، ولكن مع ذلك إن قذف قطرة المني وحده لا يستلزم نشوء العلاقة بين النطفة والرحم أو أن تكون النطفة قد جُذبت إلى الرحم. كذلك المتعة الروحانية وحالة الخشوع لا تستلزم نشوء علاقة صاحبها بالله الرحيم وجذبه إليه. بل كما أن النطفة تُقذف أحيانا عند الزنا في رحم زانية تحصل للقاذف المتعة نفسها التي تحصل للمرء مع زوجته، كذلك تماما تشبه حالة خشوع عبدة الأصنام والمخلوق وخضوعهم ومتعُّهم متعة العاهرين. أي أن خشوع المشركين والذين يذكرون الله لأهداف دنيوية وخضوعهم يشبه نطفة تُقذف في أرحام البغايا وتسبب متعة. على أية حال كما أن في النطفة قدرة على التعلق بالرحم، كذلك في الخشوع أيضا قدرة على التعلق بالله، ولكن حالة الخشوع والرقّة والحرقّة وحدها ليست دليلا على نشوء العلاقة بالفعل. كما يحدث في حالة النطفة- التي تقابل هذه الحالة الروحانية- إذا جامع أحد زوجته وقُذفت النطفة في رحمها وحصلت لها المتعة الكاملة أيضا، فإن الاستمتاع

فقط لا يدل على أنها حملت حتما. فعلى غرار ذلك، مهما كانت حالة الخشوع والخضوع والحرقه مصحوبة بالمتعة واللذة فإنها ليست علامة حتمية على العلاقة بالله^١. أي أن مجرد حصول الخشوع والخضوع والبكاء والحرقه لأحد في الصلاة لا يستلزم علاقته بالله بالضرورة، بل يمكن أن توجد كل هذه الأشياء في أحد دون أن تكون له علاقة بالله. كما أن التجربة الصريحة شاهدة على أن أناسا كثيرين يجهشون بالبكاء في مجالس الإرشاد والنصيحة ومحافل الوعظ والتذكير وفي الصلاة وذكر الله وتستولي عليهم حالة الوجد ويصرخون ويظهرون الخشوع والخضوع وتسيل الدموع على خدودهم كالماء ويشعر بعضهم بالبكاء دونما سبب، بحيث إذا سمعوا أمرا بسيطا بكوا له فورا، ومع ذلك لا يجتنبون اللغو، بل يلزمهم لغو الكلام والأحاديث واللغو واللعب في كثير من الأحيان ملازمة القلادة الجيدة. فيفهم من ذلك أنهم ليسوا حائزين على أدنى علاقة بالله، وليس في قلوبهم عظمة الله وهيبته قط. فمن الغريب حقا أن ترافق حالة الخشوع والخضوع والتضرع والحرقه نفوسا خبيثة من هذا النوع. وإنه لمقام عبرة ويثبت منه أيضا أن الخشوع والخضوع والبكاء والتضرع وحده بدون اجتناب اللغو ليس بمفخرة، ولا هي علامة قرب الله أو العلاقة معه. وقد رأيتُ بأم عيني كثيرا من المتنبهين، وأناسا آخرين أيضا، كلما قرأوا بيتا أليما أو شاهدوا منظرا موجعا أو سمعوا قصة فاجعة، انهمرت دموعهم بسرعة هائلة كما يُمطر بعض السحب

^١ يمكن أن تصحب الخشوع والخضوع في حالتها الابتدائية أنواع اللغو من الأعمال، كما يكون الطفل معتادا على البكاء بكثرة، ويخاف أبسط الأمور ويظهر الخشوع والخضوع، ولكن مع كل ذلك يخوض الإنسان بطبيعته في أنواع اللغو في صباه. وفي أول الأمر يكون ميلا إلى اللغو من الأحاديث والأعمال، وفي معظم الأحيان يحب الخوض في لغو الأعمال من قفزٍ وهو ولعب لدرجة الإضرار بجسمه أيضا في كثير من الأحيان. فيتضح من ذلك أن اللغو يعترض سبيل الإنسان أولا من حيث طبيعته، فلا يمكنه أن يبلغ أية مرتبة أخرى قبل اجتياز هذه المرتبة. فبطبيعة الحال إن أولى مراتب البلوغ هي اجتناب لغو الطفولة. ويثبت من ذلك أن أول ما يواجهه الإنسان بطبيعته هو اللغو. منه.

قطرات كبيرة بسرعة لا تدع للنائمين في أفنية دورهم فرصة أن يُدخلوا فرشهم بيوتهم قبل أن تبتل. ولكني أشهد شهادة عيان بأنني وجدت أكثرهم مخادعين جدا، بل سبقوا في ذلك أبناء الدنيا. وقد وجدت بعضهم يملكون طبائع خبيثة وهم خائنون وأشرار بكل ما للكلمة من معنى، حتى أنني أكره بعد ما شاهدت عادة بكائهم وتضرعهم وخصلة خشوعهم وخضوعهم أن يبدر مني في مجلسٍ خشوعٍ وخضوعٍ وتضرع من هذا النوع. صحيح أن هذه الصفة كانت في زمن من الأزمان علامة الصلحاء بوجه خاص، أما الآن فقد أصبحت عادة المحتالين المخادعين، إذ يلبسون ثيابا خضرا، ولهم ذوائب مسترسلة، ويحملون المسبحة في اليد وأعينهم تسكب الدموع باستمرار، وشفاهم في حركة دائمة وكأنهم يذكرون الله في كل لحظة، ومع ذلك هم خائضون في البدعات. هذا ما يُظهرونه على الملأ كعلامات تنسكهم وتصوفهم، ولكن قلوبهم مجذومة، ومن حب الله محرومة، إلا ما شذ وندر. أما الصلحاء الذين يصدر منهم كل عمل نتيجة الحماس والحال وليس عن التصنع والقال، فهم مستثنون من كلامي هذا.

على كل حال، من الثابت أن البكاء والخشوع والخضوع ليس بعلامة خاصة بالصلحاء وحدهم، بل قوة مودعة في الإنسان وتظهر للعيان في محلها وغير محلها أيضا أحيانا. فقد يقرأ الإنسان أحيانا قصة خيالية ويعرف جيدا أنها وهمية من نوع الأقاصيص ومع ذلك عندما يصل إلى نقطة أليمة فلا يملك نفسه بل تجري دموعه عفويا ولا تكاد تتوقف. وقد وُجدت قصص كهذه مؤثرة لدرجة أن الإنسان يسرد بنفسه قصة موجعة ويبلغ إلى ذكر حادث أليم فتغرورق عيناه بالدموع ويصبح صوته كالباكي، وأخيرا تنحدر العبرات من مآقيه ويتدفق بكاءه وتحصل له لذة البكاء ومتعته، وذلك مع أنه يعرف جيدا أن ما أبكاه هو باطل أصلا لا حقيقة من ورائه، وقصة خيالية لا أصل لها. فما هو السبب وراء كل ذلك؟ السبب الوحيد هو أنه ليست لقوة الخشوع والخضوع والبكاء والتضرع المودعة في الإنسان علاقة بصحة

قصة أو عدمها، بل كلما تسنت ظروف مواتية لإثارة تلك القوة، هاجت فيه تلك الرقة تلقائياً، فينال المرء نوعاً من اللذة والمتعة سواء أكان مؤمناً أم كافراً. فلهذا السبب يحدث في المجالس غير المشروعة والمحتوية على أنواع البدعات أن خليعي الرسن يُظهرون أنفسهم في حلل المتصوفين؛ يبدؤون بالرقص نتيجة سماعهم أبيات القصائد المتنوعة ومتأثرين لألحان وأغاني وترنحون ويكون ويستمتعون بطريقتهم ويطنون أنهم واصلون إلى الله. ولكن هذه اللذة تشبه لذة تحصل للزاني من الزانية.

ثم هنالك مماثلة أخرى بين الخشوع والنطفة وهي أن نطفة المرء عندما تدخل في مهبل زوجته أو غيرها فإن دخولها في المهبل وسيلانها بعد التدفق يشبه البكاء تماماً كما أن نتيجة الخشوع هي البكاء. وكما تتدفق النطفة تلقائياً وتُقدف كذلك تماماً تكون حالة البكاء عند كمال الخشوع إذ تتدفق الدموع من الأعين تلقائياً. وكما أن لذة القذف تكون حلالاً تارة عندما يجامع المرء زوجته وتكون حراماً تارة أخرى عندما يجامع الزانية، كذلك تماماً هو حال الخشوع والخضوع والحرقة والبكاء؛ أي يكون الخشوع والحرقة أحياناً لله الأحد الذي لا شريك له دون أن تشوبه شائبة من الشرك أو البدعة، فتلك اللذة الناتجة عن الخشوع والخضوع تكون حلالاً. وفي بعض الأحيان تحصل لذة الخشوع والخضوع والبكاء من عبادة المخلوق أو الأوثان والأصنام أو من البدعات، ولكنها تشبه لذة الزنا. باختصار، إن مجرد الخشوع والخضوع والتضرع والبكاء ولذاها، لا تستلزم العلاقة بالله، بل كما تضيع نطفة كثيرة ولا تقبلها الأرحام، كذلك تماماً هناك أنواع من الخشوع والخضوع والتضرع والبكاء والعيول ليس مآلها وعاقبتها إلا ضياع الأبصار إذ لا يقبلها الله الرحيم.

فملخص الكلام أن حالة الخشوع التي هي المرتبة الأولى للوجود الروحاني تشبه تماماً النطفة التي هي المرتبة الأولى للوجود المادي كما كتبناه آنفاً بالتفصيل. وهذه المشاهدة ليست بأمر عادي وبسيط بل بينهما مشاهدة تامة وكاملة بمشيئة خاصة للخالق الأريّ جلّ شأنه، حتى ورد في كتاب الله أيضاً أن هاتين اللذتين ستوفران

في العالم الثاني أيضا، ولكنهما ستتقدّمان في المماثلة فتصبحان شيئا واحدا؛ بمعنى أنه عندما يحب المرء زوجته في تلك الدار ويجامعها، لن يستطيع أن يفرّق إذا كان يحب زوجته ويجامعها أم هو غارق في بحر حب الله الذي لا شاطئ له. وإن هذه الكيفية تستولي في هذه الدار أيضا على الواصلين إلى حضرة العزة، ولكنها تفوق إدراك أبناء هذه الدنيا والمحجوبين.

إلى هنا قد انتهينا من بيان أن المرتبة الأولى للوجود الروحاني - أي حالة الخشوع والخضوع - تشبه مشابهة تامة المرتبة الأولى للوجود المادي، أي النطفة. ولا بد من البيان الآن أن المرتبة الثانية للوجود الروحاني أيضا تشابه وتمثل المرتبة الثانية للوجود المادي، فإليكم تفصيلها:

فكما ذكرنا من قبل أن المرتبة الثانية للوجود الروحاني هي التي ذُكرت في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّعْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي المؤمنون هم الذين يجتنبون الأحاديث اللاغية والأعمال اللاغية والتصرفات اللاغية والمجالس اللاغية والصحبة اللاغية والعلاقات اللاغية. والمرتبة الثانية للوجود المادي بإزائها هي ما سماه الله في كلامه العزيز بالعلقة كما يقول: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي عصمنا النطفة من الضياع سدى وجعلناها علقة نتيجة تعلقها بالرحم وتأثيره، بينما كانت من قبل عرضة للخطر وما كان يُدرى هل ستحوّل إلى وجود إنساني أو ستضيع سدى. ولكنها عُصمت من الضياع بعد التعلق بالرحم، وحدث فيها تغييرٌ جديد لم يكن من قبل، أعني تحولت إلى دم متخثّرٍ وغلظ قوامها أيضا وحصلت لها علاقة بالرحم فسُمّيت ﴿عَلَقَةً﴾، واستحقت المرأة في هذه المرتبة أن تسمى حُبلى. وبسبب هذه العلاقة صار الرحم مشرفا عليها، وشرعت النطفة تنمو وتترقى في ظله وكنفه. ولكن لم تنل النطفة حظا كبيرا من الطهارة في هذه المرتبة، غير أنها صارت دما متخثرا وعُصمت من الضياع بسبب علاقتها بالرحم. فكما كانت النطفة تضيع سدى في بعض الحالات الأخرى وكانت تسيل إلى الخارج عبثا وتلطّخ الثياب، فقد سلمت الآن

من الضياع سدى من جراء هذه العلاقة. ولكنها ليست إلا دما متخثراً لم تتطهر من تلوث النجاسة الخفيفة. ولو لم تحصل لها هذه العلاقة مع الرحم لكان ممكناً أن تفسد بعد دخولها المهبل أيضاً وتسيل إلى الخارج، ولكن أمسكتها قوة الرحم المدبرة بجذبا الخاص، ثم حوّلتها إلى دم متخثر، فسُمِّيت ﴿عَلَقَةً﴾ بناء على هذه العلاقة، كما ذكرنا آنفاً. ولم يؤثر فيها الرحم تأثيراً ملحوظاً من قبل، غير أن هذه العلاقة منعتها من الضياع، وبسبب هذه العلاقة لم تبق فيها رَقَّة كرقعة النطفة، أي لم يعد قوامها رقيقاً وخفيفاً بل غلظ إلى حد ما.

ومقابل العلقه التي هي المرتبة الثانية للوجود المادي هناك مرتبة ثانية للوجود الروحاني كما ذكرنا قبل قليل وتشير إليها الآية القرآنية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي المؤمنون المفلحون هم الذين يُعرضون عن لغو الكلام والأعمال والتصرفات ولغو المجالس والصحبة والعلاقات، وعن الثوائر اللاغية. فيبلغ إيمانهم درجةً يسهل فيها عليهم هذا القدر من الإعراض عن الأمور اللاغية، لأنهم بسبب التقدم في الإيمان يحظون بالعلاقة مع الرب الرحيم إلى حد ما كالنطفة التي يحصل لها علاقة بالرحم إلى حد ما عند تحولها إلى علقه، فتصبح في مأمن من الضياع سدى بالقذف لغواً، أو السيلا ن أو بطريق آخر، إلا ما شاء الله.

ففي هذه المرتبة الثانية للوجود الروحاني تُشَبَّه العلاقة بالرب الرحيم تماماً بعلاقة العلقه بالرحم في المرتبة الثانية للوجود المادي. وكما تكون النجاة مستحيلة من العلائق اللاغية والأعمال العبثية قبل ظهور المرتبة الثانية للوجود الروحاني، وتضيع المرتبة الأولى للوجود الروحاني، أي الخشوع والخضوع، في كثير من الأحيان فتكون العقاب سيئة، كذلك تماماً تضيع سدى النطفة، التي هي مرتبة أولى للوجود المادي، مئات من المرات قبل أن تصبح علقه. ثم عندما تقتضي مشيئة الله أن تعصمها من الضياع لغواً تتحول النطفة نفسها إلى العلقه بأمر الله وإذنه، وتسمى عندئذ مرتبة ثانية للوجود المادي.

باختصار، المرتبة الثانية للوجود الروحاني، أي اجتناب اللغو من الأقوال والأفعال والإعراض عن الأمور اللاغية والعلاقات اللاغية والثوائر النفسانية، لا تيسر للإنسان ما لم تحصل له العلاقة بالرب الرحيم، لأن قوة العلاقة وحدها تستطيع أن تقطع العلائق الأخرى وتعصم صاحبها من الضياع. وإن تسنى للإنسان في صلواته الخشوع والخضوع، الذي هو المرتبة الأولى للوجود الروحاني، إلا أن ذلك الخشوع لا يستطيع أن يمنع صاحبه من لغو الكلام والأفعال أو الثوائر اللاغية ما لم تحصل له مع الرب الرحيم تلك العلاقة التي تحصل في المرتبة الثانية للوجود الروحاني. ومثلها كمثّل النطفة التي لا تسلم من الضياع سدى ما لم تتعلق بالرحم، وإن جامع المرء زوجته أكثر من مرة كل يوم.

فقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ يعني أن المؤمنين هم الذين يتنحّون عن العلاقات اللاغية. وإن إبعاد المرء نفسه من العلاقات اللاغية مدعاة للعلاقة بالله^١. فكأن صرف عنان القلب عن الأعمال اللاغية يعني تعليق القلب بالله، لأن الإنسان خُلِقَ للتعبّد الأبدي، وحب الله موجود في قلبه بصورة طبيعية. لذلك هناك علاقة أزلية بين الله وبين روح الإنسان كما يتبين من الآية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٣) والعلاقة التي يحظى بها الإنسان بعد انزوائه

^١ التنحّي عن العلاقات اللاغية مدعاة للعلاقة بالله، لأن الله تَعَالَى وعد في هذه الآيات بقوله: ﴿أَفْلَحَ﴾ أن الذي يعمل عملاً لا يتغاء الله ليدرك الله بقدر جهده وسعيه، وسينشئ علاقته معه عَزَّ وَجَلَّ. فالذي يترك اللغو بُغية الصلة بالله فيحظى بصلة خفيفة بالله تعالى بحسب وعده المذكور في ﴿أَفْلَحَ﴾، لأن ما عمله هو أيضاً ليس بعمل جبار بل قطع علاقة بسيطة مع اللغو. ولا يغيّر عن البال أن لفظ ﴿أَفْلَحَ﴾ كما هو موجود في الآية الأولى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، كذلك يتعلق هذا اللفظ بالآيات التالية كلها كوعد على سبيل العطف. فالآية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ تعني أيضاً: قد أفلح المؤمنون الذين هم عن اللغو معرضون. والإفلاح - أي لفظ ﴿أَفْلَحَ﴾ - يتضمن معنى خاصاً في كل مرتبة من مراتب الإيمان ويبشّر بعلاقة خاصة. منه.

إلى كنف الرحيمية - أي بواسطة العبادة - التي مرتبتها الأولى هي الإيمان بالله ثم اجتناب كل كلام لغو وفعل لغو ومجلس لغو وحركة لاغية وعلاقة لاغية وثائرة لاغية، ليست بشيء جديد، وإنما هو إخراج تلك العلاقة الأزلية نفسها من مَكَمَن القوة إلى حَيِّز الفعل.

وكما ذكرت سابقا أن المرتبة الأولى للوجود الروحاني - أي الخشوع والخضوع والرقعة والتضرع والحرقة في الصلاة وذكر الله - إنما هي نقطة انطلاق فقط في حد ذاتها، بمعنى أنه ليس محتوما أن يكون الخشوع مقرونا بترك اللغو أو مصحوبا به، وترافقه فوق تلك الأخلاق الفاضلة والعادات المهدّبة أيضا، بل من الممكن أن لا يكون قلب الذي يُظهر الخشوع والخضوع والرقعة والوجد والبكاء في الصلوات - وإن كان إلى درجة أن يؤثر في الآخرين أيضا - منزّها عن لغو الأحاديث والأعمال والتصرفات ولغو المجالس والعلاقات والثوائر النفسانية. أي من الممكن ألا يكون قد تخلّص من المعاصي إلى الآن، لأن تطرّق الخشوع والخضوع إلى القلب بين فينة وفينة أو حصول المتعة واللذة في الصلاة شيء وطهارة النفس شيء آخر. وإن يكن خشوع سالكٍ وخضوعه وتضرعه ورقته ووجده منزها عن شوائب البدعة والشرك أيضا، مع ذلك فإن الذي لم يبلغ وجوده الروحاني إلى المرتبة الثانية، فإنه قاصد فقط إلى القبلية الروحانية، ولكنه ما زال هائما في الطريق، وما زالت تعترض طريقه أنواع البراري والقفار المتنوعة والفلوات الشائكة والجبال الشاخحة والبحار العظيمة الهائجة والمائجة، والسباع والوحوش الضواري أعداء الإيمان والروح، وتتربص به ما لم يبلغ المرتبة الثانية.

اعلموا أن حالة الخشوع والخضوع والتذلل لا تستلزم العلاقة الصادقة بالله بالضرورة بل الأشرار أيضا كثيرا ما يخشعون برويتهم نموذج القهر الإلهي دون أن تكون لهم أدنى علاقة مع الله أو أن يكونوا قد تخلصوا من لغو الأعمال. فمثلا الزلزال الذي ضرب الأرض في ٤/٤/١٩٠٥ م قد أحدث حينها خشوعا وخضوعا

وتضرعا في مئات الألوف من القلوب، حتى لم يعد لهم شغل غير ذكر الله والبكاء، حتى نسي الملحدون أيضا إلحادهم. ولكن لما مضى ذلك الوقت وهدأت الأرض تلاشى الخشوع والخضوع حتى سمعتُ أن بعضا من الملحدين الذين آمنوا بالله عندئذ قالوا فيما بعد بوقاحة متناهية وتحاسر متزايد بأننا أخطأنا بارتعابنا من الزلزال غير أنه لا وجود لله.

باختصار، كما كتبتُ مرارا، فإنه من الممكن أن تصحب الخشوع والخضوع أرجاس كثيرة غير أنه كالبذرة للكمالات المقبلة، وإن اعتبره كمالا في حد ذاته إنما هو خداع المرء نفسه، بل توجد بعدها مرتبة أخرى يجب على كل مؤمن أن يبحث عنها، وينبغي ألا يتكاسل ولا يتوانى قبل الحصول عليها. وهي المرتبة التي بينها كلام الله بكلمات: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، أي ليس المؤمنون هؤلاء فقط الذين يتحلون بالخشوع والخضوع ويظهرون التضرع والحرقة في صلواتهم، بل المؤمنون الأعلى منهم مرتبة هم الذين مع تحليلهم بالخشوع والخضوع والتضرع في صلواتهم يجتنبون لغو الكلام والأعمال والعلاقات كلها. ولا يضيعون خشوعهم وخضوعهم بخلطها بلغو الأعمال والكلام، ويجتنبون بطبيعتهم اللغو بجميع أنواعه وتتولد في قلوبهم كراهية الكلام اللغو والأعمال اللاغية. ويكون ذلك دليلا على أنهم حائزون على علاقة بالله نوعا ما لأن الإنسان لا يُعرض عن جهة إلا إذا تعلّق بجهة أخرى. فلا يفتر قلبه حقا عن الأحاديث اللاغية والأعمال الفاسدة والصحبة الطالحة واللغو والعبث إلا إذا تعلّق بالرب الرحيم وغلبتْ قلبه عظمتُه وَكَبَلَتْ هيبته. كذلك لا تسلم النطفة من الضياع سدّى ما لم تتعلّق بالرحم وما لم يغلبها تأثيره. وعند نشوء هذه العلاقة تُسمّى النطفة علقة. كذلك المرتبة الثانية للوجود الروحاني - التي هي إعراض المؤمن عن اللغو - تُسمّى علقة من حيث الروحانية، لأن في هذه المرتبة تسيطر على قلب المؤمن هبة الله وعظمتُه وتخلّصه من الأحاديث والأعمال العابثة. وإن ترك المرء الأحاديث والأعمال العابثة إلى الأبد متأثرا بهيبة الله وعظمتُه هي الحالة التي

يقال لها "التعلق بالله" بتعبير آخر. ولكن هذه العلاقة بالله التي تنشأ نتيجة ترك اللغو فقط هي علاقة بسيطة لأن السالك في هذه المرتبة يقطع علاقته باللغو فقط، ولكن قلبه يكون لا يزال معلقاً بما تحتاج إليه النفس، وما تعتمد عليه سعة العيش، ولا يزال شيء من الرّجس موجوداً فيه، لذا شبه الله تعالى هذه المرتبة للوجود الروحاني بالعلقة. والعلقة هي الدم المتخثر، فيبقى فيه شيء من النجاسة لكونه دمًا. ويبقى هذا العيب موجوداً في هذه المرتبة لأن أمثال هؤلاء الناس لا يتقون الله حق تقاته بعد ولم تترسخ في قلوبهم عظمة وهيبة حضرة العزة جلّ شأنه، لذا يقدرّون على ترك لغو الكلام والأفعال فقط وليس أكثر من ذلك، فيبقى في نفوسهم الناقصة قدر من الرّجس دون قصد، أي يُعرضون عن اللغو فقط نتيجة إنشائهم علاقةً بسيطة مع الله، ولكن لا يقدرّون على ترك ما يشقّ على النفس تركه، ولا يستطيعون أن يتركوا لوجه الله ﷻ ما يستلزم ملذات النفس. فتبين من هذا البيان أن الإعراض عن اللغو فحسب ليس بعمل يستحق إشادة كبيرة، بل هي حالة أدنى للمؤمن وإن كانت فوق الخشوع والخضوع بدرجة واحدة.

وقد جاءت المرتبة الثالثة للوجود الروحاني بإزاء المرتبة الثالثة من الوجود المادي، وتفصيلها أن المرتبة الثالثة للوجود المادي مذكورة في الآية الكريمة: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾، هذه هي المرتبة التي يتخلّص فيها وجود الإنسان المادي من النجاسة وتتدرج إليه شدة وصلابة نوعاً ما أكثر من ذي قبل، لأن النطفة والعلقة - أي الدم المتخثر - تحتويان على نجاسة خفيفة، وهما ألين وأرق من المضغة قواماً، ولكن المضغة - وهي قطعة من اللحم - تُنشئ في نفسها طهارة، وتكون أغلظ وأصلب نوعاً ما من النطفة والعلقة من حيث القوام. وهذه هي حالة الوجود الروحاني في المرتبة الثالثة. أما المرتبة الثالثة للوجود الروحاني فمذكورة في الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾. ومعناها أن المؤمن الذي يتخطى المرتبتين الأوليين لا يجتنب لغو الأعمال والأقوال فحسب بل يؤتي الزكاة أيضاً دحضاً لرجس البخل والشح - الذي يوجد

في كل شخص بطبيعته - أي ينفق في سبيل الله قسطا من ماله. وقد سُميت الزكاة زكاةً لأن فاعلها يتزكى من رجس البخل بأداء هذه الفريضة، أي الإنفاق لوجه الله من ماله الذي هو عزيز لديه جدا. وعندما يذهب من نفسه رجس البخل - الذي يرغب فيه المرء بطبيعته - يتطهر إلى حد ما، فيحصل له الانسجام نوعا ما مع الله الذي هو قدوس بذاته.

کوئی اُس پاک سے جو دل لگاؤے کرے پاک آپ کو تب اُس کو پاوے

أي: إذا أراد أحد أن ينشئ علاقته بالله القدوس، فليطهر نفسه أولا، بعدها يمكنه الوصول إليه وَجَلَّ.

هذه المزية لا توجد في المرتبتين الأوليين، لأن الخشوع والخضوع والإعراض عن اللغو فقط يمكن أن يتأتى أيضا للإنسان الذي لا يزال رجس البخل كامنا فيه. ولكنه عندما يتخلى، لوجه الله، عن ماله العزيز الذي عليه مدار حياته وقوام معيشتة والذي اقتناه بمشقة وادّخره بجهد جهيد وعرق جبين؛ يخرج من نفسه رجس البخل، وإلى جانب ذلك تتولد في إيمانه الشدة والصلابة أيضا. وأما المرتبتان السابقتان فلا يتسنى فيهما هذا النوع من الطهارة والتركية بل تبقى فيهما نجاسة كامنة. والحكمة في ذلك أن الإعراض عن اللغو يسفر فقط عن ترك الشر الذي لا يهّم حياته وبقائه ولا يشق على النفس تركه. ولكن إتياء المال الذي اقتناه بالمشقة ابتغاء مرضاة الله، إنما هو كسب الخير، وبذلك تذهب نجاسة النفس التي هي أسوأ من جميع النجاسات، أي يزول البخل والشح. لذا فإن هذه مرتبة الثالثة للإيمان، وهي أشرف وأفضل من المرتبة الأولى والثانية، وتوازيها مرحلة المضغة من حيث تكوين الوجود المادي وهي أفضل من المرتبتين الأوليين - النطفة والعلقة - وتتميز بالطهارة، لأن النطفة والعلقة ملوثتان بنجاسة خفيفة. وأما المضغة فهي في حالة الطهارة. وكما تتدرج إلى المضغة طهارة ورقّي في الرحم، وتتقوى علاقتها معه أيضا بالمقارنة مع النطفة والعلقة وتزداد شدة وصلابة أيضا، كذلك تماما تكون حالة الوجود الروحاني

في المرتبة الثالثة التي يقول الله عنها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي المؤمنون هم الذين ينفقون أموالهم العزيرة عليهم في سبيل الله لتزكية أنفسهم من البخل، ويختارون هذا الأمر بطيب خاطرهم. فتوجد في هذه المرتبة الثالثة للوجود الروحاني المزايا الثلاث نفسها التي توجد في المرتبة الثالثة للوجود المادي، أي في المضغة، لأن هذه المرتبة، أي إنفاق المال في سبيل الله للخلاص من البخل والشح، وإيتاء المرء المال الذي كسبه واقتناه بالجهد والمشقة للآخرين لا ابتغاء وجه الله فقط، مرتبة أرقى من المرتبة السابقة، أي الإعراض عن لغو الكلام ولغو الأعمال. وفي هذه المرتبة تحصل التزكية والطهارة من رجس البخل بالبداهة والوضوح، وتتقوى العلاقة بالرب الرحيم، لأن التخلي عن المال العزيز عليه ابتغاء وجه الله وحده أعز وأشق على النفس من ترك لغو الكلام. وبسبب تحمل هذه المشقة الشديدة تتقوى العلاقة بالله أيضا، ونتيجة العمل الشاق يزداد الإيمان أيضا شدة وصلابة.

ثم تأتي المرتبة الرابعة للوجود الروحاني التي ذكرها الله في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ﴾، أي المؤمنون فوق المرتبة الثالثة يعصمون أنفسهم من الأهواء النفسانية والشهوات الممنوعة. وهذه المرتبة تفوق المرتبة الثالثة لأن المؤمن الحائز على المرتبة الثالثة يؤتي ماله- الذي هو محبب وعزيز لديه- في سبيل الله فحسب، أما المؤمن الذي يحتل المرتبة الرابعة فيضحى في سبيل الله بما هو أحب وأعز لديه من المال أيضا، أي شهواته النفسانية، لأن الإنسان يحب شهواته حبا جما حتى أنه ينفق ماله العزيز كالماء لإشباعها، ويهدر آلاف مؤلفة من المال في هذا السبيل ولا يعبأ به مطلقا بغية إشباع شهواته. فيلاحظ أن الأناس ذوي الجبلية الخبيثة والأشحاء الذين لا يعطون فلسا واحدا لفقر ذي مسغبة عاري الجِلدة بادي الجُرْدَة، يدفعون ألّوفا للمومسات لإخماد ثورة غُلْمَتهم وقضاء شهواتهم ويخربون بيوتهم بأيديهم.

فتبين من ذلك أن طوفان الشهوات طوفان جارف وسيل عرم يكتسح نجاسة البخل أيضا. فمن البديهي أن القوة الإيمانية التي يعصم بها الإنسان نفسه من طوفان

الشهوات النفسانية هي أشد وأصلب وأكثر متانة لمواجهة الشيطان من القوة الإيمانية- التي تدفع البخل فينفق الإنسان ماله المحبب في سبيل الله ابتغاء مرضاته- لأنها تدوس ثعبان النفس الأمارة القديم. أما البخل فيمكن أن يتلاشى في مواضع الرياء وإبراز النفس واستيفاء الملذات النفسانية. أما الطوفان الذي يهيج نتيجة غلبة الشهوات النفسانية فهو خطر جدا ويدوم طويلا ولا يزول قط إلا ما رحم ربي. وكما أن العظم أصلب وأشد من جميع أعضاء الإنسان وعمره طويل، كذلك القوة الإيمانية- التي تدفع هذا الطوفان- أشد وأقوى بكثير وتبقى طويلا لتتمكن من دوس هذا العدو تحت الأقدام بعد مقاومة طويلة، وذلك بفضل الله وبرحمته فقط، لأن طوفان الشهوات النفسانية طوفان خطر ومخيف جدا ولا يزول بدون رحمة الله الأحد، لذلك اضطر يوسف عليه السلام إلى القول: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف: ٥٤).

وكما وردت في هذه الآية عبارة: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كذلك وردت في ذكر الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام كلمات مماثلة كما قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (هود: ٤٤)، أي أن الخلاص منها مستحيل إلا أن يرحم الله. وهذه إشارة إلى أن طوفان الشهوات النفسانية يشبه من حيث عظمته وهيبته الطوفان الجارف في عصر نوح عليه السلام.

ومقابل هذه المرتبة الروحانية الرابعة للوجود الروحاني هناك مرتبة رابعة للوجود المادي كما ذكرت في الآية القرآنية: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾. والمعلوم أن العظام تصبح أكثر صلابة وقوة من المضغة، وكذلك العظام أطول بقاءً من المضغة، ويمكن أن تبقى آثارها إلى آلاف السنين. فالمماثلة بين المرتبة الرابعة للوجود الروحاني والمرتبة الرابعة للوجود المادي واضحة تمام الوضوح، لأن القوة الإيمانية والصلابة والعلاقة بالله الرحيم في المرتبة الرابعة للوجود الروحاني هي أزيد وأكثر، وذلك مقارنة مع المرتبة الثالثة للوجود الروحاني. كذلك المرتبة الرابعة للوجود المادي، وهي مرحلة تكوين

العظام، أشد وأقوى من الدرجة الثالثة للوجود المادي - أي المضغة - وأقوى علاقةً مع الرحم أيضا.

وبعدها؛ المرتبة الخامسة للوجود الروحاني هي تلك التي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي المؤمنون الحائزون على المرتبة الخامسة - الذين فاقوا المرتبة الرابعة - لا يملكون الكمال فقط من حيث إنهم قهروا شهوات النفس الأمارة، ونالوا نصرا عظيما على أهوائها، بل يراعون أيضا جهد المستطيع جميع أمانات الله وأمانات خلقه من كل جهة، ويراعون جميع عهودهم من كل الجوانب، ويسعون جاهدين للسير في سبل التقوى الدقيقة، ويسلكون مسالكها بحسب قدرتهم وطاقاتهم.

والمراد من عهود الله هي العهود التي تؤخذ من المؤمن عند البيعة والإيمان، كاجتناب الشرك وقتل النفس بغير حق وغيرهما.

إن كلمة ﴿رَاعُونَ﴾ التي وردت في هذه الآية تستعمل في اللغة العربية حين يحاول الإنسان السلوك بأدق السبل بقدر وسعه وطاقته، ويجتهد للعمل بجميع دقائقه، ولا يريد أن يترك جانبا من جوانبه.

فمعنى هذه الآية أن المؤمنين الذين يحتلون المرتبة الخامسة للوجود الروحاني هم الذين يسلكون أدق سبل التقوى بحسب قدراتهم وطاقاتهم الموهوبة، ولا يريدون أن يتركوا جانبا من جوانب التقوى التي تتعلق بالأمانات أو العهود، ويجعلون مراعاة جميع الأمانات والعهود نصب أعينهم. ولا يفرحون بأن يحسبوا أنفسهم أمناء وصادقين في عهودهم بصورة سطحية، بل يخشون في قرارة قلوبهم دائما أن تصدر منهم خيانة ولو في الخفاء. لذا يتنبّهون جيدا بقدر استطاعتهم إلى جميع تعاملاتهم لئلا يكون فيها نقصان أو فساد باطني. وهذه المراعاة تُسمى بـ "التقوى" بتعبير آخر.

فلباب الكلام أن المؤمنين في المرتبة الخامسة من حيث الوجود الروحاني لا يكونون متحررين، خليعي الرسن في معاملاتهم، سواء مع الخالق أو مع المخلوق، بل يراعون

أماناتهم وعهودهم إلى أبعد الحدود مخافة أن يقعوا تحت طائلة المسؤولية أمام الله. ويتفقدون أماناتهم وعهودهم باستمرار، ويفحصون بمنظار التقوى كيفيتها الباطنية حتى لا يكون في أماناتهم وعهودهم أي خلل أو فساد كامن. ويستخدمون أمانات الله الموكولة إليهم كالتقوى والأعضاء كلها، والنفوس والمال والشرف وغيرها في محلها المناسب بكل حذر ملتزمين بمقتضى التقوى. ويسعون جهد استطاعتهم وبكمال صدقهم للإيفاء بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عند الإيمان. وكذلك يلتزمون بمقتضيات التقوى قدر استطاعتهم بصدد أمانات الخلق عندهم، وكذلك في بقية الأشياء التي في حكم الأمانات. وإن حدث نزاع فيحكمون بالتقوى ولو تكبدوا الخسارة في هذا الحكم.

وهذه المرتبة تفوق المرتبة الرابعة لأنها توجب على الإنسان السير في سبل التقوى الدقيقة ومراعاة جميع دقائقها قدر الإمكان في جميع أعماله وأموره، فيتحتم على الإنسان أن يخطو كل خطوة مراعيًا أدق مقتضيات التقوى. وأما المرتبة الرابعة، فإنها أمر سطحي فقط، أي اجتناب الزنا والفواحش. يدرك الجميع أن الزنا فاحشة شنيعة، وأن مرتكبه يعمى بشهوات النفس، فيرتكب هذا العمل الخبيث الذي يخلط الحرام بالحلال في نسل الإنسان ويكون مدعاة لإضاعة النسل. لذا عدته الشريعة كبيرة من الكبائر وفرضت على مرتكبه حدًا في هذه الدنيا.

فمن الواضح أن اجتناب الزنا فقط لا يكفي لتكميل المؤمن، لأن الزنا لا يرتكبه إلا فاسد الطوية والوقح إلى أقصى الحدود، وإنه ذنب كبير يستنكره أجهل الجهلاء أيضًا، ولا يُقدم عليه إلا الفاسق. فاجتنابه أمر بسيط وليس بأمر عظيم الشأن. أما حسن الإنسان الروحاني كله فيكمن في سلوكه على أدق سبل التقوى^١. وإن سبل

^١ إن حالة الخشوع كالبدن للإيمان، ثم يُخرج الإيمان شطأه الغضّ الطريّ بترك الأفعال اللاغية، ثم تخرج أغصان شجرة الإيمان وتقويه قليلا بإيتاء المال زكاةً، ثم تنشأ القوة والصلابة في تلك الأغصان نتيجة محاربة الشهوات النفسانية. ثم بمراعاة العهود والأمانات بكل أنواعها تقوم

التقوى الدقيقة هي نقوش لطيفة وملامح جميلة للحسن الروحاني. والواضح أن مراعاة أمانات الله والعهود الإيمانية^١ قدر الإمكان واستعمال جميع القوى والأعضاء الظاهرية من قمة الرأس إلى القدم بما فيها العيون والآذان، والأيدي والأرجل وغيرها من الأعضاء الظاهرية، وكذلك استخدام الأعضاء الباطنية مثل القلب والقوى الأخرى والأخلاق في محلها عند الضرورة الحقة، ومنعها عن المواضع المحرمة، والتيقظ تجاه صولاتها الخفية، ومراعاة حقوق العباد بإزائها، لأمرٍ منوط به حُسن الإنسان الروحاني وجماله كله. وإن الله تعالى سمى التقوى "لباسًا" في القرآن المجيد فقد ورد فيه: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾. وبذلك أشار إلى أن الزينة الروحانية والحسن الروحاني يتولّد من التقوى فقط.

والمراد من التقوى أن يراعي الإنسان جميع أمانات الله والعهود الإيمانية، ويراعي أيضًا جميع أمانات المخلوق والعهود بقدر استطاعته، أي يلتزم بأدق جوانبها بكل ما في وسعه.

هذه هي المرتبة الخامسة للوجود الروحاني، ومقابلها هناك مرتبة خامسة للوجود المادي وقد ذُكرت في الآية الكريمة: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، أي ثم ألبسنا العظام لحما وزينّا الوجود المادي نوعاً ما. وإن ذلك لتطابق عجيب أنه كما سمى الله التقوى في إحدى الآيات لباساً من الناحية الروحانية، كذلك استخدم هنا كلمة

شجرة الإيمان على جذعها القوي، ثم يغشاها فيضاً قوة أخرى عند الإثمار، إذ لا يمكن للشجرة أن تزهر أو تثمر قبل نزول تلك القوة. والقوة نفسها تسمى ﴿خُلُقًا آخَرَ﴾ في المرتبة السادسة للخلق الروحاني. ففي هذه المرتبة السادسة تبدأ أزهار كمالات الإنسان وثمارها بالظهور، ولا يقتصر الأمر فقط على اكتمال الأغصان الروحانية لشجرة الإنسان، بل تؤتي أثمارها أيضاً. منه.

^١ المراد من العهود الإيمانية هي العهود التي يقطعها الإنسان عند البيعة والإيمان، ومنها أنه لن يسفك الدماء ولن يسرق ولن يشهد شهادة الزور، ولن يشرك بالله أحداً، وسيموت على الإسلام واتباع النبي ﷺ. منه.

﴿كَسَوْنَا﴾، وهي مشتقة من الكسوة، وتبين أن اللحم الذي تُكسى به العظام أيضا بمنزلة لباس لها. فتدل الكلمتان على أنه كما تكون التقوى خلعة ولباسا للحسن الروحاني، كذلك الكسوة التي تُكسى بها على العظام تهبها حسنا وجمالا. إلا أنه قد استُخدمت هناك كلمة "اللباس"، أما هنا فقد استُعملت "الكسوة" وكلتا الكلمتين تعطي معنى واحدا. ويعلن نص القرآن بأعلى صوته أن غايتهم المتوخاة هي إضفاء الحسن والجمال. وكما أنه لو نُزع عن روح الإنسان لباس التقوى لظهرت للعيان بشاعته الروحانية، كذلك تماما تتراءى صورة الجسم الإنساني مكروهةً جدا إذا نُزع اللحم والجلد عن عظامه التي كساها الحكيم القدير.

ولكن لا يتوَلَّد الحسن الكامل في هذه المرتبة الخامسة، سواء كانت هذه المرتبة للوجود المادي أم للوجود الروحاني، لأن فيضان الروح لم ينزل عليه بعد.

ومن المشهود والملاحظ، أن الإنسان مهما كان وسيما وجميلا، عندما يُتوفى وتزهق روحه، يتطرق الخلل إلى الحسن الذي وهبته قدرة الله القدير. مع أن جميع الأعضاء والملامح تكون موجودة، ولكن بمجرد خروج الروح يتراءى بيت قالب الإنسان خرابا يبابا دون أن يُرى فيه أي أثر للحسن والملاحاة والرونق والبهاء. والحالة نفسها تلاحظ في المرتبة الخامسة للوجود الروحاني إذ من الملاحظ والمشهود أنه ما لم ينزل على المؤمن من عند الله فيض تلك الروح التي تُنفخ في المرتبة السادسة للوجود الروحاني، وتهب الحياة والقوة الخارقة للعادة، فإنه لا ينشأ لأداء أمانات الله واستعمالها في محلها المناسب تماما وإيفاء عهد الإيمان بصدق، ولأداء حقوق الخلق وإيفاء عهودهم، رونق التقوى وبهاؤه الذي يمكن أن يجذب حسنه وجماله قلوب الناس إلى نفسه، أو أن يُصبح كل أسلوب من أساليبه خارقا للعادة ويتخذ صبغة الإعجاز، بل تشوب التقوى شائبة التكلف والتصنع قبل دخول تلك الروح فيه، لأنه لا توجد فيه تلك الروح التي يمكن أن تُرى تجلّي الحسن الروحاني وجماله ورونقه وبهائه. ولكن صحيح تماما أن قدم المؤمن الذي لم يحظ بهذه الروح بعد لا تثبت على الحسنات

كما يجب، بل كما يمكن لعضو من أعضاء الميث أن يتحرك بهزة الريح ثم يعود إلى سابق عهده بعد انقطاع هبوبها، كذلك تماما تكون حالة المرتبة الخامسة من الوجود الروحاني، لأن نسيم الرحمة الإلهية تحركه مؤقتا فقط إلى الأعمال الصالحة، فتصدر منه أعمال التقوى، ولكن لا تكون فيه روح الأعمال الصالحة مستقرة بعد، فلا ينشأ فيه حسن المعاملة التي تُري تجلياتها بعد دخول تلك الروح.

فحاصل الكلام أن المرتبة الخامسة للوجود الروحاني، وإن كانت قد حازت على مرتبة ناقصة من حسن التقوى، إلا أن كمال ذلك الحسن لا يتجلى إلا في المرتبة السادسة للوجود الروحاني، عندما يصبح حب الله تعالى الذاتي كالروح للوجود الروحاني، وينزل على قلب الإنسان ويتدارك العيوب كلها. وما لم تنزل على الإنسان تلك الروح من عند الله لا يمكن له أن يكتمل بقواه الذاتية فقط كما قال الحافظ الشيرازي:

مابدان منزلِ عالی نتوانیم رسید ہاں مگر لطف تو چوں پیش نہد گامے چند

" لا نستطيع أن نصل تلك المنزلة العالية إلا أن يقدمنا لطفك بضع خطوات. " ثم المرتبة السادسة للوجود الروحاني هي التي ذكرها الله تعالى في الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي المؤمنون الذين تجاوزوا الدرجة الخامسة ووصلوا إلى الدرجة السادسة هم الذين يراقبون ويحافظون على صلواتهم بأنفسهم ولا يحتاجون إلى أن يذكرهم أحد بذلك أو يعظهم، بل قد نشأت بينهم وبين الله علاقة بصورة خاصة وأصبح ذكره رغبة عارمة في طبيعتهم ومدار راحتهم ومناطق حياتهم لدرجة أنهم يحافظون عليه دائما وتمضي كل لحظة من لحظاتهم في ذكره وَعَلَىٰ، ولا يريدون أن يَعْشُوا عنه وَعَلَىٰ طرفة عين.

ومن الواضح الجلي أن الإنسان يبذل قصارى جهده ويعكف على المحافظة على الشيء الذي يرى في فقدانه ويله وثبوره، كما ترون أن المسافر في قفر - لا قطرة ماء فيه ولا حبة طعام ولا أمل للعثور عليهما إلى مئات الأميال - يحافظ كثيرا على ما يملكه من الطعام والشراب، ويعدهما عزيزين كنفسه، لأنه يوقن بأن في ضياعهما

هلاكه. فالذين يحافظون على صلواتهم مثل ذلك المسافر، لا يتركونها أبدا ولو واجهوا خسارة مال أو شرف أو سَخَط أحد بسببها، وبمجرد الخوف من فوات الصلاة يأخذهم القلق والاضطراب الشديد، فيضطربون كأنهم يشرفون على الموت، ولا يتحمّلون الانفصال عن ذكر الله ولا لحظة واحدة؛ هم الذين يرون الصلاة وذكر الله غذاء أساسيا لهم عليه مدار حياتهم في الحقيقة.

ولا تنشأ هذه الحالة إلا عندما يحبهم الله، وتنزل على قلوبهم شعلة مضطربة لحبه الذاتي التي يجب أن تسمى بالروح للوجود الروحاني، وتبهم حياة جديدة وتب تلك الروح نورًا وحياة لوجودهم الروحاني. عندئذ لا يذكرون الله تصنعًا وتكلفًا بل الله الذي أناط حياة الإنسان المادية بالطعام والشراب ينيط حياتهم الروحانية- التي يحبونها- بغذاء ذكره. فيحبون هذا الطعام والشراب الروحاني أكثر من الخبز المادي والماء المادي، ويخافون ضياعه. ويحدث ذلك نتيجة تأثير تلك الروح التي تُنفَخ فيهم كالشعلة، وبسببها تتولد فيهم نشوة عشق الله التامة. فلا يريدون الابتعاد عن ذكر الله طرفة عين. ويتحملون الشدائد من أجله ويواجهون المصائب ولا يريدون أن ينفصلوا عنه لحظة واحدة، ويذكرونه ﷻ في كل حين شاكرين ويظلون مراقبين ومحافظين على صلواتهم. وهذا أمر طبيعي لهم، لأن الله تعالى جعل ذكره المليء بالحب- الذي يسمّى بتعبير آخر الصلاة- غذاء أساسيا لهم، وتجلّى عليهم بحبه الذاتي ووهبهم لذة عجيبة وجذابة في ذكره. فأصبح ذكر الله عزيزا لديهم كأنفسهم بل أعز منها. وإن محبة الله الذاتية هي الروح الجديدة التي تقع على قلوبهم كالشعلة وتجعل لهم ذكر الله والصلاة كالغذاء. فيوقنون أن حياتهم لا تقوم على الخبز والماء، بل على الصلاة وذكر الله يعيشون.

فزبدة الكلام أن ذكر الله المليء بالحب الذي يسمّى الصلاة يصبح لهم غذاء في الحقيقة لا يستطيعون العيش بدونه، فيحافظون ويدومون عليه كما يحافظ المسافر في فلاة قفراء لا ماء فيها ولا حبة طعام على أرغفته القليلة التي معه ويحافظ على القدر اليسير من الماء الذي في قربه.

لقد جعل الوهاب القدير مرتبةً - هي المرتبة الأخيرة للحب الذاتي وغلبة العشق واستيلائه - لارتقاء الإنسان الروحاني. والحق أن في هذه المرتبة يصبح ذكر الله تعالى المليء بالحب والعشق الذي يُسمّى في المصطلح الشرعي "الصلاة"، بمنزلة الغذاء للإنسان، بل يتمنى المرء أن يفدي ذلك الغذاء مرة بعد أخرى بالروح المادية أيضاً. فكما أن السمك لا يستطيع العيش بدون الماء، كذلك تماماً لا يستطيع هذا الإنسان أن يعيش بدون هذا الغذاء، ويعدّ العيش، ولو لطرفة عين، بدون ذكر الله موتاً. فتظل روحه ساجدة على عتبة الله كل حين وآن، ويجد راحته التامة في ذات الله ﷻ وحده. ويعتقد اعتقاداً جازماً بأنه هالك لا محالة إن عشا عن ذكر الله طرفة عين. وكما أن الطعام يُضفي النضارة على الجسم، ويهب القوة للأعين والآذان وغيرها من الأعضاء، كذلك تماماً يقوّي ذكر الله - بدافع العشق والمحبة - قوى المؤمن الروحانية في هذه المرتبة، وتنشأ في الأعين قوة الكشف بصورة نقية ولطيفة جداً. وتسمع الآذان كلام الله، ويجري ذلك الكلام الرباني على اللسان بصورة أحلى وأجلى وأصفى، وتكثر الرؤى الصادقة^١ وتتحقق كفلق الصبح. وبسبب علاقة الحب

١ تخالج كثيراً من الجهلاء شبهةٌ بأننا أيضاً نرى في بعض الأحيان منامات صادقة أو نتلقى إلهاماً صادقاً، فما الفرق إذاً بيننا وبين أصحاب هذه المرتبة العليا هؤلاء؟ وأي خصوصية بقيت هؤلاء العلية؟

فجوابه أن هذه القدرة البسيطة على مشاهدة المنامات أو تلقي الإلهام قد أودعت في فطرة عامة الناس ليكون لديهم مثال لهذه الأمور الدقيقة التي هي وراء وراء من هذا العالم، ولئلا يظلوا محرومين من ثروة القبول بعد مشاهدة المثال، ولتتم عليهم الحجة. وإلا فلو ظلّ الناس يجهلون حقيقة الوحي والرؤيا الصادقة جهلاً مطلقاً، فماذا يمكن أن يفعلوه غير الإنكار؟ وفي هذه الحالة كانوا معذورين إلى حد ما.

وما دام الفلاسفة المعاصرون لا يزالون ينكرون ظاهرة الوحي والرؤيا الصادقة - مع وجود هذا المثال - فماذا عسى أن تكون حال العوام إن لم يكن لديهم أيّ نموذج منهما؟ أما زعمهم أنهم أيضاً يرون رؤى صادقة أو يتلقون إلهامات صادقة أحياناً فلا يُنقص من عظمة الرسل والأنبياء عليهم السلام شيئاً، لأن رؤى هؤلاء الناس وإلهاماتهم لا تخلو من دخان الشكوك

المخلصة بينه وبين الله يُعطى المؤمنُ حظاً وافراً من الرؤى المبشرة. وفي هذه المرتبة يشعر المؤمن أن حب الله يفيدُه فائدة الطعام والشراب. وإن هذا الخلق الجديد يحدث حين يكون الجسم الروحاني قد تكوّن مسبقاً، ثم تنزل تلك الروح - التي هي شعلة من حبّ الله الذاتي - على قلب ذلك المؤمن، وتأخذه قوة عليا فجأة من قفص البشرية إلى العُلا. وهذه المرتبة تُسمّى ﴿حُلُقًا آخَرَ﴾ من حيث الروحانية. في هذه المرتبة ينزّل الله شعلة ملتهبة من حبه الذاتي - التي تسمى بتعبير آخر "الروح" - على قلب المؤمن ويُزيل بها الظلمات والشوائب ونقاط الضعف كلها. والحسن الذي كان على مرتبة أدنى من قبل يبلغ إلى الكمال فور نفخ هذه الروح، وبذلك تنشأ نضارة روحانية، وتزول كدورة الحياة القذرة كلياً. ويدرك المؤمن أن روحاً جديدة قد دخلته، ولم تكن فيه من قبل. وتحصل له سَكينة عجيبة واطمئنان غريب بنزول هذه الروح، ويتدفق الحب الذاتي لله تعالى تدفق النافورة، ويسقي غرسة العبودية، وتشتعل النار التي كانت من قبل ذات حرارة بسيطة اشتعالاً تاماً وكاملاً في هذه المرتبة، وتحرق هشيم نجاسات الوجود الإنساني وتستولي عليه الألوهية استيلاء كاملاً، وتحيط هذه النار بالأعضاء كلها. عندها تظهر من ذلك المؤمن آثار الألوهية وأفعالها كما تظهر أمارات النار وأعمالها من الحديد الذي يُحمى في النار حتى يحمر وينصبغ بصبغة النار. ولكن هذا لا يعني أن المؤمن يصبح إلهاً بل من مزايا حب الله الذاتي أنه يصبغ الوجود الظاهري بصبغته، وتبقى العبودية وضعفها كامنة في الباطن. وفي هذه المرتبة يصبح الله غذاء المؤمن الذي تتوقف حياته على تناوله، ويكون بِرَبِّهِ للمؤمن كالماء الذي يشربه ينجو من الموت. وتكون ذات الله نَسِيمَه العليل الذي يبعث الراحة في قلبه.

والشبهات، ومع ذلك تكون بقدر أقلّ. فكما أن الفقير الذي يملك فلساً واحداً لا يستطيع أن يعادل ملكاً ولا يمكن له القول بأنه أيضاً يملك المال كما يملكه الملك، كذلك هذه المقارنة أيضاً باطلة وحقّ وسفاهة تماماً. منه.

وليس في غير محله القول على سبيل الاستعارة في هذا المقام بأن الله يحلّ في المؤمن الحائز على هذه المرتبة، ويجري في عروقه وفي كل ذرة من كيانه، ويتخذ قلبه عرشا له. فلا ييصر ذلك المؤمن عندئذ بروحه بل بروح الله، ويسمع بروح الله، ويتكلم بروح الله، ويمشي بروح الله، ويصوّل على الأعداء بروح الله، لأنه يكون في هذه المرتبة في مقام الفناء والمحوّة، فتتجلّى على قلبه روح الله بحبه الذاتي، وتهبه حياة جديدة، فتتطبق عليه عندئذ الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، روحانيا.

فهذه هي المرتبة السادسة للوجود الروحاني التي سبق ذكرها. وتقابلها المرتبة السادسة للولادة المادية. وتشير إلى هذه المرتبة المادية أيضا الآية الكريمة نفسها المذكورة آنفا عن المرتبة الروحانية أي: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. ومعناها: لما أتممنا خلقا خلقنا الإنسان خلقا آخر. وقد أُريدَ التوضيح بلفظ ﴿آخَرَ﴾ أنه خلقٌ يفوق الفهم ولا يسع عقل الإنسان إدراكه، وهو بعيد جدا عن مداركه؛ بمعنى أن الروح التي تنفخ في الجسم بعد تكوين القلب قد نفخناها في الإنسان من حيث الروحانية والمادية، وهي مجهولة الكنه لدرجة حارت في ماهيتها عقول الفلاسفة والمقلّدين كلهم من هذا العالم المادي. ولما لم يجدوا طريقا إلى حقيقتها لجأ كل واحد منهم إلى التخمين والتخريف. فأنكر بعضهم وجود الروح أصلا، وحسبها بعضهم الآخرون أزلية غير مخلوقة. فيقول الله تعالى هنا بأن "الروح" أيضا من خلقه ولكنها تفوق فهم أهل الدنيا. فكما جهل فلاسفة هذا العالم كنه الروح التي ينفخها الله في الإنسان الحائز على المرتبة السادسة للوجود المادي، كذلك ظلوا جاهلين حقيقة تلك الروح أيضا التي يهبها الله مؤمنا صادقا في المرتبة السادسة للوجود الروحاني، فذهبت بهم أفكارهم مذاهب شتى. وكانت النتيجة أن كثيرا منهم أخذوا يعبدون أناسا أعطوا تلك الروح وحسبهم أزليين وغير مخلوقين واتخذوهم آلهة. وكثير منهم أنكروا إمكانية وجود أناس يحتلون هذه المرتبة، وأن الإنسان يُعطى هذه الروح.

ولكن يمكن للعاقل أن يدرك بسهولة أنه ما دام الإنسان أشرف المخلوقات وقد فضّله الله ﷻ على طيور الأرض ودوابها كلها، وأكرمه بالحكم عليها، وأعطاه العقل والفهم، وأضرم فيه عطشا لمعرفة ذاته، ووضح عَلَيْكَ من خلال كل هذه الأفعال أن الإنسان قد خُلِقَ لمحبة وعشقه، فلماذا يُنكر إذاً أن الإنسان يستطيع أن يبلغ - بعد بلوغه إلى درجة الحب الذاتي لله تعالى - مرتبةً ينزل فيها حب الله على قلبه كالروح، ويزيل كل ضعفه ونقائصه؟

وكما قال الله تعالى عن المرتبة السادسة للوجود الروحاني: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، يجب على الإنسان أن يظهر منه الخشوع والخضوع والحرقة والتضرع والعبودية دائما، وبذلك يقضي الغاية المتوخاة من خلقه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). غير أن هذه العبادة والوقوف أمام حضرة العزة بالخشوع والخضوع دائما لا يتأتى دون الحب الذاتي. وليس المراد من الحب هو حب من جانب واحد، بل المراد هو كِلَا الحَبِيبَيْنِ، أي حب الخالق وحب المخلوق، لكي يُحرَقا جميع أنواع الضعف البشري - كنار الصاعقة التي تنزل على الإنسان المصعوق وكتلك التي تخرج من داخله حينذاك - ويستولي كِلَا الحَبِيبَيْنِ معا على الوجود الروحاني كله.

ففي هذه الحالة الكاملة يستطيع الإنسان أن يؤدي حق جميع الأمانات والعهود - المذكورة في المرتبة الخامسة للوجود الروحاني - كاملة وفي محلها المناسب. والفرق الوحيد هو أن الإنسان في المرتبة الخامسة يراعي أمانات الله وأمانات خلقه ويراعي العهود من منطلق التقوى وحده، أما في هذه المرتبة فبمقتضى حب الله الذاتي الذي نشأ في قلبه وبسببه تدفّق فيه حب الخلق أيضا، وبمقتضى الروح التي تنزل عليه من الله تعالى يؤدي المرء بطبيعته جميع تلك الحقوق على أحسن وجه. وفي هذه الحالة يحظى، على أحسن وجه، بالحسن الباطني الذي يقابل الحسن الظاهري، لأن الروح التي تتولد بالحب الذاتي لم تدخل الإنسان في المرتبة الخامسة للوجود الروحاني، لذا فإن تجلّي

الحُسْن أيضا لم يبلغ كماله حينذاك، ولكن بعد نزول الروح يبلغ ذلك الحُسْن كماله. والمعلوم أن الحسين الميت والحسين الحي لا يستويان جمالا ورونقا وبهاء. كما قلت من قبل، إن خلق الإنسان يضم في طياته نوعين من الحسن. أحدهما حُسْن المعاملة، أي أن يراعي الإنسان في أداء كافة أمانات الله تعالى وعهوده بألا يفوته شيء منها قدر الإمكان، كما يشير إلى ذلك لفظ ﴿رَاعُونَ﴾ في كلام الله عَلَيْهِ السَّلَام. كذلك من واجبه أن يعبر المرء أمانات الخلق وعهودهم الاهتمام نفسه، أي يتقي في حقوق الله وحقوق العباد حق التقاة. فهذا هو حُسْن المعاملة، أو قولوا إن شئتم إنه الجمال الروحاني الذي يبرز في الوجود الروحاني في المرتبة الخامسة ولكنه لا يسطع إلى الآن بالكامل، بل يُري لمعانه ورونقه وبهائه بالتمام والكمال في مرتبة الوجود الروحاني السادسة نتيجة كمال الخلق ونفخ الروح. وليكن معلوما أن المراد من الروح في الوجود الروحاني في المرتبة السادسة هو حب الله الذاتي الذي ينزل كالشعلة على الحب الذاتي للإنسان ويزيل الظلام الداخلي كله ويهب الإنسان حياة روحانية. ومن مستلزماته أيضا التأييد الكامل من روح القدس.

والنوع الثاني من الجمال في خلق الإنسان هو جمال البَشَرَة. ومع أن هذين الجمالين يبرزان في المرتبة الخامسة من الخلق الروحاني والمادي ولكن لا يظهر لمعانهما ورونقهما إلا بعد فيض الروح. وكما تُنفخ روح الوجود المادي في الجسد بعد تكوّن القلب المادي كذلك إن روح الوجود الروحاني أيضا تدخل في وجود الإنسان الروحاني بعد تكوين قلبه الروحاني، أي حين يحمل الإنسان نير الشريعة على عنقه بالتمام والكمال، ويكون جاهزا للخضوع لحدود الله كلّها بالمجاهدة وتحمل المشقة. ويكون جديرا نتيجة العمل بالشريعة وأوامر كتاب الله تعالى كلها بأن تتوجه إليه روحانية الله تعالى. وفوق كل ذلك يجعل نفسه بحبه الذاتي مستحقا لحب الله الذاتي الذي هو أبيض ناصع كالثلج وحلو كالعسل.

وكما قلت آنفاً، إن الوجود الروحاني يبدأ من حالة الخشوع ويبلغ الكمال عند المرتبة السادسة للنمو الروحاني، أي حين تنزل - بعد كمال القلب الروحاني - شعلة حب الله الذاتي على قلب الإنسان كالروح وتهبه حالة الخشوع والخضوع الدائمين. عندها يتجلى الجمال الروحاني بتجليه الكامل. ولكن هذا الحسن الروحاني الذي يمكن تسميته بـحُسن المعاملة يفوق حُسن البشارة كثيراً بسبب جذباته القوية، لأن جمال البشارة قد يكون مدعاة للعشق الفاني لشخص أو شخصين، وسرعان ما يزول ويكون جذبه أيضاً فاترا جدا. أما الحسن الروحاني الذي سُمي بحُسن المعاملة فهو قوي متين من حيث جذباته حتى أنه يجذب عالمًا إلى نفسه، فتتجذب إليه كل ذرة في السماء والأرض. والحق أن هذه هي فلسفة استجابة الدعاء أيضاً؛ فحين يدعو الحائز على حُسن روحاني - الذي تدخله روح حب الله لأمرٍ مستحيل أو متعذرٍ جدا ويركّز على الدعاء كثيراً - فتتجذب إليه كل ذرة من ذرات العالم بأمر من الله تعالى وإذنه، لأن هذا الداعي حائز في حد ذاته جمالا روحانيا. فتجتمع أسباب تكفي لنجاحه. والثابت من خلال التجربة وكتاب الله المقدس أن كل ذرة من ذرات العالم تعشق شخصا مثله لتلقائيا، وأدعيته تجذب تلك الذرات كلها كما يجذب المغناطيس الحديد.

فبسبب هذا الجذب تظهر للعيان أمورٌ غير عادية لم تُذكر من قبل في علم من علوم الطبيعة والفلسفة. والحق أنه جذبٌ طبيعي أودعه الله الخالق القدير في كل ذرة منذ أن ركب عالم الأجسام بالذرات. وكل ذرة عاشقٌ صادق للجمال الروحاني، وكذلك كل ذي فطرة سليمة، لأن ذلك الحسن مهبط تجليات الله. فعن هذا الحسن قال تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (البقرة: ٣٥)، ولا زال هناك كثير من الأبالسة الذين لا يعرفون هذا الحسن، ولكنه ظل ينجز أعمالا عظيمة.

كان في نوح ﷺ الحسن نفسه الذي كانت رعايته مقدرة عند الله جلّ شأنه، فأهلك المنكرون كلهم بعذاب الطوفان. ثم جاء بعده موسى بالحسن نفسه الذي أغرق فرعونَ في نهاية المطاف بعد أن تحمل الإيذاء والمصاعب لبعض الوقت. ثم

جاء بعدهم جميعا سيّد الأنبياء وخير الورى مولانا وسيدنا محمد المصطفى ﷺ بالحسن الروحاني العظيم الذي تكفي لنعته الآية الكريمة: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩-١٠)، أي دنا ذلك النبي من الله تعالى كثيرا، ثم تدلّى إلى الخلق، وبذلك أدّى كِلا الحَقِّينِ، أي حق الله وحق العباد، وأظهر الجمال الروحاني من كِلا النوعين، وصار كالوتر بين القوسين؛ فكان وجوده كما يظهر من الرسم التالي:



إن أصحاب الطبائع الخبيثة والعمهين لم يروا هذا الحسن كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٩). أي ينظرون إليك ولكنك لا تترأى لهم فهلك هؤلاء العمهون كلهم في نهاية المطاف.

يقول بعض الجهال في هذا المقام: لماذا لا تُجاب بعض أدعية الكمّل؟ وجوابه أن الله تعالى قد جعل تجلّي حسنهم في يده. فحيثما يظهر هذا التجلي العظيم وبهيج، يُنفخ جمّاهم في أمر ما ويلمع، فتتجذب ذرات العالم إلى لمعانه وتحدث أمور مستحيلة تُسمّى معجزة بتعبير آخر. ولكن هذا الهياج الروحاني لا يظهر دائما وفي كل مكان بل يكون بحاجة إلى تحريكات خارجية. وذلك كما أن الله تعالى غنيّ فقد أودع صفة الغنى عباده الأصفياء أيضا. فيكونون أغنياء تماما مثل الله، وما لم يجرّك أحد فيهم عاطفة الرحم بكل تواضع وإخلاص فلا تهيج فيهم تلك القوة. واللافت في الأمر أنهم يملكون صفة الرحم أكثر من أيّ واحد في العالم ولكن تنشيطها لا يكون بوسعهم. ومع أنهم كثيرا ما يريدون أن تظهر هذه الصفة للعيان، ولكنها لا تظهر دون مشيئة الله. فهم لا يعبأون قط بالمنكرين والمنافقين وفاتري الاعتقاد خاصة ويعدّونهم كدودة

ميتة. وشأن صفة غناهم هذه كشأن معشوق يستر وجهه بحجاب جميل. ومن شعب هذا الغنى أنه إذا أساء الشرير بهم الظن فكثيرا ما يزيدونه في سوء الظن نتيجة حماس الغنى بسبب التخلق بأخلاق الله كما يقول ﷺ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١١). وعندما يريد الله تعالى أن تظهر منهم معجزة، يخلق في قلوبهم حماسا، فيتولد في قلوبهم كرب وقلق شديد تجاه أمر معين، فيرفعون حجاب الغنى عن وجوههم فيستبين حسنهم - الذي لا يراه إلا الله - على ملائكة السماء وعلى كل ذرة.

والمراد من رفعهم الحجاب عن وجوههم هو أنهم يرجعون بوجه خارق للعادة إلى الله تعالى بالصدق والصفاء الكامل وبالحسن الروحاني الذي بسببه صاروا محبوبين عند الله، وتتولد فيهم حالة الإقبال إلى الله التي تجذب رحمة الله بما يفوق العادة، فتجذب إليهم كل ذرة من هذا العالم تلقائيا. تتركز شدة حرارة عشقهم نحو السماء وتُثري وجهها للملائكة أيضا كالسحاب. وإن آلامهم التي تضم في طياتها صفات الرعد تثير ضجة في الملاء الأعلى فينشأ بقدرة الله السحاب التي تمطر غيث رحمة الله الذي يتمنونه. وعندما تتوجه روحانيتهم بكل خشوع وتضرع إلى حل معضلة ما، تجذب إليها توجهات الله تعالى لأنهم بسبب حبهم الذاتي له ﷻ داخلون في قائمة أحبائه. عندها يهيج لنصرتهم كل شيء لكونه خاضعا لحكم الله^١. وتستعد رحمة الله لخلق جديد تحقيقا لمرامهم. وتظهر أمور تكون مستحيلة الوقوع في نظر أهل الدنيا، وتجعلها العلوم السفلية تماما. لا يسعنا أن ندعو هؤلاء الناس إليها ولكن تنشأ بينهم وبين الله علاقة الحب بالصدق والصفاء وكأن الله تعالى ينزل فيهم، وتنفخ فيهم روح الله كمثال آدم. وهذا لا يعني أنهم صاروا إليها، بل بينهم وبين الله علاقة كعلاقة الحديد مع النار حين يُسَخَّن بشدة متناهية وينصبغ بصبغة النار. ففي هذه الحالة يخضع لأمرهم كل ما كان تحت إمرة الله. فيسمع كل شيء بدءا من نجوم السماء

^١ الكفار والأعداء أيضا ينصرونهم نوعا ما، إذ يؤذون قلوبهم بالظلم والإيذاء ويهيجون روحانيتهم. "ما أخزى الله قوما ما لم يغمر الأمل قلب عبد من عباده". منه.

والشمس والقمر إلى بحار الأرض والهواء والنار صوتهم، ويعرفهم وينصرف إلى خدمتهم. وكل شيء يحبهم بطبيعته وينجذب إليهم كالعاشق المشغوف، إلا الأشرار من الناس الذين هم ظلال الشيطان. العشق المجازي عشقٌ نحسٌ إذ يتولد في جانب ويموت في جانب آخر، ويكون مبنيا على جمال قابل للزوال. وقليل من هم الذين يتأثرون بهذا الجمال. ولكن ما أغربه من مشهد! أن الحسن الروحاني الذي يتولد في الإنسان بعد حسن المعاملة والصدق والصفاء وعلى إثر تجلّي حب الله، يوجد فيه جذب عالمي، فيجذب إلى نفسه قلوبا مستعدة جذب العسل النمل. ولا يتأثر به الناس وحدهم بل تتأثر بجذبه كل ذرة من العالم. والإنسان المحب الصادق الذي يحب الله تعالى حبا صادقا إنما هو بمنزلة "يوسف" الذي تتصف له كل ذرة من هذا العالم بصفة زليخا. ولكن حسنه ليس ظاهرا في هذا العالم بعد لأن هذا العالم لا يقدر على احتماله. يقول الله تعالى في كلامه المجيد القرآن أن نور المؤمنين يتلأأ على وجوههم، والمؤمن يُعرف بهذا الحسن الذي يسمّى نورا بتعبير آخر.

ولقد أُسْمِعْتُ ذات مرة في الكشف جملةً موزونة تالية باللغة البنجابية عن هذه العلامة: عشق الإلهي منتهى پرولیاں ایہہ نشانی۔ أي: "إن علامة أولياء الله أن حب الله يتجلى في وجوههم". إن نور المؤمن المذكور في القرآن الكريم إنما هو ذلك الحسن والجمال الروحاني الذي يُعطاه المؤمن كاملا في المرتبة السادسة للوجود الروحاني. أما فيما يتعلق بالجمال المادي فلا يرغب فيه إلا شخص أو شخصان، أما هذا الحسن فأمره غريب حقا، إذ ترغب فيه عشرات ملايين الأرواح. فنظرا إلى هذا الجمال الروحاني نظم البعض أبياتا في مدح السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله وعدّوه على درجة عالية من الحسن والجمال. وفيما يلي ترجمة تلك الأبيات:

^١ إن لبعض الطبائع مناسبة طبيعية مع بعضها الآخر، كذلك بين روحي وروح السيد عبد القادر مناسبة من حيث جوهر الفطرة، وقد اطلّعت عليها بالكشف الصحيح والصريحة. لقد مضى نحو ٣٠ عاما حين أطلعتني الله تعالى ذات ليلة أنه اصطفاي لنفسه. ثم حدث أمرٌ

آں تُرک عجم چوں زمی عشق طرب کرد
غارت گریئے کوفہ وبغداد و حلب کرد
صد لاله رُنے بود بصد حُسن شگفتہ
نازاں ہمہ رازیر قدم کرد عجب کرد

أي: حين ترشح المعشوق العجمي بخمر العشق، فانتصر على الكوفة وبغداد وحلب.
كان ذلك الوجه أجمل ما يكون نظير مائة وردة، ولكن بدلاله أخضع الجميع
على أقدامه، فعجب ما قام به.

وفي هذا الموضوع نظم الشيخ السعدي عليه الرحمة أيضا بيتا ينطبق على الجمال
الروحاني كثيرا، وهو كما يلي:

صورت گرد بیائے چیں رو صورت زیبائش بین
یا صورتے برکش چنیں یا توبہ کن صورت گری

أي: يا صانع الصور كالحرير انظر إلى صورته الجميلة، فإما أن تصنع صورة
مثلا أو أن تتوب عن صنع الصور نهائيا.

وجدير بالذكر أيضا في هذا المقام أن العبد يُظهر حبه المترع بالصدق نتيجة
حسن المعاملة، ولكن الله تعالى يتجاوب معه إذ ذاك فيسعى إليه كالبرق سعيا يفوق
حدود التصور مقابل مشي العبد الحثيث، ويظهر له آيات من السماء والأرض،
ويصادق أصدقاءه ويعادي أعداءه. ولو قام لعداوته خمسمائة مليون شخص
لأخزاهم ﷺ ولسلبهم القوة والقدرة وجعلهم كدودة ميتة. ويهلك الدنيا مقابل
شخص واحد ويجعل أرضه وسماءه خادمين له. ويبارك في كلامه ويمطر النور على

غريب أن عجوزا تبلغ من العمر ۸۰ عاما تقريبا رأت في الليلة نفسها رؤيا، فجاءتني صباحا
وقالت: "رأيت الليلة السيد عبد القادر الجيلاني ﷺ في المنام ومعه رجل صالح آخر وكلاهما
لبس لباسا أخضر، وكان الوقت هزيعا أخيرا من الليل. كان الرجل الصالح الآخر أصغر منه
قليلا في السن. فأولا صليا في مسجدنا الجامع ثم خرجا إلى فيائه، وكنت واقفة بالقرب منهما.
وفي هذه الأثناء طلع من الشرق نجم متألئ فسرّ السيد عبد القادر برؤيته كثيرا وقال مخاطبا
النجم: السلام عليكم، كما قال رفيقه أيضا: السلام عليكم". وكنت أنا ذلك النجم. المؤمن
يرى ويرى له. منه.

جدرانه وأبوابه. ويجعل البركة في لباسه وطعامه وفي التراب الذي تطأه أقدامه، ولا يهلكه خائباً. ويردّ بنفسه على كل اعتراض يوجّه إليه. ويكون عينه التي يرى بها وأذنه التي يسمع بها ولسانه الذي يتكلم به، وقدميه اللتين يمشي بهما ويديه اللتين يهاجم بهما العدو. وبنفسه يتصدى لعدوه، ويسلّ سيفه على الأشرار الذين يؤذونه. ويرزقه النصر والانتصار في كل موطن، ويُطلعه على أسرار قضائه وقدره.

فلباب القول، إن الراغب الأول في حسنه وجماله الروحاني الذي يتولد بعد حسن المعاملة والحب الذاتي هو الله تعالى نفسه. فما أشقى الذين يجدون زمناً كهذا وتطلع عليهم الشمس كهذه ولكنهم يبقون مترّعين في الظلام!

بعض الجهال يثيرون اعتراضاً مراراً ويقولون إن إحدى علامات المحبوبين عند الله أن كل دعاء من أدعيتهم مجاب حتماً. ومن لم توجد فيه هذه العلامة فليس من المحبوبين عند الله^١. من المؤسف أن هؤلاء الناس يتفوّهون بكلام جزافي ولا يفكرون عند توجيه النقد أن هذه الاعتراضات الناجمة عن الجهل تقع على جميع أنبياء الله تعالى ورسله. فمثلاً كان كل واحد من الأنبياء يودّ أن يُسلم جميع الكفار في زمنه الذين كانوا قائمين على عداوته، ولكن لم تتحقق أمنيتهم هذه. فقد قال تعالى مخاطباً نبينا الأكرم ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٦).

يتبين من هذه الآية أن النبي ﷺ كان يدعو بتضرع وحرقة ويتكبد عناء كبيراً ليؤمن الكفار لدرجة أن كان يُخشى عليه أن يهلك نفسه نتيجة هذا الحزن. لذا قال له الله تعالى ألا يحزن إلى هذا الحد من أجلهم، وألا يجعل قلبه عرضة للألم والمعاناة إلى هذه

^١ ليكون معلوماً أن الله تعالى يعامل المؤمن معاملة الأصدقاء، ويريد تارة أن يحقق إرادة المؤمن وتارة أخرى يريد أن يرضى المؤمن بمشيئته ﷻ. فيقول مخاطباً المؤمنين: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) فهنا يريد أن يحقق مُنية المؤمن. وفي مقام آخر يريد من المؤمن أن ينصاع لمشيئته ﷻ كما يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧). من المؤسف أن الجاهل ينظر إلى جانب واحد فقط، ولا ينتبه إلى كلا الجانبين. منه.

الدرجة، لأنهم غافلون عن الإيمان ولهم أهداف ومقاصد أخرى. لقد قال الله تعالى في هذه الآية: يا أيها النبي (ﷺ) إنك تلقي نفسك في مشقة كبيرة للدعاء لهداية هؤلاء الناس عاقدا عزمًا صميماً بتركيز وتضرع وخضوع وخشوع كامل، ولا شك في تأثير أدعيتك، ولكن الشرط لاستجابة الدعاء هو ألا يكون الذي يُدعى له عنيداً شديداً العناد وغير مهتمّ وذا طبيعة خبيثة، وإلا لن يجاب الدعاء بحقه. وبقدر ما وهبني الله تعالى من العلم في الدعاء هو أن لإجابته ثلاثة شروط.

الأول: أن يكون الداعي متقياً كاملاً لأن العبد المقبول عند الله هو مَنْ كان ديدنه التقوى، وكان متمسكاً بأدق سبل التقوى، وكان محبوباً عند الله لكونه أميناً ومتقياً وصادق العهد وكان مفعماً بحب الله.

والشرط الثاني: أن يكون عاقدا العزم ومركّزاً لدرجة أن يكاد يهلك نفسه لإحياء أحد، وأن يدخل بنفسه القبر لإخراج غيره منه. والسر في ذلك أن الله تعالى يحب عباده المقبولين أكثر مما تحب الأم ابنها الوحيد الوسيم. فحين يرى الله الرحيم الكريم أن العبد المقبول والمحبوب لديه قد بلغ - لإنقاذ حياة شخص ما - من المشقات الروحانية والتضرعات والمجاهدات مبلغاً كادت تزهق لها روحه يشقّ عليه ﷺ بسبب علاقة الحب معه أن يهلكه في هذه الحالة. فيغفر بسببه لذلك الشخص ذنبه الذي كان قد بُطش به بناءً عليه. فإذا كان هذا الأخير مصاباً بمرض فتاك أو أسير بلاءٍ آخر ومضطراً أشد الاضطراب يخلق ﷺ بقدرته أسباباً تؤدي إلى خلاصه. وفي كثير من الأحيان يكون هلاك أحد أو تدميره مقدراً عنده ﷻ على وجه القطعية ولكن حين يتوسط لحسن حظ ذلك المصاب شخص آخر بتضرعاته الأليمة، ويكون وجيهاً عند الله، يترقّ الله تعالى ملف القضية الذي كان جاهزاً ومرتبّاً لأن الأمر ينتقل في هذه الحالة من الأغيار إلى الحبيب. وأنى لله ﷻ أن يعذب أحبائه الصادقين!

الشرط الثالث لإجابة الدعاء هو أصعب الشروط كلها، لأن تحقيقه ليس في أيدي عباد الله المقبولين بل بيد الشخص الذي يطلب الدعاء منهم. والشرط هو

أن يطلب الدعاء بكامل الصدق وحسن الاعتقاد واليقين الكامل والحب الكامل والطاعة الكاملة ويعزم في قرارة قلبه أن اعتقاده لن يهتزّ وحبّه لن يفتر، وإن لم يُستجَب دعاؤه. ويجب ألا يكون طلب الدعاء على سبيل الامتحان والاختبار بل ينبغي أن يرمي الطالب نفسه على هذا الباب باعتقاد صادق وتواضع كامل. وأن يسعى لخلق علاقة القرب، مع من يطلب منه الدعاء، ببذل المال والخدمة قدر الإمكان وبالطاعة الكاملة وكأنه يدخل قلبه. وإلى جانب ذلك كله يجب أن يحسن به الظن كثيرا ويعتبره متقيا إلى أقصى الحدود ويرى مجرد التفكير ضد شأنه المقدس كفرا. ويثبت ويوضح له اعتقاده الصادق بإبداء شتى عواطف الفداء من أجله، وألا يرى غيره مثيلا له في الدنيا، وأن يفتديه بروحه وماله وشرفه. وألا يتفوه بكلمة يحط من شأنه بأي طريقة بل يجب ألا يخطر ذلك بباله أيضا. ويثبت له جيدا أنه يحسن الاعتقاد به وأنه مريدّه في الحقيقة. وإلى جانب كل ذلك يجب أن ينتظر بالصبر والجَلَد وألا يفتر اعتقاده ولا يهتزّ يقينه ولو خاب في مرامه خمسين مرة، لأن هؤلاء القوم ذوو قلوب مرهفة وحساسة، وإن فراستهم تعرف بالنظر إلى الوجوه فقط مدى الإخلاص الذي يكنّه أحد. وإنهم يتصفون بصفة الغنى إلى أقصى الحدود مع كونهم ذوي قلوب لينة. لقد أودع الله تعالى قلوبهم صفة الغنى، فلا يعبأون بالمستكبرين والطماعين والمنافقين شيئا. ولا يستفيد منهم إلا الذين يطيعونهم كالعبيد وكأنهم يموتون في هذا السبيل. ولكن الذي يسيء الظن في كل خطوة ويكنّ في قلبه اعتراضا أو شبهة ولا يكنّ الحب وحسن الظن بوجه كامل، فإنه يهلك بدلا من أن يستفيد. وأقول بعد هذا البيان بأن بيان الله تعالى لل مراتب الست لوجود المؤمن الروحاني ثم بيانه وَجْهًا مقابلها مراتب الوجود المادي الست إنما هو معجزة معرفية، لم يسبق إليها في العالم أيّ كتاب من الكتب التي تسمّى كتبًا سماوية، كما لم يخطر ببال الحكماء فيما ألفوه حول النفس أو الإلهيات أو فيما كتبه الناس من المعارف على غرار أسلوب الصوفية أن يعقدوا هذه المقارنة بين الوجود المادي والوجود الروحاني.

وإذا أنكر أحد إعلاني هذا وظنّ أن أحدا عقد المقارنة بين الوجود الروحاني والوجود المادي فعليه أن يأتي بنظير هذه المعجزة المعرفية من أيّ كتاب آخر. لقد فحصتُ التوراة والإنجيل وفيدات الهندوس أيضا، وأقول صدقا وحقا بأني لم أجد هذه المعجزة المعرفية في أيّ كتاب سوى القرآن الكريم. ولا يقتصر الأمر على هذه المعجزة وحدها بل الحق أن القرآن الكريم كله زاخر بمعجزات معرفية بحيث يستطيع كل عاقل أن يفهم بالنظر إليها أنه كلامُ ذلك الإله القادر القدير الذي تتبين قدراته مما خلقه في السماوات والأرض وما بينهما، ذلك الإله الذي لا نظير له ولا مثيل في أقواله وأفعاله. فحين نجد مثل هذه المعجزات في القرآن الكريم من ناحية، ومن ناحية ثانية ننظر إلى كون النبي ﷺ أميًّا، ونتصور أنه لم يتعلم ولا حرفا واحداً من معلّم وما نال حظا من علوم الطبيعة والفلسفة، بل وُلد في قوم كانوا أميين غير متعلّمين تماما ويعيشون عيش البهائم، وإلى جانب ذلك لم يجد ﷺ فترة التربية على يد أبويه، فنال بإلقاء نظرة جامعة على كل هذه الأمور بصيرةً ساطعة على كون القرآن الكريم من الله تعالى، وبترسخ في قلوبنا يقين كامل بكونه معجزة معرفية وكأننا نرى الله برؤيته.

فزبدة الكلام، ما دام ثابتا بالبداهة أن جميع آيات سورة المؤمنون من بدايتها إلى الآية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ معجزة معرفية. فلا شك أن الآية ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أيضا جزء من المعجزة المعرفية، ولكونها جزءا من المعجزة فهي في حكم المعجزة، وهذا ما قصدتُ إثباته.

وليكن معلوما أيضا أن هذه المعجزة المعرفية المذكورة آنفا تشكّل صدقا بيّنا وساطعا وبديهيّا لدرجة أن العقل أيضا مستعدّ لضم هذه المعجزة إلى علومه المعقولة بكل اعتزاز بعد تلقي الهدي والتذكير من كلام الله، لأنه من الواضح عند العقل أن أول حركة تنشأ في نفس شخص سليم الفطرة إلى الله تعالى بحثا عنه هو الخشوع والتواضع. والمراد من الخشوع أن يختار المرء تواضعا وانكسارا وتضرعا لوجه الله،

ويهجر مقابل ذلك جميع الأخلاق الرديئة مثل الكبر والعجب والرياء والغفلة واللامبالاة خشيةً لله. ومن البديهي تماماً أنه ما لم يترك الإنسان أخلاقه الرذيلة لا يستطيع أن يقبل مقابلها الأخلاق الفاضلة التي هي الوسيلة للوصول إلى الله تعالى، لأن اجتماع الضدين في قلب واحد محال. هذا ما أشار الله تعالى إليه في بداية سورة البقرة فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إن هدي الله ينفع الذين يتقون أي لا يستكبرون، والذين يتدبرون كلام الله تعالى بالخشوع والتواضع وهم الذين يهتدون في النهاية.

والجدير بالذكر أيضاً هنا أن كلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ وردت في هذه الآيات ست مرات، فقال تعالى في الآية الأولى بوضوح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أما في الآيات التالية فبالعطف. ومعنى ﴿أَفْلَحَ﴾ في اللغة هو: "أُصِيرَ إلى الفلاح"، فمن منطلق هذا المعنى إن خشوع المؤمن في الصلاة هو الخطوة الأولى إلى الفوز بالمрам، وإلى جانب ذلك لا بد له من ترك الكبر والعجب. والمراد من الفوز بالمрам هنا هو أن نفس الإنسان تستعد لتوطيد العلاقة مع الله تعالى متعوذة على سيرة الخشوع والخضوع.

ومهمة المؤمن الثانية بحسب العقل السليم، والتي بسببها تصل قوة الإيمان إلى المرتبة الثانية، ويتقوى الإيمان إلى حد ما مقارنة بالمرتبة الأولى، هي أن ينزه المؤمن قلبه الذي بلغ مرتبة الخشوع، من أفكار لاغية وأعمال عبثية لأنه ما لم يحصل المؤمن على هذه القوة الأدنى التي بسببها يستطيع أن يهجر أفكاراً وأعمالاً لاغية لوجه الله - مع أنه ليس صعباً بل هو بمنزلة ذنب بلا مبرر - لا يتوقع أن يتنحى عن الأعمال التي يشق التنحى عنها على النفس كثيراً، أو التي في ارتكابها نوع من المتعة أو اللذة للنفس. فثبت من ذلك أن المرحلة الأولى، وهي ترك الكبر تأتي بعدها المرحلة الثانية أي ترك اللغو. والوعد الذي أُعطي في هذه المرحلة بواسطة ﴿أَفْلَحَ﴾ أي الفوز بالمрам، يتحقق عندما تنقطع علاقة المؤمن مع لغو الأعمال والأشغال، فتنشأ له علاقة خفيفة مع الله وتزداد قوته الإيمانية عمماً سبق.

لقد سَمِّيتْ هذه العلاقة خفيفةً لأنها تكون خفيفة مع اللغو أيضا. فبقطع علاقة خفيفة تتسنى مقابلهما علاقة خفيفة.

ومهمة المؤمن الثالثة بحسب العقل السليم، والتي بها تصل قوة الإيمان إلى الدرجة الثالثة هي أنه ليس فقط يهجر لوجه الله لغو الكلام ولغو الحديث فقط، بل يتخلى أيضا عن ماله العزيز لوجه الله. والمعلوم أن التخلي عن المال أشقّ على النفس من التنحي عن أمور لاغية، لأنه يُكسب بالجهد والكّد وهو شيء مفيد تعتمد عليه الراحة والحياة السعيدة. لذا إن التخلي عن المال لوجه الله يقتضي قوة إيمانية أكثر من ترك لغو الأعمال. والوعد الذي جاء في هذه الآيات بكلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ يعني هنا أن القوة الإيمانية والعلاقة بالله تعالى تتقوى في هذه المرتبة مقارنة مع المرتبة الثانية، وبها تتزكى النفس لأنه لا يمكن إنفاق المال المكتسب بالجهد والمشقة خشيةً لله وحدها دون تزكية النفس.

ومهمة المؤمن الرابعة بحسب العقل السليم، والتي بها تصل قوة الإيمان إلى الدرجة الرابعة، هي أنه لا يتخلى عن المال فقط في سبيل الله بل يهجر أيضا ما هو أحب إليه من المال أيضا، أي شهوات النفس، فيترك ما هو المحرّم منها. لقد بيّنتُ من قبل أن كل إنسان يحب شهوات النفس بطبيعته أكثر من المال ويضحي بالمال في سبيلها. فلا شك أن ترك الشهوات لوجه الله أشقّ بكثير من التخلي عن المال. وإن كلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ التي تتعلق بهذه الآية أيضا تعني هنا أنه كما أن للإنسان علاقة قوية لطبيعته بشهوات النفس، كذلك بتركها تتوطد العلاقة القوية نفسها بالله تعالى، لأن الإنسان إذا ترك شيئا في سبيل الله وجد أفضل منه.

لطف او ترک طالبان نہ کند کس بہ کار رہش زیان نہ کند

ہر کہ آن راہ جست یافتہ است تافت آن رو کہ سرتافتہ است

أي: من لطفه أنه لا يخذل الباحثين عنه، والذي يخدم في سبيله لا يخسر شيئا أبدا. ومن جَد وجد، وأشرق ذلك الوجه الذي لم يعرض عنه.

ومهمة المؤمن الخامسة بحسب العقل السليم، والتي بها تصل قوة الإيمان إلى الدرجة الخامسة، هي ألا يقتصر على ترك شهوات النفس فقط، بل يجب أن يتخلّى عن النفس نفسها في سبيل الله ويكون جاهزا للتضحية بها. بمعنى أن يعيد النفس التي هي أمانة من الله إلى مالكها وَعَلَيْكَ، وأن تكون علاقته مع النفس كالعلاقة مع الأمانة فحسب. وأن يلتزم بدقائق التقوى وكأنه كرّس نفسه^١ وماله بل كل شيء في سبيل الله. هذا ما تشير إليه الآية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾. فما دامت نفس الإنسان وماله وكل أنواع راحته أمانة من الله وما دام تسليمها إليه شرطا لكون المرء أميناً، فكان المراد من تسليم النفس أن يُكرّس المرء كل هذه الأمانات في سبيل الله تعالى، وبذلك يؤدي هذه التضحية. وثانياً: أن يؤدي حق العهد الذي قطعه مع الله عند الإيمان، ويراعي عهود الناس وأماناتهم عنده بحسب مقتضى التقوى لدرجة أن يكون ذلك أيضاً تضحية صادقة، لأن إبلاغ دقائق التقوى إلى منتهاها أيضاً نوع من الموت.

وإن كلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ التي تتعلق بهذه الآية أيضاً تعني هنا أن المؤمن الحائز على هذه المرتبة يبذل النفس في سبيل الله ويؤدي جميع دقائق التقوى. عندها تحيط الأنوار الإلهية بوجوده وترزقه جمالا روحانيا كما يزيّن اللحم العظام حين تُكسى به. وكما قلتُ مرارا من قبل إن الله تعالى سمّى هاتين الحالتين "اللباس"، وكذلك سُمّيت التقوى أيضاً لباساً، كما يقول تعالى: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾. واللحم الذي تُكسى به العظام أيضاً لباس. كما قال تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ لأن الكسوة التي استُمدّ منها اللفظ "كسونا" تعني اللباس.

^١ كما أن النفس أمانة من الله كذلك المال أيضاً أمانة منه وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. فالذي يدفع من ماله الزكاة فقط فإنه يعُدّ المال ملكاً له. أما الذي يعدّه أمانة من الله، فيعدّ جُلّ ماله ملكاً لله تعالى ويُنْفقه في سبيله دائماً، ولو لم تكن الزكاة واجبة عليه. منه.

ليكن معلوما الآن أن المرتبة الخامسة هي منتهى السلوك، وعندما تصل حالة المرتبة الخامسة كماها تأتي بعدها المرتبة السادسة التي يُعطاهها المؤمن كموهبة دون سعي أو عناء منه، وليس لجهد أدنى دخل فيها، وهي أن المؤمن عندما يضحى بروحه في سبيل الله يُعطى روحاً أخرى، لأن هناك وعداً منذ البداية أن مَنْ فقد شيئاً في سبيل الله وجدته، فالذين يفقدون الروح يجدونها. ولأن المؤمن ينذر حياته في سبيل الله لحبه الذاتي، يجد روح حب الله الذي تصحبه روح القدس. إن حب الله الذاتي نوع من الروح ويعمل عمل الروح في المؤمن، لذا فهو روحٌ بحد ذاته، وروح القدس ليس منفصلاً عنه، إذ لا يمكن الانفكاك بين هذا الحب وروح القدس على الإطلاق. لهذا السبب ذكرتُ حب الله الذاتي فقط في معظم المقامات ولم أذكر روح القدس لأنهما متلازمان. وعندما تنزل الروح على مؤمن يزول من مخيلته عبء العبادات كله، وتحصل له قوة وممتعة تدفعه إلى ذكر الله بحماس طبيعي وليس على وجه التكلف، وتهبه حماس العشق. فهذا المؤمن يتواجد على عتبات الله دائماً مثل جبريل ﷺ ويحظى بجوار الله الدائم، كما يقول تعالى عن هذه المرتبة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، أي المؤمنون الكُمَّل هم الذين يحظون بالخشوع والخضوع دائماً فيحافظون على صلواتهم على الدوام. وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمن الحائز على هذه الدرجة يرى الصلاة ضرورة لبقائه الروحاني ويُعدها غذاءه الذي لا يمكنه العيش بدونه. هذه المرتبة لا تُنال بغير الروح التي تنزل على المؤمن من الله تعالى لأنه عندما يتخلى المؤمن عن حياته لوجه الله يستحق نوال حياةٍ جديدة.

يتبين من هذا البيان كله أن هذه المراتب الست يحرزها بحسب العقل السليم المؤمن الذي يريد أن يوصل وجوده الروحاني إلى الكمال. كل إنسان يستطيع أن يفهم بشيء من التدبر أن الحالات الست تطرأ على المؤمن حتماً عند سلوكه. والسبب في ذلك أنه ما لم يوطّد الإنسان علاقة كاملة مع الله تعالى، فإن نفسه الناقصة تحب خمس حالات رديئة، ولإزالة حب كل حالة من تلك

الحالات هناك حاجة إلى سبب ليغلب ذلك الحب، ويقطع الحب الجديد علاقة الحب السابق.

فالحالة الأولى التي يحبها هي أنه يبقى في حالة الغفلة ويكون بعيدا عن الله تعالى أيما بُعد. وتكون نفسه في حالة من الكفر، وتجذبه حُجُب الغفلة إلى الكبر واللامبالاة وقسوة القلب، ولا يلاحظ فيه أي أثر للخشوع والخضوع والتواضع والتذلل والانكسار، يكون معجبا بحالته هذه ويرأها خيرا لنفسه. ثم عندما تتوجه الأفضال الإلهية إلى إصلاحه تؤثر في قلبه عظمة الله وهيبته وجبروته بعد وقوع حادث ما أو نزول بليّة. وبسبب هذا التأثير تتولد فيه حالة من الخشوع التي تقضي على كبره وتمرده وعادة غفلته وتقطع علاقة الحب معها. هذا ما يلاحظ في العالم دائما. ويلاحظ بوجه عام أنه حين ينزل سوط هيبة الله في حلّة مرعبة، يُخضع رقاب كبار الأشرار فيوقظهم من رقود الغفلة ويجعلهم في حالة الخشوع والخضوع. وهذه هي المرتبة الأولى للرجوع إلى الله التي ينالها سعيد الفطرة، وذلك إما بعد مشاهدة عظمة الله وهيبته أو بطريق آخر. فمع أنه كان يحب حياة الغفلة والتحرر من قبل، إلا أنه عندما يتولد تأثير مضاد أقوى من التأثير السابق يضطر إلى هجر حالته السابقة لا محالة.

والحالة الثانية هي أن المؤمن مثله يرجع إلى الله تعالى نوعا ما، ولكن لا تزال ترافقه نجاسة لغو الكلام والأعمال والأشغال التي يحبها ويستأنس بها. صحيح أنه تظهر منه في بعض الأحيان حالة الخشوع في الصلاة، ولكن من جانب آخر تلازمه الأعمال العبثية أيضا، كذلك تلازمه العلاقات اللاغية والمجالس اللاغية والسخرية والاستهزاء العبثي ملازمة القلادة الجيدة. فيكون ذا وجهين، فينةً إلى هؤلاء وفينةً إلى هؤلاء.

واعظاں کیں جلوہ بر محراب و منبر مے کنند چوں بخلوت مے روند آن کار دیگر مے کنند

أي: الوعاظ الذين يتربعون في المحراب وعلى المنابر، يقومون في خلوتهم بأعمال أخرى تماما.

وحين تنوي ألطاف الله ألا تُضيع ذلك المؤمن، تتجلى على قلبه عظمة الله وهيبته وجبروته بتجلٍ آخر أقوى من سابقه، فتتقوى به قوة الإيمان ويقع على قلب المؤمن كنار تحرق جميع أفكاره اللاغية في لمح البصر. وهذا التجلي لعظمة الله وجبروته يخلق في قلبه حب حضرة الكبرياء ﷺ إلى درجة أن يتغلب على حب الأعمال اللاغية والتصرفات العبثية، ويحل محلها بعد أن يدفعها ويدحضها. ويؤدي إلى فتور القلب نحو الأعمال العبثية، وعندها تتولد الكراهية في القلب تجاهها.

وبعد زوال الأعمال والتصرفات اللاغية تبقى في المؤمن حالة سيئة ثلاثة يحبها أكثر بكثير من الحالة الثانية، أي يكون حب المال في قلبه بصورة طبيعية لأنه يرى المال وحده مدار حياته وراحته، ويرى جهده وسعيه وحده وسيلة الحصول عليه. فلذلك يشق عليه ويكبر التخلي عن المال في سبيل الله.

ثم حين تريد ألطاف الله تعالى إخراجه من تلك الورطة العظيمة يُعطى علماً عن صفة الله "الرازق"، وتُزرع فيه بذرة التوكل. وإلى جانب ذلك تعمل هيبة الله أيضاً عملها وتتمكن من قلبه تجليات الجمال والجلال. عندها يتلاشى حب المال أيضاً من قلبه وتُزرع فيه بذرة حُب مُعطي المال ﷻ ويقوى إيمانه، وتكون هذه القوة الإيمانية أقوى من الدرجة الثالثة لأن المؤمن في هذه الحالة لا ينبذ اللغو فقط بل يهجر أيضاً المال الذي يُعده مدار حياته السعيدة. ولو لم يُعطَ إيمانه قوة التوكل، ولو لم تُفتح عينه تجاه الرازق الحقيقي، لاستحال زوال مرض البخل. فإن قوة الإيمان هذه لا تدفعه فقط إلى نبذ الأعمال اللاغية، بل تخلق أيضاً إيمانا قويا بصفة الله "الرازق" أيضاً، وتلقي في قلبه نور التوكل. عندها يعطي المؤمن في سبيل الله - بكل سهولة وانشرح الصدر - المال الذي يُعدُّ فلذة الكبد. والضعف الذي ينتج عن اليأس في حالة البخل يزول كله في هذه الحالة نتيجة تعليق الآمال بذات الله، ويغلب على حب المال حُب مُعطيه.

ثم تأتي بعدها الحالة الرابعة التي تحبها النفس الأمارة بشدة، وهي أسوأ من الحالة الثالثة، لأن المرء في الحالة الثالثة يتخلّى عن المال فقط بنفسه، أما الحالة الرابعة فتقتضي ترك شهوات النفس الأمارة المحرّمة. ومعلوم أن ترك المال أهون على الإنسان طبعاً من ترك الشهوات. لذا فإن هذه الحالة أشدّ قسوة وشدة وخطورة مقارنة مع الحالات السابقة. وإن علاقة شهوات النفس أحب إلى الإنسان بطبعه من علاقته بالمال. لذا يضحي بكل سرور في سبيل شهوات النفس بماله الذي يعتبره مدار الراحة. وتكفي شهادة على الثورة الخطيرة لهذه الحالة الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف: ٢٥). أي أن هذه الثورة عاتية جداً، وإن كبح جماحها يحتاج إلى برهان قوي.

فمن الواضح أن قوة الإيمان في الدرجة الرابعة تكون أقوى وأشدّ بكثير من الدرجة الثالثة. وتكون مشاهدة عظمة الله وهيبته وجبروته أيضاً بوضوح وجلاء أكثر من ذي قبل. وليس ذلك فحسب بل من المهم جداً أن ينال المرء لذة ومتعة روحانية عوضاً عن اللذة الممنوعة التي أبعدت عنه. وكما أن هناك حاجة ماسة إلى الإيمان القوي بصفة الله "الرزاق" بُغية إزالة البخل، وهناك حاجة إلى توكل قوي في حالة فراغ الجيب لكي يزول البخل من ناحية، ويتولّد الأمل أيضاً في فتوحات غيبية، كذلك لإزالة شهوات النفس الخبيثة والخلاص من نار الشهوة لا بد من إيمان قوي بالنار التي تنزل عذاباً شديداً على الجسم والروح كليهما. وإلى جانب ذلك هناك حاجة إلى المتعة الروحانية التي تُغني عن الملذات الكثيفة. فمن كان أسيراً في قبضة شهوات النفس المحرّمة كان في فم الثعبان ذي السمّ الخطير جداً.

فيتبين من ذلك أنه كما أن مرض البخل أخطر من داء الأعمال اللاغية، كذلك الأسر في براثن شهوات النفس المحرّمة مقابل داء البخل بلاء أخطر من جميع البلايا وبحاجة إلى رحمة الله الخاصة. وعندما يريد الله أن ينجّي أحداً من هذا البلاء يجلي عليه عظمته وهيبته وجبروته، فتتمزّق بها شهوات النفس المحرّمة إرباً. ثم يلقي عليه في

قلبه ذوق حبه اللطيف بصورة الجمال. كما أن الرضيع يمر بالمرارة ليلة واحدة فقط بعد الفطام ثم ينسى الحليب نهائيا حتى لو وُضع فمه بإزاء الثدي لكره الرضاع. والكراهية نفسها تجاه شهوات النفس المحرّمة يكتنّها التقى الذي يفصل عن حليب النفسانية ويُعطى غذاء روحانيا عوضا عنه.

بعد مرور الحالة الرابعة يأتي دور الحالة الخامسة التي تحب النفس الأمارة مفاسدها حبا شديدا، لأنه لا تبقى في هذه المرحلة إلا معركة واحدة، وتدنو المرحلة ليفتح ملائكة الله جلّ شأنه مملكة ذلك الوجود كلها ويتمكنوا من التصرف والتدخل فيها كليا ويقلبوا الأهواء النفسانية رأسا على عقب، ويخربوا قرية القوى النفسانية ويدلّلوا ويهينوا زعماءها ويدمّروا المملكة السابقة. فهذا ما يحدث عند انقلاب السلطنة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥). وهذا آخر امتحان للمؤمن وآخر معركة تنتهي عليها كافة مراتب السلوك وتصل سلسلة ترقياته المبنية على الجهد والسعي منتهاها، وتقطع المساعي الإنسانية أشواطها إلى نقطتها النهائية. ثم لا يبقى بعد ذلك إلا عمل الموهبة والفضل من الله تعالى، الأمر الذي يتعلق بـ ﴿خَلَقًا آخَرَ﴾.

والحالة الخامسة أصعب من الحالة الرابعة، لأنه ليس للمؤمن في الحالة الرابعة إلا أن يتعد عن شهوات النفس المحرّمة. أما في الدرجة الخامسة فيتحتّم عليه أن يتخلى عن النفس أيضا ويعيدها إلى الله تعالى عادّا إياها أمانة منه وَعَلَيْكَ، وأن يكرّس نفسه في سبيل الله ويستخدمها، ويعزم على بذلها في سبيله تعالى ويسعى جاهدا لنفي وجود نفسه. لأنه ما دام وجود النفس باقيا ستبقى عواطف ارتكاب الذنب التي تخالف التقوى أيضا قائمة. كذلك ما دام وجود النفس باقيا لا يسع الإنسان أن يخطو على أدقّ سبل التقوى أو يؤدي حق أمانات الله وعهوده وحق أمانات الخلق وعهودهم. وكما لا يمكن التخلي عن البخل دون التوكل والإيمان بصفة الله "الرزاق"، ويستحيل التنحي عن شهوات النفس المحرّمة دون استيلاء عظمة الله وهيبته والمنفعة

الروحانية، كذلك لا يمكن الوصول إلى المرتبة العظمى المتمثلة في إعادة كافة الأمانات إلى الله تعالى بالتخلي عن النفس ما لم تهتّب عاصفةً شديدة لحب الله على أحد وتجعله كالمجنون في هذا السبيل. والحق أن هذا يمكن إنجازه للنشوانين والمجانين فقط في عشق الله، وليس بوسع عقلاء أهل الدنيا.

آسمان بارامانت نتوانست كشيد قرعء قال بنام من ديوانه زدند

أي: لم تستطع السماء أن تحمل حمل الأمانة، فأخرجوا القرعة باسمي أنا المجنون. هذا ما أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٣). أي عرضنا على المخلوقات الأرضية والسماوية أمانتنا التي يجب أن تعاد كأمانة، فرفض الجميع حملها خشية حدوث إشكال ما من جراء حملها، ولكن حملها الإنسان لأنه كان ظلوما جهولا. فهذان اللفظان وردا في محل المدح للإنسان ولم يردا في محل الذم. ومعناها أن في فطرة الإنسان صفة أنه يستطيع أن يظلم نفسه ويقسو عليها لوجه الله. وكذلك كان قادرا على أن ينيب إلى الله تعالى ناسيا نفسه، لذا فقد قبل أن يرى نفسه كأمانة ثم يبذلها في سبيل الله.

ولقد قال الله تعالى عن المرتبة الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ أي المؤمنون لا يقصرون في التقوى والحذر في سبيل أداء الأمانات وإيفاء العهود. هذه إشارة إلى أن نفس الإنسان وكافة قواه وبصر عينه وسمع آذانه وقوة الكلام في لسانه وقوة يديه وقدميه كلها أمانات وهبها الله تعالى وله ﷻ الحق أن يستعيدها متى شاء. فالمراد من مراعاة هذه الأمانات كلها هو تسخير المرء النفس وكافة قواها، وتسخير الجسد وجميع قدراته وجوارحه في خدمة الله ملتزماً بأدق سبل التقوى بحيث لا تبقى هذه الأشياء له بل تصبح لله تعالى. وألا تعمل قواه وجميع أعضائه أدنى عمل برغبته هو بل بحسب مرضاة الله تعالى. وألا يبقى من إرادته شيء بل تعمل من خلالها مشيئة الله تعالى، وأن تكون نفسه في يد الله كالميت في يد الحي، وأن

يبتعد المرء عن تنفيذ رأيه بل يكون الله تعالى هو المتصرف فيه كلياً حتى ينظر من خلاله ﷻ، ويسمع من خلاله ويتكلم من خلاله وأن تكون كل حركته وسكونه من خلاله ﷻ. وأن تزول أدقّ شوائب النفس أيضاً، تلك التي لا تُرى حتى بمنظار، فلا تبقى إلا الروح.

باختصار، يجب أن تحيط به هيمنة الله تعالى وتمحو نفسه كلياً، وألا تبقى له أية سيطرة على نفسه بل يحكمها الله تعالى بالكامل، وأن تزول ثوائر النفس كلها وتثور فيه إرادات الله تعالى، وأن تفنى الحكومة السابقة تماماً وتحل بالقلب حكومة جديدة، وأن يخرب بيت الأنانية وتُنصب مكانه خيم الله تعالى، وأن تقلع هيبة الله وجبروته جميع الأشجار - التي تُسقى من عين آسنة وقدرة للنفس - من المكان النجس وترزعها في أرض طيبة ابتغاء مرضاة الله، وأن تصير كافة أمانيه وإراداته ومشيئته لله تعالى، وأن تُهدم مباني النفس الأمارة كلها وتُسوّى بالأرض، ويُشيد في القلب قصر التقديس والتطهر الذي يمكن أن ينزل فيه الله ﷻ، وتقطن فيه روحه. وبعد اكتمال كل هذه المراحل يمكن أن يقال بأن كافة الأمانات التي أعطاها الله المنعم الحقيقي الإنسان قد أعيدت إليه ﷻ. عندها تنطبق على هذا الشخص آية: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾. ففي هذه الدرجة يتولّد وجودٌ واحد فقط، ثم تنزل على المؤمن روح التجلي الإلهي التي يراد منها حب الله الذاتي مع روح القدس، وقبه حياة جديدة، فيعطى قوة جديدة. مع أن كل ذلك يحدث بتأثير من الروح إلا أن الروح تكون على علاقة بسيطة فحسب مع المؤمن ولا تسكن قلبه إلى ذلك الحين.

ثم تأتي بعد ذلك المرتبة السادسة للوجود الروحاني، وفي هذه المرتبة يصل حب المؤمن الذاتي كماله، ويجذب إلى نفسه حبَّ الله - جلّ شأنه - الذاتي. عندها يدخل حب الله الذاتي في المؤمن ويحيط به، وبسببه ينال المؤمن قوةً جديدةً تفوق العادة وتخلق قوة الإيمان هذه في إيمانه حياةً كأن الروح دخلت في قالب لا حياة فيه. بل تعمل في المؤمن عمل الروح حقيقةً بعد دخولها فيه، وبسببها يتولّد النور في كافة

قواه. ويحالف المؤمن الحائر على هذه الدرجة تأييد روح القدس بحيث تُكشَف عليه الأمور والعلوم التي تفوق قوة البشر. ويجتاز المؤمن الحائر على هذه الدرجة جميع مراتب الارتقاء في الإيمان وينال في السماء لقب "خليفة الله" بسبب حيازته الكمالات الظلية التي يُعطاها من كمالات حضرة العزة، فكما أنه حين يقف أحد قُبالة المرآة تنعكس فيها جميع ملامح وجهه بكل جلاء وصفاء، كذلك المؤمن في هذه المرتبة لا يتخلى عن نفسه فقط بل يوصل نفي الوجود وترك النفس إلى درجة الكمال بحيث لا يبقى من وجوده شيء، بل ينصبغ بصبغة المرآة. عندها ترسم فيه كافة نقوش ذات الله تعالى وأخلاقه. وكما يمكننا القول بأن المرآة تعكس فيها جميع ملامح وجه الواقف أمامها وتصير خليفة وجهه، كذلك تماما يعكس المؤمن أيضا في نفسه أخلاق الله تعالى وصفاته ويحوز درجة الخلافة ويصير مظهرا لصورة الله على سبيل الظلية. وكما أن الله تعالى غيب الغيب ووراء الورا في ذاته، كذلك يصبح المؤمن الكامل أيضا غيب الغيب ووراء الورا في ذاته. والدنيا لا تصل كنهه لأنه يتعد كثيرا عن دائرتها.

واللافت في الموضوع أن المؤمن عندما يُحدث في نفسه تغييرا طيبا ويمحو نفسه نهائيا من أجل الله ويلبس حلة جديدة للتغيّر الطيب ويطلّ منها برأسه، عندها يُحدث الله - الحيّ والقيوم غير المتبدّل - أيضا تغييرا في ذاته. ولكن هذا لا يعني أن تغيّرا ما يحدث في صفات الله الأزلية والأبدية. كلا، بل هو غير متبدّل منذ الأزل. بل هذا التجلي للقدرة يظهر للمؤمن الكامل فقط فيحدث في الله تعالى تغيّر لا نستطيع فهم كنهه مع التغير الحادث في المؤمن. ولكن بأسلوب لا يقع به غبار الحداثة على ذاته غير المتبدّلة، فيبقى ﷻ غير متبدّل كما هو منذ الأزل. وهذا التغير الذي يحدث تباعا للتغير في المؤمن هو من النوع الذي ورد عنه أنه عندما يتحرك المؤمن إلى الله تعالى فإنه ﷻ يأتيه بحركة أسرع منه. وكما أنه ﷻ منزّه عن التغيّرات كما هو معلوم كذلك هو بريء من

الحركة أيضا. ولكن هذه الكلمات كلها تُستخدم على سبيل الاستعارة. وقد مست الحاجة إلى استخدامها لأن التجربة تشهد أن المؤمن كما يفنى وينمحي في سبيل الله ويستنفد نفسه ثم يحرز وجودا جديدا، فالله تعالى أيضا يصبح إلها جديدا مقابل التغيرات الحادثة في المؤمن، ويعامله بما لا يعامل غيره، ويُريه ملكوته وأسراره التي لا يُريها غيره أبدا. ويُظهر له أمورا لا يُظهرها لغيره أبدا. وينصره ويعينه بما يترك الناس حيارى في أمرهم. ويُري له خوارق ويُظهر له معجزات ويجعله غالبا من جميع الجوانب ويودع فيه جذبا ينجذب إليه بسببه عالمٌ، إلا الذين غلبتهم الشقاوة الأزلية.

فيتبين من كل هذه الأمور أن الله تعالى يظهر على المؤمن الكامل بتجلٍ جديد نتيجة تغير طيب فيه. وهذا يدل على أنه ﷺ خلق الإنسان ليكون له، لأنه عندما يبدأ الإنسان بالرجوع إليه يبدأ رجوع الله تعالى إلى الإنسان من اليوم والساعة نفسها بل من الثانية نفسها، فيكون الله ﷻ له وليا وكفيعا وناصرا ومعينا. وإذا وقفت الدنيا كلها في جانب والمؤمن الكامل في جانب، لكانت الغلبة في نصيب المؤمن في نهاية المطاف، لأن الله ﷻ مخلص في حبه، وصادق في وعوده، فلا يضيق أبدا من كان له ﷻ في الحقيقة. فالمؤمن مثله يُلقى في النار ويخرج من بين الأزهار والورود، ويُدفع إلى الدوام فيخرج من بستان جميل المنظر، وينسج الأعداء مكاييد كثيرة ضده ويريدون هلاكه ولكن الله تعالى يحطم جميع خططهم ويمزق مكايدهم لأنه يكون معه في كل خطوة؛ لذا فإن الذين يريدون ذلته يموتون موت الذلة والخزي في النهاية وتكون عاقبتهم الخيبة والخسران. أما الذي صار لله بكل قلبه وروحه وعزمه لا يموت خائبا قط. يبارك في عمره، فلا بد وأن يحيا حتى ينجز مهامه. البركة كلها في الإخلاص، والإخلاص كله في مرضاة الله، ومرضاة الله كلها تكمن في ترك المرء مرضاة نفسه. هذا هو الموت الذي تُنال الحياة بعده، فطوبى للذي ينال نصيبا من هذه الحياة.

فليكن واضحا هنا أن هذا كلّ ما أردتُ بيانه عن كون آيات سورة المؤمنون المذكورة آنفا معجزة، وقد أثبتُ بوضوح تام أنه قد ذُكرت مراتب وجود المؤمن الست في بداية هذه السورة المذكورة وجُعِلت المرتبة السادسة لـ ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾. وقد ذكر عليه السلام المراتب الست نفسها للخلق المادي بعد بيان الخلق الروحاني في السورة المذكورة آنفا، وهذه معجزة معرفية. ولم ترد هذه النقطة المعرفية في أيّ كتاب قبل القرآن المجيد. فالجزء الأخير من هذه الآيات أي: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ هو أصل المعجزة المعرفية دون أدنى شك لأنه قد طُبّق على مكان الإعجاز. ولا يمكن للإنسان أن يُحدث في بيانه إعجازا كهذا ثم يطبّق عليه الآية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وإذا قال أحد: ما الدليل على أن هذه المقارنة بين مراتب الخلق الروحاني والخلق المادي للإنسان في الآيات المذكورة آنفا معجزة معرفية؟ فجوابه أن المراد من المعجزة ما لا يقدر الإنسان على الإتيان بنظيره، أو لم يقدر في زمن خلا، ولا يوجد دليل على قدرته على ذلك في المستقبل. فأقول بكلّ تحدٍّ بأن هذا البيان لفلسفة خلق الإنسان الدقيقة الذي ذُكر في القرآن الكريم عديم النظير والمثال، بحيث لا نظير له في أيّ كتاب من قبل، ولم نسمع في العصر الراهن أيضا أن أحدا من الذين ليس لديهم علم القرآن الكريم توارد معه بيان هذه الفلسفة. وما دام القرآن الكريم يدّعي أنه معجزة من حيث جميع المعارف والآيات والفصاحة والبلاغة - وما دامت الآيات المذكورة آنفا جزءًا من القرآن الكريم الذي يدخل في دائرة الإعجاز المعلن - فإن كونه بلا نظير وبلا مثيل مع ادّعاء الإعجاز وتحديّ المبارزة معجزة بلا أدنى شك. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٨٥-٢٤٤)

ما دام الإنسان لا يقدّم كتاب الله ولا يعمل بحسبه فقط، فإن صلواته مضّية للأوقات. فقد ورد في القرآن الكريم صراحة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢-٣) أي حين يذوب قلب الإنسان في الدعاء ويخر على عتبات الله بإخلاص وصدق حتى ينمحي ويتفانى فيه، ويسأله وحده

العون والفيض بإزالة جميع الأفكار، ويتحقق له التركيز حتى تنشأ الرقة والحرقة، عندها يُفتح له باب الفلاح، ويطرأ عليه الفتور في حب الدنيا. إذ لا يجتمع الحبَّان في مكان واحد، كما ورد:

هم خداخواهی و هم دنیایِ دوس ای خیال است و محال است و جنون

أي "أن يحب المرء الله ﷻ وفي الوقت نفسه يجب هذه الدنيا الدنيئة أيضا، فهذه الفكرة خيال ومحال وجنون."

ولذا، فبعد قوله ﷻ السابق قال مباشرة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٤) فالمراد من اللغو هنا الدنيا، أي حين يحصل للإنسان الخشوع والخضوع في الصلاة، فهذا يؤدي إلى فتور حب الدنيا في قلبه. لكن ذلك لا يعني أنه يترك الزراعة والتجارة والوظيفة وغيرها من الأعمال، بل يبدأ الإعراض عن أعمال الدنيا التي تخدعه وتغفله عن الله وإن بكاء هؤلاء وضراعتهم، وابتهالمهم، وتواضعهم لله ﷻ يمكنهم من إثثار حب الدين على حب الدنيا والجشع والحرص والحبوحة والرفاهية. لأن من القاعدة أن عملا صالحا يجذب عملا صالحا آخر، كما أن الفعل السيئ يرغب في عمل سيئ آخر. فعندما يتضرع هؤلاء ويخشعون في صلواتهم فهذا يؤدي بالضرورة إلى إعراضهم الطبعي عن اللغو، ويتخلصون من هذه الدنيا القذرة، ويفتر فيهم حبُّ الدنيا وينشأ فيهم حب الله. الأمر الذي يؤدي إلى: ﴿هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي هم ينفقون في سبيل الله وهو نتيجة طبيعية للإعراض عن اللغو، لأنه حين يفتر حب الدنيا فهذا يؤدي حتماً إلى أن ينفقوا في سبيل الله، فهم لا يترددون في الإنفاق في سبيل الله حتى لو كانت عندهم كنوز قارون. آلاف الناس لا يدفعون الزكاة، ومع أن كثيرا من بني قومهم يهلكون بالفقر والإفلاس لكنهم لا يبالون بهم، مع أن الله قد أمر بدفع الزكاة على كل شيء، حتى على الحلبي، غير أنها ليست واجبة على المقتنيات كالجواهر وغيرها. فالأغنياء والأثرياء وأصحاب الأموال الطائلة مأمورون بأن يدفعوا الزكاة على أموالهم بحسب النصاب، لكنهم لا يؤتونها. ولذا يقول الله:

إن حالة ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ستنشأ فيهم عندما سيدفعون الزكاة أيضًا. فكأن دفع الزكاة هو نتيجة للإعراض عن اللغو.

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي عندما يخشع المؤمنون في صلاتهم، ويُعرضون عن اللغو، ويؤتون الزكاة، فهذا سيؤدي بالضرورة إلى حفظهم لفروجهم. فالإنسان حين يؤثر الدين على الدنيا وينفق ماله في سبيل الله، فأنى له أن يغضب مال غيره بغير حق، ومتى يريد أن يغضب حق غيره؟ فحين لا يتردد في إنفاق شيء عزيز كالمال في سبيل الله، فمتى سوف يستخدم العين والأنف والأذن واللسان وغيرها في غير محلها. فمن القاعدة أن الإنسان يكون حريصًا جدًا على إحراز الحسنات من الدرجة العليا، فتصدر منه الحسنات من الدرجة الدنيا تلقائيًا. فحين يدعو الله بخشوع وضراعة سوف يُعرض بذلك عن اللغو أيضًا، وحين يُعرض عن اللغو يتشجع على دفع الزكاة، ثم حين يكون حذرًا لهذه الدرجة في المال فسوف يجتنب غصب حقوق غيره بدرجة أولى. ولذا قال ﷺ بعدها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ لأن الذي لا يمد يده إلى حق غيره، ويؤدي الحقوق الواجبة عليه يجب عليه أن يراعي عهوده، ويجتنب الخيانة في أمانات غيره، ولذا قال ﷺ كنتيجة أنه حين يتصف هؤلاء بهذه الصفات فمن المحتم أنهم سيراعون عهودهم أيضًا.

ثم بعد كل هذه الأمور قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي مثل هؤلاء الناس يحافظون على صلواتهم ولا يفوتون أي صلاة، وإن الغاية المنشودة من خلق الإنسان أيضًا تنحصر في أن يتعلم حقيقة الصلاة، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٠/١/١٩٠٨م، ص ٤)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ أي المؤمنون هم الذين يجتنبون عن لغو الأعمال ولا يهدون أوقاتهم في الأمور التافهة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٦٠-٤٦١، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

عظمة المؤمن في إعراض اللغو. (الحكم، عدد ٢٨٥/٢/١٩٠٢م، ص ٦)

هناك اعتراض آخر يقدمه "الآريا" الجاهلون في هذا المقام وهو أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، فلماذا حُصِّصت ستة أيام بالذات؟ نسلم بأن معظم أفعال الله تتسم بالتدرج كما أن خالقيته التي تعمل عملها الآن أيضا في الجمادات والنباتات والحيوانات تبليغ كل شيء إلى خلقه الكامل بالتدرج، ولكن لا نفهم تحديد ستة أيام بالضبط.

أما الجواب: فليكن واضحا أن ذكر "ستة أيام" يشير في الحقيقة إلى مراحل الخلق والتكوين؛ بمعنى أن كل ما صدر من الله تعالى كخلق -وهو مادي وملك جسمًا- فإنه يبلغ كمال خلقته مجتازًا مراتب الخلق الستة بحسب حكمة البارئ تعالى وقدرته سواء أكان مجموعة العالم أم فردا واحدا من أفراد العالم، وسواء أكان عالما كبيرا؛ أي الأرض والسماء وما فيهما، أم كان عالما صغيرا؛ أي الإنسان. وهذا هو القانون في الطبيعة بوجه عام وليس خاصا بالزمن الأول. فيذكر الله جلّ شأنه هذه المراتب الستة نفسها فيما يتعلق بخلق كل إنسان أيضا؛ فقد ورد في سورة المؤمنون قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا* ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي خلقنا الإنسان من طين كما كان خلاصة ومغزى كافة أنواع الأرض وأقسامها، وكان يملك جميع قدراتها، لكي يكون عالما صغيرا من حيث الجسد أيضا، وتكون فيه القوة والخاصية لكل شيء في الأرض، كما أنه عالم صغير من حيث الروح من منطلق الآية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٣٠)، وهو مظهر تام لروح الله من حيث الشؤون والصفات الكاملة والظلية التامة. ثم بدأنا طريقا آخر لخلق الإنسان؛ إذ خلقنا في الإنسان نطفة وجعلنا النطفة تستقر فور تكوينه في كيس قوي؛ أي الرحم. وهذا ما

عُبر عنه بـ "قرار مكين" لينطبق على الرحم والكيس معا. ثم خلقنا من النطفة علقَةً، ومن العلقَة مضغَةً، ومن بعض أجزاء المضغَة خلقنا العظام، وكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقاً آخر؛ أي نفخنا فيه الروح، فتبارك الله أحسن الخالقين من حيث الصنعة والكمال وعجائب الخلق.

انظروا الآن، فقد بين الله تعالى هنا أيضا القانون نفسه في الطبيعة بأن الإنسان يبلغ كمال إنسانيته بعد أن يجتاز مراحل الخلق الستة. والمعلوم أن هناك تشابها كبيرا بين العالم الصغير والعالم الكبير. وكون الإنسان عالما صغيرا ثابت من القرآن الكريم كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٥). أي أعطى الإنسان كلَّ جزء من المحاسن والميزات المختلفة الموجودة في تقويم العالم وجعله أحسنَ بسبب كونه جامعا لجميع شمائل العالم وشؤونه. فلا بد من الإيمان - بسبب التشابه بين العالمين وبسبب ضرورة التناسق في أعمال الخالق الواحد - أن توجد في العالم الكبير أيضا مراتب التكوين نفسها التي توجد في العالم الصغير. ونرى بأعيننا بكل وضوح أن العالم الصغير هذا الذي يُسمَّى بالإنسان، فيه ست مراحل من حيث خلقه. ولا شك أن هذا العالم بمنزلة المرأة لمعرفة تفاصيل العالم الكبير الخافية، فلما ثبتت ست مراحل لخلقه فلنا أن نحكم بالقطع أن للعالم الكبير أيضا ست مراتب للتكوين، متحققة عقليا، من حيث المؤثرات؛ أي التجليات الستة التي بقيت آثارها الباقية محفوظة في النجوم الستة. وإن علاقة النجوم الستة مع اكتمال الجنين لا تزال معترفا بها في علوم الحكماء. فقد ورد في "السديدي" بحث مستفيض بهذا الشأن.

يعترض بعض قليلي الفهم على ذلك ويقولون بأن هذا الأسلوب لتكوين الجنين في رحم المرأة لا يثبت من البحوث الطبية الحالية بل يثبت عكسه. ولكن هذا الاعتراض مبني إما على قلة العلم الشديدة أو على التعصب الصريح، ولا حاجة لطبيب أو غيره من أجل هذه التجربة، بل يستطيع كل واحد أن يصل إلى صلب الحقيقة ببذل بعض الوقت وبالنظر إلى أولاد يُخلقون خلقة تامة أو ناقصة أو تُسقطها

الأرحام. وصحيح تماما دون أدنى شك كما نعرف من خلال تجربتنا الشخصية أنه عند إرادة الله تعالى تكوّن الجنين في الرحم من النطفة، تستقر في الرحم أولا نطفة الرجل والمرأة. وبسبب بعض التغيّرات خلال بضعة أيام من امتزاج مَيَّين يتكون شيء يشبه الدم المتخثّر تحيط به طبقة رقيقة، وتتعاظم هذه الطبقة بتعاظم الجنين إلى أن تتحول إلى كيس بُيّ اللون وتترأى كصُرة يبقى الجنين فيها إلى اكتمال خلقه. يتبين من القرآن الكريم، وتصدقه البحوث الحالية أيضا؛ أن العالم الكبير أيضا كان كصُرة إلى اكتمال خلقته، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ (الأنبياء: ٣١). فالكافرون لم يروا تخلق السماء والأرض ولم يروا تلك الصُرة، ولكن الإشارة هنا هي إلى السماء الروحانية والأرض الروحانية التي فُتحت صرّتها أمام كفار العرب وفاضت البركات السماوية على الأرض.

والآن أعود إلى كلامي السابق وأقول: إن اجتماع النطفتين، أي نطفة الرجل والمرأة، يشكل المرحلة الأولى للتكوين. ثم ينشأ هياج في مجموعة النطفتين بما فيها من قوة عاقدة ومنعقدة وتميل إلى الحمرة، وكأن المني الذي تكوّن من الدم من قبل يعود مجددا إلى لونه الأصلي؛ أي اللون الدموي. وهذه هي المرحلة الثانية. ثم يتحول الدم المتخثر الذي سُمي بالعلقة، إلى مضغة لحم فيها رسم دقيق لصورة الإنسان. وهذه هي المرحلة الثالثة. ولو سقط الجنين في هذه المرحلة ولوحظ بالدقة والإمعان لشوهدت فيه بعض الأمارات لتكوين الإنسان، حيث يسقط كثير من الأجنة في هذه الحالة أيضا. والسيدات اللواتي تعرضن لذلك، أو اللواتي يعملن قابلات يعرفن هذا الأمر جيدا. ثم تأتي المرحلة الرابعة التي تتكون فيها العظام من المضغة كما تقول الآية: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾، ولكن "ال" التعريف في المضغة يفيد التخصيص، والمراد من ذلك أنه ليس كل المضغة تتحول إلى عظام، بل حيثما كانت الحاجة إلى العظام يتصلّب اللحم الرخو نفسه بإذنه تعالى ويأخذ صورة العظم، ويبقى بعض

من ذلك اللحم الرخو على حاله. وفي هذه المرحلة تتكوّن صورة الإنسان بكل وضوح ولا حاجة لرؤيتها بمجهر. وإن صورة الإنسان التي كان تكوينها واجبا تكون قد تكوّنت سابقاً، ولكنه يكون عاريا عن اللحم الذي هو للإنسان بمنزلة لباس سميك وجميل ولا مع، وبسببه تتبين ملامح الإنسان كلها، وتطرأ النضرة على الجسد ويبرز جماله وتتسم أعضاؤه بالاعتدال. ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الخامسة التي تُكسى فيها المواضع المناسبة باللحم السميكة بحسب مقتضى الأمر. وعندما يمرض الإنسان بالحمى أو بغيرها يتحلل هذا اللحم نتيجة الجوع ومعاناة المرض الشاقة، وفي كثير من الأحيان يصاب الإنسان بالضعف والهزال حتى لا يبقى منه إلا الهيكل العظمي الذي يمثّل المرحلة الخامسة التي سبق ذكرها، وذلك كما يحدث للمصابين بالحمى والسل والسكري في المرحلة الأخيرة من مرضهم. وإذا كانت الحياة مقدرة لأحدهم فيكسو الله تعالى جسده لحما.

باختصار، هذا هو اللحم نفسه الذي يتأتى منه الجمال والاعتدال والرونق في الأعضاء. ولا شك أن الجنين يُكسى بهذا اللحم رويدا رويدا بعد تكوين صورته، وعندما ينال منه جزءا لا بأس به تُنفخ فيه الحياة بإذنه تعالى. عندها ينتقل من الحالة النباتية التي ليست إلا النمو فقط ويحزّز خاصية الحالة الحيوانية، فيبدأ بالتحرك في البطن.

فمن الثابت المتحقق أن الجنين يتحول من حالته النباتية إلى الحالة الحيوانية كاملة بعد أن يُكسى جسده باللحم السميكة بحسب مقتضى الأمر. هذا ما أثبتته تجارب الناس ومشاهداتهم المتتالية، وهذا ما بينه القرآن الكريم بتفصيل، وهو ثابت بتواتر التجارب والمشاهدات. وما الاعتراض عليها بعد ذلك إلا فعل الجهال.

أعود إلى كلامي السابق مجددا وأقول: لما كانت سنة الله الثابتة في العالم الصغير أي (الإنسان) أن وجوده يكتمل بعد المرور بست مراحل، فنجد بإرشاد هذا القانون الجاري في الطبيعة دليلا عقليا على أن العالم الكبير الذي خلقه الله جلّ شأنه في

بداية الدنيا قد خلقه مراعيًا هذه المراحل الست حتمًا، ويكون قد خصّص كل مرحلة من أجل التفريق والتقسيم بيوم واحد أو مرحلة واحدة كما خُصّصت مراحل خلق الإنسان بست فترات. وإن اتفقا أقوام العالم كلها على ستة أيام، وتخصيص ستة أيام للعمل بطرح يوم واحد عطلةً يشير إلى أن هذه الأيام الستة ما زالت تذكّارًا لتلك الأيام الستة التي خلقت فيها الأرض والسموات وما فيهما.

وإن لم يسلم بذلك أحد الآن ولم يرتدع عن الإنكار، لقلنا له بأننا أثبتنا للعالم الكبير مراحل خلق العالم الصغير الست، وأثبتنا أيضًا أن أيام العمل المسلم بها في كل قوم هي ستة أيام، وكذلك أثبتنا أن أفعال الله تعالى المتعلقة بالخلق في هذا العالم تتسم كلها بالتدرّج، فإذا لم يكن هذا الدليل كافيًا في نظر منكر فقد وجب عليه أن يقدم دليلًا على ادّعائه أن الله تعالى قد خلق هذا العالم المادي في لمح البصر ولم يخلقه تدرّجًا.

يعلم الجميع أن الإله الذي كان موجودًا في السابق ما زال موجودًا الآن أيضًا، وأن سلسلة الخلق التي وُجدت من قبل ما زالت على حالها الآن أيضًا. نرى بالبداية أن الله تعالى يبلغ كل مخلوق ذروة كماله تدرّجًا، فلا يمكننا القول بأنه وَجَعَلَ كان قويا من قبل وكان قادرًا على إنجاز العمل سريعًا أما الآن فقد ضعف فصار ينجزها ببطء. بل سنقول حتمًا بأن قانونه وَجَعَلَ الجاري منذ الأزل هو أنه يخلق كل شيء بالتدرّج؛ فإن أفعال الله الحالية تخبرنا أن التدرّج الحالي كان موجودًا في الزمن السابق والابتدائي أيضًا، ولو لم نر صورة الحال في مرآة الماضي لكننا أغبياء تمامًا. إن إلقاء نظرة على أسلوب الخلق الحالي لا يُثبت فقط أن الله تعالى قد أبلغ سلسلة خلقه إلى كمالها بالتدرّج، بل يُثبت أيضًا أنه وَجَعَلَ قد حدد لكل مخلوق ست مراتب للخلق. وقد اقتضت حكمة الله في خلق كل مخلوق أن تكون لخلق ست مراتب وتُنجز في ستة أوقات. أمعنوا النظر في أيّ مخلوق لتروا هذه المراتب الستة متحققة فيه؛ بمعنى أنه سيثبت بنظر البحث والتحقيق أن وجود كل مخلوق مادي يكتمل

بعد المرور بست مراحل. وهذا لا يقتصر على الإنسان، بل سيجدون أن اكتمال وجود آلاف الحيوانات الموجودة على الأرض أيضا يتوقف على تلك المراحل الست. والأمر الآخر اللافت هو أن سلسلة المراتب الست التكوينية لا تنحصر في الخلق المادي فقط بل تلاحظ في الأمور الروحانية أيضا. فمثلا يتبين بشيء من التدبر أن لخلق الإنسان الروحاني أيضا ست مراتب: أولا، في حالة النطفة يملك الإنسان في نفسه استعدادا ضئيلا فقط لقبول الحق. ثم حين تمتزج مع هذا الاستعداد قطرة رحمة الله، كما تُمنى نطفة الرجل في بويضة المرأة، عندها تتحول حالة الإنسان الباطنية من حالة النطفة إلى حالة العلقه، وتبدأ العلاقة نوعا ما بالنشوء مع البارئ تعالى كما يترشح مفهوم العلاقة من كلمة "العلقه". ثم تتحول هذه العلقه إلى مضغة بدعم دم الأعمال الصالحة كما تصير العلقه مضغة بدم الحيض، ولكن تكون أعضاؤه غير مكتملة. فكما تكون الأعضاء -التي فيها العظام- غير متكوّنة في حالة المضغة، كذلك فإن أعضاء تحمّل الشدة لوجه الله والثبات لله والاستقامة لله لا تكون قد تكوّنت فيه بعد كما هو حقها، وإن كان التواضع واللين موجودا. ومع أن الشدة والصلابة المطلوبة لا تكون قد نشأت في هذه المرحلة، لكنه يكون قابلا لمضغ القضاء والقدر إلى حد ما مثل المضغة تماما؛ بمعنى أنه يكون جديرا بأن تعمل فيه أسنان القضاء والقدر ويبقى مستقيما تحت وطأهما، لأن العلقه التي تقارب القوام السائل لا تكون قابلة لتُسحق تحت الأسنان ومع ذلك تبقى مستقيمة، ولكن المضغة قابلة للمضغ، فلذلك سمّيت مضغة.

ففي حالة المضغة يقع على القلب شيء من حلاوة حب الله ويتوجه التجلي الجلالي إلى ابتلائه بالبلايا؛ فيمضغ، مثل المضغة تماما، تحت أسنان القضاء والقدر ويُسحق سحقا.

باختصار، إن مرتبة السالك الثالثة هي كحالة المضغة. ثم المرتبة الرابعة هي تلك التي ينال فيها الإنسان إنعام نقوش البشرية كاملة بعد الاستقامة وبركة تحمل البلايا؛

بمعنى أنه يُعطى صورة الإنسان من حيث الروحانية، ويُعطى مثل الإنسان تماما العينين والأذنين والقلب والدماغ وجميع القوى والأعضاء الضرورية الأخرى، وبحسب مقتضى الآية: ﴿أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٣٠) تظهر الشدة والرحمة في مواضعها المناسبة؛ أي يصدر كل حُلُق في محله، وتكون آداب السلوك كلها مصنوعة، ويُثم كل عمل وكلام بمراعاة الحدود بمعنى أنه يقوم بالرحمة في محلها المناسب وبالشدة في محلها المناسب، ويتواضع في محل التواضع ويتَرَفَّع في مقام الترفع، كذلك يستخدم كل قواه في محلها المناسب. وهذه الدرجة تشبه درجة الجنين حين يرتقي من حالة المضغة وينال صورة الإنسان كاملة، ويظهر عظم في مكان العظم ويبقى اللحم محل اللحم دون أن يكون فيه عظم، ويتميز كل عضو عن غيره تماما دون أن ينشأ جمال ونضرة واعتدال في الأعضاء في هذه المرحلة، بل يكون هناك نقش فقط لا يُرى إلا بنظر دقيق. وفي مرحلة تالية (أي الخامسة) توفقه رحمة الله بالتوفيقات المتواترة وتوصله إلى كمال تركية النفس وتجذبه إلى النقطة النهائية؛ أي الفناء في الله، وتكسو صورة الجسم بلحم البركات من عدة أنواع، وبهذا اللحم توهب صورته لمعانا، ويوهب هيكله كله رونقا وبهاء عندها يطر على وجهه نور الكاملية، ويُرى في بدنه رونق الكمال التام وبهاؤه. وهذه المرتبة -وهي الخامسة- تشبه درجة الحُلُق التي تُكسى فيها عظام الجنين لحماً ويُظهِر الجمال واعتدال الأعضاء. ثم تأتي بعدها المرتبة السادسة للخلق الروحاني التي ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وهذه هي مرتبة البقاء التي تُنال بعد الفناء، ويُعطى فيها روح القدس على وجه الكمال. وتُنفخ في الإنسان روح الحياة الروحانية.

كذلك قد اجتمعت هذه المراتب الست في كلام الله تعالى المقدس، أولا: مرتبة الحروف التي هي بمنزلة البذرة لحامل كلام الله وكلمات كتاب الله تعالى، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة. غير أنها تملك استعدادا ضعيفا. ثانيا: مرتبة الكلمات التي ظهرت خارجا بواسطة تلك البذرة، وليس لها نصيب من المعاني المقصودة،

ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها. ثالثاً: مرتبة تلك الفقرات الناقصة التي لم تبلغ بعد درجة الكلام المقصود الكاملة، لأن سلسلة التنزيل كانت لانزال ناقصة، ولم يُظهر كلامُ الله تعالى وجهه على الوجه الأكمل بعد، ولكن نالت تلك الفقرات حظاً وافراً من المعاني المقصودة، لذا صارت بمنزلة بعض الأعضاء لكلام الله التام، وسُمّيت آياتٍ أو سُوراً من حيث قتلها أو كثرتها.

رابعاً: مرتبة كلامه الجامع والتام والمفصل والمتميز الذي اكتمل نزوله، وشمل جميع المضامين المقصودة والعلوم الحكيمة والقصص والأخبار والأحكام والقوانين والمبادئ والحدود والمواعيد وكافة أنواع الإنذار والتبشير والقسوة واللين والشدة والرحم والحقائق والنكات كاملة.

خامساً: مرتبة الفصاحة والبلاغة التي ألبسها هذا الكلام منذ الأزل بُغية الزينة والتجميل. سادساً: مرتبة البركة والتأثير وجذب الروح الذي يوجد في هذا الكلام المقدس الذي ألقى بضوئه على الكلام كله وجعله كلاماً حيّاً ومنوراً.

كذلك يمكن أن تجتمع هذه المراتب الست في كلام كل عاقل وأديب فصيح، وإن لم يبلغ كلامه مرتبة الإعجاز لأنه لا بد أولاً من وجود الكلمات التي تُستخدَم لكتابة كلامه؛ سواء أكانت العربية أم الإنجليزية أم الهندية. فهذه هي المرتبة الأولى؛ وهي الوسيلة البعيدة لإظهار المضامين المقصودة، ولكن ليس لها منها نصيب. والمرتبة الثانية هي مرتبة الكلمات التي تنشأ من الحروف المحددة، وهي لم تنل من المعاني والمضامين المقصودة نصيباً بعد ولكنها وسيلة قريبة للحصول عليها. ثم المرتبة الثالثة هي مرتبة الفقرات التي لم تُعدّ إلى الآن جامعة تماماً للمعاني المقصودة، ولكن لها نصيب منها إلى حد ما، وهي بمنزلة بعض الأعضاء لمضمونٍ في ذهن الأديب. والمرتبة الرابعة هي الكلام الجامع والتام الذي خرج من قلب الأديب وأدرج على الورقة بالتمام والكمال وشمل جميع المعاني والمضامين المقصودة. ثم المرتبة الخامسة هي أن تُكسى تلك الفقرات والعبارات البسيطة صبغة الفصاحة والبلاغة وتُجَعَل مليحة

بمُلح حُسن البيان. ثم الدرجة السادسة التي تلي هذه الدرجة دون أدنى توقف هي أن تنشأ في الكلام روح التأثير الذي يجذب القلوب إلى نفسه ويطرسخ في الطباع. تأملوا الآن، فتجدوا أن هذه المراتب الست تشبه تماما وتمثل تلك التي سُميت في القرآن الكريم نطفة وعلقه ومضغة، وبعضها مضغة وبعضها عظاما، أي سُميت رسم نقش صورة الإنسان، وشكله الكامل والإنسان الحي. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٧٢ - ٢١١ الحاشية في الحاشية)

الامتناع عن كل نوع من الاعوجاج والغواية، والتوجه إلى الله تعالى بالاستقامة هي العقبة الصعبة التي سُميت بتعبير آخر بالفناء لأن ترك السالك الأمور المألوفة والمعتاد عليها، ونبذ الأهواء النفسانية التي تعود عليها طول العمر دفعة واحدة، والتخلي عن كل عزة وشرف وعُجب، والإعراض عن الرياء وعدّ كل شيء سوى الله كالعدم والتوجه إلى الله تعالى بالاستقامة أمرٌ يساوي الموت في الحقيقة. وكما أن الحبة ما لم تدخل في التراب وما لم تتخل عن صورتها المألوفة لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود حبةً جديدةً، كذلك إن الجسد في الولادة الروحانية يتكوّن من الفناء. كلما تفنى نفس الإنسان ومشيتته وينعدم توجّهه إلى المخلوقات تتكون أعضاء ولادته الروحانية حتى عندما ينال الفناء الأتم يُعطى خلعة الوجود الثاني ويحين وقت ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. ولأن هذا الفناء الأتم مستحيل بغير نصره الله القادر وتوفيقه وعنايته الخاصة لذا علّمنا دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي ثبّتنا يا ربنا على الصراط المستقيم وأنقذنا من كل اعوجاج وسلوك سيء. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٥ - ٦٠٩، الحاشية رقم ١١)

لو راودت أحدا وسوسةً أنه لماذا إذاً استخدم الله جلّ شأنه كلمة: ﴿تَخْلُقُ﴾ حين ورد ذكر خلق الطيور في قصة المسيح ابن مريم؟ فجوابه أن اعتبار عيسى ﷺ خالقا إنما هو على سبيل الاستعارة، كما يقول تعالى في آية أخرى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٥) فالخالق الحقيقي هو الله وحده بلا أدنى شك،

أما الذين يصنعون الألاعيب من الطين أو الخشب فهم أيضا خالقون غير حقيقيين، ولا حقيقة لفعلهم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٦٠ الحاشية) التقوى الابتدائية- التي بعد الحصول عليها يطلق على المرء كلمة "المتقي" - جزء من الفطرة التي فُطر عليها السعداء. وثُريَّه الربوبية الأولى وتزوّده بالوجود، الأمر الذي يتسبب في ولادة المتقي الأولى. أما النور الباطني الذي غيّر عنه بروح القدس فيتولد نتيجة الاتصال والعلاقة الكاملة والمتينة بين العبودية الخالصة والتامة وبين الربوبية الكاملة المستجمعة وفق ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥)، وهذه هي الربوبية الثانية التي بسببها يولد المتقي ولادة ثانية، ويصل إلى مقام الملكوت. ثم تأتي بعدها درجة الربوبية الثالثة؛ التي تُسمّى خلقا جديدا، عندها يصل المتقي مقام اللاهوت، وينال ولادة ثالثة. فتدبر. (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥٩-٥٦٠ الحاشية)

يخبرنا كلام الله الكريم بأن الروح تنشأ من الجسد ذاته الذي يتكون من النطفة في الرحم، كما يقول ﷺ في كتابه الكريم حيث يذكر تكون الإنسان من النطفة فالعلقة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، أي أننا ننشئ الجسد المتكون في الرحم نشأة أخرى، ويُبرز له خَلْقًا آخر يسمى الروح. فالله ذو بركاتٍ كثيرة وهو أحسن مَنْ يخلق.

وأما قول الله تعالى هنا بأننا من القالب نفسه نُبرز خَلْقًا آخر، فهو سر عميق يبين لنا حقيقة الروح، ويوضح العلاقة المتينة التي تربطها بالجسد. وإذا فهمنا هذه العلاقة أدركنا أيضا كيف تعمل الحكمة الإلهية عملها في أفعال الإنسان وأعماله وأقواله الطبعية كلها، وكيف أن الأعمال الخالصة لله تعالى تكمن بداخلها روحٌ منذ البداية كما تكمن الروح في النطفة منذ البداية، ويقدر ما تتبلور وتتضح صورة الأعمال تزداد هذه الروح صقلا، حتى إذا اكتملت بنية العمل لمعت فيه الروح فجأة بتجليها الكامل، وثُبتت نفسها كوجود روحي مستقل، فهناك تبدئ في جسد

الأعمال حركة الحياة المحسوسة. وما إن يكتمل جسد الأعمال حتى ينبثق في داخلها، فجأة، شيء كالبرق يتلألأ تَلَأْلُؤًا واضحًا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢١-٣٢٢)

"فانظر أن الإنسان إذا قُلِّبَ في مراتب الخَلِقة، وأُخْرِجَ إلى حَيَازِ الفعل من القوة، وأُعْطِيَ صُورًا في المجالي الطبيعية، وَقَفًا بَعْضُهَا بَعْضًا بالتمايز والتفرقة، فَجُمِعَتْ ههنا مدارجُ تقتضي لأنفسها الأسماءَ، فأعطتها العربية وأكملت العطاء، كالأسخياء الممتولين. وتفصيله أن الله إذا أَرَادَ خَلْقَ الإنسان، فبدأ خَلْقَهُ مِنْ سَلَالَةِ طِينٍ مُطَهَّرٍ من الأدران، فلذلك سَمَّاهُ آدَمَ عند الخطاب وفي الكتاب، لِمَا خَلَقَهُ مِنَ التراب، ولِما جَمَعَ فِيهِ فضائل العالمين. وكذلك حُمِّرَ فِي طِينِهِ أَنْسَانٌ: أَنْسُ مَا خُلِقَ مِنْهُ وَأَنْسُ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ، كما يوجد أَنْسُ الْأُمِّ وَالْأَبِ فِي الصبيان، فدعاه باسم الإنسان، وهذا مبني على التشبيه من المِثَالِ، لِيَدُلَّ لَفْظُ الْأَنْسَيْنِ عَلَى كِلْتَا الصِفَتَيْنِ إِلَى انقطاع الزمان ويكون من المتذكرين. ثم بُدِّلَ قَانُونُ الْقُدْرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذِي الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ تَغْيِرَاتٍ فِي أَرْحَامِ أُمَهَاتٍ، فَسُمِّيَ التَّغْيِيرُ الْأَوَّلُ مَاءً دَافِقًا وَنُطْفَةً، وَالثَّانِي الَّذِي يَزِدُّ فِيهِ أَثَرُ الْحَيَاةِ عِلْقَةً، وَالثَّالِثُ الَّذِي زَادَ إِلَى قَدْرِ الْمَضْغِ شِدَّةً وَضَاهًى فِي قَدْرِهِ لِقَمَةً، فَسُمِّيَ لِهَذَا مُضْغَةً، وَالرَّابِعُ الَّذِي زَادَ مِنْ قَدْرِ اللَّقْمَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ بَلَغَ إِلَى مَنتهى الصَّلَابَةِ وَأَوْدَعَهَا اللَّهُ حِكْمًا عَظِيمَةً خِلْقَةً وَنَظَامًا، فَسَمَّاهَا عِظَامًا، بِمَا بَلَغَتْ الْعِظَمَةَ وَزَادَتْ شَرَفًا وَكَمًّا وَمَقَامًا، وَبِمَا رُكِّبَ بَعْضُهَا بِالْعِظَامِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَالْخَامِسُ اللَّحْمُ الَّذِي زَادَ عَلَيْهَا كَالْحُلَّةِ، وَصَارَ سَبَبَ كَمَالِ الْحَسَنِ وَالزَّيْنَةِ، فَسُمِّيَ لَحْمًا بِمَا لُوْحِمَ بِالْعِظَامِ الصَّلْبَةِ، وَصَارَ بِهَا كَذَوِي اللَّحْمَةِ، وَالسَّادِسُ خَلْقُ آخِرِ وَثْمِي نَفْسًا، لِنَفَاسَتِهَا وَلَطَافَتِهَا، وَسَرَايَتِهَا فِي الْأَعْضَاءِ وَعِزَّتِهَا، وَثُمِّي جَمِيعُهَا بِاسْمِ الْجَنِينِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ." (من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٤٤-٢٤٦).

يتبين من سورة العصر من القرآن الكريم أن زمننا هذا هو الألف السادس من خلق آدم ﷺ، وكذلك ثابت من الأحاديث الصحيحة أن عمر الدنيا من آدم إلى

آخرها، سبعة آلاف سنة، لهذا فإن نهاية الألف السادس يكون الجزء الأخير من هذا العالم الذي يرتبط به الإكمال المادي والروحاني من كل نوع، لأن اليوم السادس والألف السادس قد حددا من القدم لإكمال الفعل الإلهي في الكون. فمثلا قد وُلد آدم ﷺ في الجزء الأخير من اليوم السادس أي الجمعة، أي قد ظهر خلق وجوده بتمامه وكماله في اليوم السادس، وإن كان خلق آدم أُنجَز رويدا رويدا وكان شريك الجمادات والنباتات والحيوانات في الخلق، إلا أن يوم الخلق الكامل كان سادسا.

وإن القرآن الكريم وإن كان ينزل منجّما، إلا أن وجوده الكامل أيضا بلغ كماله في اليوم السادس أي يوم الجمعة، ونزلت آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، كما تنال النطفة الإنسانية أيضا حظا كاملا من الخلق البشري في المرتبة السادسة من تغيراتها، وإلى ذلك أشير في آية ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، والمرتبة الستة هي (١) النطفة (٢) العلقة (٣) المضغة (٤) العظام (٥) اللحم المحيط بالعظام (٦) خلق آخر. لا بد من الإيمان بحسب قانون الطبيعة المعلومة عن اليوم السادس والمرتبة السادسة بأن الألف السادس من عمر الدنيا- أي الجزء الأخير منه الذي نعيشه- هو زمن تولد آدم وزمن ظهور التكميل الديني. (التحفة الغولورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٤٥-٢٥١)

الوحي الإلهي: "عَقَبَ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا وَمُقَامُهَا" كلام ألقاه الله تعالى في رُوع لبيد بن ربيعة العامري قبل ١٣٠٠ عام من اليوم، وهو الشطر الأول من قصيدته التي هي القصيدة الرابعة من المعلقات السبع. ولقد شهد لبيد عصر الإسلام وأسلم أيضا وانضم إلى الصحابة رضي الله عنهم. وقد أكرم الله تعالى كلامه إذ أنزل بكلمات شطر من قصيدته نبوءة عظيمة تتعلق بالزمن الأخير وتحدث عن أنواع الدمار التي ستؤدي إلى تدمير البلاد على نطاق واسع. إذًا، فإن الاستغراب من تطابق الوحي الإلهي مع كلام خرج من فم مسلم غباوة من الدرجة القصوى، لأنه كما قلت قبل قليل إن الكلام الذي خرج من فم عبد الله بن أبي سرح أي: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْحَالِقِينَ ﴿١٦٢﴾ نزل في القرآن الكريم، فارتد عبد الله بن أبي سرح على إثر ذلك وهرب إلى مكة. فلما حصل التوارد بين كلام الله وكلام مرتدِّ، فما وجه الاستغراب لو حصل التوارد بين كلام الله وكلام صحابي جليل الشأن مثل لييد؟ فكما أن الله تعالى وارث كل شيء كذلك يرث كل كلام طيب أيضا، وكل كلام طيب يخرج من لسان أحد بتوفيق منه ﷺ. فإذا نزل كلام مثله بصورة الوحي فلا يشك في ذلك إلا الذي يشك في الإسلام نفسه. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٦٢)

نزلت على نبينا ﷺ بعض الكلمات وحيًا من الله وقد تفوّه بها شخص قبله مثل: ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ﴾ إذ قد قالها عبد الله بن أبي سرح، ثم نزلت العبارة نفسها في وحي القرآن. راجع الجزء السادس من التفسير الكبير للرازي الصفحة ٢٧٦ طبعة مصر، وفيما يلي نصه: "روى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب هذه الآيات لرسول الله ﷺ، فلما انتهى إلى قوله تعالى ﴿حَلَقًا آخَرَ﴾ عجب من ذلك فقال: ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: اكتبْ فهكذا نزلت. فشك عبد الله وقال: إن كان محمد صادقًا فيما يقول فإنه يوحى إليّ كما يوحى إليه، وإن كان كاذبًا فلا خير في دينه، فهرب إلى مكة. فقليل إنه مات على الكفر وقيل إنه أسلم يوم الفتح." فانظروا الآن أن كلام الله ﷺ توارّد مع كلام عبد الله بن أبي سرح، أي قد خرجت من لسان عبد الله العبارة: ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ﴾ وجاءت العبارة نفسها في وحي الله أيضا.

وإن قلت: ما الذي يميز إذا كلام الله من كلام البشر؟ قلت في الجواب أولا ما قاله الله تعالى بنفسه في القرآن الكريم بأن الكلام الذي يُعَدّ كلام غير الله يجب أن يعادل سورةً من سور القرآن المجيد كمًّا، لأن هذا القدر ضروري لإثبات الإعجاز، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾،

ولم يقل الله: فأتوا بآية من مثله أو فأتوا بكلمة من مثله. لا جرم أن كلمات الله بصورتها المنفصلة هي الكلمات نفسها التي كانت تجري على لسان الكفار أيضا، ثم صارت الكلمات نفسها معجزة من حيث المجموع بسبب كونها محبزة ومن حيث نظم الكلام ومستلزمات أخرى. والإعجاز الذي يوجد في أفعال الله هو أيضا من النوع نفسه، بمعنى أنها تشكل معجزة من حيث المجموع كما يصبح الكلام معجزة من حيث المجموع. ومما لا شك فيه أن الجمل الوجيزة التي يقولها الله تمتاز كلياً عن كلام الإنسان من حيث ما تضم من معاني سامية، فإنها تتضمن لا محالة أنواراً كامنة، هي بمنزلة روح تلك الكلمات، وإن لم يبلغ الإنسان إلى حقائقها ومعارفها الكامنة، كما تحتوي الآية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ على إعجاز فريد لعلاقتها مع آيات سبقتها، بمعنى أنها تزخر بفلسفة روحانية هي معجزة بحد ذاتها لا يوجد نظيرها في كلام البشر. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٨٣-١٨٥)

القرآن الكريم لا يعدّ الأرواح أزلية وأبدية بل يعدها مخلوقة وفانية أيضاً. كما يقول بكل وضوح عن كونها مخلوقة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ أي عندما يتكون القلب نخلق منه بعد تكوينه خلقاً جديداً أي روحاً. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٤)

الأحداث الثابتة أيضاً لأنها تشهد شهادة قطعية ويقينية بأن نطفة الرجل والمرأة قادرة على خلق الروح دون أن تسقط روح من جو السماء كالندى. وحين تمتزج نطفة الرجل والمرأة تتقوى تلك القدرة كثيراً وتظل تتقوى شيئاً فشيئاً، وعند اكتمال جاهزية قالب الجنين تتولّد الروح في القالب نفسه بأمر الله وقدرته. هذه هي الأحداث المشهودة والمحسوسة. وهذا ما نسميه الخلق من العدم لأننا لا نستطيع القول بأن الروح جسم أو شيء مادي. ونرى أيضاً أن الروح تُخلق من المادة نفسها التي تتخذ شكل قالب شيئاً فشيئاً في رحم الأم بعد اجتماع النطفتين. وليس ضرورياً

لهذه المادة أن تهبط الروح على نوع الخضروات أو الكالأ كالندى وتتولد منها نطفة الروح بل يمكن أن تتكوّن تلك المادة من اللحم أيضا سواء أكان لحم شاة أو سمك أو كان طينا تحت طبقات الأرض العميقة التي تتولد فيها الضفادع والحشرات الأخرى. ولكن لا شك أنه سرٌّ من أسرار قدرة الله أنه يخلق في الجسم شيئا ليس جسما ولا مادة.

إذن، الأحداث الموجودة والمشهودّة تُظهر أن الروح لا تهبط من السماء، بل هي روح جديدة تتولد بقدرة الله القادر من نطفة مركبة، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، أي عندما يتكوّن قالب الإنسان في الرحم نُكمله بخلق جديد، بمعنى أننا نخلق الروح من داخل المادة التي تتكوّن بها القلب. (بينوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٢٣-١٢٤) قال ﷺ عن ذكر الروح:

الشيء الذي يقدر له الخلق تجري قوة الروح فيه جنبا إلى جنب بقدر تكوينه. وحين يصبح صالحا بكل معنى الكلمة ينزل الله تعالى فيضه عليه. هذا ما أشير إليه في: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. ذات مرة سكبت بيضا في فنجان ووجدت أن صفرتة وبياضه كان قد تحول وكأنه ماء، وفي وسطه هناك نقطة مثل حبة خردل وفيها خطوط كثيرة تتفرع إلى جوانب مختلفة. ولم تلاحظ أية حركة إلا في هذه النقطة، فاستنتجت من ذلك أنه لا يبدو من سلسلة خلق الأشياء أن يتكون الرأس أولا ثم اليدان ثم القدمان بل عملية التكوين كلها تجري في آن معا ويكون كل شيء قد تكوّن سلفا ثم ينمو فقط. لقد طلبت من بعض القابلات أن يريني بعض الأجنة التي تسقط، فرأيت في بعضها أن أعضائها كلها كانت متكونة سلفا. إن خلق الله لا يتم على غرار عمل بناء، حيث يبني الجدران أولا ثم يبني الشرفة ثم يبني عليها شيئا آخر. بل عندما تكتمل الروح بعد أربعة أشهر ينطبق عليها: ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فيبدأ الجنين بالحركة.

فكما هنالك سبعة أيام معروفة في العالم، ففي ذلك إشارة إلى أن عمر الدنيا أيضا سبعة آلاف عام، والقول أن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، يمكن أن يراد به أن كل شيء يبلغ مرتبة الكمال بعد اجتيازه ستة مراحل. فالنطفة أيضا تمر بست مراحل؛ إذ يكون الإنسان طينا في البداية ثم نطفة، ثم علقة ثم مضغة، ثم عظاما، ثم لحما، وبعد جميع المراحل تأتي مرحلة ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. يتبين من ذلك أيضا أنه لا يأتي شيء من الخارج بل ينمو كله داخليا. (بدر، مجلد ١، رقم ١١، عدد ١٩٠٣/١/٩، ص ٨٤-٨٥)

الروح مخلوقة، ويخلقها الله من المادة العنصرية نفسها.... توجد الروح الإنسانية في نطفة الإنسان بوجه دقيق وخفي، وهي الأخرى تنمو مع النطفة تدريجا وبالتطور وفي نهاية الشهر الرابع وبداية الشهر الخامس يحدث التغير البين فتظهر، كما قال الله ﷻ في كلامه المقدس: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٥، عدد ١٩٠٨/٥/٣٠، ص ٥-٦)

النور الباطني الذي عبّر به عن الروح يتولد بصورة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ نتيجة اتصال العبودية الخالصة التامة مع الربوبية الكاملة المستجمعة. الربوبية الثانية هي التي يتولد منها المتقي تولدا ثانيا، ويصل إلى مقام ملكوتي، ثم تأتي درجة الربوبية الثالثة التي تسمى "خلقا جديدا"، وبتيجتها يصل المتقي مقام اللاهوت وينال تولدا ثانيا. (مجموعة الإعلانات مجلد ١، ص ١٦٣، الحاشية)

كل القوى التي أعطانا الله إياها لم يعطنا لنضيّعها، بل إن تعديلها واستعمالها الجائز هو تنميتها وتطويرها، ومن أجل ذلك لم يأمر الإسلام بالقضاء على قوة الرجولية أو قلع العين، بل حثنا على استعمالها الجائز وتزكية النفس، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام

الآية ١٦: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

أي إن الله تعالى يبلّغكم إلى ذروة الكمال تدريجيًّا، فبعد وصولكم أوج الكمال تميلون إلى الزوال حتى توافيكم المنية. هذه هي سنة الله الجارية فيكم، ولا يخرج عن هذه السنة بشر. فيا ربي القدير أرزق الذين يعتبرون المسيح خارج هذه السنة الإلهية عيوننا لمعرفة هذا القانون. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٠)

إن لكلمة "الموت" مستخدمة في القرآن الكريم أكثر من معنى؛ فقد قيل عن الكافر أيضا "الميت" إنه ميّت. كما أن الموت بالأهواء أيضا نوع من الموت، وكذلك يسمّى الموشك على الموت أيضا ميّتًا. وكذلك توجد ثلاثة أوجه في الحياة أيضا، أي أن للحياة أيضا ثلاثة أنواع. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٥)

الآية ١٧: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾

من جملة الآيات الأخرى ... تبين أن الإنسان لا يعود إلى الدنيا قط بعد أن يتذوق الراحة أو يذوق الألم في عالم المعاد آية: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦١٩-٦٢٠، الحاشية في الحاشية)

الآية ١٩: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾

لقد أُخبرْتُ عن هذا الزمن بالكشف أن كمال طغيانه سيبدأ من سنة هجرية مكنون ذكرها في الآية: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ بحسب حساب الجمل؛ وهي في الحساب: ١٢٧٤ هـ. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٥)

من علامات ظهور المسيح الموعود بوجه خاص أن ينزل بعد خروج الدجال المعهود، لأنه من المسلّم به أن القادم بعد خروج الدجال المعهود؛ هو المسيح الصادق الذي سُمّي بالمسيح الموعود. وقد ذُكر السبب وراء تسميته باسم المسيح في صحيح مسلم وهو أنه سيمسح من وجوه المؤمنين غبار الشدة والحنة والابتلاء الذي يكون

قد علا حالتهم، أي سيجعلهم غالبين بالبرهان والحجة. فيقال له "المسيح" لأن هذه الكلمة مشتقة من "مسح"، ومن الضروري أن ينزل بعد الدجال المعهود؛ فقد جئت بعد خروج الدجال المعهود. فلا شك أنه لو ثبت أن المراد من الدجال المعهود هم فئة القساوسة والمتكلمين المسيحيين، الذين قلبوا الأمور والأوضاع رأساً على عقب بشعوذتهم. وهو خارج بكل قوة وشدة منذ ذلك الوقت بالتحديد الذي يُستنبط من قوة أحرف الآية: ﴿إِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ أي عام ١٨٥٧م بحسب حساب الجمل؛ ولثبت أني أنا العبد الضعيف هو المسيح. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٨-٤٨٩)

في الآية: ﴿إِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ إشارة إلى عام ١٨٥٧م حين حدثت في الهند مفسدة كبيرة وتلاشت منها آثار السلطنة الإسلامية، لأنه بحسب حساب الجمل فإن مجموع حروف الآية المذكورة هو ١٢٧٤.

ولو نظرنا ما يقابل العام الهجري ١٢٧٤ بحسب التقويم المسيحي لوجدناه عام ١٨٥٧. وإن فترة ضعف الإسلام التي أشار الله تعالى إليها في الآية؛ تبدأ من عام ١٨٥٧م. فيقول تعالى بأنه حين تأتي تلك الفترة سوف يُرفع القرآن الكريم من الأرض. فهذا ما آلت إليه حالة المسلمين في عام ١٨٥٧م... فإن قول الله العليم الحكيم في القرآن الكريم بأن كلامه سيُرفع إلى السماء في عام ١٨٥٧م؛ يعني أن المسلمين لن يعملوا به. وهذا ما فعله المسلمون تماماً... لقد أفسدتم كثيراً التفاسير الخاطئة لكتاب الله، وقد تركت تأثيراً سيئاً جداً على قواهم القلبية والعقلية. لا شك في أنه من الضروري جداً أن يُفسر كتاب الله في العصر الراهن تفسيراً جديداً وصحيحاً، لأن التفاسير التي تعلّم في هذه الأيام لا تقدر على إصلاح الأخلاق، ولا تترك تأثيراً حسناً على الحالة الإيمانية؛ بل تتصدى للطيبة الفطرية والنور الطيب. ولكن لماذا تتصدى لهما؟ السبب في ذلك أنها لم تعد تحتوي على تعليم القرآن الكريم، وذلك بسبب إقحام الزوائد والحشو فيها. وقد تلاشى تعليم القرآن الكريم

من قلوب هؤلاء القوم وكأنه رُفِعَ إلى السماء. أمّا الإيمان الذي علّمه القرآن الكريم، فيجهله الناس تماماً، والمعرفة التي وهبها القرآن غفل الناس عنها. صحيح أنهم يقرأون القرآن، ولكنه لا يتجاوز تراقيهم. فبهذا المعنى قيل إن القرآن سيُرفع إلى السماء في الزمن الأخير. ثم ورد في الأحاديث نفسها أن الذي سيعيد القرآن إلى الأرض سيكون رجلاً فارسي الأصل، فقال ﷺ: لو كان الإيمان معلقاً عند الثريا لناله رجل من فارس. إن هذا الحديث يشير في الحقيقة إلى زمنٍ أشير إليه في الآية: ﴿إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٨٩-٤٩٣ الحاشية)

أن نبوءة مجيء المسيح ابن مريم في الزمن الأخير موجودة في القرآن الكريم. إن المدة لظهور المسيح - وهي ١٤٠٠ عام - والتي حدّدها القرآن الكريم، قد سلّم بها كثير من الأولياء بناء على كشفهم. والآية: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ التي أحرفها في حساب الجمل هي ١٢٧٤ تشير إلى ليالي السلخ بحسب التقويم الإسلامي القمري. وفي ذلك تكمن إشارة إلى طلوع الهلال الجديد المذكور في أحرف "غلام أحمد قادياني" بحسب حساب الجمل. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٦٤)

الآية ٢٥: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ أي لم نسمع هذا من آبائنا أي الأولياء السلف. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٩-٦٧٠، الحاشية في الحاشية)

الآية ٢٨: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا

وَقَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿١١٣﴾

كذلك سماني الله تعالى "نوحا" أيضا في الأجزاء السابقة من البراهين الأحمدية وقال عني: "ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" أي اصنع الفلك بأعيننا ولا تقل لي شيئا في الشفاعة للظالمين لأني سأغرقهم جميعا. لقد أمهل الله تعالى الظالمين في زمن نوح إلى ألف عام تقريبا، ولو طرحنا الآن أيضا القرون الثلاثة المتمثلة في "خير القرون" لبقى ألف عام. فمن هذا المنطلق تقارب هذه المدة أيضا مدة هلاك قوم نوح بعذاب. وأوحى الله إليّ: "اصنع الفلك بأعيننا ووحينا. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم". (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١١٣)

الآية ٣٨: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾

ماذا كانت حالة العرب عند بعثة رسول الله ﷺ. ما من سيئة إلا ووجدت فيهم. فكما يصبح المرء أستاذا كاملا في كل مجال بعد اجتيازه كل امتحان وفحص، كذلك كان الناس حينها متمرسين وبارعين تماما في مجال السيئات والمنكرات، يشربون الخمر ويزنون ويأكلون أموال الأيتام ويقامرون. لقد سبقوا غيرهم في كل سيئة، بل كانوا يعتزّون بمنكراتهم ويقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ (الجاتية: ٢٥). أي أن حياتنا مقتصرة على الحياة والممات هنا فقط، ولا يوجد هناك حشر، ولا نشر، ولا قيامة. فما الجنة وما النار. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

كان كثير من العرب في الحقيقة ملحدين كما يتبين من الآية: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٩ عدد ١٨/٦/١٩٠٨م، ص ٧)

الآية ٤٥: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعَنَا

بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤١﴾

يتضح من هذه الآيات أن من عادة الله المستمرة أن يُنزل كتابه ثم يرسل رسله حتما ليؤيدوه ويصدقوه. فقد جاء لتأييد التوراة في زمن واحد قرابة أربع مائة نبي ولا يزال الكتاب المقدس يشهد على مجيئهم. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٤١)

الآية ٥١: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ

وَمَعِينٍ﴾

أي هيئنا لعيسى وأمه ملاذًا في منطقة مرتفعة حيث الراحة والماء الصافي أي مياه الينابيع. لقد رسم الله هنا منطقة كشمير. علمًا أن لفظ "آوى" يُستعمل في لغة العرب بمعنى الإجارة من المصيبة أو الأذى، ولم يأت على عيسى وأمه قبل واقعة الصليب زمن حلت بهما فيه مصائب تقتضي الإجارة، فثبت من ذلك أن الله تعالى إنما أوصل عيسى وأمه إلى تلك الربوة بعد حادثة الصليب. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٧، الحاشية)

أخبرنا في قوله في القرآن: ﴿وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ أنه بعد أن نجى عيسى المسيح من البلاء في حادثة الصليب آواه هو وأمه إلى تلة مرتفعة كانت موضع قرارٍ وتجري فيها العيون -أي إلى جبال "سرينغر كشمير". (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٥، الحاشية)

"من المعلوم أن بني إسرائيل في عهد عيسى عليه السلام كانوا متفرقين منتشرين في بلاد الهند وفارس وكشمير، فكان فرضه أن يدرّكهم ويلاقيهم ويهديهم إلى صراط الرب القدير، وترك الفرض معصية، والإعراض عن قوم منتظرين ضالين جريمة كبيرة، تعالى شأن الأنبياء المعصومين من هذه الجرائم، التي هي أشنع الذمائم...

لا شك ولا شبهة ولا ريب أن عيسى لما منَّ الله عليه بتخليصه من بليّة الصليب، هاجر مع أمّه وبعض صحابته إلى كشمير ورثوته التي كانت ذات قرار ومعين ومجمع

الأعاجيب، وإليه أشار ربنا ناصر النبيين ومُعِين المستضعفين، في قوله ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. ولا شك أن الإيواء لا يكون إلا بعد مصيبة، وتعِبٍ وكربة، ولا يُستعمل هذا اللفظ إلا بهذا المعنى، وهذا هو الحق من غير شك وشبهة، ولا يتحقق هذه الحالة المُثْقَلَة في سوانح المسيح إلا عند واقعة الصليب. وليست ربوة في الارتفاع في جميع الدنيا من البعيد والقريب، كمثل ارتفاع جبال كشمير وكمثل ما يتعلّق بشُعْبِهَا عند العليم الأريب. ولا يسع لك تحطّئة هذا الكلام من غير التصويب.

وأما لفظ "القرار" في الآية فيدل على الاستقرار في تلك الخِطّة بالأمن والعافية، من غير مزاحمة الكفرة الفجرة. ولا شك أن عيسى عليه السلام ما كان له قرار في أرض الشام، وكان يُخْرِجُه من أرض إلى أرض اليهود الذين كانوا من الأشقياء واللثام، فما رأى قرارًا إلا في خِطّة كشمير، وإليه أشار في هذه الآية ربُّنا الخبير. وأما الماء المعين فهي إشارة إلى عيون صافية وينابيع منفجرة توجد في هذه الخِطّة، ولذلك شبّه الناس تلك الأرض بالجنة. (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٦-٣٦٩)

"اعلم أن لفظ الإيواء بأحدٍ من مشتقاته قد جاء في كثيرٍ من مواضع القرآن، وكلها ذُكر في محل العصم من البلاء بطريق الامتنان، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٧)، وما أراد منه إلا الإراحة بعد الأذى. وقال في مقام آخر: ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧). فانظروا كيف صرّح حقيقة الإيواء وبها داواكم. وقال حكايةً عن ابن نوح: ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، فما كان قصده جبلا رفيعا إلا بعد رؤية البلاء. فبينوا لنا أيّ بلاءٍ نزل على ابن مريم ومعه على أمّه أشدّ من بلاء الصليب؟ ثم أيّ مكان آواها الله إليه من دون ربوة كشمير بعد ذلك اليوم العصيب؟ (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٨، الحاشية)

.... إن الله تعالى يقول عن عيسى عليه السلام وأمه: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، أي وهبنا الملاذ لعيسى وأمه بعد حادث الصلب الذي كان بمنزلة مصيبة كبيرة في مكان مرتفع مريح فيه ينابيع ماء زلال وكان نظيرا للجنة، أي أرض كشمير. أما الآن، فلو كان عندكم أدنى إلمام بالعربية لاستطعتم أن تفهموا بسهولة أن كلمة "آوى" تطلق على إعطاء الملاذ لأحد بعد إنقاذه من مصيبة ألمت به. وهذا هو الأسلوب المتبع في القرآن الكريم والأحاديث وأقوال العرب. وثابت من كلام الله أن عيسى عليه السلام لم يواجه على مدى حياته مصيبة إلا مصيبة الصلب. وثابت من الحديث أيضا أن مريم أيضا ما أصيبت بجزن كبير طيلة حياتها إلا بحادث الصلب وحده. فهذه الآية تنادي بأعلى صوتها أن الله تعالى قد نجى عيسى عليه السلام من هذه الآفة وأوصله بعد حادث الصلب إلى بلد آخر حيث ينابيع الماء الزلال والربوة.

والسؤال الآن هو: هل في السماء ربوة فيها ينابيع أوصل الله تعالى إليها عيسى عليه السلام وأمه بعد حادث الصلب؟ فاقروا سوانح المسيح عليه السلام بتأمل وقدموا مثالا إن استطعتم؛ حيث آواه الله تعالى بعد النجاة من المصيبة في مكان مريح نظير الجنة، فيه ينابيع وربوة هي الأعلى في العالم كله. فبحسب زعمكم هذا تجعلون الله عز وجل كاذبا هنا أيضا إذ يذكر ربوة آوى إليها عيسى وأمه بعد حادث الصلب، وأنتم تجلسونه عليه السلام في السماء دون مبرر وبلا جدوى.. بينوا، لماذا سيجلس عاطلا إلى هذه المدة الطويلة مع أنه نبي؟ (إعجاز أحمدى، الخزان الروحانية، المجلد ١٩ ص ١٢٧-١٢٨)

﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. وورد في الأحاديث أن عيسى بن مريم عاش بعد هذا الحادث إلى مئة وعشرين عاما، ثم مات ولحق بربه، وكان جليس يحيى عليه السلام في عالم آخر لوجود الشبه بين حادثين تعرض لهما النبي عيسى ويحيى عليهما السلام. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية المجلد ٢٠، ص ٢٩)

ولا بد من التذكّر هنا أن سفر عيسى عليه السلام إلى كشمير ليس أمراً ينقصه الإثبات، بل هو ثابت من خلال أدلة دامغة لدرجة أن كلمة كشمير بحد ذاتها تمثل دليلاً على ذلك، لأن كشمير هي "كَشِير" في اللغة المحلية، وكل مواطن محلي يلفظها "كشير". فمن هنا يبدو أن هذه الكلمة عبرية الأصل ومركبة من "ك" و"أشِير". و"أشِير" في العبرية تعني بلاد الشام، و"ك" تفيد المماثلة. فالتركيبة الأصلية لهذه الكلمة هي "كَأَشِير". أي "كاف" على حدة و"أشِير" على حدة. ومعناها: "مثل بلاد الشام". ولما كان هذا البلد مهجر عيسى عليه السلام الذي كان من سكان بلاد باردة، سمّى الله تعالى مهجره "كَأَشِير" ومعناه "مثل بلاد أشير"، ثم سقط الحرف "ألف" نتيجة كثرة الاستعمال وبقي: "كَشِير". ثم أضاف أهل الأقوام الأجنبية - الذين ما كانوا من سكان "كشير" وما كانوا يحكون لغة محلية - الحرف "ميم" وجعلوه "كشمير". ولكن بفضل الله تعالى ورحمته لا يزال هذا الاسم يُلفظ ويُكتب في اللغة الكشميرية "كشير".

وأضيف إلى ذلك أن أسماء عبرية لا تزال تُطلق على أشياء كثيرة في بلاد كشمير، بل قد أُطلق أسماء الأنبياء على بعض الجبال، الأمر الذي يُفهم منه أن قوما عبريا سكنوا هذه المناطق حتماً في زمن من الأزمان، ففي كشمير جبل باسم النبي سليمان. ولإثبات هذا المرام نشرْتُ في بعض كتبي قائمة طويلة تشمل كلمات عبرية وأسماء أنبياء بني إسرائيل لا تزال مستخدمة في كشمير. كذلك يتبين بالتفصيل من كتب تاريخ كشمير التي جمعناها بجهد جهيد ولا تزال بحوزتنا أن نبيا من بني إسرائيل جاء إلى كشمير قبل مدة تقارب ألفي عام وكان يسمّى "النبي الأمير"، وقبره في حارة "خانيار" ومعروف بقبر "يوز آسف".

من الواضح أن هذه الكتب كانت قد نُشرت في كشمير حتى قبل ولادتي بمدة طويلة. فهل يسع أحداً أن يقول إنّ أهل كشمير أَلْفُوا هذه الكتب افتراءً من عند أنفسهم؟ وما حاجتهم أصلاً إلى هذا الافتراء؟! ولأي هدف افتروها؟ واللافت في

الموضوع أن هؤلاء الناس لا يزالون يعتقدون لسذاجتهم مثل بقية المسلمين أن عيسى ﷺ صعد إلى السماء بجسده المادي. ومع هذا الاعتقاد يعرفون بكامل اليقين أن نبيا إسرائيليا كان قد أتى إلى كشمير، وكان يعرف نفسه بالنبي الأمير. وتوحي كتبهم أنه قد مرّ على ذلك العصر ما يربو على ١٩٠٠ عام. ما أفادتنا سذاجة أهل كشمير في هذا الموضوع هو أنهم لو علموا من كان النبي الأمير في بني إسرائيل ومن ذا الذي مرّ عليه نحو ١٩٠٠ عام، لما سمحوا لنا بمشاهدة هذه الكتب. لذلك أقول بأننا استفدنا من سذاجتهم كثيرا.

وزدّ إلى ذلك أنهم يقولون بأن اسم ذلك النبي الأمير كان "يوز آسف". ويتبين من هذه الكلمة بصراحة أنها صورة مشوّهة لـ "يسوع آسف". واسم "آسف" في اللغة العبرية يُطلق على الباحث عن القوم. ولما كان عيسى ﷺ قد وصل كشمير في البحث عن قومه الذين فقدت منهم بعض فرق اليهود، سمى نفسه "يسوع آسف". وقد ورد في كتاب "يوز آسف" بصراحة أن الإنجيل قد نزل من الله على يوز آسف. فكيف يمكن الإنكار - مع وجود كل هذه الأدلة الدامغة - أن يوز آسف هو عيسى ﷺ في الحقيقة، وإلا تقع المسؤولية على معارضينا ليشبتوا من هو ذلك الذي عرف نفسه بالنبي الأمير ويطابق عصره عصر عيسى ﷺ تماما. وقد علم أيضا أن عيسى ﷺ حين جاء إلى كشمير، ذكره أتباع البوذية في ذلك العصر في كتبهم إلى حد ما.

وهناك برهان قوي آخر على ذلك إذ يقول الله تعالى: ﴿أَوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. أي هيأنا لعيسى وأمه ملاذا في هضبة كانت مكانا آمنا وبعيدا عن تناول الأعداء، وكان مأوئها زلالا.

فليتضح أن كلمة "أوى" تُستعمل في العربية حين يُعطى أحدٌ ملاذا في دار الأمان بعد تجشّمه المعاناة. ولا يمكن أن تكون بلاد الشام هي دار الأمان، لأنها كانت خاضعة لحكم قيصر، وكان عيسى ﷺ قد عُذّ متمردا على قيصر من قبل.

فدار الأمان هذه كانت كشمير دون غيرها التي كانت تماثل بلاد الشام، وكان مكانا آمنا لا علاقة لقيصر به. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠٢-٤٠٥)

كلمة "آوى" تُسْتَخْدَم في العربية بمعنى تقديم المأوى لأحد بعد تعرضه لإيذاء. كما يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ويقول أيضا: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٩٧، الحاشية)

إن كلام الله القرآن الكريم يشهد بأنه مات وقبره موجود في سرينغر في كشمير كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي أنقذنا عيسى وأمه من أيدي اليهود وأوصلناهما إلى جبل كان مكان أمنٍ وراحة وفيه ينابيع ماء زلال، وهو كشمير. لذلك لا يعرف أحد عن وجود قبر مريم في أرض الشام، ويقولون إنها أيضا اختفت مثل عيسى. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٠٤، الحاشية)

﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ أي هيأنا المأوى لعيسى وأمه بعد أن ظلمهما اليهود وأرادوا أن يصلبوا عيسى، فأوصلناهما إلى الجبل الأعلى أي جبل كشمير ذي الماء الزلال والمكان المريح. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٤٣)

يقول البعض عن الربوة المذكورة في: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ إنها كانت في الشام، ولكنني أقول بأن هذا خطأ تماما، والقرآن الكريم يعارض ذلك لأن كلمة "آوى" تُسْتَخْدَم حين يتعرض المرء لمصيبة ثم ينجو منها ويُعطى الملاذ. فأني كان ذلك ممكنا لعيسى لو بقي في سلطنة الروم. بل ما كان له أن يبقى هناك أصلا، لذا فقد هاجر من تلك البلاد حتما. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ٥)

الآية ٥٢: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

الأمر في هذه الآية هو للطهارة الجسدي وللطهارة الروحانية، وباقتراحهما نستنتج أن عقوبة الخبيثين ضرورية في عالم الآخرة، لأنه حين نترك قواعد الطهارة الجسدية في هذا العالم نصاب فوراً بآفة ما، ومثل ذلك من الضروري إذا أهملنا مبادئ الطهارة الروحانية أن يحل علينا بعد الموت عذابٌ أليم كالوباء نتيجة أعمالنا. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٣٨)

من هنا يتبين أن الكفارة لا شيء يذكر، بل كما نستنزل علينا الوباء نتيجة تصرفات مادية سيئة ثم ننجو منه نتيجة الالتزام بقواعد المحافظة على الصحة، فالقانون نفسه يتعلق بعذابنا وخلاصنا الروحانيين أيضاً. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٣٨، الحاشية)

القرآن الكريم يأمرنا: ﴿كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، ولكن هؤلاء الناس يخلطون التراب مع الطيبات، ويجعلونها غير طيبة. لقد وُجدت مثل هذه المذاهب بعد الإسلام بمدة طويلة. إن هؤلاء يضيفون إلى تعاليم رسول الله ﷺ أشياء من عندهم، ولا علاقة لهم بالإسلام ولا بالقرآن الكريم، إنما يخلقون شريعة جديدة من عند أنفسهم، لذا فإنني أحقرهم وأنفر منهم بشدة. إنما أسوتنا في رسول الله ﷺ وإنما خيرنا وصلاحنا في التأسي بأسوته قدر المستطاع، وألا نخرج منها قيد أنملة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٢)

الآية ٥٤: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

لا يمكن للفطرة أن تكون هادية دائمة لأنها تنوب مناب الشيطان أيضاً وتُضلل. العيوب التي تتطرق إلى الفطرة نتيجة الأوهام فقد قيل بسببها: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٣، عدد ١٧/٩/١٩٠٧ م، ص ٩)

الآية ٧١-٧٢: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْهُمْ لِلْحَقِّ كَارَهُونَ * وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾

أي لو كان في الأرض والسماء إله سوى الله الجامع للصفات الكاملة لفسدتا، لأنه كان من المحتم أن تعمل تلك المجموعة من الآلهة في حين من الأحيان عملاً تخالف فيه بعضها بعضاً، فيتطرق الفساد إلى العالم بسبب هذه الفرقة والخلاف والفساد. وكذلك لو كان هناك أكثر من خالق لأراد كل واحد منهم خيراً لخلقه هو، ولأجاز هلاك المخلوقات الأخرى لصالح خلقه هو. ولكن من شأن هذا العمل أيضاً أن يؤدي إلى فساد العالم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٥-٢٤٦ الحاشية رقم ١١)

الآية ٩٢: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

أي لو كان في الأرض والسماء إله سوى الله الجامع للصفات الكاملة لفسدتا، لأنه كان من المحتم أن تعمل تلك المجموعة من الآلهة في حين من الأحيان عملاً تخالف فيه بعضها بعضاً، فيتطرق الفساد إلى العالم بسبب هذه الفرقة والخلاف والفساد. وكذلك لو كان هناك أكثر من خالق لأراد كل واحد منهم خيراً لخلقه هو، ولأجاز هلاك المخلوقات الأخرى لصالح خلقه هو. ولكن من شأن هذا العمل أيضاً أن يؤدي إلى فساد العالم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٨-٥١٩، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٩٧: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾

إن الله تعالى يعدد السبق إلى القتال وإشعال الحروب جريمة نكراء ويأمر المؤمنين بالصبر والجلد مراراً وتكراراً كما يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ (حم السجدة: ٣٥). (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٥)

لقد تحمل رسول الله ﷺ الجور والمظالم إلى ١٣ عاما ثم جاء الأمر بالدفاع. يتبين من ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ (الحج: ٤٠) أنه لم يؤمر حتى بالرد إلى ذلك الحين. لذلك ذكر مبدآن:

الأول: ﴿أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٠) أي يجب الإعراض عن فيهم نزعة التكبر والخصومة، وينبغي ألا يُرد على كلامهم أيضا.

الثاني: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٥) أي تكون نتيجة مقابلة السيئة بالحسنى أن الخصم لا يصبح صديقا بل يصبح: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٥). (بدر، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ١١/٤/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ١٠٠-١٠١: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

عندما ينزل بالكافر الموت يقول: يا رب أرسلني إلى الدنيا مرة أخرى لأعمل صالحا وأتدارك ما فاتني فيقال له: كلا، هذا لن يحدث إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا أي لم يسبق أي وعد من الله تعالى أن يرجع الميت إلى العالم مرة أخرى، ثم يقال للذين ماتوا: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ... فلن يرجعوا إلى الدنيا إلى يوم القيامة. (إزالة أوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦١٩، الحاشية في الحاشية)

الآية ١٠٢: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

يُسمع صوت الله دائما ولا يُسمع صوت الأموات. وإذا تناهى صوت ميت أحيانا فهو بواسطة الله، بمعنى أن الله تعالى يُخبر عنهم شيئا. الأصل هو: آل راكمه خبر شد خبرش بازيامد، أي: الذي أصبح خبرا في طيات الماضي لا يأتي خبره. سواء أكان

نبيا أو صديقاً. يضع الله بينهم وبين أهلهم وعيالهم حجاباً فتنقطع علاقتهم مع الجميع لذلك قال تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة النور



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

تارة ينصلح الإنسان من الضربات التي يتلقاها، وتارة برؤية وقوعها على الآخرين. لقد أمر الله بمعاقبة الزاني على مرأى من الناس، كذلك يُضرب الآخرون بالسوط ويراهم أفراد جماعتنا. كان هناك كثير من الناس الذين لم يفهموا مطلبي ومقصدي إلى اليوم، ولكن الله يفهمهم الآن من خلال معاقبة الآخرين. يتبين من قوله تعالى: ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لربما كان في هذه الطائفة نقصٌ كامناً، وسيُصلح أفرادها أنفسهم بالنظر إلى وقوع العقوبة على الآخرين. لم يقل الله هنا

"المؤمنون كلهم" بل قال: "طائفة". (بدر المجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨ - ١٢/٥/١٩٠٢م، ص ٣٥)

الآية ٥: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
 المعنى المراد من المحصنات في هذه الآية هو المعنى نفسه الذي أريد من كلمة "بريء" في الآية المذكورة قبلها.

فإذا لم يكن مصداق كلمة البريء إلا الذي يُدان بالجرعة أولاً، ثم تُبرأ ساحتها بشهادات الشهود وسقوط أدلة المدعي نتيجة أدلة الدفاع، كما يرى الملوي محمد حسين رئيس تحرير المجلة "إشاعة السنة"، فإنَّ اتِّهام المرأة بالزنا في هذه الحالة، أي إذا كان هذا هو المراد من كلمة "بريئة" الواردة في آية ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ (النساء: ١١٣)، لن يُعدَّ جريمةً إلا إذا أُثبت في المحكمة بواسطة الشهود الثقة أنَّها ليست بزانية. وهذا يستلزم أيضاً أن لا تسلم من شر المتهمين آلاف السيدات العفيفات اللواتي لا دليل على سوء تصرفاتهنَّ بمن فيهن نساء الأنبياء والصحابه ونساء أهل البيت، ولن يكون من حقهن أن يُعتبرن بريئاتٍ ما لم يثبتن عفتهم بحضورهن المحاكم، مع أن الله تعالى قد جعل المتهمين مسؤولين عن إثبات التهمة إذا اتهموا اللواتي لا دليل على سوء تصرفهن، وسماهن بريئات ومحصنات، كما يُفهم من الآية: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣١٨-٣١٩)

لاحظوا الآن، لقد أطلق الله تعالى كلمة "المحصنات" أي "البريئات" على اللواتي لم تثبت عليهنَّ تهمة الزنا. وهذا الشرح لكلمة: "بريء" ينسجم تماماً مع مفهوم "Discharge" لأنه إذا كانت كلمة "بريء" التي استخدمها القرآن الكريم في الآية: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ لا تُطلق إلا إذا ثبت إجرام أحد وأدين أيضاً، ثم أُثبت براءته بشهادة

شاهدين، وأبطلت أدلة الدفاع أدلة المدعي؛ لكان الأشرار أحراراً في أن يقذفوا جميع النساء اللواتي لم يثبتن في المحكمة بواسطة الشهود العدول أنهن لسن زانيات، سواء أكن نساء الرسل والأنبياء أو الصحابة أو أولياء الله أو نساء أهل البيت.

والمعلوم أن هذا الاستنتاج من كلمة: "بريء" في آية: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ ليس إلا إلحاداً وينافي تماماً مشيئة الله. (ترياق القلوب الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٤٢-٤٤٣)

الآية ٢٣: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

من صفات الله تعالى أنه يزيل نبوءات الوعيد بالتوبة والاستغفار والدعاء والصدقة، كذلك علم الإنسان أيضاً الأخلاق نفسها، كما يثبت من القرآن الكريم والحديث الشريف أن التهمة التي ألصقها المنافقون بالسيدة عائشة (رضي الله عنها) بمحض خبث طويتهم اشترك في بيانها بعض الصحابة البسطاء أيضاً. وكان منهم صحابي كان يأكل على مائدة أبي بكر رضي الله عنه صباح مساء. فحلف أبو بكر على خطأ صدر من هذا الصحابي وعاهد على سبيل الوعيد بأنه لن يطعمه أبداً عقوبة على خطئه غير المبرر، فنزلت الآية: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. عندها تراجع أبو بكر عن وعيده هذا وبدأ يطعمه كسابق عهده. فمن أخلاق الإسلام أن المرء إن عاهد على سبيل الوعيد فإن رجوعه عن عهده يُعَدُّ من حسن الأخلاق. فمثلاً لو أقسم أحد أنه سيضرب خادمه خمسين ضربة بالنعل لكان العفو عنه نتيجة توبته وتضرعه سنة الإسلام ليتحقق التخلُّق بأخلاق الله. ولكن لا يجوز الإخلاف في الوعد لأن الوعد كان عنه مسئولاً، وليس الوعيد. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٨١)

أي فاعفوا عن ذنوب الآخرين واعتدائهم وأخطائهم....

لقد علّم الإنجيل أيضا الصبر والعفو ولكن لعل كثيرا من الناس لا يذكرون أن عيسى ﷺ يقول في الإنجيل أنه لا علاقة لي بالأُمم الأخرى قط، إذ لم أُرسل إلاّ إلى خِرافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، أي أن مواساتي محصورة في اليهود فقط. أما القرآن الكريم فقد جاء فيه بصراحة أن عليكم أن تواسوا الأُمم الأخرى أيضا كما تواسون قومكم، واعفوا عن الأقوام الأخرى أيضا كما تعفون عن قومكم. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٨٧)

الآية ٢٧: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

إن الأنبياء عليهم السلام والمبعوثين من الله تعالى يُحَفَظُونَ من سيئ الأمراض كالزهري والجذام وما شابههما من الأسقام الخبيثة القذرة. إنما تصيب هذه الأمراض الخبيثين فقط. وقول الله تعالى "الخبيثات للخبيثين" عام، ومفهومه أيضا عام، لذا فإن الله تعالى يحفظ مأموريه وأصفياءه من كل مرض خبيث. من المحال أن يُرْمَى المؤمن بتهمة باطلة ثم لا تُبرَأَ ساحته منها، سيما المصلحين والمبعوثين من الله تعالى، ومن أجل ذلك يكون المصلح أو المبعوث من عند الله عالي الحسب والنسب. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١م، ص ٨)

إن لم يكن الرجل صالحا فمتى يمكن أن تكون المرأة صالحة؟ أما إذا أصبح الرجل صالحا فيمكن أن تصبح المرأة أيضا صالحة. يجب ألا تُنصح المرأة بالقول فحسب، بل لو نُصحت بالفعل لكان مؤثرا. هل من أحد يستجيب بمجرد القول فقط، دع عنك النساء؟

إذا كان في الرجل فساد أو زيغ، تراه المرأة كل حين وآن، فحين يأتي إلى البيت بأموالٍ من رشوة تقول الزوجة في نفسها ما دام زوجي جاء بها فلماذا أحسبها محرمة؟ باختصار، من المؤكد أن الرجل يؤثر في المرأة، فهو بنفسه يجعلها خبيثة أو طيبة، لذلك

ورد: ﴿الْحَبِثَاتُ لِحَبِثِينَ وَالْحَبِثُونَ لِلْحَبِثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ (النور: ٢٧). النصيحة في هذا الموضوع هي أن تكونوا طيبين وإلا مهما سعيتم لن يحدث شيء. من لا يخاف الله أتى للمرأة أن تخافه؟ إن وعظ المشايخ من هذا القبيل أيضاً لا يؤثر، ولا وعظ الزوج. بل يؤثر النموذج العملي فقط. حين يستيقظ الرجل ليلاً ويدعو ويتضرع ستراه المرأة يوماً أو يومين ثم سيخطر الأمر ببالها أيضاً أخيراً وستتأثر حتماً. إن صفة التأثر في المرأة قوية جداً. لذا حين يتنصر الرجال تنصر زوجاتهم أيضاً. إذن، لا تفيد أي مدرسة لإصلاحهن بل تفيد قدوة الزوج العملية. لا يؤثر في المرأة إخوتها أو أخواتها أيضاً مثل تأثير زوجها. لقد وصف الله ﷻ الرجل والمرأة أنهما نفس واحدة. فمن ظلم الرجال أنهم يُتيحون الفرصة لزوجاتهم أن يطلعن على عيوبهم. يجب أن لا تهيئوا أبداً للنساء فرصة حتى يقلن إنكم ترتكبون سيئة كذا وكذا. بل يجب أن تتعب المرأة في البحث عن سيئات الزوج ولا تجدها، عندها تميل إلى الدين والتفقه فيه. (بدر، مجلد ٢، رقم ٩، عدد ٢٠/٣/١٩٠٣م، ص ٦٨)

الرجل يكون إمام في بيته، إذا كان هو بنفسه يترك انطبعا سيئا وتأثيرا سلبيا فكم يُخشى من التأثير السيئ. على الرجل أن يستخدم قواه في محلها وفي مواطن الحلال. فمثلا هناك قوة الغضب التي إذا تجاوزت الاعتدال كانت مقدمة للجنون. هناك فرق بسيط جداً بين الغضب والجنون. شديد الغضب يُحرم عين الحكمة. يجب على المرء ألا يتكلم بغضب حتى مع المعارض.

المرأة تراقب أفعال الرجل وصفاته هذه كلها، كذلك ترى أن زوجها يتصف بخصال التقوى كذا وكذا مثل السخاء والحلم والصبر. فما يتهيأ لها من فرصة الاختبار لا يتهيأ لغيرها. لذلك سُميت "السارقة"، أيضاً لأنها تسرق أخلاق زوجها سرّاً حتى تنال أخلاقه كلها في يوم من الأيام.

قل إن شخصا تنصّر وتنصرت معه زوجته أيضاً وبدأت تشرب الخمر أولاً ثم خلعت الحجاب رويدا رويدا، وبدأت تحتلط بالرجال. ثم عاد الزوج مرة أخرى إلى

الإسلام فقال للزوجة أن تعود هي أيضا إلى الإسلام، فقالت: الآن يصعب عليّ الرجوع إلى الإسلام، إذ يصعب عليّ التخلي عن هذه العادات التي تعودتُها من شرب الخمر والتحرر وغيرهما. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧٥/٣/١٩٠٣ م، ص ٧٣)

لم يطلع النبي ﷺ في بداية الأمر على حقيقة قصة الإفك عن عائشة رضي الله عنها فذهبت إلى بيت أبيها، فقال لها النبي ﷺ: **إِنْ ارْتَكَبْتَ ذَنْبًا فَتَوْبِي**. يتبين من النظر إلى هذه الأمور كم كان النبي ﷺ مضطربا ولكن لم يكشف عليه هذا السر إلى وقت معين، ولكن عندما برأها الله تعالى بوحيه وقال: **﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ... وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾** عندها علم ﷺ حقيقة ذلك الإفك. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢ م، ص ٨)

لقد وعد الله ﷻ عدم تعريضه المتقين لمثل هذه المشكلات. ويتبين من الآية **﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ... وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾**، أن الله بنفسه يهيئ للمتقين الأشياء الطيبة، وأن الأشياء الخبيثة للخبيثين. إذا تحلى المرء بالتقوى واتخذ الطهارة الباطنية منهجا دائما له وهي الطهارة الحقيقية في نظر الله، فسوف يُعصم من الابتلاءات من هذا القبيل. يحكى أن ملكا دعا أحد الصالحاء لمأدبة وطبخ لحم العنز والخنزير أيضا، وحين وضع الطعام وضع لحم الخنزير متعمداً أمام الصالح، ولحم العنز أمامه وأصحابه. فلما قال ابدأوا الطعام، كشف الله الحال على ذلك الصالح في الكشف. فقال: على رسلكم، هذا التوزيع ليس صحيحا، ثم بدأ يحول الصحون من أمامه إلى جهة الملك وأصحابه ويحول صحتهم إلى جهته، وقرأ الآية **﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ﴾**. باختصار؛ حين يعمل المرء بحسب الأمور الشرعية، ويتحلى بالتقوى فإن الله ينصره ويحميه من المكروهات والسيئات، وهذا هو معنى: **﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾**. (يوسف: ٥٤) (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٠)

إذا اهتم الإنسان بتزكية نفسه وتطهيرها واجتنب المعاصي بالدعاء فلن يركبه الله ﷻ فحسب بل سوف يتكفله ويتولاه أيضا ويعصمه من الخبيثات. هذا هو معنى

﴿الْحَبِثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾. يجب اجتناب المعصية الداخلية والرياء والعجب والتكبر والتملق والإعجاب بالنفس وسوء الظن والفاحشة وغيرها من الخبائث، وإذا جَنَّب المرء نفسه من هذه الخبائث فسوف يزيه الله ويطهره. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٤ م، ص ٧)

لقد وعد الله ﷻ عدم تعريضه المتقين لمثل هذه المشكلات. ويتبين من الآية ﴿الْحَبِثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ... وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ أن الله بنفسه يهيئ للمتقين الأشياء الطيبة، وأن الأشياء الخبيثة للخبيثين. إذا تحلى المرء بالتقوى واتخذ الطهارة الباطنية منهجا دائما له وهي الطهارة الحقيقية في نظر الله، فسوف يُعصم من الابتلاءات من هذا القبيل. يحكى أن ملكا دعا أحد الصالحاء لمأدبة وطبخ لحم العنز والخنزير أيضا، وحين وضع الطعام وضع لحم الخنزير متعمداً أمام الصالح، ولحم العنز أمامه وأصحابه. فلما قال ابدأوا الطعام، كشف الله الحال على ذلك الصالح في الكشف. فقال: على رسلكم، هذا التوزيع ليس صحيحا، ثم بدأ يحول الصحون من أمامه إلى جهة الملك وأصحابه ويحول صحنهم إلى جهته، وقرأ الآية: ﴿الْحَبِثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ...﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ٧/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٢٦)

ولا يقول لك القرآن الكريم كالإنجيل: اصبرْ على كل خبثٍ في امرأتك إلا الزنى ولا تطلقها، بل إنه يقول: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾. فإنّ قرار القرآن هو أن الخبيث لا يمكنه أن يعاشر الطيب، فإن كانت زوجتك لا تزني، لكنها تنظر إلى الأغيار بشهوة وتعانقهم، وتصدر عنها مقدمات الزنى وإن لم ترتكب هذه الفعل بعد، وتكشف للغير عورتها، وهي مشركة ومفسدة ومتبرئة من ذلك الإله القدوس الذي أنت مؤمن به، فينبغي عليك أن تطلقها إن لم تكف عن ذلك، لأنها قد فارقتك بأعمالها ولم تعد قطعة من جسدك الآن، فلا يسوغ لك بعدها أن تصاحبها كما يفعل الدُّيُوث، فإنها ليست الآن عضواً من جسدك، إن هي إلا عضو فاسد متعفن جدير بالبت؛ لئلا يفسد سائر جسدك، فتكون من الهالكين. (سفينة نوح الخزانة الروحية المجلد ١٩، ص ٢٩)

﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، هذه الآية تتحدث عن مناسبة كانت فيها البراءة وخلو المتهم من الجريمة مشكوكا فيه لفترة، ثم هيا الله الدفاع عنه وبراً ساحته. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية المجلد ٥، ص ٤٤١)

الآية ٢٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

أي لا تدخلوا بيوت الآخرين بدون إذن كدخول المتوحشين الهمج، فالاستئذان شرط ضروري. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

الآية ٣١: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

إنه لكلام الله تعالى الذي يقوِّمنا على الصراط ببيانه البين والواضح تمام الوضوح، وألزم كل أقوالنا وأفعالنا وكل حركاتنا وسكناتنا بالوقوف عند حدود معينة وبينه، وعلمنا الآداب الإنسانية وأرانا سبيل السلوك المستقيم، وهو الذي أمرنا بكل تأكيد لنحفظ العين والأذن واللسان وغيرها من الأعضاء فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، أي على المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ويحتبوا كل ما لا يجوز رؤيته وسماعه وفعله، وهذا سيؤدي إلى طهارتهم الباطنية.. أي ستُحفظ قلوبهم من كافة أنواع الأهواء النفسانية، لأن هذه الأعضاء هي التي تحرك الأهواء النفسانية في معظم الأحيان وتوجب القوى البهيمية. فانظروا كيف أكد القرآن الكريم على اجتناب غير المحارم، وكيف بيّن بكل وضوح أن على المؤمنين أن يغضوا أبصارهم ويحفظوا آذانهم وعوراتهم ويكفوها عن مواضع السيئة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٠٩، الحاشية)

أي قل للمؤمنين أن يحفظوا عيونهم من رؤية غير المحارم، وأن يحفظوا فروجهم وآذانهم من أعمال غير لائقة. في ذلك إشارة إلى أنه يجب على كل مؤمن أن يجتنب المنهيات ويحامي جميع أعضائه من الأعمال غير المشروعة، وهذا الطريق هو مدار الطهارة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١ ص ٦٠٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

يقول القرآن الكريم: لا تنظر إلى وجه امرأة غير محرمة بشهوة ولا بدون شهوة، ولا تسمع حديثها ولا صوتها ولا تُصغ إلى قصص جمالها، فإن اجتنابك هذه الأمور سيحميك من الزلة، فيقول الله ﷻ ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، أي قل للمؤمنين أن لا ينظروا إلى النساء من غير المحارم، وأن يحفظوا آذانهم وفروجهم؛ أي ينبغي أن يعصموا الآذان أيضا من سماع حديثهن العذب وقصص جمالهن، فإن كل هذه الأمور تؤدي إلى العثار. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٦)

الذي ينظر إلى النساء غير المحرمات بكامل الحرية باستمرار سوف ينظر إليهن يوما بنية فاسدة أيضا، لأن ثوائر النفس تلازم كل إنسان، وإن التجارب تفيدنا بصوت عال بل تصرخ: إن النظر إلى النساء غير المحرمات لا يؤدي إلى عاقبة محمودة أبدا. فما السبب في شيوع الزنا في أوروبا؟ ألا إن السبب الوحيد أن رؤية النساء بدون أي تكلف صار عادة عندهم، ففي أول الأمر كانت النظرات السيئة ثم صار العناق أيضا أمرا عاديا بسيطا ثم تطور الأمر فاعتادوا على القبلات لدرجة أن يدعو الأساتذة في أوروبا الشابات إلى البيوت ويقبلوهن ولا أحد يمنعهم من ذلك، وتُكتب الجمل الغرامية من الفسق والفجور على علب الحلويات ومغلفاتها، وفي الصور تُرسم رسوم خليعة جدا، حيث تنشر النساء بأنفسهن أنهن جميلات ويصرحن بتفاصيل مفاتهن وجوارحن، ويؤلف عشاقهن قصص الغرام، وإن نهر الخلاعة جارٍ بقوة بحيث لا يقدر المرء على أن يصون أذنيه ولا عينيه ولا

يديه ولا وجهه. فهذا هو تعليم يسوع! (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٦-٤١٧)

أي على المؤمنين أن يكفوا عيونهم عن رؤية المحارم، ولا يحدقوا بالنساء اللواتي ربما كن مثارا للشهوة، وأن يتعودوا في هذه المناسبات على غضّ البصر، أي النظر بطرف فاتر، ويستروا عوراتهم قدر الإمكان. وكذلك يجب أن يصونوا آذانهم، فلا يسمعو أغاني الأجنبية وألحانهم، ولا يصغوا إلى أحاديث جملهن، فإن ذلك أفضل طريق لطهارة العيون ونزاهة القلوب. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤١)

أي قل لهم أن يكفوا أعينهم عن النظر إلى غير المحارم، وإلى مواضع الشهوة بحيث لا يروا الوجه بكل وضوح، وألا يقع نظرهم على الوجه دون وازع وراذع. وأن يلتزموا بألا يطلقوا العنان لبصرهم- لا بشهوة ولا بغير شهوة- لأن ذلك مآله العثار في نهاية المطاف. أي لا يمكن صون الطهارة كاملاً عند إطلاق العنان للبصر، بل يتعرض الإنسان للابتلاء أخيراً. وما لم تتطهر العين لا يمكن أن يتطهر القلب ولا يُنال المقام الأركى الذي من الأنسب للباحث عن الحق أن يخطو عليه. والآية المذكورة تعلّم وجوب حفظ فروج الجسم كلها التي يمكن أن تدخل السيئة من خلالها. إن كلمة الفروج المستخدمة في الآية الكريمة تضم كلاً من أعضاء الشهوة والأذن والأنف والوجه.

لاحظوا الآن، ما أعظم وما أسمى هذا التعليم إذ لم يُشدّد على أي جانب إفراطاً أو تفريطاً بغير وجه حق، بل رُوعي فيه اعتدالٌ حكيم. والقارئ لهذه الآية سيعرف فوراً أن الهدف من وراء الأمر بعدم إلقاء النظرة دون وازع وراذع في الآية جاء لكي لا يقع الناس في الابتلاء في وقت من الأوقات، وألا يتعرض أي واحد من الفريقين- الرجل والمرأة- للعثار. أما في الإنجيل فقد أُعطي تعليم الحرية المطلقة دون قيود، وجُعِل مداره على نية الإنسان الخفية فقط، فالعيب والنقص في هذا التعليم لا يحتاج إلى أي توضيح.

(ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ١٦٤-١٦٥)

أي قل للمؤمنين رجالا ونساء أن يكفوا عن النظر إلى النساء والرجال الأجانب، وأن تكفّ النساء عن سماع الأصوات غير المشروعة للرجال الأجانب، وأن يحفظوا فروجهم لأن ذلك أركى لهم.

فكروا الآن أيها الآريون بشيء من العدل أن القرآن الكريم يمنع حتى من أن ينظر الرجل إلى امرأة أجنبية وأن تنظر المرأة إلى رجل أجنبي أو تسمع صوته بوجه غير شرعي، أما أنتم فتسمحون لزوجاتكم بكل سرور أن يضاجعن رجالا آخرين وتسمون هذه العملية باسم الـ "نيوك". فكفروا الآن كم هو بُعد شاسع بين هذين التعليمين. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٤٥-٤٤٦)

لما كان خطاب القرآن الكريم موجهاً إلى الملل والطوائف كافة، وكانت الضرورات كلها قد اكتملت بنزوله، ولذلك تناول بيان العقائد والأحكام العملية أيضاً بأسلوب منطقي. فقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي قُلْ للمؤمنين ألا يمدّوا عيونهم إلى أماكن سترهم، وأن يحافظوا على كل فروجهم الأخرى أيضاً. على المرء أن ينظر بنظرة فاترة لكيلا يقع في الفتنة بروية النساء غير المحارم. علماً أن الأذن أيضاً من الفروج حيث يسمع بها المرء القصص فيقع في الفتنة، ولذلك أمر الله المؤمنين بحفظ الفروج كلها من الأمور التافهة، وقال: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، أي أن هذا خير لكم وأدعى لطهارتكم بأعلى المستويات بحيث إذا عملتم به فلن تكونوا من أهل الفحشاء. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٨)

إن قول المسيح ﷺ ألا تنظروا إلى غير المحارم بنية الزنا ليس بتعليم كامل، إنما التعليم الكامل الذي ينقذ حتى من مقدّمات الذنب ودوافعه هو قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، أي لا تنظروا إليهن مطلقاً، إذ لا سيطرة لأحد على القلب. فيا له من تعليم كامل! (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد

ينبغي ألا يكون المؤمن بذيء اللسان، ولا أن يُطلق بصره هنا وهناك دونما رادع، بل عليه أن يغضّ البصر عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ويتحاشى مواقع سوء النظر. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣١، عدد ٢٤٤/٨/١٩٠١ م، ص ٣-٤)

يشدد هؤلاء الناس على السفور على شاكلة أهل أوروبا، ولكن هذا ليس مناسباً قط. إن تحرر النساء على هذا النحو أساس الفسق والفجور. فانظروا إلى الحالة الأخلاقية السائدة في البلاد التي أجازت هذا النوع من التحرر. فإذا كان مستوى عفتهم وطهارتهم قد ارتفع بسبب هذا التحرر والسفور فسنقبل أننا مخطئون، ولكن من الواضح تماماً أنه إذا كان الرجل والمرأة شابّين وكان هناك تحرر وسفور أيضاً فكم ستكون علاقتهما خطيرة. من صفات الإنسان أنه كثيراً ما يسيء النظر ويكون عادة مغلوباً من أهواء النفس. فما دام الناس لا يراعون مقتضيات الحجاب ويرتكبون الفسق والفجور فماذا يمكن ألا يحدث في حالة التحرر؟ انظروا إلى حالة الرجال كيف صاروا مثل حصان خليع الرسن إذ لم تعد هناك خشية الله ولا يقين بالآخرة بل اتخذوا الملذات الدنيوية معبوداً لهم. فمن الضروري أولاً وقبل كل شيء أن تصلحوا أخلاق الرجال قبل هذه الحرية والسفور. وإن صلّحت وأحرز الرجال على الأقل قدرة على كبح أهواء النفس فعندها يمكن أن تخوضوا في نقاش هل الحجاب ضروري أم لا. وإلا فإن التركيز على التحرر وعدم الحجاب في الظروف الراهنة بمنزلة طرح الشياه أمام الذئب. ما الذي حدث هؤلاء القوم الذين لا يفكرون في عاقبة الأمور، عليهم أن يستخدموا ضميرهم على الأقل ويفكروا هل حالة الرجال صالحة لأن تُترك النساء دون حجاب أمامهم؟

ما أجمل الموقف الذي تبناه القرآن الكريم (الذي يقدم توجيهات مناسبة نظراً إلى مقتضى فطرة الإنسان ونقط ضعفه) حيث يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (النور: ٣١) إن كلمة "الْفُروج"، هنا لا تُشير إلى الأعضاء التناسلية فقط بل تتضمن أيضاً جميع مداخل جسده بما فيها

الآذان؛ إذ من المحرّم الاستماع إلى أغاني النساء غير المحرمات. تذكّروا! لقد ثبت من آلاف التجارب أنّ الله حين يحرم شيئاً يضطر الإنسان إلى تركه عاجلاً أم آجلاً. (فكّروا في مسألة التعدد والطلاق مثلاً من هذا المنطلق.)

هرچہ داناکند کند نادان لیک بعد از خرابی بسیار

أي: كل ما يفعله العاقل يضطر الجاهل أيضا لفعله، ولكن بعد مكابدة أتعاب كثيرة.

أقول متأسفاً إن الآريين أيضاً يشددون على السفور ويريدون أن يخالفوا أوامر القرآن الكريم، مع أنّها منّة الإسلام العظيمة على الهندوس أنه علّمهم التحضر، وتعليمه يؤدي إلى سدّ باب المفسد. هناك مثل مشهور: خربسته به گرچه دزد آشناست أي: يجب على المرء أن يربط حمّاره وإن كان السارق صديقه.

والحال نفسه بالنسبة إلى العلاقات بين الرجل والمرأة أن من طبيعة الثوائر الفطرية ومقتضياتها أنّها كلما تهيج ولو قليلاً تنحرف عن جادة الاعتدال فوراً. لذا من الضروري جداً ألا يُترك عنان الحرية في العلاقات بين الرجال والنساء أبداً. افحصوا قلوبكم، هل صارت نقية مثل الراجا رام شندر وكرشنا وغيرهما؟ فما دتم لا تحظون بطهارة القلب فلماذا تطرحون الشياخ أمام الأسود بترويج السفور؟ لماذا تعارضون قصداً، نتيجة التعصب والتعنّت والعناد، مبادئ الإسلام الطاهرة التي تحافظ على عفتكم؟ إنه لمن مقتضى العقل والفطنة أن يأخذ المرء كلمة الخير حيثما وجدها لأنّ مثل كلمة الخير كمثّل الذهب والجواهر، فحيثما وجد هذه الأشياء فهي ذهب على أية حال. لذا يجب عليكم ألا تتركوا الحسنة لعناد الإسلام، هذا لن يضر الإسلام بل سيضرّكم أنتم. أما إذا كنتم مطمئنين بأنكم صرتم رهبانا كلّكم وحصلت لكم السيطرة التامة على الأهواء النفسانية ولا يصدر من قواكم عمل يخالف مرضاة الله وأوامره فلا نمنعكم من السفور، فلتروّجوه كما يحلو لكم. ولكني لا أراكم حائزين على تلك الدرجة إلى الآن. والذين يعزمون منكم على إصلاح القوم حاسبين

أنفسهم زعماءهم فمثلهم كمثل قبر أبيض ليس بداخله إلا العظام، لأنهم يكتفون بالكلام فقط ولا يعملون.

أما ما أمر به الإسلام باحتجاب الرجال والنساء من بعضهما فالهدف من ذلك أن تجتنب نفس الإنسان الزلل والعتار، لأنها في البداية تندفع إلى السيئات بشدة، وتسقط عليها بأدنى إشارة كما ينقض الجائع منذ أيام على طعام لذيذ. فمن واجب الإنسان أن يصلحها.

.... هذا هو سر الحجاب الإسلامي، وقد بينته خاصة للمسلمين الذين لا يعرفون

أحكام الإسلام وحقيقتها. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٩/٨٥٤/١٩٠٤م، ص ٦-٧)

الآية ٣٢: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

أي قل للنساء أيضا أن يحمين عيونهن من رؤية غير المحارم؛ وكذلك يحمين آذانهم منهم.. أي لا يسمعن أصواتهم المثيرة للشهوة؛ وأن يسترن أماكن الستر منهن، ولا يكشفن مواضع الزينة لهم؛ وأن تضع المرأة خمارها على رأسها بحيث يغطي الجيب مع الرأس.. أي يستر الجيب والرأس والأذن والصدغ؛ وأن لا يضربن أقدامهن بالأرض كالراقصات. هذا هو التدبير الذي إذا اتخذ الإنسان يمكن أن ينجو من العثار. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠،

إن غضَّ البصر في لغة العرب هو أن ينظر الإنسان بعين فاترة.. بحيث يصون نظره عما لا تحلّ رؤيته، ولا ينظر إلا إلى ما يجوز النظر إليه. وكل من يريد تزكية نفسه لا ينبغي له أن ينطلق ببصره كالحیوان حيث يشاء من دون قيد ولا ضابط، بل عليه أن يُعوّد نفسه غضَّ البصر في هذه الحياة المتمدنة، وبهذا السلوك المبارك تتحول عاداته الطبعية هذه إلى خلقٍ عظيم دون أن يتعارض ذلك مع ضرورات حياته الاجتماعية شيئاً. وهذا هو الخلق الذي يسمى الإحصان والعفة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٤)

في هذه الأيام يُهاجم الحجاب الإسلامي بشدة، ولكن هؤلاء الناس لا يعرفون أن الحجاب الإسلامي لا يعني السجن، بل هو نوع من الستر لكيلا يرى الرجال والنساء من غير المحارم بعضهم بعضاً، لأن وجود الحجاب بينهم يجنبهم العثار. يمكن للعادل أن يقول كيف لا تتعثر العواطف الإنسانية بين قوم يختلط رجالهم ونسأؤهم من غير المحارم بحرية ويتلاقون ويخرجون معاً للنزهة دون وازع وراذع؟ نسمع كثيراً بل نرى أيضاً أن هذه الأقوام لا ترى عيباً في مجالسة المرأة والرجل من غير المحارم في غرفة واحدة مغلق بابها، وكأن ذلك تحضّر عندهم. ودرءاً لهذه العواقب لم يسمح شارع الإسلام أصلاً بتصرفات تكون مدعاة للعثار لأحد، بل قال عن مثل هذه المناسبات: "لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ".^١ تأملوا في النتائج السيئة التي يقاسيها أهل أوروبا من جراء هذا التعليم الإنجليزي الخليع. يعيشون في بعض الأماكن حياة مخجلة تماماً على غرار المومسات، وليس ذلك إلا نتيجة هذا التعليم. إنكم إن أردتم ألا يخان في شيء فعليكم حفظه وحمايته، أما إذا لم تحفظوه وقتلتم إن الناس طيبون، فاعلموا أنه سيدرّ حتماً. ما أظهر تعاليم الإسلام حيث أنقذ الجنسین من العثار بالفصل بينهما، ولم يجعل

^١ الترمذي، أبواب الرضاة، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات. (المترجم)

حياة المرء مُرَّةً لا تطاق، الأمر الذي بسببه تشهد أوروبا كل يوم خصومات عائلية وانتحارات. إن عيش بعض النساء الشريفات بينهم عيشة المومسات هو نتيجة عملية لسماح رؤية الرجال النساء من غير المحارم. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٨)

القرآن يأمر الرجال والنساء أن يَغْضُوا من أبصارهم، لأنهم يظنون في مأمن إن لم ير بعضهم بعضا. ولا يقول القرآن مثل الإنجيل ألا تنظروا شهوة. من المؤسف حقا أن مؤلف الإنجيل لم يدرك ما هي نظرة الشهوة؟ الحق أن النظر هو الذي يثير الأفكار الشهوانية. وإن ما أسفر عنه هذا التعليم ليس خافيا على الذين يقرأون الجرائد، فهم يعرفون جيدا ما تصوره الجرائد من مشاهد مخجلة في متنزهات لندن وفنادق باريس. الحجاب الإسلامي لا يعني أن تُسجن المرأة كالأسير، إنما يريد به القرآن الكريم أن تتستر النساء ولا ينظرن إلى رجال من غير المحارم. والنساء اللواتي هن بحاجة للخروج من البيت لضرورة اجتماعية فلا مانع لهن من ذلك. فليخرجن إن شئن، ولكن لا بد لهن من حجاب العين.

وتوطيدا للمساواة لم يُفرّق الإسلام بين الرجال والنساء فيما يتعلق بفعل الخيرات، ولم يمنعهنّ من مشاهدة الرجال في أعمال البر. متى قال الإسلام إن عليكم أن تُصقّدوا النساء بالسلاسل؟ إنما يهدف الإسلام إلى قطع دابر الشهوات. انظروا ماذا يحدث في أوروبا. يقول الناس إن الزنا يمارس هنالك مثل سفاد الكلاب والكلبات. وقد كثر الخمر حتى امتدت محلات الخمر إلى ثلاثة أميال. أي تعليم أدى إلى ذلك؟ أهذه نتيجة مراعاة الحجاب أم هتك الحجاب؟ (الحكم، مجلده، رقم ١٥، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠١م، ص ٣)

لقد حدث تفريط وإفراط كثير في الحجاب، فقد قام أهل أوروبا بالتفريط، وتقليدا لهم يريد الآن بعض أتباع مذهب الطبيعة بالتفريط أيضا، مع أن عدم الحجاب قد أجرى في أوروبا أنهار الفسق والفجور، وفي المقابل يقوم بعض المسلمين بالإفراط،

حيث لا يسمحون للنساء بالخروج من البيت مطلقاً، مع أن الحاجة إلى السفر بالقطار تطرأ. باختصار؛ إني أرى كلا النوعين من الناس على خطأ فبعضهم يميلون إلى التفريط وبعضهم الآخرون إلى الإفراط. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

الحجاب الشرعي هو أن تغطي المرأة شعر رأسها وجانبا من جبينها وذقنها وكل مقام الزينة أيضاً. أي تلف الرداء حول الوجه بحيث تبقى العينان والأنف مكشوفات. وهذا النوع من الحجاب يمكن أن تقوم به السيدات في إنجلترا أيضاً ولا حرج في ذلك، لأن العينين تبقيان مكشوفتين. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٤، رقم ١، كانون الثاني ١٩٠٥م، ص ١٧)

الآية ٣٣: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

لو مات زوج امرأة وإن كانت شابة ترى الزواج الثاني كبيرة من الكبائر وترغم ببقائها أرملة بغير زواج بأنها عملت عمل ثوابٍ عظيم وصارت سيدة طاهرة. مع أن بقاءها أرملة ذنب كبير عليها. إن زواج الأرملة عمل ثوابٍ عظيم. المرأة التي تتزوج في حال ترقلها خشية الأفكار السيئة ولا تخاف لوم النساء الشقيات وطعنهن هي سعيدة جداً ومن أولياء الله. النساء اللواتي يمتنعن من العمل بأمر الله ورسوله ملعونات وتلميذات الشيطان، وبواسطتهن ينجس الشيطان أعماله. المرأة التي تحب الله ورسوله يجب أن تبحث بعد ترقلها عن زوج صالح وسعيد. ولتتذكر أن العكوف على خدمة الزوج أفضل مئات المرات من المجاهدات في الترميل. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٤، عدد: ١٠٠/٧/٢١٩٠٢م، ص ٧)

إن حكم زواج الأرملة كحكم زواج العذراء تماماً. ما دامت بعض الأقوام ترى زواج الأرملة مخالفاً لشرفها وقد انتشرت هذه العادة السيئة على نطاق واسع لذا

أمر بتزويج الأرملة، ولكن هذا لا يعني أن تُزوّج كل أرملة في كل الأحوال بل يجب تزويج مَنْ كانت قابلة للزواج وكان الزواج ضروريا لها. بعض السيدات يترملن في سن متقدمة جدا، وهناك أخريات لا تسمح ظروفهن بالزواج، فقد تكون مصابة بمرض فلا تصلح للزواج أصلا، أو قد لا ترغب في الزواج الثاني بسبب كثرة الأولاد والعلاقات. ففي مثل هذه الظروف لا داعي لإكراهها على الزواج دون مبرر. غير أنه لا بد من القضاء على العادة السيئة التي تكره الأرملة على عدم الزواج طول العمر. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤١، عدد ١٠/١٠/١٩٠٧م، ص ١١)

الآية ٣٤: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الذين لا يطبقون الزواج - الذي هو وسيلة حقيقية للعفاف - فعليهم أن يبحثوا عن وسائل أخرى للعفاف، فقد قال النبي ﷺ في حديث البخاري ومسلم بأن الذين لا يستطيعون الزواج فعليهم أن يصوموا طلبا للعفة. وكلمات الحديث كالتالي: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (صحيح مسلم والبخاري). أي أيها الشباب، من كان منكم قادرا على عقد القران فليتزوج لأن الزواج أغض للبصر ويحمي أعضاء الحياء من الزنا وغيره وإلا فليصم فهو يجعل المرء مخلصا.

فمن هذه الآيات والحديث وآيات أخرى كثيرة يثبت أن هدف الزواج ليس إشباع الشهوات بل صيانة النفس من الأفكار السيئة وسوء النظر والفواحش،

كما أن الحفاظ على الصحة أيضا. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢-٢٣)

على الذين لا يجدون فرصةً للزواج أن يحافظوا على عفتهم بطرقٍ أخرى، كالصيام أو التقليل من الطعام أو استهلاك القوى في أعمال بدنية شاقة. وقال ﷺ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي أن هناك أناسا ابتدعوا بأنفسهم طرقا لذلك: كأن كفّوا عمداً عن الزواج إلى الأبد، أو عطلوا قواهم الجنسية بطرقٍ مصطنعة ليكونوا كالمصابين بالعمّة، أو تهربوا بأي طريقٍ آخر؛ ولكننا لم نفرض ذلك عليهم، ومن ثم فشلوا في العمل بهذه البدعات تماما.

وقوله تعالى إننا ما كتبنا على الناس أن يترهبوا.. يشير إلى أننا لو كنا فرضناه عليهم لاستطاع الجميع العمل به؛ وبالتالي لأدى ذلك إلى القضاء على أهل الدنيا من زمن بعيد بانقطاع النسل الإنساني.

ثم إن الاستعفاف يبتّر عضو التناسل ليس إلا اعتراضاً على الصانع الحكيم الذي خلق ذلك العضو. ثم إن الثواب كله يتوقف على وجود قوة الشهوة أولاً، وعلى مقاومة الإنسان المستمرة لنزعاتها الفاسدة خشيةً من الله، وعلى استفادته من تلك القوة.. لينال نوعين من الثواب. وما دام الأمر كذلك، فمن البديهي أن بتر العضو يحرم الإنسان من الثوابين، لأن الثواب إنما يتحقق بوجود الشهوة الثائرة وقمعها. فأين الثواب إذا انعدمت تلك الشهوة وأصبح الإنسان كالطفل؟ وهل يُثاب الطفل على عفافه؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٢-٣٤٣)

الآية ٣٦: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ

شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾

أي أن النور الذي يُرى في كل مرتفع ومنخفض، سواء أكان في الأرواح أو في الأجساد، وسواء أكان ذاتيا أم عرضيا، وسواء أكان ظاهريا أم باطنيا، ذهنيا أم خارجيا؛ كله من عطاء فضله ﷻ. وفي ذلك إشارة إلى أن فيض الله رب العالمين العامّ يحيط بكل شيء، ولا يخلو من فيضه شيء. فهو المصدر لكل فيض، وعلة العلل لكل نور، ومنبع كل رحمة. إن ذاته الحق قيومُ العالم كله وملاذ كل كبير وصغير. هو الذي أخرج كل شيء من ظلمة العدم وخلع عليه خلعة الوجود، ليس من دونه وجود أزلي وواجب الوجود في حد ذاته، أو ليس مستفيضا منه ﷻ، بل الأرض والسموات والإنس والدواب والحجر والشجر والأرواح والأجساد كلها موجودة وقائمة ببركة وجوده. هذا هو الفيض العام الذي ورد ذكره في الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فهذا هو الفيض الذي أحاط بكل شيء إحاطة الدائرة، ولا يوجد لإفاضته شرط الكفاءة. ولكن مقابل ذلك هناك فيض خاص، وهو مشروط بشروط، ويصيب أناسا خاصين يملكون كفاءة وقدرة على قبوله، أي ذوو النفوس الكاملة، ألا وهم الأنبياء عليهم السلام، الذين أفضلهم وأعلاهم وأجمعهم للبركات كلها هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ولا يصل هذا الفيض غيرهم قط. ولما كان هذا الفيض حقيقة دقيقة ومسألة دقيقة من دقائق الحكمة، فقد بين الله تعالى أولا الفيض العام البديهيّ الظهور، ثم بين الفيض الخاص بُغية بيان كيفية نور سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ بضرب مثلٍ يبدأ من الآية: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ وبين ذلك كمثال كيلا يبقى إبهام أو صعوبة في فهم هذه النقطة الدقيقة، لأنه لو بُيِّنَت المعاني المعقولة بصورة محسوسة لفهمها كل غبيّ وبلید أيضا وبكل سهولة.

إن مثل هذا النور، في الفرد الكامل، أي النبي ﷺ، كمثل مشكاة - أي الصدر المنشرح لرسول الله ﷺ - فيها مصباح.. أي وحي الله تعالى. والمصباح في زجاجة نقية للغاية.. أي القلب الطيب والنقي والمقدس للنبي ﷺ الذي هو كزجاجة نقية وشفافة بطبيعته، ومنزّه ومطهّر من كل كثافة وتكدّر، وبريء تماما من كل علاقة بغير الله. والزجاجة نقية وكأنها نجم ذو نور عظيم من النجوم التي تظهر متألّفة في كبد السماء بكل عظمة وشوكة، وتسمّى الكواكب الدُرِّيَّة. أي أن قلب سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ نقي وطيب ومنور ولا مع للغاية مثل الكوكب الدُرِّيّ، فيلاحظ نوره الباطني جاريا في قلبه الخارجي جريان الماء. والمصباح يوقد بزيت شجرة مباركة؛ أي بزيت الزيتون. إنّ المراد من الشجرة المباركة، الزيتون، هو وجود محمد ﷺ المبارك الذي يجمع في شخصه - بسبب جامعته وكمالها - كافة أنواع البركات، وفيضه ليس خاصا بجهة معينة أو بمكان معين أو زمان معين، بل هو للناس جميعا وعلى الدوام، وجارٍ دائما ولن ينقطع أبدا. والشجرة المباركة ليست شرقية ولا غربية. أي لا إفراط في فطرة محمد الطيبة ولا تفريط، بل فيها الوسطية والاعتدال على وجه كامل، وقد خلقت في أحسن تقويم. أما قوله تعالى بأن مصباح الوحي يوقد من زيت هذه الشجرة المباركة فالمراد من الزيت هو العقل اللطيف النوراني لمحمد ﷺ مع جميع الأخلاق الفاضلة المودعة في فطرته ورُيِّت بينوع نقي للعقل الكامل. ومعنى إضاءة مصباح الوحي باللطائف المحمدية هو أن فيض الوحي نزل على تلك اللطائف المتميزة فكانت سببا لظهور الوحي. وفي ذلك إشارة أيضا إلى أن فيض الوحي قد نزل بحسب تلك اللطائف المحمدية، وظهر بحسب جميع أنواع الاعتدال الموجودة في فطرته ﷺ.

وبيان ذلك أن كل وحي إنما ينزل مطابقا لفطرة النبي المنزل عليه؛ فكما كان في طبيعة موسى عليه السلام الجلال والغضب، فنزلت شريعة التوراة جلالية مطابقة لفطرته. وكانت طبيعة المسيح عليه السلام تتسم بالحلم والرفق، فجاء تعليم الإنجيل مشتملا على الحلم والرفق. أما طبيعة النبي ﷺ فكانت مستقيمة ومعتدلة للغاية، فما كان يجب

الحِلْم في كل مكان، وما كان يرغب في الغضب بكل مناسبة، بل كان طبعه المبارك يراعي الحكمة بحسب مقتضى الحال دائما. لذا فقد نزل القرآن الكريم متوازنا ومعتدلا تماما، فقد جمع في طياته الشدة والرحمة والهيبه والشفقة والرفق والغضب. وقد بيّن الله تعالى في هذا المقام أن مصباح وحي القرآن قد أُضيء بالشجرة المباركة التي ليست شرقية ولا غربية، أي نزل القرآن الكريم منسجما تماما مع طبيعة محمد ﷺ المعتدلة تماما التي ليست فيها قسوة كطبيعة موسى ﷺ، ولا رفق كطبيعة عيسى ﷺ، بل إنه ﷺ مجموعة دقيقة ولطيفة جدا للشدة والرفق، والغضب واللطف. وهو مظهر الاعتدال الكامل والجامع بين الجلال والجمال. فكانت أخلاق النبي ﷺ الفاضلة والمعتدلة بصحبة العقل اللطيف، بمنزلة الزيت لظهور نور الوحي، وقد قال الله تعالى عنها مخاطبا النبي ﷺ في آية أخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٥).. أي يا أيها النبي؛ إنك مجبول ومفطور على خُلُق عظيم، أي أن شخصك متمم ومكمل لمكارم الأخلاق كلها، ولا يُتصوّر فوق ذلك. لأن كلمة "عظيم" تُستخدم في اللغة العربية لبيان صفة شيء حاز في نوعه كماله التام. فمثلا لو قلنا: إن هذه الشجرة عظيمة. لكان المراد من ذلك أن الطول والعرض الذي يمكن تصوّره في الشجرة متحقق فيها. وقال البعض إن "العظيم" يُطلق على شيء تبلغ عظمته درجة تخرج عن حدود الإدراك. ولا يُراد من الخُلُق -في القرآن الكريم، وكذلك في الكتب الحِكْمية الأخرى- التصرفات المستقيمة أو حسن التعامل أو الرفق أو اللطف أو الدماثة فحسب كما يظن عامة الناس، بل "الخُلُق" و"الخُلُق" كلمتان منفصلتان جاءتا بجذاء بعضهما. والمراد من "الخُلُق" هو الصورة الظاهرية التي وهبها الله واهبُ الصور للإنسان، وبها يتميز عن الحيوانات من حيث الصورة الظاهرية، والمراد من "الخُلُق" هو الصورة الباطنية، أي الصفات الباطنية التي بسببها تتميز حقيقة الإنسان عن حقيقة الدواب تميّزا تاما. فكل ما يوجد في الإنسان من صفات باطنية إنسانية ويمكن استخلاصها من شجرة الإنسانية وتُميّز الإنسان عن الدواب من حيث

الباطن، تسمى "الخُلُق". ولما كانت الفطرة الإنسانية مبنية في حقيقتها على الاعتدال والوسطية ونزاهة من كل أنواع الإفراط والتفريط الموجود في القوى الحيوانية - التي أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٥)؛ فكلما أطلقت كلمة "الخُلُق" دون الإشارة إلى ما هو مذموم، أُريدَ منها الأخلاق الفاضلة دائماً. والأخلاق الفاضلة التي هي حقيقة الإنسانية كلها، هي صفات باطنية توجد في الإنسان، مثل: العقلانية، وسرعة الفهم، صفاء الذهن، وحسن الحفظ، وحدة الذاكرة، والعفة، والحياء، والصبر، والقناعة، والزهد، والورع، والشجاعة، والثبات، والعدل، والأمانة، وصدق المقال، والسخاء في محله، والإيثار في محله، والكرم في محله، والمروءة في محله، والشجاعة في محله، وعلو الهمة في محله، والحلم في محله، والتحمل في محله، والحمية في محله، والتواضع في محله، والأدب في محله، والشفقة في محله، والرأفة في محله، والرحمة في محله، وخشية الله، وحب الله، والأنس بالله، والانقطاع إلى الله ﷻ وغيرها.

والزيت نقيّ ولطيف لدرجة يكاد يشتعل ولو لم تمسه نارٌ. أي أن عقل هذا النبي البريء وجميع أخلاقه الفاضلة معتدلة ودقيقة ونورانية إذ كانت جاهزة لتضيء تلقائياً حتى قبل نزول الوحي. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾.. أي لما كانت عدة أنوار مجتمعة في شخص سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ المبارك، لذلك فقد أُنزل عليها نور سماوي آخر وهو الوحي الإلهي، وبنزول ذلك النور صار الوجود الكريم لخاتم الأنبياء ﷺ مجموعة أنوار. وفي ذلك إشارة أيضاً إلى أن فلسفة نزول الوحي هي أنه لا ينزل إلا على نور، ولا ينزل على الظلمة؛ لأن الانسجام شرط للإفاضة، ولا انسجام بين الظلمة والنور، بل النور ينسجم مع النور فقط. والحكيم القدير لا يفعل شيئاً دون مراعاة الانسجام. وهذا القانون الإلهي نفسه يعمل في إفاضة النور أيضاً؛ بمعنى أن الذي يملك شيئاً من النور سابقاً هو الذي يُعطى نوراً آخر، والذي لا يملك شيئاً لا يُعطى شيئاً. فالذي في عينه نور يجد من الشمس نوراً، أما الذي ليس في عينه نور، فيحرم

من نور الشمس أيضا. فمن أُعطي قدرا نورا من نور الفطرة، يُعطى نورا آخر أيضا بقدر ضئيل، والعكس صحيح. أما الأنبياء فهم أولئك الأفراد العظام - من جملة سلسلة الفطرة الإنسانية المتفاوتة - الذين يُعطون النور الباطني بكثرة وكمال، فكأنهم صاروا نورا متجسدا. فمن هذا المنطلق سُمي النبي ﷺ في القرآن الكريم نورا وسراجا منيرا، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٦)، وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧). وبناء على هذه الحكمة فإن نور الوحي - الذي يُشترط له أن يكون نور الفطرة؛ كاملٌ وعظيمٌ - قد أُعطيه الأنبياء وحدهم، وجُعِل هذا النور خاصا بهم دون غيرهم. ومن خلال هذه الحجة المقنعة في المثل المذكور أكد الله ﷻ على بطلان قول الذين - مع اعتقادهم بتفاوت مراتب الفطرة - يزعمون حمقا وجهلا أن النور الذي يناله أصحاب الفطرة الكاملة يمكن أن يناله نفسه أصحاب الفطرة الناقصة أيضا. عليهم أن يفكروا بأمانة وإنصاف؛ ما أكبر هذا الخطأ الذي يرتكبونه فيما يتعلق بفيض الوحي! فإنهم يرون بوضوح تام أن قانون الله تعالى في الطبيعة لا يصدق فكرتهم الباطلة، ومع ذلك يتشبثون بها مع فسادها لشدة تعصبهم وعنادهم. كذلك النصارى أيضا لا يرون أن نور الفطرة شرط لإفاضة النور، ويقولون بأن القلب الذي ينزل عليه نور الوحي فليس من الضروري أن يتحلى بالنورانية باطنيا، بل إذا كان أحد غبيا وسفوها جدا بدلا من تحليه بعقل سليم، أو كان جبانا رعيديا بدلا من كونه شجاعا باسلا، وكان بخيلا من الدرجة القصوى بدلا من ثبوته على خُلق السخاء، وكان ديوثا للغاية بدلا من كونه غيورًا، وكان عاكفا على الدنيا بكل وسعه بدلا من التوجه إلى حب الله تعالى، وكان سارقا كبيرا ومن الثَّهَاب بدلا من كونه ناسكا وورعا وأمينًا، وكان وقحا وشهوانيا إلى أقصى الحدود بدلا من كونه عفيفا وحييًا، وحريصا طمعا بدلا من كونه قنوعا؛ فإن هذا الشخص أيضا يمكن أن يصبح نبيا ومقربا إلى الله تعالى كما يزعم النصارى مع حالته الفاسدة المذكورة آنفا. بل لو تركنا المسيح ﷺ جانبا،

فإن جميع الأنبياء الذين يؤمنون بنبوتهم ويعتقدون بكون كتبهم الموحى بها مقدسة، كانوا جميعاً -على حد قولهم، والعياذ بالله- من هذا القبيل، وكانوا محرومين من الكمالات القدسية التي تستلزم العصمة وطهارة القلب. فواها لعقل النصارى ومعرفتهم بالله تعالى ألف مرة، ما أجمل بياهم لفلسفة نزول نور الوحي!! غير أن أتباع هذه الفلسفة والمعجبين بها، هم أنفسهم واقعون في ظلام حالك وعمى باطني. وإلا فوجود النور لاستفاضة النور، حقيقة بديهية لا ينكرها حتى ضعيف العقل، ولكن ماذا نفعل بالذين لا علاقة لهم بالعقل أصلاً، ويغضون النور ويحبون الظلام؟ وتفتح عيونهم جيداً في الليل مثل الخفافيش، ولكنهم يعمون أثناء النهار المشرق.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ (أي إلى القرآن الكريم).. أي أن الهداية أمر من الله تعالى لا ينالها إلا الذي يؤفّق لها برحمته الأزلية. ويبيّن الله تعالى المسائل الدقيقة بواسطة الأمثال ليقرب الحقائق العميقة إلى الأفهام. ولكنه ﷺ يعلم بعلمه الأزلي من سيستفيد من تلك الأمثلة ويقبل الحق، ومن سيبقى محروماً ومخذولاً.

ففي هذا المثل الذي فسرناه آنفاً قد شبه الله تعالى قلب الرسول ﷺ بالمرآة النقية التي لا تكدر فيها من أي نوع. فهذا نور القلب. ثم شبه فهم النبي ﷺ وإدراكه وعقله السليم وجميع أخلاقه الفاضلة الفطرية والجليلة بزيت لطيف ومضيء شديد السطوع، وبه يوقد المصباح. فهذا نور العقل؛ لأن العقل هو المنبع والمنشأ لجميع اللطائف الباطنية. ثم ذكر ﷺ نزول نور سماوي آخر، وهو الوحي، وقد نزل على جميع تلك الأنوار؛ فهذا نور الوحي. وإن هذه الأنوار الثلاثة مجتمعة كانت سبباً لهداية الناس. فهذا هو المبدأ الحق عن الوحي من القدوس الأزلي منذ القدم وهو يليق بذاته المقدسة.

فتبين من هذا البحث كله بأنه ما لم يوجد في الإنسان نور القلب والعقل بالدرجة الكاملة، فلا ينال نور الوحي قط. ولقد ثبت من قبل أن كمال العقل وكمال نورانية القلب يحصل لبعض الناس فقط وليس للجميع. فقد تحقق باجتماع هذين الدليلين

أن الوحي والرسالة يناهما بعض الناس الكَمَل فقط وليس كل إنسان. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٩١-١٩٨، الحاشية) أي بسببه ﷺ يوجد في الطبقة السفلى والعليا نور الحياة والبقاء. (المقالات

القديمة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٩)

.... إن نور قدرته يشرق في الأرض والسماء وفي كل ذرة. (شحنة الحق، الخزائن

الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٩٨)

لا يخفى على متدبري غزنته أن باوا المحترم قد رفض بصراحة مبادئ الفيدا التي لم يجدها توافق الحق، فالأرواح والذرات مثلاً غير مخلوقة وكائنة من تلقاء نفسها بحسب الفيدا لكن باوا المحترم كان يرى جميع الذرات والأرواح مخلوقة، كما يقول:

اول الله نور أيا قدرت كے سب بندے

اک نور سے سب جگ الجھا کون بھلے کون مندے

أي: إن الله خلق نورا ثم خلق العالم كله من ذلك النور، فجميع الأرواح نورانية بحسب الخلق. أي يتميّز الطالح من الصالح بالأعمال، وإلا فمن حيث الخلق لم يُخلَق أحد ظلاماً محضاً، ففي كل واحد شيء من النور.

فقد اقتبس باوا المحترم الآية القرآنية الكريمة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولذلك أبقى في شعره كلمتي "الله" و"نور" ليدل على اقتباسه، كما يشير هذا البيت (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ١٢٦-١٢٧)

أي أن الله سبحانه هو نور السماء ونور الأرض في كل آن، وبنوره يُشرق كل مكان. إنه سبحانه الشمس للشمس، وهو الحياة لكل ذي حياة في الأرض، وهو الإله الحق الحي. فَبُورِكَ مَنْ به آمن! (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٤)

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكل نور مُظهر لنوره وحده. (أيام الصلح، الخزائن

الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤٧)

"فلما ثبت أن ربنا هو نورٌ كل شيء من الأشياء، ومنيرٌ ما في الأرض والسماء، ثبت أنه المفيض من جميع الأنحاء وخالق الرقيع والغبراء، وهو أحسن الخالقين، وأنه أعطى العينين وخلق اللسان والشفتين، وهدى الرضيع إلى النجدين، وما غادر من كمالٍ مطلوبٍ، إلا أعطاها بأحسن أسلوب." (منن الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٩٨-١٩٩)

أي أن الله هو النور الحقيقي، وكل نور في الأرض والسماء ينتج عنه. لذا فإن إطلاق "الأب" على الله على سبيل الاستعارة واعتباره مصدر كل نور يشير إلى أن لروح الإنسان علاقة متينة بالله. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٨٦-٣٨٧)

إن لمعان وجهه موجود في السماء والأرض وبدونه الظلام التام. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٧)

.... أن نوره يسطع في كل شيء سواء أكان في السماء أم في الأرض. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٢٠)

الآية ٣٨: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

.... أي المؤمنون حائزون على كمال تام في حب الله تعالى. المشاغل الدنيوية - مهما كانت كثيرة - لا تحول دون حالهم. (البراهين الأحمديّة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

كفى بالصحابة مدحاً آيةٌ وحيدة هي: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، فقد أحدثوا في نفوسهم تغييراتٍ هائلة، وإن الإنجليز أيضاً يُقرّون بأن الحصول على نظير الصحابة متعذر، فصدور هذه الشجاعة والبسالة العظيمة من البدو لمدعاة للعجب. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٦)

اعلموا أن عباد الله الكمل هم الذين قال عنهم: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. عندما يُنشئ القلب علاقة صادقة وحبا صادقا مع الله تعالى لا ينفصل عنه قط. يمكن فهم هذه الكيفية من أنه إذا كان ولد أحد مريضا فحيثما ذهب ومهما كان مشغولا في عمل يبقى باله وانتباهه مشغولا بولده، كذلك الذين يخلقون علاقة صادقة وحبا صادقا مع الله تعالى لا ينسونه بأي حال. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢١، عدد ٢٤٤/٦/١٩٠٤م، ص ١)

الدين والدنيا لا يجتمعان في مكان واحد، أما إذا شاء الله جعل طبيعة أحد سعيدة ليقدم دينه على مشاغله الدنيوية، فيوجد أناس مثلهم أيضا في الدنيا. لقد ورد في "تذكرة الأولياء" ذكر شخص أنه كان مشغولا في صفقة ألف روبية، فرآه أحد أولياء الله في الكشف وعلم أن قلبه لم يتغافل عن الله ولا لحظة على الرغم من شغله في تجارة ذلك المال. عن هؤلاء الناس يقول الله عز وجل: ﴿لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. إن كمال الإنسان هو أن يشتغل في الأمور الدنيوية ولا ينسى الله تعالى. ما فائدة بغلة تسقط عندما يُحمل عليها وعندما تكون فارغة تسرع في المشي، فهي لا تستحق المديح والثناء. الراهب الذي ينزوي إلى زاوية الخمول خائفا الأمور الدنيوية إنما يبدي ضعفه. لا رهبانية في الإسلام. لا أقول مطلقا أن تركوا نساءكم وأولادكم أو اتركوا المشاغل الدنيوية بل يجب على الموظف أن يؤدي ما تفرض عليه وظيفته، وعلى التاجر أن يكمل على ما يرام ما تقتضيه تجارته، ولكن فليقدم الدين.

إن نظير ذلك موجود في الدنيا نفسها حيث أن التجار والموظفين يؤدون مقتضيات تجارتهم ووظيفتهم بكل براعة ولهم زوجات وأولاد ويؤدون حقوقهم أيضا على أحسن وجه. كذلك يستطيع الإنسان أن يؤدي حقوق الله تعالى إلى جانب كل هذه المشاغل ويستطيع أن يقضي حياته على أحسن وجه مقدّما الدين على الدنيا. (بدر، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ١٤٤/٣/١٩٠٧م، ص ٦)

... لنا عباد لا ينسوننا لحظة، حتى في أعمال التجارة الهائلة أيضًا. فصاحب العلاقة

بالله تعالى لا يسمّى مادّيًّا. (بدر، مجلد ٧، رقم ١، عدد ١٩٠٨/١/٩، ص ١٠)

لا نقول إن على المزارع والتاجر والموظف أن يترك الزراعة والتجارة والوظيفة، ويترك المهني حرفته، ويقعد مكبل اليدين مقيد الرجلين، كلا بل نقول ينبغي أن يعمل الإنسان بحسب ما ورد في قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ حيث تنشغل اليد في العمل، والقلب في ذكر الحبيب. فعلى التاجر في تجارته، والمزارع في زراعته، والملِك على عرش حكمه، وكل عامل في عمله؛ أن يضع في الحسبان الله ﷻ وعظمته وجبروته، وليفعل ما يشاء مراعيًا أوامره ونواهيه. اتق الله واعمل ما شئت.

متى علّم الإسلام أن تقعدوا كالمعاقين تاركين الأعمال والتجارة، وأن تكونوا وزرا على الآخرين بدلا من أن تخدموهم، كلا بل التكاسل إثم. فمتى يرجى من مثل هذا الرجل أن يخدم دين الله، فمن أين سيطعم العيال والأطفال الذين عُهدت إليه كفالتهم؟

تذكروا أن الله لا يريد مطلقا أن تتركوا الدنيا نهائيا، وإنما يريد ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠). فانشغلوا في التجارة والزراعة والوظيفة والمهنة كما تشاءون، لكن اغفوا النفس عن معصية الله دوماً، وأحرزوا التزكية بحيث لا تُغفلنكم هذه الأعمال عن الله، عندها ستصبح دنياكم بحكم الدين. لم يُخلق الإنسان من أجل الدنيا، إذا كان قلب الإنسان طاهرا، وكانت فيه لوعة وحرقة كل حين وآن، وحينئذ إلى أن يرضي الله بأي طريقة ممكنة؛ فالدنيا أيضًا حلال له. إنما الأعمال بالنيات. (الحكم مجلد ١٢ رقم ٤٩-٥٠، عدد ٢٦-٣٠/٨/١٩٠٨، ص ٣-٤)

الآية ٤٦: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ

مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾

... في ذلك أيضا إشارة إلى أن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء المختلفة لكي تتجلى قدراته المختلفة.

باختصار، إن حكمة الله في التفاوت بين الطبائع في طبيعة المخلوقات تنحصر في هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها ﷺ في الآيات الثلاثة المذكورة آنفا. فتدبر. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٠٧ الحاشية)

الآية ٥٥: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ من المسلم به والبديهي، أن التخلف عن أوامر الله معصية وسبب لدخول جهنم. فكما يأمر الله تعالى في هذه الآية بطاعته كذلك تماما يأمر بطاعة الرسول ﷺ. فمن أعرض عن أمره فقد ارتكب جريمة عقوبتها جهنم. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٨)

الآية ٥٦: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

أي بعد أن يسود الخوف بسبب وفاة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ أن الدين قد ينقرض الآن، ففي هذه الحالة من الخوف والخطر سيقم الله تعالى الخلافة الحققة ويخرج المسلمين من خوف افتراق شمل الدين ويدخلهم في حالة الأمن. فهذه بشارة ظاهرية. كذلك في الآية معنى باطني أيضا - كما جرت سنة الله

في الآيات القرآنية - وهو أن فيها إشارة كامنة إلى خلافة روحانية أيضا. والمراد من ذلك أنه عندما يتلاشى حب الله تعالى من القلوب عند كل خوف وتنتشر المذاهب الفاسدة في كل حذب وصوب ويعكف الناس على الدنيا، ويكون هناك خطرُ انقراض الدين، ففي مثل هذه الظروف سيبعث الله تعالى الخلفاء الروحانيين دائما لكي تظهر على أيديهم نصره الدين الروحانية وانتصاره، ولكي ينال الحق شرفا وكرامة ويصيب الباطل ذلة وهوان، وليعود الدين نحو نضارته المعهودة، ويأمن المؤمنون من خطر انتشار الضلال وفقدان الدين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٩ - ٢٦٠، الحاشية رقم ١١)

لقد سبق وعدُّ الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنه سيجعلهم خلفاء في الأرض كما جعل الذين كانوا قبلهم؛ أي سيجعلهم خلفاء بالطريقة والأسلوب نفسه وبقدر المدة والزمن نفسه وبالصورة الجلالية والجمالية نفسها التي جرت عليها سنة الله في بني إسرائيل. فسيجعل الله تعالى الخلفاء في هذه الأمة أيضا، ولن تكون سلسلتهم أقصر من سلسلة خلفاء بني إسرائيل. كذلك لن يكون أسلوب خلافتهم مختلفًا عن الأسلوب الذي قُدِّر لخلفاء بني إسرائيل. ثم يقول ﷺ بأنه سيمكِّن الدين في الأرض بواسطة هؤلاء الخلفاء، وسيأتي الله بأيام الأمن بعد الخوف، ثم يفشو الكفر بعد هذه الفترة مرة أخرى. إن المماثلة التامة التي تُفهم من الإشارة الكامنة في: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، تدل بوضوح على أن هذه المماثلة إنما هي من حيث مدة فترة الخلافة، وأسلوب الإصلاح لدى الخلفاء وأسلوب ظهورهم. فما دام من الواضح تماما أن منصب خليفة الله في بني إسرائيل قد بدأ من موسى عليه السلام، ثم ظل الأنبياء يأتون فيهم على التوالي حتى انتهت هذه السلسلة بعد مدة طويلة - ١٤٠٠ عام - على عيسى بن مريم عليه السلام، فكان عيسى بن مريم عليه السلام خليفة، ولكنه لم يستلم عنان الحكومة ظاهريا، ولم تكن له أيَّة علاقة بسياسة البلاد والملكوت

الدينيوي، ولم يستخدم الأسلحة الدينيوية، بل كان يستخدم سلاح أنفاسه الطيبة؛ أي بالبيان المرضي الذي أُجري على لسانه والذي رافقته بركات كثيرة، وبواسطته كان يُحيي القلوب الميتة، ويفتح آذان الصم، ويُري الأكمّة نور الحق، كان نَفْسُهُ هذا يقضي على الكافرين الأذليين ويُتم عليهم الحجة، ولكنه كان يهب المؤمنين الحياة. وقد خُلِق من دون أب، ولم يملك أسبابا مادية، وكان الله تعالى متولّيه في كل شيء. وقد جاء حين لم يهجر اليهود الدين فقط، بل كانوا متخلّين عن الصفات الإنسانية أيضا حيث تلاشت منهم الرحمة، وتعاضمت فيهم الأنانية والضعينة والبُغض والظلم والحسد وثورة النفس الأمارّة بغير حق، ولم يتخلّوا عن حقوق البشر فقط، بل قطعوا - لغلبة الشقاوة عليهم - علاقة العبودية والطاعة والإخلاص الصادق مع المحسن الحقيقي ﷺ أيضا، ولم تبق عندهم إلا بعض عبارات من التوراة كعِظام لا نخاع فيها، وبسبب غضب الله عليهم ما كانوا قادرين على أن يصلوا إلى حقيقتها، لأن الفراسة الإيمانية والفتنة كانت قد تلاشت منهم نهائيا، وغلب الجهل على نفوسهم المظلمة. فبدأت المكائد الوضيعة والأعمال المكروهة تصدر منهم. وبلغ بهم الكذب والرياء والخيانة منتهاه. ففي هذا الوقت قد أرسل إليهم المسيح ابن مريم؛ الذي كان المسيح الأخير من بين مُسحّاء بني إسرائيل، وخليفة الله الأخير من خلفائهم، والذي جاء بغير السيف والسنان على خلاف سنّة معظم الأنبياء. وليكن معلوما أن خليفة الله يُسمّى مسيحا في الشريعة الموسوية، وقد نال هذا اللقب رواجاً في بني إسرائيل في زمن داود ﷺ أو قبله بقليل.

على أية حال، ومع أنه قد جاء في بني إسرائيل أكثر من مسيح، لكن الذي كان مقدرا أن يأتي في الأخير؛ هو الذي ذُكر في القرآن الكريم باسم المسيح عيسى بن مريم. ولقد كانت في بني إسرائيل أكثر من مريم، وكان لهن أبناء أكثر أيضا. أما المسيح عيسى بن مريم - أي الذي حمل اسمًا مركّبًا من ثلاثة أسماء - فلم يكن في بني إسرائيل في ذلك الوقت إلا هو وحده. فقد جاء المسيح عيسى

بن مريم حين كانت حالة اليهود قد فسدت كما ذكرت سابقاً. ولقد بينت قبل قليل - بالإشارة إلى الآيات المذكورة آنفاً - بأن الله قد وعد هذه الأمة أنه سيكون فيهم الخلفاء على النهج نفسه الذي كانوا عليه في بني إسرائيل. وحين نتأمل في ذلك النهج لا نجد بداً من الإقرار أنه من المحتوم أن يأتي الخليفة الأخير في هذه الأمة أيضاً مثيلاً كاملاً للمسيح ابن مريم، وأن يأتي في زمن يشبه الزمن الذي جاء فيه المسيح ابن مريم بعد موسى، أي في القرن الرابع عشر أو قريباً من ذلك، وأن يأتي بغير السيف والسنان وبغير أسلحة الحرب كما جاء المسيح ابن مريم عليه السلام، وأن يأتي لإصلاح أناس يشبهون اليهود الذين فسدت بواطنهم والذين جاء المسيح ابن مريم لإصلاحهم. وعندما نعن النظر في الآيات المذكورة آنفاً، نسمع صوتاً صاعداً منها؛ يقول بأن الخليفة الأخير لهذه الأمة الذي سيظهر على رأس القرن الرابع عشر سيأتي حتماً مثيلاً للمسيح عليه السلام، وسيأتي بغير أدوات الحرب. إن مبدأ المماثلة بين السلسلتين هو أن تكون المماثلة التامة بين بدايتهما ونهايتهما، لأن الاطِّلاع المفصَّل على أحوال جميع الأفراد الذين تخللوا هذه السلسلة أثناء هذه المدة الطويلة، محاولة لا طائل من ورائها. فلما أنبأ القرآن الكريم بكل صراحة أن سلسلة الخلافة الإسلامية تماثل تماماً وتشبه كلياً الخلافة الإسرائيلية من حيث تقدمها وانحطاطها وجمالها وجلالها، وأنبأ أيضاً أن النبي العربي الأمي ﷺ هو مثيل موسى؛ ففي ذلك نبأ قطعي ويقيني أنه كما أن مثيل موسى هو سيد خلفاء الله وهو زعيم السلسلة الإسلامية ومَلِكُها ومتربع على الدرجة العليا في عرش العزة والإكرام، ومصدر جميع البركات، والجد الأكبر لأولاده الروحانيين؛ كذلك فإن خاتم هذه السلسلة - بسبب المماثلة التامة - هو عيسى ابن مريم، الذي هو من أبناء هذه الأمة وتصبَّغ بصفات المسيح بأمر ربَّاني. بل إن وحي الله تعالى: "جعلناك المسيح ابن مريم" قد جعله هو هو في الحقيقة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

وأيضاً؛ في تسمية المسيح الآتي بـ "أحمد" إشارة إلى كونه مثيلاً، لأن اسم "مُحَمَّد" جلالِيّ واسم "أحمد" جماليّ. وإن "أحمد" و"عيسى" متماثلان تماماً من حيث معنى الجمال. وإلى هذا الأمر أشير في قوله تعالى - على لسان عيسى - ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ولكن نبينا الأكرم ﷺ ليس أحمد فقط، بل محمد أيضاً، أي هو جامع الجلال والجمال معاً. أما في الزمن الأخير فقد أرسل أحمد فقط، والذي يحمل حقيقة عيسوية بحسب النبوءة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٦٠-٤٦٣)

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا....﴾ بأنه ﷺ سيجعل في هذا الدين خلفاء بعد النبي ﷺ وسيقيمهم إلى يوم القيامة. أي كما أرسل في دين موسى خلفاء وملوكاً إلى فترة طويلة كذلك سيفعل في هذا الدين أيضاً ولن يتركه لينعدم. إن القرآن الكريم موجود، وحفاظه موجودون، ولكم أن تروا بأية شدة وتحدي أظهر الكفار آراءهم أن هذا الدين سينعدم حتماً، وسنقضي عليه. ثم جاءت مقابل ذلك نبوءة وهي مذكورة في القرآن الكريم بأنه لن يبور أبداً بل سيصبح كدوحة عظيمة وسينتشر وسيكون فيه ملوكٌ. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٩٠-٢٩١)

تأملوا في هذه الآية تروا فيها أيضاً إشارة صريحة إلى المماثلة. وإن لم يكن المراد من هذه المماثلة هو مماثلة تامة لكان الكلام كله عبثاً ولغواً، لأن سلسلة الخلافة في شريعة موسى امتدت إلى ١٤٠٠ عام وليس إلى ثلاثين عاماً فقط، وجاء فيها مئات الخلفاء روحانياً وظاهرياً، ولم تمتد إلى أربعة خلفاء ثم انقطعت إلى الأبد.

وإذا قيل بأن كلمة "منكم" تقتضي أن يكون الخلفاء من الصحابة فقط لأن "منكم" تخاطبهم فقط دون غيرهم، فإن هذه الفكرة خاطئة بالبداهة، ولن يتفوه بمثل هذا الكلام إلا الذي لم يتدبر في القرآن ولم يعرف أساليب كلامه، لأنه إذا كان صحيحاً أنه لا يراد عند المخاطبة إلا من كانوا أحياء في ذلك الزمن بصفته مؤمنين فإن ذلك يؤدي إلى قلب القرآن كله رأساً على عقب. فمثلاً هناك آية أخرى في

القرآن الكريم تشبه الآية المذكورة آنفاً وتخطب بكلماتها الظاهرية أناساً آمنوا بموسى عليه السلام وكانوا أحياء في ذلك الزمن، بل توجد في الآيات المشار إليها قرائن قوية جداً توحي أن هؤلاء كانوا المخاطبين فيها في الحقيقة، والآيات المشار إليها هي: ﴿قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أَوَإِذَا نُسْقِطُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٨-١٣٠).

لقد خوطب في هذه الآيات بصراحة تامة أناس من قوم موسى كانوا أحياء بين ظهرانيه، وقد شكوا مظالم فرعون وقالوا: ﴿أَوَإِذَا نُسْقِطُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فقال موسى مخاطباً إياهم، عليكم أن تصبروا على هذه المصائب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. ولكن واضح للمؤرخين، ويعرف دارسو كتب اليهود والنصارى جيداً أنهم لم يصلوا في الأرض إلى سدة الخلافة، سواء المادية أو الروحانية - مع أنَّ عدوهم أي فرعون هلك أمام أعينهم بل أهلك معظمهم نتيجة عصيانهم وتمردهم إذ هلكوا بعد أن ظلوا تائهين إلى أربعين عاماً في الفلوات الجرداء والبراري القفراء. ثم بدأت بعد هلاكهم سلسلة الخلافة في ذريتهم فكان فيهم كثير من الملوك وكان خلفاء الله مثل داود وسليمان عليهما السلام في القوم نفسه حتى انتهت سلسلة الخلافة في القرن الرابع عشر على المسيح عليه السلام.

فمن الواضح أن مخاطبة القوم لا يستلزم قط أن يبقى الخطاب مقصوراً عليهم وحدهم، بل من أسلوب القرآن أيضاً أنه كثيراً ما يخاطب قوماً ولكن المخاطب الحقيقي هم أناس خلوا أو سيأتون في المستقبل. فمثلاً يقول الله جلّ شأنه في سورة البقرة مخاطباً اليهود الموجودين آنذاك: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ (البقرة: ٤١). من الواضح أن اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ كانوا مصداقاً لـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، وما أنعم

عليهم بشيء، ولم يؤخذ منهم عهدٌ أن يؤمنوا بخاتم الأنبياء. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٠-٥١). فلا بد من التأمل هنا أن اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ لم يواجهوا أيا من الأحداث المذكورة في هذه الآيات، وما أودوا على يد فرعون ولم يقتل أحداً أولادهم ولم يعبروا بحرا. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ (البقرة: ٥٦-٥٨). معلوم أن موسى توفّي قبل ألفي عام من وجود اليهود الذين خوطبوا في القرآن الكريم، ولم يكن لهم أدنى أثر في زمن موسى، فأتى كان لهم أن يسألوا موسى؟ أين سقط عليهم البرق وأين أكلوا المنّ والسلوى؟ هل كانوا موجودين من قبل في زمن موسى عليه السلام في قوالب أخرى ثم جاءوا في زمن النبي ﷺ تناسخاً؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا نستطيع القول إلا أن نقول أنه ليس ضرورياً أن يكون المخاطبون الموجودون عند الخطاب هم المصدق الحقيقي للأحداث المذكورة في الخطاب. الأسلوب المتبع في كلام الله والأحاديث النبوية الشريفة هو أنه كثيراً ما يُنسب إلى شخص أو قوم حادثٌ وتكون له في الحقيقة علاقة بشخص آخر أو قوم آخرين. وإن نبأ مجيء عيسى بن مريم أيضاً من هذا الباب، لأنه قد نُسب في بعض الأحاديث إلى عيسى عليه السلام حادثٌ سيحدث في الزمن الأخير مع أنه قد توفّي من قبل. إذًا، فقد نُسب هذا الحادث أيضاً إلى المسيح عليه السلام كما نُسب حادث النجاة من فرعون وأكل المن والسلوى ونزول الصاعقة وعبور البحر، وقد نُسبت قصة: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ إلى اليهود الذين كانوا في زمن نبينا الأكرم ﷺ مع أن تلك الأحداث كانت تتعلق بقومهم الذين سبقوهم وماتوا قبلهم بمئات السنين. فإذا كان هناك أحد لا يتوجه إلى الجانب العقلي عند استنباط المعنى

من هذه الآيات ويرى الإصرار على ظاهر الكلمات واجبا فأقل ما سيثبت من هذه الآيات هو أن مسألة التناسخ حق، وإلا فكيف يمكن أن ينسب الله عمل عامل إلى شخص لا علاقة له به قط، وهو القائل: ﴿وَلَا تَرُزُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٦)؟ ثم إذا عصى موسى قومه وأخذتهم الصاعقة، أو عبدوا العجل ونزل عليهم رجز من الله، فما علاقة قوم وُلدوا بعد أَلْفِي عام من هذه الأحداث؟ لا شك أن المتقدمين منذ زمن آدم ﷺ إلى يومنا هذا بمنزلة الآباء والأجداد للمتأخرين ولكن لا يمكن أن يُلقى وبال ذنب أحد على غيره. فكيف يمكن أن يكون لقول الله تعالى في القرآن الكريم- بأنكم عصيتم موسى وقتلتم لن نؤمن بالله ما لم نره بأعيننا، وبسبب هذه المعصية أخذتكم الصاعقة- معنى آخر من حيث ظاهر الكلمات إلا أن نقول بأن جميع اليهود الذين وُجدوا في زمن نبينا ﷺ كانوا موجودين في زمن موسى ﷺ أيضا، وعليهم نزل المن والسلوى، وعليهم سقط البرق، ومن أجلهم أهلك فرعون، ثم وُلد اليهود أنفسهم في زمن النبي ﷺ مرة أخرى تناسخا وبذلك صحَّ الخطاب؟

والسؤال هو: لماذا لا يُستنبط المعنى البسيط والسليم؟ هل هو بعيد عن قدرة الله؟ ولماذا تُقبل معانٍ تدخل في حكم التأويلات البعيدة؟ أليس الله قادرا- كقدرته على إنزال عيسى ﷺ إلى الأرض بجسده المادي تماما بعد مئات السنين كما يزعم معارضونا- على أن يحيي اليهود من زمن موسى مرة أخرى في زمن النبي ﷺ أو أن يأتي بأرواحهم إلى الدنيا تناسخا؟ فلما قُبلت بناء على أقوال لا أصل لها عودة روح عيسى إلى الدنيا ثانية، فلماذا لا تُقبل عودة أرواح هؤلاء اليهود جميعا إلى الدنيا ثانية تناسخا في زمن نبينا الأكرم ﷺ، مع أن نصوص القرآن الصريحة والبينة تشهد على وجودهم؟ يقول الله ﷻ بوضوح تام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦).

هناك نقطة دقيقة أخرى في هذه الآية وهي أنه لما لم يجعل الله تعالى اليهود الموجودين حالياً لينوبوا عن أناس سبقوا بل اعتبرهم في الحقيقة أناساً خلوا من قبل، ففي هذه الحالة أطلق القرآن الكريم على اليهود الموجودين في عهد النبي ﷺ الميمون اسم بني إسرائيل الذين سبقوا لأنهم لمّا اعتُبروا كأنهم هم صار لزاماً أن تكون تسميتهم أيضاً هي هي. والسبب في ذلك أن الأسماء هي للحقائق كمثّل صفات لا تنفك. والمعلوم أن الصفات اللازمة لا تنفك عن حقائقها قط.

الآن تفكّروا بانتباه جيد أنه ما دام الله تعالى قد قال بكل وضوح وصراحة مخاطباً اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ بأنكم أنتم الذين ارتكبتم سيئات كذا وكذا في عهد موسى، فكم هو تجاسر وإجحاف كبيرٌ تأويل نصٍّ واضح مثله وإنزال عيسى ﷺ الذي مات بحسب القرآن الكريم على الأرض بناءً على الأحاديث!!

أيها الأعزّة، إذا كان من عادة الله وسنته أن يعيد إلى الدنيا أناساً خلوا، فلا يجوز الإعراض أبداً عن النص القرآني الذي يخاطب الذين خلوا بالتكرار ويشهد على حياتهم. وإذا اتّاب القلوب في هذا المقام شبهة أن هذا المعنى يخالف المعقول - إن لم يكن بعيداً عن قدرة الله - يُلجأ إلى التأويل ويُستنبط منه معنى لا يُستبعد عقلياً؛ ففي هذه الحالة يجب أن يُستنبط من النبوءة عن مجيء عيسى ﷺ معنى يجري على المنوال نفسه، لأنه إذا كانت عودة اليهود السابقين إلى الحياة في زمن النبي أو عودة أرواحهم على سبيل التناسخ يعارض المعقول فكيف يجوز إذاً أن يعود إلى الدنيا المسيح ﷺ الذي تشهد على وفاته بصوت عال الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨)؟ هل عودة أرواح اليهود إلى الدنيا ثانية بعيدة عن قدرة الله وتخالف المعقول ونزول عيسى ﷺ إلى الدنيا بجسده المادي معقول جداً؟ إذا جاز تأويل الآيات القرآنية البينة والصريحة نظراً إلى استبعاد معناها الظاهري ويُلجأ إلى أسلوب الصرف عن الظاهر، فلماذا لا يجوز صرف النصوص

الحديثية عن ظاهرها؟ هل للأحاديث شأن أعظم من القرآن الكريم لذا لا بد من قبول بيانها حملا على ظاهر الكلمات دائما مهما كان بعيدا عن العقل والفهم، أما القرآن الكريم فيجب تأويله؟

أقول عودةً إلى صلب الموضوع بأن بعض الناس ينكرون عموم الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ويقولون بأن المراد من "منكم" هم الصحابة فقط، والخلافة الراشدة الحققة انتهت في زمن الصحابة، ولن يكون بعدهم للخلافة في الإسلام أي أثر إلى يوم القيامة. وكأن فترة الخلافة كانت إلى ثلاثين عاما فقط، ثم انقضت كطيف أو كحلُم، ثم أصابت الإسلام نحوسة مستديمة لن تنتهي. أتساءل: هل يسع شخصا ذا قلب نقي أن يتبني اعتقادا أن بركة شريعة موسى ﷺ وزمن خلافته الراشدة امتد إلى ١٤٠٠ عام دون أدنى شك، أما النبي الذي هو أفضل الرسل وخير الأنبياء وفترة شريعته ممتدة إلى يوم القيامة فقد اقتصرت بركاته على زمنه فقط، ولم يُرد الله أن تتراعى للعيان نماذج بركاته الروحانية إلى فترة ملحوظة بواسطة الخلفاء الروحانيين؟ الحق أن أبداننا لترتعد بسماع مثل هذا الكلام. ولكن من المؤسف حقا أن الذين يتفوهون بمثل هذه الكلمات المسيئة بتجاسر ووقاحة متناهية هم أيضا يسمّون مسلمين ويعتقدون بحسب زعمهم أن بركات الإسلام لا تمتد إلى المستقبل بل انقطعت منذ مدة طويلة!

وبالإضافة إلى ذلك فإن الاستدلال من كلمة "منكم" أن الخلافة مقصورة على الصحابة لأنّ الخطاب فيها موجّه إليهم وحدهم ينمّ عن عقلية غريبة. إن تفسير القرآن بهذه الطريقة بمنزلة خطوة سبّقى على اليهود أيضا. فليكن واضحا هنا أن كلمة "منكم" قد وردت في القرآن الكريم نحو ٨٢ مرة، وفي كل مرة - ما عدا مرتين أو ثلاث مرات حيث وردت قرينة معينة - خوطب بها جميع المسلمين الذين سيأتون حتى يوم القيامة.

وفيما يلي ننقل على سبيل المثال لا الحصر بعض الآيات التي وردت فيها كلمة "منكم":

(١) ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). فكروا في هذا المقام هل هذا الحكم كان خاصا بالصحابة فقط، أو يشمل المسلمين الآخرين أيضا الذين سيأتون حتى يوم القيامة؟ كذلك يجب أن تتأملوا في الآيات التالية أيضا:

(٢) ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

(٣) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (البقرة: ٢٣٥)

(٤) ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٥)

(٥) ﴿إِنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ (آل عمران: ١٩٦)

(٦) ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ

مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٣٠)

(٧) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ

لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (المائدة: ٧)

(٨) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٦٠)

(٩) ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٥)

(١٠) ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُرْدُونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: ٨٦)

(١١) ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧٢)

(١٢) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (الحجر: ٢٥)

تأملوا الآن في كلمة "منكم" في كل من هذه الآيات تروا أنها عامة وتشمل المسلمين جميعا سواء أكانوا موجودين عند نزولها أم الذين سيأتون إلى يوم القيامة. كذلك جاءت في جميع الآيات الأخرى أيضا بمعنى عامٍّ ما عدا آيتين أو ثلاث آيات. والخطاب في كافة الأوامر موجّه إلى الصحابة فقط في الظاهر، ولكن تخصيص الصحابة بغير إقامة قرينة لا يجوز بأي وجهٍ. وإلا يستطيع كل فاسق أن يقدم عذرا أن كل الأحكام المتعلقة بالصوم والصلاة والحج والتقوى والطهارة واجتناب المعاصي كانت موجّهة إلى الصحابة فقط وبالتالي ليس ضروريا لنا أن نلتزم بالصلاة والصوم والزكاة وغيرها. والمعلوم أن هذه الكلمات لا يمكن أن يتفوّه بها مَنْ يخشى الله، بل الزنديق.

وإذا انتابت أحدا شبهة أنه إذا كانت الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تفيد العموم، بمعنى أن المقصود الحقيقي منها العموم وليس التخصيص فلماذا أُضيفت هنا كلمة "منكم"؟ وما الحاجة إلى هذه الإضافة أصلا؟ إذ كان في القول: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم"، كفاية. فجوابها أن هذا الوعد جاء مقابل المؤمنين والصالحين الذين خلّوا قبل هذه الأمة. إذًا، فتفصيل الآية هو أن الله تعالى جعل المؤمنين والصالحين قبلكم الذين كانوا يكسبون الأعمال الصالحة مع إيمانهم خلفاء في الأرض. وهنا يعدّ ﷺ أنه سيجعل منكم أيضا خلفاء من الذين يتحلّون بتلك الصفات الحسنة ويكسبون الصالحات مع إيمانهم. إذًا، فإن كلمة "منكم" ليست زائدة، بل وردت لتشير إلى المؤمنين والصالحين من المسلمين لأن كلمة المؤمنين والصالحين في هذه الآية تشمل المؤمنين والصالحين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة أيضا، فلو لم تكن هناك كلمة تخصيص لصارت العبارة ركيكة ومبهمة وبعيدة عن الفصاحة. وقد أُريدَ البيان أيضا من خلال كلمة "منكم" أن الذين كانوا مؤمنين وصالحين هم الذين جُعلوا الخلفاء من قبل، كذلك سيُجعل الخلفاء من بينكم أيضا الذين هم مؤمنون وصالحون. فإذا كانت الأعين تملك بصيرة فسترى أن كلمة "منكم" ليست إضافية قط من حيث

المعنى العام، وليس ذلك تكرارا للكلام أيضا. وما دام الإيمان لم يبدأ من هذه الأمة ولا الأعمال الصالحة، بل خلا المؤمنون والصالحون من قبل أيضا، لم يكن التمييز التام ممكنا دون استخدام كلمة "منكم". ولو اقتصر الكلام على: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فقط لما تبين من هم المؤمنون المذكورون في هذه الآية، أم من هذه الأمة أم من الأمم السابقة؟ ولو ورد "منكم" فقط دون ذكر: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لفهم من ذلك أن الفاسقين والظالمين أيضا يمكن أن يكونوا خلفاء الله، مع أن حكم الفاسقين وسلطنتهم تكون ابتلاء وليس اصطفاء. وخلفاء الله الصادقين، سواء أكانوا روحانيين أم دنيويين يكونون من المتقين والمؤمنين والصالحين دائما.

أما الشبهة أن الآية الأخيرة من هذه الآيات أي: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تصبح لغوا من حيث المعنى العام؛ فكرة سخيفة للغاية تبعث على الضحك، لأن المعنى الواضح والبين للآية هو أن الله جلّ شأنه بشرّ أولا بوجود الخلفاء ثم هدّد المتمردين والعصاة قائلا بأنه إذا عصى أحد بعد وجودهم - لأنهم سيظلون يأتون بين الفينة والفينة - وأعرض عن طاعتهم وبيعهم كان فاسقا. فأين الخطأ في المعنى إذا؟

وليكن واضحا أن الحديث الذي قال النبي ﷺ فيه: "من لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية" يطابق هذه الآية تماما. أي من لم يعرف إمام الزمان كلما جاؤوا في مختلف الأزمان كان موته شبيها بموت الكفار. أما تقديم المعترض آية: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٦) والاستنتاج منها أن "منكم" وردت فيها بحق الحاضرين فقط بوجه خاص، فهو قول لا معنى له لأنني قد كتبت من قبل أن من الأسلوب الشائع في القرآن الكريم والذي يزخر به القرآن هو أن الخطاب يكون عاما وتكون أوامره موجّهة إلى الأمة بأكملها وليس للصحابة فقط، إلا إذا كانت في مكان ما

قرينة واضحة وصريحة تحدد الخطاب فهو استثناء من هذه القاعدة. إذًا، فقد طلبت فئة معينة من الحواريين بحسب الآية المذكورة نزول المائدة، وجاء الجواب مخاطبا تلك الطائفة بالذات. فهذه قرينة كافية على أن طائفة معينة سألت وقد رُدَّ عليها بالتحديد. أما القول بأن الأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة في القرآن الكريم فهو كذب صريح ومخادعة. لقد وردت كلمة "منكم" نحو ٨٢ مرة في القرآن الكريم، وجاء الخطاب في سياقات أخرى نحو ٦٠٠ مرة. ولكن الخطابات المحتوية على الأوامر تفيد العموم في كل مرة. لو كانت الخطابات في القرآن الكريم مقصورة على الصحابة فقط لبطل القرآن مع وفاتهم. والآية المتنازع فيها والمتعلقة بالخلافة تشبه آية أخرى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٦٥)، فهل هذه البشرى كانت تخص الصحابة فقط، أم كان لغيرهم أيضا نصيب منها؟ أما قول المعارض بأن الذي يعدل عن المعنى الأصلي الخاص بالمخاطبين، ويستنبط معنى آخر فمن واجبه أن يثبت سبب عدوله بدليل قاطع، فيتبين من قوله هذا أنه لا يجهل أسلوب القرآن الكريم فحسب بل يجهل أيضا أسلوب جميع الكتب الإلهية تماما. المشكلة أن معظم المتسرعين يستعدون للاعتراض قبل التفكير الرصين. لو كان المعارض راغبا في التحقيق بنية سليمة لتأمل في جميع المقامات التي خوطب فيها الصحابة ظاهريا ليرى ما هو الأسلوب المتَّبَع في القرآن الكريم في أغلب الحالات حيث لم توجد القرينة. إذ من الواضح أنه لا بد من استنباط المعنى بحسب الأسلوب المتَّبَع في أغلب الحالات، والعدول عنه بغير قرينة لا يجوز قط.

من الواضح أن الأسلوب المتداول في القرآن الكريم لخطاب الحاضرين هو العموم، ولهذا السبب تُعتبر أوامر القرآن الكريم الستمائية عامة غير مقصورة على الصحابة فقط. والذي يعدل عن الأسلوب العام وبحسب أمرا من الأوامر منحصرًا في الصحابة فقط فعليه تقع مسئولية الإثبات بالقرائن القوية أن هذا الخطاب المعين خاص بالصحابة وحدهم، والآخرون خارجون عن نطاقه. فمثلا يقول الله

تعالى في القرآن الكريم موجّها الخطاب إلى الصحابة ظاهرياً: (١) اعبدوا الله وحده، (٢) استعينوا بالصبر والصلاة، (٣) كلوا من الطيبات، (٤) لا تفسدوا في الأرض، (٥) آتوا الزكاة، (٦) أقيموا الصلاة، (٧) اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، (٨) فاستبقوا الخيرات، (٩) اذكروني أذكركم، (١٠) واشكروا لي، (١١) ادعوني، (١٢) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ، (١٣) ولا تدعوا مَنْ ألقى إليكم السلام كافراً ملحداً (١٤) كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، (١٥) لا تتبعوا خطوات الشيطان، (١٦) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١٧) فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، (١٨) لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، (١٩) اتقوا الله لعلكم تفلحون، (٢٠) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ (٢١) وَلَا تَعْتَدُوا، (٢٢) وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، (٢٣) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، (٢٤) وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، (٢٥) وَأَحْسِنُوا إِلَى النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٢٦) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ، (٢٧) وَتَزَوَّدُوا - ففي الزاد حكمة أنكم لن تضطروا إلى السؤال، أي أن السؤال مذلة، فيجب أن تدبروا لتفادي الذلة، (٢٨) أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ وَالْإِسْلَامِ كَافَّةً، (٢٩) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ (٣٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا، (٣١) وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، (٣٢) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ، (٣٣) وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، (٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، (٣٥) وإذا طلقتم النساء... سرحوهن بمعروف، (٣٦) فَإِنْ خِفْتُمْ فَاصْلُوا رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا، (٣٧) إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، (٣٨) إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ، (٣٩) وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا، (٤٠) وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ، (٤١) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ، (٤٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، (٤٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، (٤٤) سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، (٤٥) لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ، (٤٦) فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا.

هذه بعض الأحكام التي نقلتها على سبيل المثال لا الحصر. ويستطيع أن يفهم منها كل من لديه شيء من العقل أن الخطاب في كل هذه الآيات موجّه ظاهريا إلى الصحابة، ولكن الحقيقة أن كافة المسلمين مأمورون بالعمل بها وليس الصحابة فقط. باختصار، إن أسلوب القرآن الكريم الشائع الذي يزخر به القرآن الكريم كله هو أن مخاطبيه الحقيقيين هم جميع المسلمين الذين سيأتون إلى يوم القيامة، وإن كان الخطاب يبدو عائدا إلى الصحابة ظاهريا. إذًا، فالذي يدّعي أن هذا الوعد أو الوعيد مقصور على الصحابة فقط فإنه يعدل عن أسلوب القرآن الشائع. وهو ملحد في اختياره هذا السبيل ما لم يُثبت ادّعاءه. هل نزل القرآن للصحابة فقط؟ لو كان القرآن مقصورا في وعوده ووعيده وجميع أحكامه على الصحابة فقط لما كانت للذين وُلدوا بعدهم أدنى علاقة مع القرآن، نعوذ بالله من هذه الخرافات.

أما القول بأنه قد ورد في الحديث: "الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً" فهو فهمٌ غريب لأنه مادام القرآن الكريم يقول: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠-٤١) فلا أدري أي نوع من العقل تقديم الحديث مقابله وعدُّ معناه معارضا للقرآن؟ إذا كان لا بد من الاعتماد على بيان الأحاديث فيجب العمل أولا بالأحاديث التي تفوق هذا الحديث كثيرا صحة وثقة. منها مثلا أحاديث في صحيح البخاري أنبي فيها عن بعض الخلفاء في الزمن الأخير، ولا سيما الخليفة الذي ورد عنه في صحيح البخاري أنه سيأتي من أجله صوت من السماء: "هذا خليفة الله المهدي." ففكروا

١ المسيح الموعود ﷺ يقصد هنا حديث ثوبان الوارد في مسند أحمد وسنن ابن ماجه والمستدرک للحاكم. ويبدو أنه حصل هنا سهو فقيل أن الحديث في صحيح البخاري، وهو ليس فيه، وإن كان الحديث على شرطه كما قال الحاكم في مستدرکه. ونص الحديث هو:

الآن في مدى صحة هذا الحديث ومرتبته الذي ورد في أصح الكتب بعد كتاب الله، ولكن الحديث الذي قدّمه المعترض نقده المحدثون من شتى الوجوه وطعنوا في صحته. ألم يفكر المعترض أن ما أنبئ به عن ظهور بعض الخلفاء في الزمن الأخير بما فيه: سيأتي الحارث، وسيظهر المهدي، وسيأتي الخليفة السماوي، هل وردت كل هذه الأنباء في الأحاديث أو في كتاب آخر؟ ثابت من الأحاديث أن الأزمنة ثلاثة. أولاً: زمن الخلافة الراشدة، ثم زمن فيج أعوج الذي يكون فيه ملك عاض، ثم بعده الزمن الأخير على منهاج النبوة. فقد قال النبي ﷺ بأن زمن أمتي الأول يشبه زمنها الأخير بشدة فإن مثل أمتي مثل الماطر الذي ملئ خيراً فلا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره.

فليكن واضحاً أيضاً في هذا المقام أن الله جلّ شأنه يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) وفي ذلك تصريح أن هذا الكلام سيبقى حياً إلى الأبد، وسيوجد دائماً من يحافظ على نضرة تعليمه ويفيد به الآخرين. وإذا طرح سؤال: ما الغاية الحقيقية التي يتوقف عليها بقاء القرآن محفوظاً ومصوناً إلى أبد الدهر؟ فهذا يتبين من آية أخرى، وهي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٣). تتلخص هذه الآية في أن للقرآن الكريم فائدتين عظيمتين جاء النبي ﷺ لإيصالهما. أولاً: حكمة القرآن الكريم، أي معارفه ودقائقه. ثانيتهما: تأثيره الذي ماله تركية النفوس. إن حفظ القرآن لا ينحصر فقط في أن تحافظ على نُسَخه المكتوبة جيداً لأن هذا

عَنْ ثَوْبَانَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَفْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ. ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ. فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ. ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ. فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى النَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ. (ابن ماجه، ومسنند أحمد، والمستدرک).

وقال الحاكم بعد أن أورده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. (المستدرک). (المترجم)

ما فعله اليهود والنصارى أيضا في بداية الأمر حتى أحصوا النقاط في التوراة أيضا. بل المراد هنا هو حفظ فوائد القرآن وتأثيراته أيضا إلى جانب حفظه الظاهري. وهذا الحفظ لا يتأتى - بحسب سنة الله ﷻ - إلا إذا ظل يأتي بين فينة وفينة نائبون عن الرسول يملكون بصورة ظلية كافة نعم الرسالة والذين أعطوا جميع البركات التي يعطاها الأنبياء، كما أشير إلى هذا الأمر العظيم في آية أخرى وهي: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

والحقيقة أن هذه الآية تفسر الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) وتردّ على سؤال عن كيفية حفظ القرآن. فيقول الله ﷻ بأني سأرسل خلفاء النبي ﷺ بين حين وآخر. ولقد اختيرت كلمة "ال خليفة" للإشارة إلى أنهم يكونون نواب النبي وسينالون نصيبا من بركاته كما حدث في الأزمنة الخالية. وعلى يدهم يزدهر الدين ويتمكن، ويبدّل الخوف أمنا. أي سيأتون في وقت يكون الدين فيه عرضة للفرقة. ومن كفر وتمرد بعد مجيئهم فأولئك هم الفسقة والفجرة. وهذا ردّ على بعض الجهلاء الذين يتساءلون هل يجب علينا الإيمان بالأولياء. فيقول الله تعالى لا شك أنه واجب، والذين يخالفونهم هم الفاسقون إذا ماتوا على المعارضة.

في هذا المقام نقل المعارض قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٤)، ثم اعترض أنه ما دام الدين قد بلغ الكمال وتمت النعمة فلم تعد هناك حاجة إلى مجدد ولا إلى نبي. ولكن من المؤسف أن المعارض بقوله هذا قد اعترض على القرآن نفسه لأن القرآن الكريم وعد بوجود الخلفاء في هذه الأمة كما سبق ذكره، وقال بأن الدين سيتمكن في عهدهم وينزل التزلزل والتذبذب، وسيبدّل الخوف أمنا. فلو لم يصح أي شيء بعد اكتمال الدين لبطلت

الخلافة أيضا التي امتدت إلى ثلاثين سنة بحسب زعم المعارض لأنه ما دام الدين كان قد بلغ الكمال فلم تكن هناك حاجة إلى أحد. ولكن من المؤسف أن المعارض الجاهل قدّم الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بغير وجه حق. متى قلنا بأن المجددين والمحدثين بمجيئهم إلى الدنيا ينقصون في الدين شيئا أو يزيدون، بل نقول إنه حينما يتراكم غبار الأفكار الفاسدة على التعليم المقدس بعد مرور الزمان ويختفي وجه الحق الصراح يأتي المجددون والمحدثون والخلفاء الروحانيون لإراءة ذلك الوجه الجميل. لا أدري من أين ومن سمع المعارض المسكين أن المجددين والخلفاء الروحانيين يغيّرون شيئا في الدين أو ينسخونه بعد مجيئهم إلى الدنيا. كلا، لا يأتون لنسخ الدين بل يأتون لإراءة لمعانه وبريقه. أما شبهة المعارض بأنه ما الحاجة إليهم، فقد نشأت لسبب وحيد هو أنه ليس لديه أدنى اهتمام بدينه، ولم يفكر قط ما الإسلام، وما المراد من ازدهاره، وكيف وبأية سبل يمكن أن يتحقق ازدهاره، ومتى يمكن أن يُعتبر أحدٌ مسلما على وجه الحقيقة. فلهذا السبب يرى المعارض في وجود القرآن الكريم ووجود العلماء كفاية، وأن قلوب معظم الناس راغبة في الإسلام تلقائيا فلا حاجة إلى مجدد. ولكن من المؤسف حقا أن المعارض لا يدرك أن هذه الأمة تحتاج إلى المجددين والخلفاء الروحانيين كالحاجة إلى الأنبياء منذ القدم. لا يسع أحدا أن ينكر أن موسى عليه السلام كان نبيا مرسلا وكانت توراته كاملة لتعليم بني إسرائيل. كما هناك آية في القرآن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ كذلك توجد في التوراة أيضا آيات تفيد أن بني إسرائيل أعطوا كتابا كاملا وجلاليا اسمه التوراة- هذا ما وصف به القرآن أيضا التوراة- ومع ذلك جاء بعد التوراة مئات الأنبياء في بني إسرائيل بغير كتاب جديد، وكان الغرض من مجيئهم دائما أن يعيدوا مجددا إلى تعليم التوراة الحقيقي من ابتعدوا عن تعليمها في زمنهم، وليهبوا إيماننا حيا للذين تطرقت إلى قلوبهم الشبهات والإلحاد. فيقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (البقرة: ٨٨) ليؤيدوا تعليم التوراة ويصدقوها. ويقول في آية أخرى: ﴿ثُمَّ

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ﴿المؤمنون: ٤٥﴾. يتضح من هذه الآيات أن من عادة الله المستمرة أن يُنزل كتابه ثم يرسل رسله حتما ليؤيدوه ويصدقوه. فقد جاء لتأييد التوراة في زمن واحد قرابة أربع مائة نبي ولا يزال الكتاب المقدس يشهد على مجيئهم.

والسرّ في كثرة إرسال الرسل أن هناك عهدا مؤكدا من الله تعالى أن الذي يُنكر كتابه الصادق فجزاؤه جهنم خالدا فيها، كما يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٤٠). إذًا، لما جاءت عقوبة الإنكار في كتاب الله بهذه الشدّة، ومن ناحية ثانية كانت مسألة النبوة ووحى الله دقيقة جدا بل إن وجود الله بحمد ذاته مسألة دقيقة جدا بحيث ما كان ممكنا قط أن ينال المرء معرفته الصادقة والمقدسة ما لم تكن العين مستنيرة بنور من الله، دع عنك معرفة رسله وكتابه؛ فقد اقتضت رحمانية الله أن تنصر بشدّة خلقه العمهين، وألا تكتفي بإرسال رسوله وكتابه مرة واحدة ثم تلقي المنكرين في جهنم أبدية بسبب إنكارهم تلك المعتقدات التي لا يفهمها الذين يأتون فيما بعد- بسبب مرور أزمنة طويلة- أكثر من أنها منقولات طيبة ومثالية. ومن الواضح تماما لكل متفكّر أنه لا يمكن أن يختار الله وهو الرحمن والرحيم قانونا لإنزال عقوبة قاسية إلى هذه الدرجة ليلقي في جهنم أبدية- بغير إتمام الحجة- أناسا من مختلف البلاد سمعوا اسم القرآن والرسول بعد مئات السنين، ولا يعرفون العربية فلا يستطيعون أن يدركوا محاسن القرآن. هل يقبل ضمير أحد أن يُطلق على أحد سكيئا جزافا دون أن يثبت له أن القرآن من عند الله؟ لهذا السبب وعد الله تعالى بالخلفاء على الدوام لكي يتّموا الحجة على العالم بمجازتهم أنوار النبوة بصورة ظلية، ويظهروا للناس محاسن القرآن الكريم وبركاته السيّنة.

وليكن معلوما أيضا أن إتمام الحجة في كل زمان يكون بأسلوب مختلف، ويأتي مجدد العصر بقوى وملكات وكمالات يعتمد عليها إصلاح مفاسد ذلك العصر. فهذا ما سيفعله الله دائما ما دام مقدّرا عنده أن تبقى آثار الرشد والصلاح باقية في

الدنيا. وهذه الأمور ليست بلا دليل بل تشهد عليها النظائر المتواترة. ولو ألقينا نظرة على أنبياء بني إسرائيل ورسلمهم وحدهم - بغض النظر عن الأنبياء والمرسلين والمحدثين في بلاد أخرى - لتبين من مطالعة كتبهم أنه قد بُعث فيهم في غضون ١٤٠٠ عام أي منذ زمن موسى إلى المسيح عليهما السلام آلاف الأنبياء والمحدثين الذين عكفوا على خدمة التوراة كالخدام. فالقرآن شاهد على هذه البيانات كلها، ويشهد الكتاب المقدس أيضا على أن هؤلاء الأنبياء لم يأتوا بكتاب جديد، وما علّموا ديناً جديداً بل كانوا خُدام التوراة فحسب. وكانوا يأتون دائماً كلما انتشر في بني إسرائيل الإلحاد والخيانة والسيئات وقسوة القلوب. فليتفكر المتفكرون أنه ما دام الله تعالى قد اتخذ هذه الإجراءات الوقائية من أجل شريعة موسى - التي كانت لزمن محدّد ولم تكن لجميع أمم الأرض ولم تكن دائرتها ممتدة إلى يوم القيامة - فأرسل آلاف الأنبياء لتجديدها وقد أظهر الأنبياء القادمون مرارا آيات وكأن بني إسرائيل رأوا الله من جديد، فكيف يمكن أن تُحسب شقية هذه الأمة التي سُميت خير الأمم وهي متعلقةً بذيل خير الرسل ﷺ؟ فيُظنّ أن الله تعالى نظر إليها برحمة وتحنّ وأرى الأنوار السماوية إلى ثلاثين عاماً فقط ثم أعرض عنها، حتى مضت مئات السنوات على فراقها نبيّها الأكرم ﷺ وحلّت بها آلاف أنواع الفتن ووقعت زلازل شديدة وانتشرت فيهم عدة أصناف من الدجل، وهاجم العالمُ الدينَ المتينَ، ورُفضت جميع البركات والمعجزات، وعُدّ المقبولُ غير مقبول، ولكن الله لم يهتمّ بهذه الأمة ولم يرحمها، ولم يخطر بباله قط أن هؤلاء القوم أيضاً ضعفاء البنية مثل بني إسرائيل، وأغراسها أيضاً تحتاج إلى الريّ من السماء دائماً مثل اليهود. هل يمكن أن يفعل الإله الكريم ذلك وهو الذي أرسل النبي ﷺ لإصلاح المفاسد إلى الأبد؟ ثم هل لنا أن نزعم أن الله كان رحيماً بالأمم السابقة لذا أنزل التوراة ثم بعث آلاف الرسل على التوالي لتأييدها وإحياء القلوب مرة بعد أخرى، ولكن هذه الأمة كان مغضوباً عليها فنسي الله كل هذه الأمور بعد إنزال القرآن الكريم وترك العلماء وشأنهم إلى الأبد ليجتهدوا

بعقولهم. بينما قال عن موسى عليه السلام بصراحة تامة: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء، ١٦٥-١٦٦).. أي أرسل الرسل تترا لكي يؤمنوا بالتوراة بصدق القلب نتيجة رؤيتهم حزب الأنبياء على التوالي. ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ... وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (النساء، ١٦٥)؛ ولكن لم يهتم الله ﷻ بالباحثين عن الإسلام، فكَأنه لم يكن من نصيب هذه الأمة أن تحظى برحمته وألطافه مثلما حظي بهما قوم موسى عليه السلام. من المعلوم أن المعجزات والكرامات القديمة تصبح قصصا بعد مرور الزمن، وفي نهاية المطاف تخالج الأجيال القادمة شكوك وشبهات عن المعجزات السابقة أيضا حين يرون أنفسهم محرومين من كل ما هو خارق للعادة. فلما كان مثل آلاف الأنبياء من بني إسرائيل ماثلا أمام الأعين فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى اليأس في الأمة أكثر من ذي قبل، وسينظرون إلى بني إسرائيل بغبطة وإجلال بعد أن يجدوا أنفسهم تعساء الحظ، أو تخالجهم أفكار سيئة فيعدون قصصهم أيضا حكايات خيالية بحتة.

أما القول بأنه قد بُعث من قبل آلاف الأنبياء وظهرت المعجزات أيضا بكثرة لذا لم تكن هذه الأمة بحاجة إلى الخوارق والكرامات والبركات فحرمها الله من هذه الأشياء كلها؛ فليس إلا مجرد كلام لا يتفوه بمثله إلا الذين ليس لديهم أدنى اهتمام بالإيمان، وإلا فالإنسان ضعيف وبحاجة إلى تقوية إيمانه دائما. ولا تنفع أدلة مختلقة في هذا المجال ما لم يُعلم مجدداً أن الله موجود فعلا، غير أن الإيمان الزائف الذي لا يسعه أن يمنع من السيئات يبقى قائما من حيث العقل والنقل.

وهنا يجب أن يكون معلوما أيضا أن تكميل الدين لا يستلزم التخلي كلياً عن المحافظة عليه بما هو أنسب. فمثلا لو بنى أحد بيتا وجَهَّز غرفه كلها بكل دقة وعناية تامة وعلى أحسن وجه وزوده بكل ما يخصه، ثم إذا هبَّت العواصف والرياح العاتية بعد مدة من الزمن وهطلت الأمطار بغزارة، وتراكم الغبار على زخرفة البيت وزينته

واختفى حسنه وجماله، وأراد أحد من ورثة البيت أن ينظفه ويطلّيه بطلاء أبيض، لكان منعه من ذلك بحجة أن البيت مكتمل حمقا محضا. من المؤسف حقا أن مثيري مثل هذا الاعتراض لا يفكرون أن تكميل البناية شيء وتنظيف البناية المكتملة بين حين وآخر شيء آخر. ويجدر بالذكر أيضا أن المجددين لا ينقصون من الدين شيئا ولا يزدون بل يقيمون الدين المفقود في القلوب من جديد. أما القول بأن الإيمان بالمجددين ليس ضروريا فهو انحراف عن أمر الله تعالى لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي من كفر بالخلفاء بعد أن يُرسلوا فهو من الفاسقين.

وفيما يلي نكتب ملخص البيان المذكور آنفا وهو: ثبت من الأدلة أدناه أنه من الضروري أن يأتي بعد وفاة النبي ﷺ عند انتشار الفساد والفتن في هذه الأمة مصلحون باستمرار مكلفين بمهمة من مهام الأنبياء العديدة ليدعوا إلى الدين الحق، وينزهوه من كل بدعة اختلطت به، ويُظهروا للناس صدق الدين من كل الجوانب بتلقيهم نورا من السماء، وليجذبوا الناس إلى الصدق والحب والطهارة بأسوتهم الحسنة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢٤-٣٤٥)

.... كيف يمكنني أن أصدّق أن أحدا يقرأ هذه الآيات بتدبر وإمعان ثم لا يدرك أن الله تعالى قد قطع لهذه الأمة وعدّا صريحًا بالخلافة الدائمة. إذا لم تكن الخلافة ذات صفة دائمة فما معنى تشبيهها بالخلفاء في الشريعة الموسوية؟ وإذا بقيت الخلافة الراشدة إلى ثلاثين سنة فقط ثم انتهت إلى الأبد، لكان معنى ذلك أن الله تعالى لم يشأ أن يُبقي أبواب السعادة مفتوحة على هذه الأمة إلى الأبد، ذلك لأن موت السلسلة الروحانية يستلزم موت الدين. ولا يمكن أن يُعَدّ حيا قط الدين الذي يقرّ أتباعه بلسانهم أنه ميّت منذ ١٣٠٠ عام، ولم يرد الله لهذا الدين أن يتوارث الآخرون فيه نور الحياة الحقيقية الذي كان موجودا في صدر النبي ﷺ.

من المؤسف أن المتمسكين بهذه الفكرة لا يتدبرون كلمة "الخليفة" المستمدة من "الاستخلاف"، لأن الخليفة هو الخَلَف، وخليفة النبي بالمعنى الحقيقي لا يكون إلا الذي يحظى بكمالات النبي ظليًا، لذلك لم يُرد النبي ﷺ أن تُطلق كلمة "الخليفة" على الملوك الغاشمين، وذلك لأن الخليفة هو ظلّ الرسول في حقيقة الأمر، ولأنّه لا خلود لأحد من البشر لذا أراد الله تعالى أن يجعل الأنبياء، الذين هم أشرف المخلوقات وأفضلها، خالدين إلى الأبد على سبيل الظلية، فلذلك قدّر الله ﷻ الخلافة لكي لا تخلو الدنيا من بركات النبوة في وقت من الأوقات. فالذي يؤمن بالخلافة إلى ثلاثين سنة فقط فإنه يُعرض لغبائه عن غاية الخلافة المتوخاة، ولا يدري أن الله تعالى لم يرد قط إبقاء بركات النبوة في حُلل الخلفاء ضروريا إلى ثلاثين عاما فقط بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولا بأس إن هلكت الدنيا بعد ذلك! بل الحق أنه لم تكن لوجود الخلفاء في الأيام الأولى ضرورة ملحة إلا لنشر شوكة الإسلام؛ لأن أنوار الرسالة وكمالات النبوة كانت في انتشار مستمر وبصورة متجددة، وكانت آلاف المعجزات قد نزلت كالطر الغزير حديثا. فلو أراد الله لما كان مستبعدا عن سنته وقانونه أن يزيد في عمر النبي ﷺ نفسه إلى ثلاثين عاما أخرى بدلا من وجود الخلفاء الأربعة. وبحسب هذا الحساب كان النبي ﷺ سيبلغ من العمر ٩٣ عاما وهذا العمر ما كان طويلا جدا نظرا إلى الأعمار في ذلك العصر، ولا يزيد عن قانون الطبيعة المعروف لدينا عن أعمار الناس.

إذاً، هل لعقل سليم أن يعزو إلى الله تعالى فكرة سخيطة بأنه اهتم بهذه الأمة إلى ثلاثين عاما فحسب ثم تركها تهيم في الضلالة إلى الأبد، والنور الذي ظل يُريه منذ القدم في مرآة الخلافة في أمم الأنبياء السابقين لم يرد إراءته في هذه الأمة؟ هل له أن يعزو هذه الأمور إلى الله الرحيم الكريم؟ كلا.

ثم تشهد الآية الكريمة التالية بكل وضوح على خلافة الأئمة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦) فإنها

تعلن بصوت عال أبدية الخلافة الإسلامية، لأن كلمة "يرثها" تقتضي الدوام. والسبب في ذلك أنه لو كان الدور الأخير للفُسق لعدَّ هؤلاء القوم ورثة الأرض وليس الصالحين. والمعلوم أن الذي يأتي بعد الجميع هو الذي يرث الجميع.

ثم يجب التأمل أيضا في أنه ما دام الله تعالى قد فهم كمثل بأنه سيستخلف في هذه الأمة كما استخلف بعد موسى فيجب البحث ماذا فعل الله تعالى بعد وفاة موسى؟ هل أرسل الخلفاء إلى ثلاثين سنة فقط أم أطل سلسلتهم إلى ١٤٠٠ عام؟ ولما كان فضل الله تعالى على نبينا الأكرم ﷺ أعظم من فضله على موسى بكثير كما قال ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، وقال أيضا عن هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١)؛ فكيف يمكن إذاً أن تمتد سلسلة خلفاء موسى إلى ١٤٠٠ عام وتنتهي في هذه الأمة بعد ثلاثين عاما فقط؟ فإذا كانت هذه الأمة خالية من أنوار الخلافة الروحانية فما معنى الآية: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟ فليبين لي أحد. يقول مثل فارسي: اوخويشتن گم است کرار بهری کند، أي: كيف يهدي الآخرين مَنْ كان ضالا طريقه؟ إذا كان المقصود هو إبقاء هذه الأمة عمياء إلى الأبد، وإبقاء هذا الدين ميتا فما معنى القول بأنكم خير أمة وأخرجتم لخير الناس وهدايتهم؟ هل يستطيع الأعمى أن يهدي أعمى الطريق؟

فيا مَنْ تسمون أنفسكم مسلمين، تدبروا بالله عليكم أن هذه الآية لا تعني إلا أن الحياة الروحانية والبصيرة الباطنية ستبقى فيكم إلى يوم القيامة، وأن أصحاب الأديان الأخرى سينالون النور منكم، وأن الحياة الروحانية والبصيرة الباطنية التي تملك قدرة لدعوة الآخرين إلى الحق هي التي تُسمّى الخلافة بتعبير آخر. كيف تقولون إذاً بأن الخلافة بقيت إلى ثلاثين عاما ثم اختفت في طيات العدم؟ اتقوا الله! اتقوا الله!! اتقوا الله!!! (شهادة القرآن، الخزان الروحانية،

مماثلة الخلافة المحمدية التامة والكاملة مع خلافة موسى توجب مجيء المسيح الموعود، كما هو مفهوم من الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي تعلن هذه الآية بوضوح تام أنه لا بد من مجيء مجدد باسم المسيح ﷺ في القرن الرابع عشر لأن المماثلة بوجه أكمل وأتم بين الخلافة المحمدية والخلافة الموسوية لا تتحقق إلا إذا وجدت المشابهة التامة في الزمن الأول والزمن الأخير أيضا. ومشابهة الزمن الأخير كانت في أمرين. أولا تدهور حالة الأمة، والضعف في الرقي الديني والفساد في الأمانة الدينية والإخلاص والتقوى. وثانيا: أن يُبعث في ذلك الزمن مجدد باسم المسيح ويستعيد الحالة الإيمانية مجددا. فالعلامة الأولى لا يقبلها فقط إخواننا المسلمون بل يرون بأعينهم انحطاط المسلمين وازدهار قوم آخرين يعتبرون دين المسلمين حقيرا مهانا كما كان المجوس يُعدّون اليهود أذلاء مهانين بعد غلبتهم عليهم. ويرى المسلمون أيضا أن حالة علماء المسلمين وعامة الناس الداخلية ليست أقل من حالة اليهود، بل تبدو أسوأ منهم بضعفين لسوء الحظ. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦٣-٣٦٤)

"إن ديننا هذا الذي اسمه الإسلام.. ما أراد الله أن يتركه سُدى، وما أراد أن يُبطله ويخربه من أيدي الأعداء، بل قال وهو أصدق الصادقين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِطُونَ﴾، وقال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وقال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. فهذه كلها مواعيد صادقة لتأييد الإسلام عند ظهور الفتن وغلبة المعاصي والآثام، وأي فتن أكبر من هذه الفتن التي ظهرت على وجه الأرض؟ وإن النصرارى قد دخلوا على الناس من باب لطيف، وسحروا أعين الناس وقلوبهم وآذانهم بالمكائد التي هي دقيقة المآخذ، وأضلّوا خلقا كثيرا وجاءوا بسحر مبين".

(حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٧-٢٠٨)

أنا خاتم الخلفاء في الإسلام من حيث الروحانية كما كان المسيح ابن مريم خاتم الخلفاء للأمة الإسرائيلية. كان ابن مريم مسيحًا موعودًا في الأمة الموسوية، وأنا المسيح الموعود في الأمة المحمدية. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٧)

النبوءة عن المسيح الموعود لم ترد في الأحاديث فقط، بل قد بشر القرآن الكريم أيضًا بمجيء المسيح القادم بإشارات لطيفة جدا، كما وعد أنه بحسب الطراز والأسلوب الذي أُقيمت به سلسلة الخلافة في النبوات الإسرائيلية، فسيكون الطراز نفسه في الإسلام أيضًا، فهذا الوعد يتضمن في طياته البشارة بمجيء المسيح الموعود؛ لأننا حين نتدبر في سلسلة خلافة أنبياء بني إسرائيل يتبين أن تلك السلسلة بدأت من موسى عليه السلام وانتهت بعد أربعة عشر قرنًا على عيسى عليه السلام، ويتبين من إلقاء نظرة على نظام الخلافة ذلك أن المسيح الموعود لليهود الذي بشر اليهود بمجيئه، قد ظهر بعد أربعة عشر قرنًا من موسى عليه السلام وظهر في هيئة المساكين والفقراء، فمن الضروري لتحقيق هذه المماثلة التي أُقيمت في القرآن الكريم في سلسلتي الخلافة أي الخلافة الموسوية والخلافة المحمدية أن يُسلم كل منصف بأنه كان من الضروري أن تُبشر الأمة المحمدية بمجيء المسيح الموعود في نهاية سلسلتها، مثلما كان هناك وعد بمجيء المسيح الموعود في نهاية سلسلة الخلافة الموسوية، كما أن اكتمال المشابهة بين السلسلتين يقتضي أن يظهر المسيح الموعود في الخلافة المحمدية أيضًا، وبعد مضي المدة نفسها كما ظهر المسيح الموعود لبني إسرائيل بعد أربعة عشر قرنًا من بدء سلسلة الخلافة الموسوية. كذلك كان إكمال المشابهة يقتضي أن يصف علماء الأمة الإسلامية المسيح الموعود في الخلافة المحمدية بأنه كافر وملحد ودجال كما كان علماء اليهود قد سمّوا المسيح الموعود في الخلافة الموسوية كافرا وملحدًا ودجالًا، والعياذ بالله. وكذلك كان من الضروري لإكمال المشابهة أنه كما جاء المسيح الموعود في الخلافة الموسوية في زمن كانت الحالة الأخلاقية لليهود قد فسدت فيه كثيرًا جدًا، وكان خلل كبير قد حدث في الإخلاص والأمانة والتقوى والطهارة والتحاب

والتصالح، وضاعت سلطتهم في بلد ظهر فيه المسيح الموعود لدعوتهم؛ كذلك فإن المسيح الموعود للخلافة المحمدية قد ظهر في مثل هذه الحالة للأمة وانحطاطها. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٨٣-٢٨٤)

"ثم بعد ذلك اعلّموا يا أولي النهى، أن الله ذكر في القرآن أنه بعث موسى بعدما أهلك القرون الأولى، وآتاه الله الكتاب والحكم والنبوة، ووهب لقومه الخلافة، وأقام فيهم سلسلة الهدى، وجعل خاتم خلفائه رسوله ابن مريم عيسى، فكان عيسى آخرَ لِبِنِ هذه العمارةِ وعِلْمًا لساعةِ زوالها وعبرةً لمن يخشى. ثم بعث الله نبيّنا الأُمِّيَّ في أرض أم القرى، وجعله مثيل موسى، وجعل سلسلة خلفائه كمثّل سلسلة خلفاء الكليم لتكون رِداءً لها، وإن في هذا لآية لمن يرى. وإن شئت فافقراً آية ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ ولا تتبّع الهوى، فإن فيها وَعَدَ الاستخلاف لهذه الأمة كمثّل الذين استُخِلُّوا من قبل، والكریم إذا وعد وفى. وإنا لا نعلم أسماء خلفاء سبقونا من هذه الأمة ومن قبل إلا قليلاً من مضى، وما قصّ علينا ربنا قصص كلهم وما أنبأنا بأسمائهم، فلا نؤمن بهم إلا إجمالاً ونفوّض تفصيلهم إلى ربنا الأعلى. ولكنّا أُلْجِئنا بنص القرآن إلى أن نؤمن بخليفة منّا هو آخر الخلفاء على قدم عيسى، وما كان لمؤمن أن يكفر به فإنه كفرٌ بكتاب الله ولا يفلح الكافر حيث أتى. وفَكِّرْ في القرآن حقَّ الفكر ولا تَكُنْ كالذي استكبر وأبى. وإنه الحقُّ من ربنا، فافقراً سورة "النور" متدبّراً ليتجلى عليك هذا النور كالضحى." (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ٧٤-٧٧)

"ولئن سألتهم ما وعد الله ربكم الأعلى، ليقولنّ إنه وعد المؤمنين أن يستخلف منهم كما استخلف من قوم موسى. فقد أقروا بتشابه السلسلتين ثم يُنكرون كبصير تعامى. ولما كان نبينا مثيل موسى، وكان سلسلة خلفائه مثيل السلسلة الموسوية بنصّ أجلى، وجب أن تُختتم السلسلة المحمدية على خليفة هو مثيل عيسى، كما اختتم على ابن مريم سلسلة صاحب العصا، ليطابق هذه السلسلة بسلسلة أولى،

وليتّم وعدٌ مماثلة الاستخلاف كما هو ظاهر من لفظ ﴿كَمَا﴾. " (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ٩١-٩٢)

"أما قال ربكم ﴿لَيْسَتْخَلَفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؟ وإنّ في ذلك حجة على من طغى. فإن لفظ ﴿كَمَا﴾ يوجب أن يكون سلسلة الخلفاء في هذه الأمة كمثل سلسلة نبي الله موسى التي خُتِمت على ابن مريم عيسى. فأين تذهبون من هذه الآية وتُبعِدون ما دنا؟

ووالله ليس في القرآن الذي هو أهل الفصل والقضاء إلا خبر ظهور خاتم الخلفاء من أمة خير الورى، فلا تُقفوا ما ليس لكم به علم وقد أُعطيتم فيه من الهدى، ولا تُخرجوا من أفواهكم كلماتٍ شتى، التي ليست هي إلا كسهم في الظلمات يُرمى. وإنّ هذا الوعد وعدٌ حق. (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٠٨-١٠٩)

"وحثّ الله المؤمنين على هذا الدعاء، ثم وعد في سورة النور وعدًا أنه ليستخلفن قومًا منهم كمثل الذين استخلفوا من قبل، ليشتر المؤمنين أن الدعاء أُجيبَ لبعضهم من الحضرة العليا. (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ١١٨-١١٩)

"وقد وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنهم كمثل خلفاء شريعة موسى، فوجب أن يأتي آخر الخلفاء على قدم عيسى ومن هذه الأمة. (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٣٩)

"اعلم أن المسيح الموعود في كتاب الله ليس هو عيسى ابن مريم صاحب الإنجيل وخادم الشريعة الموسوية، كما ظنّ بعض الجهلاء من الفيج الأعوج والفئة الخاطئة، بل هو خاتم الخلفاء من هذه الأمة، كما كان عيسى خاتم خلفاء السلسلة الكليمية، وكان لها كآخر البينة وخاتم المرسلين. وإنّ هذا هو الحق، فويل للذين يقرأون القرآن ثم يمترون منكرين. وإن الفرقان قد حكم بين المتنازعين في هذه المسألة، فإنه صرح في سورة النور بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ بأن خاتم الأئمة من هذه الملة. (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٠٩)

ومن جملة الأدلة القوية القطعية التي تدل على أن المسيح الموعود سيكون حصرا من هذه الأمة المحمدية آية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، فالمراد من الخلفاء السابقين في هذه الآية خلفاء أمة موسى ﷺ الذين بعثهم الله على التوالي لإقامة شريعة موسى ﷺ ولم يترك أي قرن يخلو من الخلفاء المجديدين لدين موسى ﷺ. وقد عدّ القرآن الكريم هؤلاء الخلفاء أنهم اثنا عشر، والثالث عشر هو عيسى ﷺ، وهو المسيح الموعود لأمة موسى. وكانت المماثلة المستنبطة من لفظة "كما" في الآية الكريمة تقتضي أن تكون المشابهة والمماثلة بين الخلفاء المحمديين والخلفاء الموسويين. فلا ثبات هذه المشابهة وتحقيقها قد ذكر الله في القرآن الكريم اثني عشر خليفة موسويا، وكان كل واحد منهم من قوم موسى ﷺ وذكر أن عيسى ﷺ هو الثالث عشر، وكان خاتم الأنبياء في قوم موسى، إلا أنه في الحقيقة لم يكن من قوم موسى. ثم وضّح الله بجلاء من خلال تشبيهه خلفاء السلسلة المحمدية بخلفاء السلسلة الموسوية أن في نهاية هذه السلسلة أيضا سيأتي مسيح بعد اثني عشر خليفة ليتم عدد الأربعة عشر مقابل السلسلة الموسوية. وكذلك بُعث المسيح الموعود لسلسلة الخلافة المحمدية على رأس القرن الرابع عشر لأن المسيح الموعود للسلسلة الموسوية أيضا لم يكن قد ظهر إلا بعد ظهور القرن الرابع عشر بحسب السنة الموسوية. وقُدِّر ذلك لكي تكون المدة بين تأسيس كلتا السلسلتين والمسيحين ماثلا. وفي بعثة الخليفة الأخير على رأس القرن الرابع عشر إشارة إلى تكميل النور، لأن المسيح الموعود متمم نور قمر الإسلام. لهذا فإن تجديده يشبه البدر ليلة الرابع عشر، وإلى ذلك تشير آية: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح: ٢٩)، لأن الإظهار التام وإتمام النور شيء واحد. وإن قول "ليظهره على الأديان كل الإظهار" يساوي القول "ليتم نوره كل الإتمام". وفي الآية الأخرى تصريح أكثر وهي ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٩). فقد فهم في هذه الآية

بصراحة أن المسيح الموعود سيولد في القرن الرابع عشر. لأن الليلة الرابعة عشرة حددت لإتمام النور. باختصار، كما قد ذكر في القرآن الكريم اثنا عشر خليفة بين موسى عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام وذكر عددهم اثنا عشر، وذكر أنهم كانوا كلهم من قوم موسى عليه السلام. أما الخليفة الثالث عشر، الذي هو آخر الخلفاء أي عيسى عليه السلام، فلم يكن من ذلك القوم من جهة والده، لأنه لم يكن له أي أب يوصل به فرعه إلى موسى عليه السلام. وكل هذه الأمور توجد في سلسلة الخلافة المحمدية.. أي قد ثبت من الحديث المتفق عليه أن في هذه السلسلة أيضا اثني عشر خليفة في الوسط، والثالث عشر الذي هو خاتم الأولياء المحمديين ليس من قوم النبي ﷺ أي ليس من قريش. وهكذا كان يجب أن يكون اثنا عشر خليفة من قوم محمد المصطفى ﷺ ولا يكون الأخير من ذلك القوم من جهة أبيه، لكي تتحقق المشابهة على أكمل وجه وأتمه. فالحمد لله والمنة على أن ذلك قد ظهر، لأن في البخاري ومسلم حديثا متفقا عليه مروي عن جابر بن سمرة وهو: "لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ". أما الخليفة الثالث عشر الذي هو المسيح الموعود فسيأتي يوم يكون الإسلام ضعيفا بغلبة الصليب وغلبة الدجالية، والخلفاء الاثنا عشر الذين سيأتون في أيام غلبة الإسلام سيكونون كلهم من قريش، أي من قوم النبي ﷺ،

^١ نص الحديث هو التالي: عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً. كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ". متفق عليه، مشكاة باب مناقب قريش. أي سيبقى الإسلام غالبا حتى ظهور اثني عشر خليفة، وسيكون جميع أولئك الخلفاء من قريش. هنا لا يمكن أن يدعي أحد بأن المسيح الموعود أيضا من أولئك الاثني عشر، ذلك لأنه من المتفق عليه أن المسيح الموعود لن يأتي في زمن قوة الإسلام، بل سوف يُبعث في زمن غلبة المسيحية على الأرض. ويُستنبط هذا من جملة "يكسر الصليب". فكان من الضروري أن يفقد الإسلام قوته قبل ظهور المسيح وأن يصيب المسلمين ضعف، بحيث يكون أغلبهم خاضعين للقوى الأخرى مثلما كانت حالة اليهود عند ظهور عيسى عليه السلام. فلما كان المسيح الموعود قد ذكر في الأحاديث على وجه خاص، لذا قد فصل عن الخلفاء الاثني عشر. لأنه كان من

لكن المسيح الذي سيأتي في زمن ضعف الإسلام لن يكون من قريش. لأنه كما لم يكن خاتم أنبياء السلسلة الموسوية من قوم موسى عليه السلام من قبل الأب، فكان ضروريا ألا يكون خاتم الأولياء في السلسلة المحمدية من قريش. ومن هنا قد بُتَّ قطعا في أمر أن المسيح الموعود في الإسلام ينبغي أن يكون من هذه الأمة. لأنه لما ثبت من النص القرآني القطعي أن سلسلة الاستخلاف المحمدي تماثل سلسلة الاستخلاف الموسوي، مثلما ثبتت مماثلة النبيين موسى عليه السلام ومحمد المصطفى عليه السلام كليهما بلفظة "كما" نفسها في آية: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦). فهذه المماثلة لا تتحقق إلا إذا لم يكن الخلفاء في السلسلة المحمدية الخلفاء السابقين أنفسهم، بل كانوا غيرهم^١ وسبب ذلك أن المشابهة والمماثلة تتطلب نوعا من المغايرة،

المقدر أن يأتي بعد نزول الشدائد والمصائب وأن يظهر في وقت يكون فيه انقلاب صريح قد ظهر في حالة الإسلام. وعلى المنوال نفسه كان عيسى عليه السلام قد أتى؛ أي في زمن كان قد ظهرت في اليهود علامة الزوال الصريح. فبذلك كان لموسى عليه السلام أيضا ثلاثة عشر خليفة وللنبي عليه السلام أيضا ثلاثة عشر خليفة. وكما أن عيسى عليه السلام بُعث في القرن الرابع عشر من موسى عليه السلام، كان من المحتم أن يظهر مسيح الإسلام الموعود أيضا في القرن الرابع عشر بعد النبي عليه السلام نظرا لهذه المشابهة. منه

^١ لما سُلم بسبب لفظ "كما" الوارد في آية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بحق خلفاء السلسلة المحمدية وجوبا وقطعا، بأنهم ليسوا خلفاء السلسلة الموسوية أنفسهم بل يشابهوهم، كما ثبت من الأحداث الواقعة أن هؤلاء ليسوا الخلفاء السابقين أنفسهم بل هم غيرهم؟ فلماذا يُعتقد بحق آخر خلفاء السلسلة المحمدية وهو المسيح الموعود بأنه المسيح السابق نفسه؟ ألا يشمل "كما"؟ أليس من الحق أنه بموجب لفظ كما أن يكون مسيح السلسلة المحمدية غير مسيح السلسلة الموسوية، لا نفسه. كلا بل إن عدَّ نفسه، هجوم صريح على منطوق النص القرآني، بل يشكل تكذيبا صريحا للقرآن الكريم، وأيضا هو تعنت غير مبرر أن يُعدَّ الخلفاء الاثنا عشر بحسب لفظ "كما" غير الخلفاء الإسرائيليين، ثم يُعتقد بأن المسيح الموعود الذي هو آخر خليفة في السلسلة المحمدية مقابل السلسلة الموسوية هو المسيح السابق نفسه. وهذه نكتة مبتكرة وحجة باهرة ودرة من درر تفردت بها، فخذوها بقوة واشكروا الله بإنابة، ولا تكونوا من المحرومين. منه

إذ لا يكون أي شيء يُشبه نفسه. فلو افترضنا أن آخر خليفة في السلسلة المحمدية، الذي يقابل عيسى عليه السلام، الذي يجب الإيمان به أنه خاتم الأولياء^١ في هذه الأمة. كما كان عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء في خلفاء السلسلة الموسوية. فإذا كان عيسى عليه السلام نفسه سيُبعث ثانية في الحقيقة، فذلك يستلزم تكذيب القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم يصف جميع خلفاء كلتا السلسلتين مختلفين من وجه، كما يُستنبط من لفظ "كما". وهذا النص قطعي لدرجة أن لو اجتمع العالم كله مقابله لما استطاعوا ردّ هذا النص الواضح. لأنه إن بُعثت السلسلة السابقة نفسها لضاعفت المغايرة وبطل مفهوم لفظ "كما". فتعيّن تكذيب القرآن الكريم في هذه الحالة، وهذا باطل وكلّ ما يستلزم الباطل فهو باطل. لا يغيبن عن البال أن القرآن الكريم قد استخدم لفظ "كما" في آية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو اللفظ نفسه الذي استخدمه في آية ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾، فالجلي الآن أنه إذا ادّعى أحد بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت مثيلاً لموسى عليه السلام بل قد جاء موسى نفسه تناسخاً، أو ادّعى أن دعوى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مصداق نبوءة التوراة ليست صحيحة، بل النبوءة تعني أنه سيُبعث موسى نفسه الذي من إخوة بني إسرائيل؛ أفلن يُرد على هذا الادعاء الباطل بأن القرآن الكريم لم يقل أبداً إن موسى نفسه سيأتي بل قد أشار في لفظ "كما" إلى مثيل موسى. فهذا هو الجواب منا أيضاً، أن لفظ كما موجود هنا أيضاً بحق خلفاء السلسلة المحمدية.

وهذا النص القطعي من الكلام الإلهي يخبرنا بوضوح كالشمس أن جميع خلفاء السلسلة المحمدية هم أمثال خلفاء موسى، وكذلك فإن آخر الخلفاء الذي هو

^١ الشيخ محيي الدين ابن عربي قد سجل في كتابه "الفصوص" إحدى علامات المهدي خاتم الأولياء، أن عائلته ستكون على حدود الصين، وستكون ولادته نادرة بحيث تولد معه ابنة توأماً، أي هكذا سيفصل الله عنه الأنوثة، فبحسب هذا الكشف كانت ولادتي، وبحسب هذا الكشف جاء آبائي من الحدود الصينية إلى البنجاب. منه

خاتم الولاية المحمدية وقد سُمي بالمسيح الموعود، مثيلُ عيسى ﷺ الذي هو خاتم سلسلة النبوة الموسوية وشبيهه. انظروا مثلاً إلى أبي بكر الصديق ﷺ؛ فكم يشبه يشوع بن نون إذ أنجز مهمة كانت ناقصة.. أي جيش أسامة ومقاومة المتبئين الكذابين، كما كان يشوع بن نون قد أكمل. وكما جاء آخر خليفة لسلسلة موسى، أي عيسى ﷺ، في وقت كانت حكومة اليهود قد أفلت في الجليل ومنطقة حكومة بيلاطس، كذلك جاء مسيح السلسلة المحمدية يوم كان الحكم قد انفلت من أيدي المسلمين في الهند. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٢٣-١٢٨)

أما الآية التي تتحقق بها مماثلة السلسلتين - أي سلسلة الخلافة الموسوية وسلسلة الخلافة المحمدية - أي التي يفهم منها يقيناً وقطعاً أن خلفاء سلسلة النبوة المحمدية أشباهٌ وأمثالٌ لسلسلة النبوة الموسوية فهي: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ حين نظر بإمعان في كلمة "كما"، التي توجب مماثلة الخلفاء المحمديين بالخلفاء الموسويين لا نجد بُدّاً من الإيمان بأن مماثلة خلفاء هاتين السلسلتين ضرورية، وإنَّ أولَ مَنْ وضع الأساس للمماثلة هو أبو بكر ﷺ، وأما الذي هو مُظهر النموذج الأخير للمماثلة فهو ذلك المسيح خاتم الخلفاء المحمديين الذي هو آخر خلفاء سلسلة الخلافة المحمدية. فأول خليفة أي أبو بكر ﷺ يقابل يشوع بن نون وبماثله، وهو الذي اختاره الله بعد وفاة النبي ﷺ ليكون أول خليفة له، ونفخ فيه روح الفراسة أكثر من الجميع حتى إنه تمكن من حل جميع المشاكل التي سيواجهها خاتم الخلفاء المتمثلة في العقيدة الباطلة بحياة المسيح. وقد دحض أبو بكر ﷺ كل هذه الشبهات بمنتهى الوضوح والجلاء، ولم يبق من الصحابة كلهم من لا يؤمن بموت جميع الأنبياء الذين خلوا عليهم السلام، بل قد أطاع الصحابة كلهم أبا بكر ﷺ في جميع الأمور كما كان بنو إسرائيل قد أطاعوا يشوع بن نون بعد وفاة موسى ﷺ. وكذلك قد حمى

الله ﷻ أبا بكر وأيده أيضا كما كان مع النبي ﷺ على شاكلة موسى ويشوع بن نون. فقد باركه الله في الحقيقة كيشوع بن نون بحيث لم يقدر أي عدو على التصدي له، وإن المهمة غير الكاملة بيعت جيش أسامة التي تشبه مهمة موسى غير الكاملة، قد حققها على يد أبي بكر ﷺ. وهناك ماثلة أخرى عجيبة لأبي بكر ﷺ مع يشوع بن نون وهي أن يشوع هو أول من اطلع على موت موسى ﷺ حيث أوحى الله ﷻ إلى قلبه بلا تأخير أن موسى قد مات، لئلا يقع اليهود في خطأ أو اختلاف حول موت موسى كما هو واضح من سفر يشوع الإصحاح الأول. كذلك فإن من أعلن بكامل اليقين بأن النبي ﷺ قد توفي هو أبو بكر، حيث قبل جسده المبارك وقال: كنت طيبا حيا وبعد الموت أيضا. ثم فند في اجتماع عام جميع الأفكار التي كانت قد نشأت في قلوب بعض الصحابة عن حياة النبي ﷺ استدلالا من آية قرآنية، كما استأصل معها فكرة حياة المسيح الموجودة في قلوب البعض نتيجة عدم التدبر الكامل في الأحاديث. وكما كان يشوع بن نون قد أهلك أعداء الدين الألداء والمفترين والمفسدين، كذلك قد قُتل كثير من المفسدين والمدعين الكاذبين على يد أبي بكر الصديق ﷺ. وكما مات موسى ﷺ في الطريق في وقت حرج حيث كان بنو إسرائيل لم يحرزوا الفتح بعد على الأعداء الكنعانيين، وكانت أهداف كثيرة باقية وكانت في ما حولهم فتنة الأعداء، فتأزمت الأوضاع نحو خطر أكبر بعد وفاة موسى، كذلك قد ظهرت أوضاع خطيرة جدا بعد وفاة نبينا ﷺ، فارتدت قبائل كثيرة، ورفض بعضهم دفع الزكاة، وظهر كثير من المدعين الكاذبين. ففي هذه الأوضاع كانت هناك حاجة إلى خليفة شجاع قوي القلب رابط الجأش قوي الإيمان جريء، فانتُخب أبو بكر ﷺ خليفة، وفور انتخابه خليفةً اعترضته مصائب جمة كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها حين انتُخب أبي خليفةً للرسول ﷺ حلت به مصاعب من جراء فتن كثيرة وبغى العرب وظهور المدعين الكذبة ونزلت على قلبه هموم جسيمة لو نزلت على جبل لهدّته ولاستوى بالأرض. لكن لما كان من سنة الله أنه

حين ينتخب أي خليفة بعد وفاة رسوله، تُنفخ فيه روح الشجاعة والهمة والعزيمة والفراسة وقوة القلب، كما يقول الله ليشوع في سفر يشوع ١ : ٦ : { تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ }؛ أي قد مات موسى فلتتشجع الآن.^١ فالحكم نفسه نزل على قلب أبي بكر رضي الله عنه في صورة القضاء والقدر لا في صورة الشريعة. ويبدو من مماثلة الأحداث والمشابهة كأن أبا بكر ابن أبي قحافة ويشوع بن نون شخص واحد، فقد أرى المماثلة في الاستخلاف مماثلة دقيقة. وذلك لأن الذين يرون المماثلة بين السلسلتين الطويلتين، فهم بالطبع يلاحظون عادةً المماثلة في البداية أو النهاية، أما مماثلة المراحل الوسطى التي تتطلب الفحص والبحث أكثر فلا يرونها ضرورية، بل يقيسونها على البداية والنهاية. لهذا فإن الله قد حقق بجلاء تام المماثلة بين يشوع بن نون وأبي بكر وهما في أول سلسلة الخلافتين، بالإضافة إلى المماثلة بين عيسى ابن مريم والمسيح الموعود من هذه الأمة، وهما في آخر سلسلة الخلافتين. فمثلا جعل أبا بكر مثيل يشوع لدرجة يبدو وكأنهما شخص واحد، أو قطعنا جوهر واحد، وكما كان بنو إسرائيل مطيعي يشوع بن نون بعد وفاة موسى عليه السلام ولم يختلفوا معه وأبدى الجميع طاعته، فقد ظهر الحادث نفسه لأبي بكر رضي الله عنه أيضا؛ إذ قبل الصحابة كلهم خلافته برغبة قلبية دامعي العيون بفراق النبي ﷺ. باختصار؛ إن مماثلة أبي بكر رضي الله عنه مع يشوع بن نون عليه السلام متحققة من كل النواحي. فكما أن الله تعالى أظهر تأييداته ليشوع بن نون التي كان يبيدها لموسى عليه السلام دوما، كذلك قد بارك الله في أعمال

^١ إن أوامر الله على نوعين؛ أحدهما شرعية، مثل لا تقتل ولا تسرق ولا تُدِل بشهادة الزور. أما النوع الثاني للأوامر فهي القضاء والقدر، مثل الأمر ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٧٠)، ففي الأوامر الشرعية يمكن أن يخالف المحكوم الحكم الشرعي، كما أن الكثيرين يقتلون رغم هذا الحكم الشرعي ويسرقون أيضا، ويشهدون زورا أيضا. أما الأمر بالقضاء والقدر فلا يمكن مخالفته أبدا، فلا يمكن أن يخالف الأمر القدري حتى الجمادات دع عنك الإنسان، لأنه يتمتع بالجذب الجبروتي، فحين أمر الله يشوع أن يكون قوي القلب كان قدريا، أي الأمر من القضاء والقدر، فالحكم نفسه نزل على قلب أبي بكر أيضا. منه

أبي بكر أمام جميع الصحابة وتحقق ازدهاره كالأنبياء. فقد قُتل المفسدين والمدعين الكذبة بتلقي القوة والجلال من الله ليعرف الصحابة ﷺ أن الله كان معه كما كان مع النبي ﷺ. وهناك علاقة غريبة لأبي بكر ﷺ مع يشوع بن نون ﷺ وهي أن يشوع بن نون اضطر مع جيشه - بعد وفاة موسى ﷺ - لعبور نهر كبير يدعى نهر الأردن، وكان في الأردن طوفان وكان العبور مستحيلا، ولو لم يعبروا الطوفان لهلك بنو إسرائيل على أيدي الأعداء حتما، وكان هذا أول أمر هائل تعرض له يشوع بن نون في خلافته بعد وفاة موسى ﷺ. فنجى الله يشوع بن نون مع جيشه من ذلك الطوفان بصورة إعجازية، إذ جفف نهر الأردن فعبره بسهولة، وكان الجفاف نوعا من المد والجزر، أو كان مجرد معجزة فوق العادة. على كل حال قد أنقذه الله من الطوفان والعدو على هذا النحو، فتعرض أبو بكر الخليفة الحق أيضا - بعد وفاة النبي ﷺ - مع جماعة الصحابة بأسرها التي يقدر عددها بأكثر من مائة ألف، لطوفان مشابه، بل أكثر منه شدة؛ إذ انتشر التمرد العنيف في البلد. فالأعراب الذين قال الله بحقهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٥)، كان لا بد أن يتمردوا لكي تتحقق هذه النبوة، وهكذا حدث، إذ قد ارتدوا كلهم ورفض بعضهم أداء الزكاة، وبعض الأشرار ادعوا النبوة، فانضم إليهم مئات الآلاف من الأشقياء وكثر عدد الأعداء لدرجة أن لم يكن للصحابة أي نسبة مقارنةً معهم، فظهر طوفان عنيف في البلد، وكان هذا الطوفان أشد هولا من تلك المياه المخيفة التي تعرض لها يشوع بن نون ﷺ، وكما أصيب يشوع بن نون بعد وفاة موسى ﷺ بالابتلاء المفاجئ، حيث كان الطوفان الشديد في النهر ولم تكن هناك أي سفينة وكان الخوف يحيط بهم من كل طرف وصوب؛ أصيب بالابتلاء نفسه أبو بكر بحيث ظهر طوفان ارتداد العرب إثر وفاة النبي ﷺ بالإضافة إلى طوفان آخر للمدَّعين الكذبة، فلم يكن هذا الطوفان أقل شدة وهولا من طوفان يشوع، بل كان أشدَّ منه بكثير، ثم كما قوى كلام الله يشوع وقال له إني معك حيثما تتوجه،

فكن قويا وشجاعا ولا تحف، فتولد في يشوع قوة كبيرة وعزيمة وإيمان من الذي لا يتولد إلا بطمأنينة الله، كذلك نال أبو بكر قوة من الله عند طوفان التمرد. والذي له اطلاع على تاريخ الإسلام في تلك الحقبة يستطيع أن يشهد أن ذلك الطوفان كان عنيقا لدرجة كان يمكن أن ينقرض الإسلام في ذلك اليوم لو لم تكن يد الله مع أبي بكر ولم يكن الإسلام في الحقيقة من الله ولو لم يكن أبو بكر رضي الله عنه فعلا خليفة صادقا، لكن أبا بكر الصديق نال قوة من كلام الله مثل النبي يشوع، لأن الله كان قد أنبأ بهذا الابتلاء سلفا في القرآن الكريم، فمن قرأ الآية التالية بتدبر فسوف يوقن بأن نبأ هذا الابتلاء موجود بلا شك في القرآن الكريم سلفا وذلك الخبر هو:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فلاحظوا: قد قال الله بوضوح في هذه الآية إن زمن الخوف أيضا سيأتي ويزول الأمن. لكن الله ﷻ سيبدل ذلك الخوف أمنا، فهذا الخوف نفسه تعرض له يشوع بن نون أيضا. فكما نال الطمأنينة من كلام الله، فقد تلقى أبو بكر رضي الله عنه أيضا الطمأنينة من الكلام الإلهي، فلما كان قانون الطبيعة الإلهي في كل سلسلة أن كمالها يظهر عندما يماثل الجزء الأخير منها الجزء الأول منها، لذلك تحت أن يماثل أول خليفة من السلسلتين الموسوية والمحمدية آخر خليفة منهما، ذلك لأن كمال كل شيء يتطلب الاستدارة،^١ ولهذا السبب خلقت كل الدقائق دائرية الشكل لكيلا

^١ إن قصدي من كلمة الاستدارة أن الدائرة حين تكتمل تتصل بدايتها بنهايتها، وما لم تتصلا لا يمكن أن تسمى دائرة كاملة. فاتصال النقطة الأخيرة بالنقطة الأولى إنما يُسمى في الحقيقة بتعبير آخر مشابها تاما، فكما كان عيسى عليه السلام يُشبه يشوع بن نون حتى كان التشابه في الاسمين، كذلك هناك تشابه كبير بين أبي بكر والمسيح الموعود من حيث بعض الأحداث؛ وهو أن الله ﷻ عين أبا بكر خليفة في الفتنة الشديدة والبغي وعهد المفتين والمفسدين. كذلك

تكون الأشياء التي خلقها الله بيده ناقصةً، وبناءً على ذلك لا بد من التسليم بأن الأرض أيضاً كروية، لأن الأشكال الأخرى كلها تنافي الكمال التام. أما الشيء

بُعث المسيح الموعود في زمن كانت العلامات الصغرى كلها وبعض العلامات الكبرى أيضاً قد ظهرت. والمشابهة الثانية أنه كما خلق الله الأمن بعد الخوف في زمن أبي بكر وعلى عكس تمنيات الأعداء مكن الدين، كذلك سيحدث في زمن المسيح الموعود أيضاً، أنه بعد طوفان التكذيب والتكفير والتفسيق ستجعل القلوب تهوي إليه فجأةً بحب وإخلاص. وعندما تنزل أنوار كثيرة وتفتح عيونهم فسوف يعرفون أن اعتراضاتهم لم تكن شيئاً وأنهم في اعتراضاتهم لم يُروا الناس شيئاً سوى إظهار سموم الأفكار السطحية والعقل البليد والحسد والتعصب. ثم تكشف المشابهة بين أبي بكر والمسيح الموعود أن الدين الذي يريد الأعداء استئصاله سيُمكن في الأرض، ويجعل مستحكما لدرجةٍ لن يحدث فيه زلزل إلى يوم القيامة. والمشابهة الثالثة أن شائبة الشرك التي كانت قد اندست في عقائد المسلمين ستُنزع من قلوبهم نهائياً. فالمراد منه أنه سوف يقضى على كل أنواع هذا الشرك الذي كان قد دخل عقائد المسلمين لدرجة أن نُسبت صفاتُ الله إلى الدجال وعُدَّ المسيح خالق جزء من المخلوقات كما يستنبط من الآية: ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٦). فكذلك يُفهم من هذه النبوءة التي تشكّل قاسماً مشتركاً بين المسيح الموعود وحضرة أبي بكر عليه السلام بأنه كما يكفر الشيعة أبا بكر عليه السلام وينكرون مكانته وعظمته كذلك سيكفر المسيح الموعود أيضاً، وسينكر معارضوه مرتبة ولايته؛ ففي نهاية هذه النبوءة قال عليه السلام: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أي كما انكشف من الحالة العملية للروافض أن بعض الضالين سينكرون المكانة الرفيعة لأبي بكر عليه السلام ويكفرونه، فمن هذه الآية يُفهم أن المسيح الموعود أيضاً سيواجه التكفير، لأنه على النقطة الأخيرة للخلافة المتصلة بالنقطة الأولى. فهذا الأمر ضروري جداً وجدير بالانتباه أن القاعدة العامة في الدائرة أن تتصل نقطتها الأخيرة بنقطتها الأولى. فبحسب هذه القاعدة العامة يجب أن تكون دائرة الخلافة المحمدية أيضاً على المنوال نفسه.. أي من المحتم أن تكون نقطتها الأخيرة التي أريد منها المسيح الموعود الذي هو خاتم سلسلة الخلافة المحمدية على اتصال تام بالنقطة الأولى للخلافة المحمدية والمراد بها أبو بكر، كما تشهد على ذلك المشاهدة أن النقطة الأخيرة لكل دائرة تتصل بالنقطة الأولى لها. الآن حين لم يبق بدٌّ من التسليم بأن النقطة الأولى والأخيرة متصلتان، فمن هنا ثبت أن النبوءات القرآنية المتعلقة بالنقطة الأولى للخلافة أي بحق أبي بكر، هي نفسها بحق النقطة الأخيرة أيضاً أي بحق المسيح الموعود، وهو ما كنا نريد إثباته. منه

الذي خرج من يد الله مباشرة فيجب أن يتمتع حتما بالكمال التام بحسب حال المخلوقة، لكي لا يُنسب النقص فيه إلى عيب في الخالق؛ لذلك أحب الله أن تكون الدقائق دائرية الشكل، لأن الدائرة لا تكون بها أي جهة، وهذا ينسجم مع التوحيد جدا. باختصار؛ إن كمال الصنعة يتحقق من الشكل المدور حصرا. إذ تبلغ نقطتها النهائية كما لها باتصالها بمبدئها.

والآن نكتب مرة أخرى عودًا إلى مقصدنا الحقيقي أنه قد ثبت يقينا وقطعا من بياننا المذكور آنفا أن لأبي بكر ﷺ الذي كان أول خليفة بعد وفاة سيدنا محمد المصطفى ﷺ تشابها كبيرا يشوع بن نون الذي كان أول خلفاء موسى ﷺ بعد وفاته. فإذا كان أول خلفاء السلسلة المحمدية يشبه أول خلفاء السلسلة الموسوية فقد تحتم أن يكون آخر خلفاء السلسلة المحمدية، وهو المسيح الموعود، شبيهاً بآخر خلفاء السلسلة الموسوية أي عيسى ابن مريم؛ لكي لا يبقى بين السلسلتين أي نقص في المماثلة التامة التي تتحقق من النص القرآني. لأنه ما لم تحقق السلسلتان - أي السلسلة المحمدية والسلسلة الموسوية - التشابه من الأول إلى الآخر، لا تتحقق المماثلة المستنبطة من لفظة "كما" في: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ...﴾. ثم لما قد أثبتنا آنفا في الحاشية على وجه أكمل وأتم أن حضرة أبي بكر الصديق ﷺ يشبه المسيح الموعود، وعلى الطرف الآخر ثبت أن حضرة أبي بكر يشبه حضرة يشوع بن نون، وإن يشوع بن نون بحسب مبدأ تطابق النقطة الأولى للدائرة والنقطة الأخيرة منها - كما كتبنا آنفا في الحاشية - يشبه حضرة عيسى ابن مريم، فافتضت المساواة أن يكون عيسى ﷺ شبيها بالمسيح الموعود في الإسلام الذي هو آخر خلفاء الشريعة الإسلامية، ذلك لأن عيسى ﷺ يشبه يشوع بن نون وهو يشبه حضرة أبي بكر، وقد ثبت سابقا أن أبا بكر ﷺ يشبه آخر خلفاء الإسلام أي المسيح الموعود؛ وبذلك ثبت أن عيسى ﷺ يشبه آخر خلفاء الإسلام أي المسيح الموعود. لأن شبيه أحد المتشابهين يشبه الآخر. فمثلا إذا كان الخط (د) يساوي الخط (ن) والخط

(ن) يساوي الخط (ل) فلا بد من التسليم بأن الخط (د) يساوي الخط (ل)، وهو المطلوب. والواضح أن المشابهة تتطلب من وجه المغايرة، فلا بد من القبول بأن المسيح الموعود في الإسلام ليس عيسى عليه السلام بل يكون غيره. وإن العامة الذين لا يدركون هذه الأمور الدقيقة يكفيهم القول إن الله بعث رسولين في ذرية إبراهيم وأعطاهما شريعتين مستقلتين، إحداهما الشريعة الموسوية، والثانية الشريعة المحمدية، وحدد في كلتا السلسلتين ثلاثة عشر خليفة، وإن الخلفاء الاثني عشر المتوسطين في كل شريعة هم من قوم النبي صاحب الشريعة، أي أن الخلفاء الموسويين إسرائيليون، والخلفاء المحمديون من قريش، لكن آخر الخلفاء في كلتا السلسلتين ليس من قوم النبيين صاحبي الشريعة، فلم يكن عيسى هكذا لكونه بغير أب، أما المسيح الموعود الإسلامي الذي هو آخر خلفاء الإسلام فقد سلم جميع علماء الإسلام أنفسهم أنه لن يكون من قريش. ثم إن القرآن الكريم يقول: ليس أحد هذين المسيحين عين الآخر. وذلك لأن الله تعالى قد وصف المسيح الموعود الإسلامي مثيل المسيح الموعود الموسوي لا عينه.

فالقول إن المسيح المحمدي هو ذاته المسيح الموسوي تكذيب للقرآن الكريم. وتفصيل هذا الاستدلال، أن لفظة "كما" الواردة في: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، التي تثبت بها مشابهة خلفاء السلسلة المحمدية بأكملها بخلفاء السلسلة الموسوية، ترد دوما لتفيد المماثلة. وإن المماثلة تقتضي المغايرة من وجه ما على الدوام. فمن المستحيل أن يسمى شيء مثيل نفسه. بل لا بد من المغايرة بين المشبه والمشبه به. إذ لا يعتبر عين شيء مغاير نفسه لسبب ما. فكما لا يمكن أن يكون نبينا ﷺ عين موسى عليه السلام لكونه مثيله، كذلك لا يمكن أن يكون جميع الخلفاء المحمديون الذين آخروهم المسيح الموعود، عين الخلفاء الموسويين الذين آخروهم عيسى عليه السلام. لأن ذلك مدعاة لتكذيب القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم كما استخدم لفظة "كما" لبيان التشابه بين موسى عليه السلام والنبي ﷺ، كذلك أوردتها نفسها في

آية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ﴾. فهي تقتضي المغايرة نفسها التي بين موسى ﷺ والنبي ﷺ. وليكن معلوماً أن الخليفة الثاني عشر في الإسلام الذي ينبغي أن يُبعث على رأس القرن الثالث عشر، ينبغي أن يكون مقابل يحيى النبي، الذي قُطع رأسه من أجل قوم نجس، (فليفهم الفاهم). فمن الضروري أن يكون الخليفة الثاني عشر من قريش، كما كان يحيى ﷺ إسرائيلياً. أما الخليفة الثالث عشر في الإسلام الذي كان يجب أن يُبعث على رأس القرن الرابع عشر، واسمه المسيح الموعود، فكان من الضروري أن لا يكون من قريش، كما لم يكن عيسى ﷺ إسرائيلياً، بينما السيد أحمد البريلوي، وهو الخليفة الثاني عشر في سلسلة الخلافة المحمدية، فهو مثيل يحيى ومن السادات. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٨٣-١٩٤) لما كانت المماثلة تقتضي أن تنتهي سلسلة خلفاء هذه الأمة على خليفة يماثل عيسى ﷺ، فمن أوجّه المماثلة كان وجّه ضروري التحقق أنه كما عودي عيسى ﷺ في زمنه من قبل الفقهاء والكتبة وأفتوا بكفره وكانوا يطلقون عليه أشنع الشتائم وكانوا يهينونه هو ونساءه المحجبات، وكانوا يطعنون في حياته الخاصة ويسعون أن يثبتوا أنه ملعون؛ كذلك سيكتب المشايخ فتوى كُفر المسيح الموعود في الأمة الإسلامية في زمنه ويسميّون إليه ويصفونه بالملحد والملعون ويطلقون عليه الشتائم ويتدخلون في شئونه الشخصية ويلصقون به أنواع الافتراء ويفتون بقتله. فلما كانت هذه الأمة مرحومةً ولا يريد الله ﷻ أن تهلك، فقد علّم دعاء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هذا، وأنزله في القرآن الكريم وبدأ به القرآن الكريم وأدخل هذا الدعاء في صلوات المسلمين ليتفكروا ويفقهوا لماذا حُذروا من سيرة اليهود التي أبدوها بأسوأ أسلوب على عيسى ﷺ. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٠١)

فلما كان الله ﷻ يعلم أن آخر خلفاء هذه الأمة سيأتي على سيرة عيسى ﷺ بحسب الوعد في ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ومن الضروري أن يتلقى الأئم والأذى على أيدي القوم مثل عيسى ﷺ، وأن تُكتب ضده فتوى التكفير وتحاك

المؤامرات لقتله؛ لهذا علّم المسلمين هذا الدعاء رحمة بهم، أن يستعينوا بالله ﷻ من أن يكونوا مثل اليهود الذين كانوا كفّروا مسيح السلسلة الموسوية وكانوا يهينونه ويسبّون إليه ويسبّونه. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٠٢-٢٠٤)

"أنت تقرأ قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، وتقرأ قوله ﴿لَيْسَتْ خَلِيفَتُهُمْ﴾، ففكّر في قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ في سورة النور واترك الظالمين وظنّهم. ألم يأن لك أن تعلم عند قراءة هذه الآيات، أن الله قد جعل الخلفاء كلهم من هذه الأمة بالعنايات، فكيف يأتي المسيح الموعود من السماوات؟ أليس المسيح الموعود عندك من الخلفاء، فكيف تحسبه من بني إسرائيل ومن تلك الأنبياء؟ أتترك القرآن وفي القرآن كل الشفاء؟ أو تغلّبت عليك شقوتك، فتترك متعمداً طريق الهداء؟ ألا ترى قوله تعالى ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في هذه السورة؟ فوجب أن يكون المسيح الآتي من هذه الأمة، لا من غيرهم بالضرورة. فإن لفظ ﴿كما﴾ يأتي للمشابهة والمماثلة، والمشابهة تقتضي قليلاً من المغايرة، ولا يكون شيءٌ مُشابهٌ نفسه كما هو من البديهيات. فثبت بنصّ قطعيّ أن عيسى المنتظر من هذه الأمة، وهذا يقينيّ ومنزّه عن الشبهات. هذا ما قال القرآن ويعلمه العالمون." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٧٨-١٧٩)

"وقد سمعت من قبل أن سورة النور قد بشرتنا بسلسلة خلفاء تشابه سلسلة خلفاء الكليم، وكيف تتمّ المشابهة من دون أن يظهر مسيح كمسيح سلسلة الكليم في آخر سلسلة النبي الكريم. وإنّا آمنا بهذا الوعد فإنه من رب العباد، وإن الله لا يخلف الميعاد. والعجب من القوم أنهم ما نظروا إلى وعد حضرة الكبرياء، وهل يؤمنون ويُتجزّ إلا الوعد، فلينظروا بالتقوى والحياء. وهل في شرعة الإنصاف، أن ينزل المسيح من السماء ويُخلف وعدٌ ماثلة سلسلة الاستخلاف؟ وإنّ تشابه السلسلتين قد وجب بحُكم الله الغيور، كما هو مفهوم من لفظ ﴿كَمَا﴾ في سورة النور."

(إعجاز المسيح الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ١٨٨-١٨٩)

"أيها العلماء، فكِّروا في وعد الله واتَّقوا المقتدر الذي إليه تُرجعون، إنه جعل النبوة والخلافة في بني إسرائيل ثم أهلكهم بما كانوا يعتدون، وبعث نبيًّا بعدهم وجعله مثل موسى، فاقروا سورة "المزمل" إن كنتم ترتابون. ثم وعد الذين آمنوا وعد الاستخلاف، فكِّروا في سورة "النور" إن كنتم تشكِّون. هذان وعدان من الله فلا تُحَرِّفوا كلم الله إن كنتم تتقون. ولذلك بُدِئَ سلسلة نبيِّنا من مثل موسى، وخُتِمَ على مثل عيسى، ليتَّمَّ وعد الله صدقًا وحَقًّا، إنَّ في ذلك لآية لقوم يتفكِّرون. وكان من الواجب أن يتساوى السلسلتان.. الأول كالأول والآخر كالآخر. ألا تقرأون القرآن أو به تكفرون؟ فإنَّ تَمَّتِمْ أن ينزل عيسى بنفسه فقد كَذَّبْتُم القرآن، وما اقتبستم من سورة "النور" نورا، وبقيتم مع النور كقوم لا يبصرون. أتبعون عَوْجًا بعد أن تساوى السلسلتان؟ اتَّقوا الله وعدِّلوا الميزان. ما لكم لا تتفقهون؟ وكان وعد الله أنه يستخلف منكم، وما كان وعده أن يستخلف من بني إسرائيل، فلا تتَّبِعُوا عِوَجًا وتعالوا إلى حَكَمِ رَبِّكُمْ إن كنتم تسترشدون. أتريدون أن تُفَضِّلُوا على سلسلة نبيِّكم سلسلة موسى؟ تلك إذا قسمةٌ ضيِّزى! فلم لا تنتهون؟ ألا تقرأون سورة "النور"، أو على القلوب أقفالها، أو إلى الله لا تُردُّون؟ وإن القرآن عدل الميزان، وأعطى نبيِّنا كلَّ ما أعطى مُهلِكَ فرعونَ وهامان، فما لكم لا تعدِّلون؟ وقد بلَّغ القرآن أمره، فمن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون. أختارون أهواءكم على كتاب الله، أو بلَّغكم علمٌ يساوي القرآن، فأخرجوه لنا إن كنتم تصدِّقون. كلا.. بل وجدوا كُبراءهم عليه فهم على آثارهم يُهرعون. وقد سوى الله السلسلتين وهم يزيدون وينقصون. فمن أظلم ممن اتَّخذ سبيلا غير سبيل القرآن؟ ألا لعنة الله على الذين يظلمون. يا حسرة عليهم! ألا يتدبِّرون القرآن، أو هم قوم عمون؟

وإذا قيل لهم أتتركون كتاب الله قالوا وجدنا عليه آباءنا، ولو كان آبائهم لا يعلمون شيئا ولا يعقلون. أتتركون كلام ربِّكم لأبائكم؟ أَفَّ لكم ولما تعملون!

وقالوا إنّا رأينا في الأحاديث. وما فهموا قول رسول الله وإنّ هم إلا يعمهون. يريدون أن يُفَرِّقوا بين كتاب الله وبين قول رسوله، قومٌ مُفْتَرُونَ. وقد صرّح الله حق التصريح في الفرقان، فبأي حديث بعده يؤمنون؟ يؤثرون الشك على اليقين، وهذا هو من سير قوم يهلكون.

أيها الناس، إنّ هذا كان وعدًا من الله، فسوّى السلسلتين كما وعد، فما لكم تجوّزون الخُلفَ على الله ولا تخافون؟ أتعرّضون إلى الله نكث العهد والوعد؟ سبحانه وتعالى عما تزعمون! أظننتم أن سلسلة المصطفى لا تُشابه سلسلة موسى؟ وإنّ هذا إلا تكذيب القرآن إنّ كنتم تفهمون. ألا يُشابه أوّلها وآخِرُها بآخرها؟ ساء ما تحكمون. أرفعتم موسى ووضعت المصطفى؟ أفٍ لكم ولما تصنعون. أُخسِّرون القسطاس بعد تعديله ولا تعدلون كفتيّه ولا تقسطون؟ وإن الله أرى فضل هذه السلسلة بختم الأمر عليها، ثم تأتون بعبسى وأنتم تعلمون. ما لكم لا تؤتون ذا فضل فضله وتظلمون؟ أتقطعون رِجْلَ هذه السلسلة وتُبْقون رأسها، وما هذا إلا فعل المجنون." (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٢٩-٣٣١)

"وأما المسيح الموعود فهو منكم كما وعد الله في سورة النور، وهو أمرٌ واضح وليس كالسرّ المستور. وإنّه "إمامكم منكم" كما جاء في حديث البخاري والمسلم، ومن كفر بشهادة القرآن وشهادة الحديث فهو ليس بمسلم." (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٥)

"قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

هذا ما بشر ربنا للمؤمنين، وأخبر عن علامات المستخلفين، فمن أتى الله

للاستراحة، وما سلك مسلك الوقاحة، وما شد جبائر التلبيس على ساعد الصراحة، فلا بد له من أن يقبل هذا الدليل، ويترك المعاذير والأقاويل، ويأخذ طرق الصالحين.

وأما تفصيله ليبدو عليك دليله فاعلموا يا أولي الأبواب والفضل اللباب، أن الله قد وعد في هذه الآيات للمسلمين والمسلمات أنه سيستخلفن بعض المؤمنين منهم فضلاً ورحمًا، ويبدلنهم من بعد خوفهم أمانًا، فهذا أمر لا نجد مصداقه على وجه أتم وأكمل إلا خلافة الصديق، فإن وقت خلافته كان وقت الخوف والمصائب كما لا يخفى على أهل التحقيق. فإن رسول الله ﷺ لما تُوِّفِي نزلت المصائب على الإسلام والمسلمين، وارتد كثير من المنافقين، وتناولت ألسنة المرتدين، وادعى النبوة نفرٌ من المفترين، واجتمع عليهم كثير من أهل البادية، حتى لحق بمسيلمة قريبٌ من مائة ألف من الجهلة الفجرة، وهاجت الفتن وكثرت الحن، وأحاطت البلايا قريباً وبعيداً، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً. هنالك ابتليت كل نفس من الناس، وظهرت حالات مخوفة مدهشة الحواس، وكان المؤمنون مضطرين كأن جَمْرًا أضمرت في قلوبهم أو دُبحوا بالسكين. وكانوا يكون تارة من فراق خير البرية، وأخرى من فتن ظهرت كالنيران المحرقة، ولم يكن أثرًا من أمن، وغلبت المفتتنون كخضراء دِمنٍ، فزاد المؤمنون خوفًا وفرعًا، وملئت القلوب دهشا وجزعا. ففي ذلك الأوان جُعِلَ أبو بكر رضي الله عنه حاكم الزمان وخليفة خاتم النبيين. فغلب عليه همٌّ وغمٌّ من أطوار رآها، ومن آثار شاهدها في المنافقين والكافرين والمرتدين، وكان يكي كمرايع الربيع، وتجري عباراته كالينابيع، ويسأل الله خير الإسلام والمسلمين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما جُعِلَ أبي خليفة وفوض الله إليه الإمارة، فرأى بمجرد الاستخلاف تموج الفتن من كل الأطراف، وموّر المتنبئين الكاذبين، وبغاوة المرتدين المنافقين، فصُبَّت عليه مصائب لو صُبَّت على الجبال لانهت وسقطت وانكسرت في الحال، ولكنه أُعطي صبرا كالمرسلين، حتى جاء نصر الله

وَقُتِلَ الْمُتَنَبِّعُونَ وَأُهْلِكَ الْمُرْتَدُونَ، وَأُزِيلَ الْفِتْنُ وَدْفَعَ الْحَنُ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَقَامَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ، وَنَجَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْآفَةِ، وَبَدَّلَ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، وَمَكَّنَ لَهُمْ دِينَهُمْ وَأَقَامَ عَلَى الْحَقِّ زَمْنَا وَسُودَ وَجْهُ الْمُفْسِدِينَ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ الصَّدِيقَ، وَأَبَادَ الطَّوَاعِيتَ وَالْغَرَانِيقَ، وَأَلْقَى الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكَفَّارِ، فَانْهَزَمُوا وَرَجَعُوا وَتَابُوا وَكَانَ هَذَا وَعْدُ مِنَ اللَّهِ الْقَهَّارِ، وَهُوَ أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ.

فانظر كيف تم وعد الخلافة مع جميع لوازمه وإماراته في الصديق، وادْعُ الله أن يشرح صدرك لهذا التحقيق، وتدبّر كيف كانت حالة المسلمين في وقت استخلافه وقد كان الإسلام من المصائب كالحريق، ثم ردّ الله الكرة على الإسلام وأخرجه من البئر العميق، وقُتِلَ الْمُتَنَبِّعُونَ بِأَشَدِّ الْأَلَامِ، وَأُهْلِكَ الْمُرْتَدُونَ كَالْأَنْعَامِ، وَأَمَّنَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَوْفٍ كَانُوا فِيهِ كَالْمَيْتِينَ. وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بَعْدَ رَفْعِ هَذَا الْعَذَابِ، وَيَهْتَفُونَ الصَّدِيقَ وَيَتَلَقَّوْنَهُ بِالْتِرْحَابِ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ مِنْ حَضْرَةِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَبَادَرُوا إِلَى تَعْظِيمِهِ وَأَدَابِ تَكْرِيمِهِ، وَأَدْخَلُوا حَبَّةَ فِي تَامُورِهِمْ، وَاقْتَدُوا بِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَكَانُوا لَهُ شَاكِرِينَ. وَصَقَلُوا خَوَاطِرَهُمْ، وَسَقَوْا نَوَاضِرَهُمْ، وَزَادُوا حُبًّا، وَوَدَّوْا وَطَاوَعُوهُ جَهْدًا وَجِدًّا، وَكَانُوا يَحْسِبُونَهُ مَبَارَكًا وَمَوْيِّدًا كَالنَّبِيِّينَ. وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ صَدَقِ الصَّدِيقِ وَالْيَقِينِ الْعَمِيقِ.

ووالله إنه كان آدم الثاني للإسلام، والمظهر الأول لأنوار خير الأنعام، وما كان نبيا ولكن كانت فيه قُوى المرسلين؛ فبصدقه عادت حديقة الإسلام إلى زخرفه التام، وأخذ زينته وقُوتَه بعد صدمات السهام، وتنوعت أزاهيره وطُهرت أغصانه من القُتَامِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَمِيتٍ تُدْبِ، وَشَرِيدٍ جُدِبَ، وَجَرِيحٍ نُوبَ وَذِيحٍ جُوبَ، وَأَلِيمٍ أَنْوَعٍ تَعِبَ، وَحَرِيقٍ هَاجِرَةٍ ذَاتِ لَهَبٍ، ثُمَّ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْبَلِيَّاتِ، وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْ سَائِرِ الْآفَاتِ، وَأَيَّدَهُ بِعَجَائِبِ التَّأْيِيدَاتِ حَتَّى أَمَّ الْمُلُوكَ وَمَلَكَ الرِّقَابَ، بَعْدَمَا تَكَسَّرَ وَافْتَرَشَ التَّرَابَ، فَرُمَتْ أَلْسِنَةُ الْمُنَافِقِينَ وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْمُؤْمِنِينَ. وَكُلَّ نَفْسٍ حَمَدَتْ رَبَّهُ وَشَكَرَتْ الصَّدِيقَ، وَجَاءَتْهُ مَطَاوِعًا إِلَّا الزَّنَدِيقَ، وَالَّذِي كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ. وَكَانَ

كل ذلك أجر عبدٍ تحيَّره الله وصافاه ورضي عنه وعافاه، والله لا يضيع أجر المحسنين. فالحاصل أن هذه الآيات كلّها مُخبرة عن خلافة الصديق، وليس لها محملٌ آخر فانظر على وجه التحقيق، واخش الله ولا تكن من المتعصبين.

ثم انظر أن هذه الآيات كانت من الأنباء المستقبلية لتزيد إيمان المؤمنين عند ظهورها، وليعرفوا مواعيد حضرة العزة، فإن الله أخبر فيها عن زمان حلول الفتن ونزول المصائب على الإسلام بعد وفاة خير الأنام، ووعد أنه سيستخلف في ذلك الزمن بعضا من المؤمنين ويؤمنهم من بعد خوفهم، ويمكّن دينه المتزلزل ويهلك المفسدين. ولا شك أن مصداق هذا النبأ ليس إلا أبو بكر وزمانه، فلا تنكر وقد حصص بُرهانه. إنه وجد الإسلام كجدار يريد أن ينقضّ من شر أشرار، فجعله الله بيده كحصن مشيد له جدران من حديد، وفيه فوج مطيعون كعبيد. فانظر هل تجد من ريب في هذا، أو يسوغ عندك إتيان نظيره من زمر آخرين؟" (سر الخلافة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٣٣-٣٣٦)

أليس صحيحا أن القرآن الكريم عدّ النبي ﷺ مثل موسى؟ أو ليس صحيحا أن القرآن الكريم لم يصرح فقط أن النبي ﷺ مثل موسى، وإنما صرح أيضا في الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أن سلسلة الخلافة في الأمة المحمدية مثيلة لسلسلة الخلافة في أمة موسى؟ ففي هذه الحالة يجب بصورة قاطعة أن يُبحث في نهاية سلسلة الخلافة الإسلامية مثل "لعيسى عليه السلام". ولو ثبتت المشابهة بين بداية السلسلتين ونهايتهما لثبتت المشابهة بينهما بصورة كاملة، لذا فقد تم التأكيد في كل مكان في كتب الأنبياء الأطهار على هذه المماثلة، بل ثبتت المشابهة أيضا بين المعارضين الذين سيظهرون في بداية السلسلتين ونهايتهما؛ فشبهه أبو جهل بفرعون، وشبهه معارضو المسيح الأخير باليهود المغضوب عليهم. وقد أشير أيضا في الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إلى أن الخليفة الأخير لهذه الأمة سيُبعث من بعد النبي ﷺ في فترة تشبه من حيث المدة والزمان

بفترة بعثة عيسى عليه السلام، أي في القرن الرابع عشر، لأن المشابهة التي تقتضيها كلمة ﴿كما﴾ تشمل المشابهة الزمنية أيضا.

جميع فرق اليهود متفقة على أن الزمن الذي أعلن فيه عيسى بن مريم النبوة، كان القرن الرابع عشر بعد موسى عليهما السلام. ويرى البروتستانت من المسيحيين أنه حين أعلن عيسى النبوة، كان قد مضى بضع سنوات من القرن الرابع عشر بعد موسى، ولكن لا أهمية لقول البروتستانت مقابل قول اليهود المتفق عليه. ولو قبلنا قول البروتستانت جدلا لما حدث خلل في المشابهة بهذا الفرق البسيط، بل الحق أن من مقتضى المشابهة نفسها أن يكون هناك فرق بسيط. كذلك تشبه السلسلة المحمدية، وفق القرآن الكريم، السلسلة الموسوية في كل خير وشر. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٢-١٣)

ثم إن القرآن نفسه قد أصدر قراره في سورة النور بكلمة ﴿منكم﴾ أن كافة خلفاء هذه الأمة سيكونون من هذه الأمة، ويكونون كخلفاء السلسلة الموسوية، والموعود به بعثة واحد منهم فقط في نهاية السلسلة، ويكون هذا الموعود مثيلا لعيسى، أما الآخرون فلن يكونوا موعودًا بهم، أي لن تكون هناك نبوءة عنهم بالاسم. وإن كلمة "منكم" موجودة في صحيح البخاري ومسلم أيضا، ومعناها أن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة. فلو تدبر أحد جيدا في هذا المقام ولم يسلك مسلك الخيانة، لتيقن بالتأمل في كلمة "منكم" الواردة في ثلاثة أماكن، أن الأمر قد بلغ إلى حد اليقين بأن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة حتما. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٩-٤٠)

قيل في سورة النور إن الخلفاء كلهم سيأتون من هذه الأمة، ويُسْتَبْط من القرآن الكريم أنه سيأتي على الأمة زمانان خطيران جدا؛ الزمن الأول أتى في عهد خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والزمن الثاني هو زمن الفتنة الدجالية الذي كان سيأتي في زمن المسيح، وقد أشير للاستعاذة من هذا الزمن في الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ. وعن الزمن نفسه جاءت النبوءة في سورة النور بقوله تعالى: ﴿وَلَيَبْذِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. ومعنى هذه الآية مع الآية التي سبقتها هو أن الله تعالى يقول بأنه سيقع بهذا الدين في الزمن الأخير زلزال، وسيُخشى فيه أن يتلاشى هذا الدين من الدنيا كلها؛ عندها سوف يَمَكِّن الله الدينَ على الأرض كلها من جديد، وسيبذل الخوفَ أَمْنًا. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٧)

ثم يشير ﷺ إشارة صريحة في سورة النور إلى أن الصفات التي تحلّى بها الخلفاء في بني إسرائيل سيتحلّى بها الخلفاء في هذه الأمة أيضا. فكان عيسى عليه السلام خليفة من خلفاء بني إسرائيل الذي لم يحمل السيف ولم يقيم بالجهاد؛ لذا فقد أُعْطِيَ هذه الأمة أيضا مسيحا موعودا بالصفات نفسها. فاقروا الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. إن جملة: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في هذه الآية جديرة بالتدبر بوجه خاص إذ يُفهم منها أن سلسلة الخلافة المحمدية تماثل سلسلة الخلافة الموسوية. فلما انتهت الخلافة الموسوية على نبي أي عيسى عليه السلام الذي بُعث على رأس القرن الرابع عشر بعد موسى، ولم يقيم بقتالٍ أو جهادٍ، فكان ضروريا أن يتحلّى الخليفة الأخير من السلسلة المحمدية أيضا بالصفات نفسها. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٣-٢١٤)

إن الله تعالى يُري قسمين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانياً، يُري يدَ قدرته بعد وفاة النبي حين تواجه المحن ويتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد اختل، ويوقنون أن هذه الجماعة سوف تنمحي، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتنقصم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء، عندها يُظهر الله تعالى قدرته القوية ثانيةً ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامداً صابراً حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية، كما حصل في

عهد سيدنا أبي بكر الصديق عليه السلام، حيث ظنَّ أن وفاة الرسول ﷺ قد سبقت أوامها، وارتد كثير من جهال الأعراب، وأصبح الصحابة من شدة الحزن كالجانين، عندها أقام الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق عليه السلام، وأظهر نموذجاً لقدرته مرة أخرى، وحمى الإسلام من الانقراض الوشيك. وهكذا أتم ﷺ وعده الذي قال فيه: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.. أي أنه تعالى سوف يثبّت أقدامهم بعد الخوف. وهذا ما حدث بالضبط في زمن سيدنا موسى عليه السلام حين اختطفته يد المنون وهو في الطريق ما بين مصر وأرض كنعان قبل أن يوصل بني إسرائيل إلى غايتهم المنشودة حسب الوعد. فقام بموته مآتم كبير بين بني إسرائيل. وكما ورد في التوراة أن بني إسرائيل ظلوا ييكون وينوحون إلى أربعين يوما جراء صدمة موته المفاجئ. وهذا ما حدث في زمن عيسى عليه السلام أيضا حيث تشتت الحواريون كلهم عند حادث الصلب وارتدّ واحد منهم أيضا. (الوصية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٠٤-٣٠٥)

هناك آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ تقتضي أن يظهر لهذه الأمة مثيل عيسى في القرن الرابع عشر كما ظهر عيسى في القرن الرابع عشر بعد موسى عليهما السلام حتى يتحقق التشابه بين المثيلين من حيث البداية والنهاية. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٠٠)

كذلك تشير كلمة: "منكم" الواردة في سورة النور أيضا إلى أن كل خليفة سيكون من الأمة نفسها. وهذا ما تشير إليه الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ويتبين من ذلك بأنه لن يحدث أمر غير عادي بل كما كان نبينا ﷺ مثل موسى في صدر الإسلام كما يتبين من الآية: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾، كذلك من الواضح أنه كانت هناك حاجة -في نهاية عصر الإسلام لتحقيق المماثلة بين السلسلة الموسوية والسلسلة المحمدية- إلى مثيل عيسى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٠٩-١١٠)

أن رسولنا هذا مثل لموسى، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي أن خلفاء هذا الذي هو مثل لموسى سيأتون من أمته هو، كما جاء خلفاء موسى من أمته هو واحدًا تلو الآخر، وكانت مدة تلك الأمة أربعة عشر قرنًا تعاقب فيها الخلفاء. وكانت هذه نبوءة من عند الله تعالى أن بداية هذه الأمة ستكون كما كانت بداية الأمة الأولى، بمعنى أنه كما أرى موسى الآيات الجلالية في بداية أمر تلك الأمة وأنقذها من فرعون، كذلك سيفعل النبي القادم مثل موسى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٣)

القرآن الكريم قد أشار بوضوح إلى وجود مماثلة بين خلافة السلسلتين الإسرائيلية والإسماعيلية كما هو واضح من هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. وآخر خلفاء السلسلة الإسرائيلية الذي جاء بعد موسى بأربعة عشر قرنًا هو المسيح الناصري عليهما السلام، فكان لازمًا أن يظهر مسيح هذه الأمة أيضًا على رأس القرن الرابع عشر. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٨)

وبحسب هذا الوعد فإن الخلفاء الذين سيكونون في الأمة المحمدية سيكونون مثل الخلفاء السابقين. أخبر القرآن الكريم أن النبي ﷺ مثل لموسى عليه السلام حيث ورد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ (المزمل: ١٦).

فالنبي ﷺ مثل لموسى بحسب نبوءة وردت في سفر التثنية في الكتاب المقدس أيضًا. فكما ورد لفظ "كما" في هذه الآية لبيان هذه المماثلة، كذلك جاء لفظ "كما" في سورة النور أيضًا. لقد تبين من هنا بجلاء أن هناك مشابهة ومماثلة تامة بين السلسلتين الموسوية والمحمدية. لقد انتهت سلسلة خلفاء أمة موسى على عيسى حيث بُعث في القرن الرابع عشر بعده. وتحقيقًا لهذه المماثلة كان لزاما -على الأقل- أن يُبعث في القرن الرابع عشر خليفة في الأمة المحمدية يكون مثيلا للمسيح

ومتصفا بمثل قوته وصفاته وقلبه وعلى قدمه. حتى ولو لم يُظهر الله تعالى شهادات أخرى على هذا الأمر، فإن هذه المماثلة اقتضت أن يُبعث في أمة النبي ﷺ بروز عيسى في القرن الرابع عشر، وإلا لصارت ﷺ بموسى مماثلة ضعيفة وناقصة - معاذ الله. ولكن الله تعالى لم يؤكد هذه المماثلة ولم يؤيدها فحسب، بل أثبت أيضا أن مثيل موسى أفضل منه ومن سائر الأنبياء عليهم السلام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٣م، ص ٢-٣)

لقد وعد الله في آية الاستخلاف صراحةً بإقامة الخلافة في هذه الأمة، وقد عدّها مشابهة للخلافة السابقة، حيث قال تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. فكان لزاماً، بحسب وعد الاستخلاف هذا وبحسب هذه المماثلة، أن يكون المسيح خاتم خلفاء الأمة المحمدية، كما كان المسيح خاتم الخلفاء في سلسلة خلافة موسى عليهما السلام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٢)

فإن وعد الاستخلاف الوارد في الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ﴾ أيضا يدل بصراحة على أنه لن يأتي نبي قديم حتى النهاية، وإلا يبطل اللفظ "كما". لقد ذكر الله تعالى باللفظ "كما" مثيلاً له، ولم يذكر به عينه. فما أعظمه من خطأ وتجاسر أن يختلق الإنسان اعتقاداً جديداً من عنده على النقيض من مشيئة الله. وأضاف إلى ذلك أن اللفظ "كما" يحدد المدة أيضاً، لأن المسيح الناصري جاء في القرن الرابع عشر بعد موسى لذا كان ضرورياً أن يأتي المسيح المحمدي أيضاً في القرن الرابع عشر. باختصار، هذه الآية تحل هذه القضايا كلها، إذا كان هناك مَنْ يفكر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٦)

ألا يكفي معارضينا ورود "كما" ثلاث مرات، مرة في صحيح البخاري، (إمامكم منكم) ومرة في صحيح مسلم، (أمّكم منكم) وفوق كل ذلك وروده في القرآن الكريم: (وعد الله الذين آمنوا منكم). (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ١٦)

يتبين على المتدبر في القرآن الكريم أن السلسلتين ذُكرتا مع بعض، السلسلة الأولى بدأت من موسى عليه السلام وانتهت على المسيح عليه السلام. والسلسلة الثانية بدأت من النبي ﷺ ويجب أن تنتهي على شخص مثل المسيح، لأن النبي ﷺ مثل موسى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦) ثم في سورة النور وعد الاستخلاف أي ستكون الخلافة في السلسلة المحمدية أيضا كما كانت في السلسلة الموسوية لتتحقق المطابقة والمماثلة التامة بين السلسلتين بحسب الآيات القرآنية. فلما انتهت السلسلة الموسوية على عيسى عليه السلام كان ضروريا أن يكون خاتم السلسلة المحمدية أيضا هو عيسى الموعود. إنَّ تقابل هاتين السلسلتين هو كالمرآيا المتقابلة؛ أي عندما توضع مرآتان مقابل بعضهما يقع انعكاس إحداهما على الأخرى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ١٩٠٣/١/٢٤ م، ص ٨)

طُرح عليه عليه السلام سؤال: أين ذُكر المسيح الموعود في القرآن الكريم؟ فقال حضرته في الجواب: في سورة الفاتحة، وفي سورة النور، وفي سورة التحريم وغيرها. أما في سورة الفاتحة فقلوه تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وفي سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، وفي سورة التحريم حيث ضُربت أمثلة المؤمنين فقال: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ١٩٠٣/١/٢٤ م، ص ١٠)

كان عيسى عليه السلام نبي الله بصورة مباشرة، أما نبوتي فهي بواسطة النبي ﷺ وبركته. فكيف يمكن أن يأتي عيسى نفسه ما دام هناك وعد "منكم" في آية الاستخلاف في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، كما ورد في صحيح البخاري: "إمامكم منكم". وقد مات عيسى ورآه النبي ﷺ ليلة المعراج مع الأموات في الجنة فما علاقته بالأحياء إذن؟ إن ما شهد عليه الله تعالى بقوله وشهد عليه النبي ﷺ بفعله إنكاره ليس تكذيبا لي. من أنا وما معنى تكذبي؟ بل هو تكذيب للنبي ﷺ في الحقيقة. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٩٠٨/٦/٢٥ م، ص ٩)

الموعود من ذكر في "منكم"، كما قال ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وإلا إذا جاء مئات المسحاء ومن أي أمة كانوا، فلن يكونوا هم الموعودين، لكونهم خارج "منكم". فما دام الله وعد بمجيء الموعود منكم، فكيف يكون موعودا من يأتي من الخارج؟ (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٦، عدد: ١٧/٧/١٩٠٣، ص ٢٠٢)

إن اعتقاد هؤلاء بأن المسيح الموعود سيكون إسرائيليا خاطئٌ تماما، إذ قد ورد في القرآن الكريم صراحة أنه سيكون منكم، كما في سورة النور ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾. ثم ورد في البخاري أيضا "منكم" حصرا، ثم ورد في مسلم أيضا صراحة "منكم" فحسب. لا يفكر هؤلاء الأشقياء أنه إذا كان المسيح نفسه سيعود لكتب "من بني إسرائيل" بدلا من "منكم". فالآن يصرخ القرآن الكريم والأحاديث بملء صوتهما أنه "منكم" بينما يدّعي هؤلاء أنه من بني إسرائيل، تدبروا هل نترك القرآن الكريم أم هؤلاء؟ (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٩، عدد: ١٦/١٠/١٩٠٣، ص ٣٠٦)

القرآن الكريم قد ذكر بكل وضوح سلسلتين، إحداها بدأت من موسى عليه السلام وانتهت عند المسيح عليه السلام، والأخرى التي تقع بمحاذاتها، هي سلسلة النبي ﷺ. فقد سمي حضرته في التوراة أيضا مثل موسى كما وصفه القرآن الكريم أيضا مثل موسى، كما ورد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦) ثم كما انتهت سلسلة موسى عليه السلام عند المسيح عليه السلام كانت مماثلة هذه السلسلة بما تقتضي أن يبعث المسيح المحمدي في الوقت والزمن الذي جاء فيه المسيح عليه السلام بعد موسى عليه السلام. ومن الواضح الجلي أن المسيح الموسوي كان قد بعث في القرن الرابع عشر، فكان من الضروري أن يبعث المسيح المحمدي أيضا في القرن الرابع عشر. فلو لم تكن هناك آية أو شهادة أخرى لاقتضى تكميل هذه السلسلة أن يأتي المسيح المحمدي في العصر الراهن، لكن عندي مئات الآيات والأدلة الأخرى أيضا. ثم قد وُصف القادم بأنه من هذه الأمة حصرا، كما قيل في ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»، وكذلك وُصف الآتي بأنه من هذه الأمة حصراً، كما قال ﷺ: "إمامكم منكم". فالنصوص القرآنية والحديثية تشهد بجلاء أن المسيح الموعود القادم سيكون من هذه الأمة حصراً، فالحاجة بحذ ذاتها تدعوه، لأن الإسلام يتعرض لأشد الهجمات، ويبدل الأعداء الجهود والمساعي قدر المستطاع للقضاء على الإسلام. (الحكم مجلد ٨، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٤م، ص ٤-٥)

لقد وُعد بالخلافة المؤمنون أصحاب الأعمال الصالحة من هذه الأمة. فكما جعل الخلفاء في بني إسرائيل، كذلك جاء حرف "كما" في الآية القرآنية أيضاً. فمن ناحية جعلت هذه السلسلة مثيلة السلسلة الموسوية، وفي آية أخرى وُعد بجعل الخلفاء كما في السلسلة الموسوية. أفلا يبين التوافق الطبيعي بين السلسلتين أن يكون في هذه الأمة أيضاً خلفاء مثلهم؟ يتبين ذلك حتماً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥م، ص ٣)

النبوءات نوعان، أولاهما: نبوءات الوعد؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ ويؤمن أهل السنة بأن الله تعالى لا يُخلف وعده في تحقيق هذا النوع من النبوءات لأنه كريم، ولكن فيما يتعلق بأنباء الوعيد فيمكن أن يعفو عن الناس بعد الإنذار لأنه رحيم. إنه لجاهل وبعيد جداً عن الإسلام من يقول بأن أنباء الوعيد كلها تتحقق حتماً، لأنه يهجر القرآن الكريم لأن القرآن يقول: ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٦، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص ٤)

الآية ٥٧: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الأوامر التي أعطاها الله ﷻ للإنسان في صورة الشريعة، مثل قوله ﴿أَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤٤)، أو ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٦) حين يداوم عليها لمدة تنتقل هي الأخرى من الصبغة الشرعية إلى الكونية، ثم لا يكون من وسعه أن يعارضها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠٣م، ص ١٥)

الآية ٦٢: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

إن الاعتقاد بأن دين البراهمن يفسد نتيجة لمس المنبوذ له وغيره من المعتقدات لهُوَ من أمارات ضعف دين الهندوس في الحقيقة، إذ يفسد بمجرد اللمس. فلما كان أساس الإسلام قويا، فليس فيه مثل هذه الأمور، فقد قال عن الطعام: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾. (بدر، مجلد ٧ رقم ١٩-٢٠، عدد: ١٩٠٨/٥/٢٤، ص ٣)

إذا كان أحد لا يريد أن يأكل طعاما مع أحد فليعتزل بعذر. يقول الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ دون أن يفصح بذلك، لأن ذلك ليس بجيد. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٣/٧/٢٤، ص ٢١٠)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "الفرقان"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

فهذه الآية تشكل دليلاً ساطعاً على إعلان القرآن الكريم بأن النبي ﷺ قد ظهر في زمن كان العالم بأسره قد فسد فيه وفسدت الأمم كلها. وإن الأمم المعارضة لم تصدّق هذه الدعوى بالسكوت عليها فحسب بل قد اعترفوا بذلك، فثبت منه بالبدهة أن النبي ﷺ قد بُعث في الحقيقة في زمن كان ينبغي أن يُبعث فيه نبيٌّ صادق وكامل. ثم حين نظر إلى الجانب الثاني أنه متى رُجع النبي ﷺ إلى الله؟ فنقرأ في القرآن بوضوح وصراحة أنه أمر بالرجوع في زمن كان قد أنجز مهمته؛ أي قد دُعِيَ إلى الله بعد أن نزلت هذه الآية التي تفيد أن التعليم للمسلمين قد اكتمل، وكلُّ ما كان

تقتضيه ضرورات الدين قد نزل، وليس ذلك فحسب، بل قد أنبئ أيضا بأن تأييدات الله ﷻ أيضا قد بلغت الكمال، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ونزلت الآيات التي تفيد أن الله تعالى قد رسخ الإيمان والتقوى في قلوبهم، وكره إليهم الفسق والفجور، واتصفوا بالأخلاق الطيبة السامية، وظهر تغيير عظيم في أخلاقهم وسلوكهم ونفوسهم. (نور القرآن رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٦١-٣٦٥)

مما يجدر بالانتباه أن كلمة "نذيرا" الواردة في هذه الآية قد استُخدمت مقابل جميع فرق العالم، وتعني تحذير الأثمين والسيئين. وهذه الكلمة تؤكد إعلان القرآن بأن العالم كله قد فسد، وكل واحد ترك طريق الصدق والسعادة؛ لأن الإنذار يخص الفاسقين والمشركين والسيئين حصرا، ويكون الإنذار والتخويف لتنبيه المجرمين، ولا علاقة لهما بالصالحين. وكل واحد يعرف أن المتمردين والبغاة وعدمي الإيمان حصرا يُندَرُونَ. والسنة الإلهية هي أن الأنبياء يبشرون الصالحين وينذرون الطالحين. فلما كان نبي نذيرا للعالم كله فهذا يدفعنا إلى الإيمان بأن العالم كله غداً في وحي النبي مرتكباً للسيئات، وهذه الدعوى لم تعلنها التوراة بحق موسى عليه السلام ولا الإنجيل بحق زمن عيسى عليه السلام وإنما أعلنها القرآن الكريم فقط. (نور القرآن رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٣٦-٣٣٧)

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.. نقول بكل قوة وشدة بأنه ما من كتاب موحى به ادعى ذلك قبل القرآن الكريم، بل جعل كل واحد منها رسالته محدودة على قومه فقط إلى درجة أن النبي الذي اتخذه النصراني إلها قال: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ". وقد شهدت أحداث الزمان أيضا أن ادعاء القرآن الكريم الدعوة العامة في محله تماما، لأن باب الدعوة العامة كان قد فُتح في زمن النبي ﷺ. فبعد نزول الآية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩) كتب النبي ﷺ بيده رسائل إلى كبار ملوك العالم لدعوتهم إلى الإسلام. بينما لم يكتب أي نبي آخر رسالة إلى ملك قوم آخرين قط يدعوهم إلى دينه لأنهم ما كانوا

مأمورين بتبليغ الدعوة إلى أقوام أخرى. بل الدعوة العامة بدأت بيد النبي ﷺ فقط، ثم بلغت ذروة كمالها في زمن المسيح الموعود وبيده. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٧٦-٧٧)

الآية ٣-٤: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾

يقول الله تعالى هنا بكل وضوح إنه ما من خالق سواه. ويقول في آية أخرى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ويقول أيضا إنه لا أحد يملك الموت ولا الحياة ولا الضر والنفع. فمن الواضح في هذا المقام أنه لو كان من سنته ﷻ أن يمنح أحدا من خلقه قدرة على الإماتة والإحياء ويُشركه في صفاته، لذكر هؤلاء على وجه الاستثناء، وما علّمنا ذلك التوحيد الأعلى والأسمى. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٥٩-٢٦٠ الحاشية)

﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، أي ليس له أي شريك في ملكه فهو خالق الكل. والدليل الساطع على كونه خالقا أنه خلق كل شيء على قدر لا يتجاوزه، بل ينحصر ويُحدّ في القدر نفسه. والشكل المنطقي لهذا أن كل جسم وروح محصور ومحدود في قدر معيّن. ومعلوم أن لكل شيء محدود ومحصور حاصراً ومحدّدا حتماً، وبالنتيجة فإن لكل جسم وروح حاصراً ومحدّدا. الآن في إثبات القضية الأولى - أي كون الأشياء محدودة القدر - نجد أن العقل يقترح أن تكون الخواص المؤدعة في جميع الأجسام والأرواح أكثر مما هي عليه؛ فلإنسان مثلاً عيان، وكان ممكناً عند العقل أن تكون له أربع أعين، اثنتان منها على الوجه واثنان في الخلف، لكي يتمكن من رؤية الأشياء وراءه كما يرى الأشياء أمامه. ولا شك

أن أربع عيون ضعفان في الكمال والفائدة. كما ليس للإنسان أجنحة، وكان من الممكن أن تكون له أجنحة كالطيور. وعلى هذا القياس إن قوة نطق الإنسان أيضا محدودة في حدود معينة، كما أنه لا يقدر على اكتشاف المجهولات بنفسه دون تعليم معلّم، ولا يسلم من القسر الخارجي مثل الجنون والخمر بل يصيب الفتور قواه وقدراته فوراً، وكذلك لا يستطيع بنفسه إدراك الجزئيات. كما قد كتب ذلك بصراحة الشيخ المحقق أبو علي بن سينا، في النمط السابع في الإشارات. مع أنه كان ممكناً عقلاً أن يبقى سليماً من كل هذه الآفات والعيوب. هنا ينشأ السؤال: لماذا حرم الإنسان من جميع المراتب والفضائل التي يقترحها العقل لروح الإنسان؟ فهل برأي شخص آخر أم بطيب خاطره؟ إن قلتم إن ذلك حصل عن طيب خاطره فهذا خلاف الحقائق صراحةً، لأنه لا أحد يحب لنفسه ذلك الحرمان، أما إذا قلتم بأنه باقتراح مقترح آخر، فطوبى لكم إذ قد ثبت بذلك وجود خالق الأرواح والأجسام، وهو المرام. (المقالات القديمة، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٨-٩)

إنّ أوضح دليل على أنه الخالق؛ هو أنه خلق كل شيء محصوراً ومحدوداً في قدر معلوم، الأمر الذي يثبت أنه هو الحاصر والمحدّد. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢١، الحاشية رقم ٣)

فليكن واضحاً بعد ذلك أن التقدير يعني التقييم والتخمين فقط، كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ كيف يثبت من ذلك أن الإنسان مُنْع من العمل بإرادته؟ بل التقدير يشمل إرادته وصلاحيته أيضاً. وحين قدّر الله فطرة الإنسان وطبيعته أطلق على ذلك "التقدير". وقدّر في ذلك أن الإنسان يستطيع أن يعمل بالإرادة إلى حد كذا وكذا. فمن الخطأ الكبير الاستنباط من كلمة "التقدير" أن الإنسان يُكره ليُحرم من قواه التي وهبها الله له. هنا ينطبق مثل الساعة؛ فهي لا تعمل لزمن أطول مما يحدد لها صانعها. فالمثل نفسه ينطبق على الإنسان لأنه أيضاً لا يستطيع أن يعمل شيئاً أكثر مما

أعطي من القوى والقدرات، ولا يستطيع أن يعيش أطول مما كُتب له العيشُ.
(الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣٢)

لقد خلق الله كل شيء بنفسه وقدره أيضا بقدرته الخاصة. (القول الحق، الخزان
الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣١)

أما القرآن الكريم فلم يعتبر الله جل شأنه مالك كافة الأرواح وكل ذرة من ذرات
الأجسام دوغما سبب أو قهرا فحسب مثل الفيدا بل بينَ لذلك سببا بقوله: ﴿لَهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويقول أيضا: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ أي قد
وضع حدودا لقوة كل شيء وعمله لتدل الأشياء المحدودة على محدد وهو الله تعالى.
فرى أنه كما أن الأجسام مقيّدة في حدودها ولا يمكن أن تخرج عنها كذلك الأرواح
أيضا مقيّدة لا يمكن أن تحرز قدرة أكثر من قدراتها المحددة.

والآن نقدم أولا بعض الأمثلة على كون الأجسام محدودة، وهي أن القمر مثلا
يُكمل دورته في شهر أي في ٢٩ أو ٣٠ يوما، ولكن الشمس تُكملها في ٣٦٤
يوما، ولا تقدر على أن تحتصر دورتها مثل دورة القمر، كما لا يقدر القمر على أن
يطيل أيام دورته مثل أيام دورة الشمس. ولو أجمع العالم كله على أن يزيد أو ينقص
من دورات هذين الكوكبين لما أمكن لهم ذلك. كذلك ليس بوسع الشمس والقمر
أن يغيرا شيئا في دورتهما.

فالذي حدد لهذين الكوكبين حدودهما، أي الذي هو محددهما هو الإله. كذلك
هناك فرق كبير بين جسم الإنسان وجسم الفيل. لو أجمع الأطباء جُلّهم وكلهم على
أن يصبح الإنسان مثل الفيل في قدراته الجسدية ومن حيث الضخامة لما أمكن لهم
ذلك. كذلك لو أرادوا أن يُحدّ الفيل في قامته الإنسان لاستحال ذلك أيضا. فهنا
أيضا نوع من التحديد كما هناك تحديد للشمس والقمر. وذلك التحديد يدل على
محدد، أي على الذات الذي قدر للفيل تقديرا معينا وقدر للإنسان تقديرا آخر.
ولو تدبّرنا في الموضوع لرأينا في كل هذه الأشياء المادية تصرفا كامنا وغريبا لله تعالى

ولا حظنا تقديره وتحديد الغريب. إذ نرى مشهدا غريبا للتحديد في أجسام الحيوانات كلها بدءا من الحشرات الصغيرة التي لا تُرى إلا بالمجهر إلى الحيتان الكبيرة التي تستطيع أن تلتهم زورقا كبيرا أيضا كلقمة صغيرة. ففي أجسام الحيوانات يُلاحظ مشاهد غريبة للتحديد، فلا يسع حيوانا أن يخرج من حدود جسمه. كذلك لا يمكن للنجوم التي نراها في السماء أن تخرج من حدودها. إذًا، فهذا التحديد يدل على أن هناك محددا وراءه. هذا هو معنى الآية: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾. فليكن واضحا أنه كما يوجد هذا التحديد في الأجسام كذلك هو ثابت في الأرواح أيضا. يمكنكم أن تدركوا أن القدر الذي يمكن للروح الإنسانية أن تُظهره من كمالاتها، أو قولوا إن شئتم بأنه بقدر ما تترقى إلى الكمالات لا يمكن أن تحظى بها روح الفيل على كونه ضخما وجسيما. كذلك إن روح كل حيوان محدودة في دائرة نوعها من حيث قواها وقدراتها ولا تستطيع أن تحرز من الكمالات إلا ما هو مقدّر ومحدّد لذلك النوع. فكما أن تحديد الأجسام يدل على أن لها محددا وخالقا، كذلك يدل تحديد قدرات الأرواح أيضا على أن لها خالقا ومحددا. وإن تقديم قضية التناسخ اللاغية والسخيفة هنا ليس إلا تفريقا بين أفعال الله تعالى، لأن العقل يشهد بصراحة تامة أن كِلا النوعين من التحديد المذكور يخضع لنظام واحد، ولهما هدف واحد وهو العثور على محدّد، ولكي يُعلم أنه سُبْحَانَهُ خالق الأجسام ومحدّدها كذلك هو خالق الأرواح ومحدّدها أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٧-١٩)

أي الله خلق كل شيء ولا يخرج شيء عن خلقه. وقد خلق كل شيء ثم حدد جسد كل شيء وقدراته وقواه وخواصّه وصورته وشكله في حد معين لكي تدلّ محدوديته على وجود محدّد وهو البارئ عز اسمه. ولأنه غير محدود في حد ذاته لذا لا يجوز أن يُطرح عنه سؤال من هو محدّده. فقد قال تعالى في الآية المذكورة آنفا بمنتهى الوضوح بأن كل ما جاء إلى حيّز الوجود خلقه الله مع كل قواه وقدراته.

هذا هو التوحيد الكامل الذي يجعل الله منبع جميع الفيوض، ولا نعلم أن هناك شيئاً لم يخلقه الله أو يعيش دون سند منه ﷺ. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٥)

وتُغيّر بعضُ الأقدار المشابهة للقدر المبرم أيضاً، إلا أن القدر المبرم الحقيقي لا يُغيّر بدعاء المؤمن الكامل ولو كان يحظى بدرجة النبي أو الرسول. (الحكم السماوي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٢٤)

صحيح تماماً أن القدر محيطٌ بكل شيء، ولكن القدر لم يُطل العلوم ولم يستخفّ بها، ولم يعدّ الأسباب شيئاً عبثياً. بل لو تأملتم في الموضوع لوجدتم أن الأسباب المادية والروحانية أيضاً لا تخرج عن نطاق القدر. فمثلاً لو قُدِّر الخير لمريض لتيسّرت له أسباب العلاج كلها ويكون الجسم أيضاً مستعداً للانتفاع بها. عندها يؤثر الدواء كما يصيب السهم الهدف. هذا هو القانون في الدعاء أيضاً، بمعنى أن جميع الأسباب والشروط لاستجابة الدعاء لا تجتمع إلا إذا كانت الاستجابة من مقتضى مشيئة الله. لقد ربط الله تعالى نظامه المادي والروحاني بسلسلة واحدة من المؤثرات والمتأثرات. (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١١-١٢)

القدر نوعان: معلق ومبرم. والمعلق يمكن أن يزول بالدعاء والصدقات، ويبدل الله تعالى قدره هذا بفضله، أما المبرم فلا ينفع فيه الدعاء والصدقات شيئاً، غير أن تلك الصدقات والدعوات لا تذهب سدى، لأن ضياعها يتنافى مع عظمة الله تعالى، بل يُري الله تعالى الإنسان تأثير ونتائج أفعيته وصدقاته تلك بشكل آخر. وأحياناً يؤجل الله قدره ويؤخره إلى وقت آخر.

ونجد أصل القضاء المعلق والقضاء المبرم في القرآن الكريم، وهذا الذكر لم يرد نصّاً بل ورد معنى، حيث قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١). فيتبين من هنا أن الدعاء يمكن أن يجاب وأن العذاب يمكن أن يلغى بالدعاء. ليس آلاف الأعمال بل كل الأعمال يمكن أن تُنجز بالدعاء. اعلّموا أن الله

يتصرف في الأشياء كلها تصرفَ قدرةٍ وسلطانٍ، ويفعل ما يشاء. وسواء اطلع الناس على هذه التصرفات الإلهية الخفية أم لا، إلا أن الخبرات الواسعة لآلاف الناس والنتائج الصريحة لأدعية آلاف الداعين بحرقه وألم، تدلُّ على أن الله تصرفاً خفياً في الأشياء، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء. وليس لزاماً علينا أن نتعمق في تلك التصرفات لإدراك كُنْهها وكيفيتها. ما دام الله يعلم أن أمراً ما آتٍ، فلا حاجة بنا للخوض في الخصام والجدال حوله. لقد جعل الله قضاءه وقدره المتعلق بالإنسان مشروطاً بحيث يمكن أن يلغى بالتوبة والخشوع والخضوع. عندما يصاب الإنسان بأذى ومصيبة فإنه يتوجه إلى الأعمال الحسنة فطرةً وطبعاً، ويشعر بداخله بقلق وكرب ينبّهه ويجذبه إلى فعل الحسنات ويُبْعِدُه عن الآثام. وكما أننا نجد تأثير الأدوية بالتجربة، كذلك حين يَحْزُنُ المضطّرُّ على أعتاب الله بغاية التذلل والتفاني، ويناديه: ربي ربي، ويدعوه ويستغيثه، فإنه يتلقى البشارة والطمأنينة عبر الرؤى الصالحة أو الإلهامات الصحيحة. قال سيدنا علي -كرم الله وجهه- الدعاء الذي يتمّ بصبر وصدق إذا بلغ المنتهى استجيب. وزوال العذاب بالدعاء والصدقة حقيقة ثابتة قد أجمع عليها المئة ألف وعشرين ألف نبّي، وشهد عليها ملايين الصالحاء والأتقياء وأولياء الله تعالى. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٣)

إن القدر، أعني سير الأشياء كلها في الدنيا وتوقّفها إلى حد معيّن وبحسب قانون معيّن، لدليلٌ بيّنٌ و يقينيٌّ على أن هناك مَنْ جعل لهذه الأشياء هذا القدر والحد. الساعة إذا لم تكن قد صنعها أحدٌ ذو إرادة فكيف تحافظ هي على حركتها المنتظمة وتنفعنا؟ وبالمثل فإن ساعة السماء بما فيها من ترتيب دوام ونظام، تدل على أنها قد خلقها أحد ذو إرادة لهدف وغاية وفائدة معينة. وهكذا فإن الإنسان يعرف الصانع من خلال المصنوع والمقدّر من خلال التقدير. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٨٩٩م، ص ٦)

أهل العلم يعرفون جيداً أن القضاء أحياناً يلغى، لذا ينبغي أن يدعو الإنسان بكامل التضرع والخشوع والخضوع والتركيز والتواضع الصادق والحرقة. فالأوضاع التي يراها الإنسان في الرؤيا مهما كان نوعها يجب عليه أن يدعو.

يخطر ببالي كثيرا أن عيسى عليه السلام أيضاً ربما رأى قضية مخيفة مفزعة حتى قضى الليلة كلها في الدعاء، وظل يدعو الله بكلمات تدل على منتهى الكرب والضراعة، وربما كان قد اعتبر قدر الله المعلق مبرماً، ولذلك ازداد اضطرابه وقلقه، ونشأت فيه هذه الرقة والحرقة حين ظن أن أجله المسمى قد حان، لأنه في كثير من الأحيان يكون القضاء المعلق لطيفاً ودقيقاً لدرجة أنه حين ينظر إليه المرء بنظرة عابرة يجده مبرماً. فقد كتب الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله أيضاً في كتابه فتوح الغيب: القضاء الذي يبدو مبرماً يُصرف بدعائي كثيراً، وقد حدثت أحداث كثيرة من هذا القبيل. وعُلّق على قوله صالح آخر بقوله إن القدر المعلق يظهر في أحيان كثيرة بحيث تكون معرفته صعبة جداً فيما لو كان معلقاً أو مبرماً؛ حيث يُظن أنه مبرم، لكنه يكون في الحقيقة معلقاً. وربما كان القدر الذي صُرف بدعاء الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله من هذا القبيل، لأن القدر المعلق ينصرف. باختصار قد كتب أهل الله حول هذه المسألة بمنتهى الوضوح، أي أن القضاء المعلق يلغى... ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧٢)، أيضاً أنه يطرأ على الأنبياء والصلحاء حتماً وقت عصيب هائل ومفزع جداً حيث تكاد الروح تزهرق، وأن أهل الحق أيضاً يردون مرة هذا المأزق، لكن الله تعالى يعتني بهم عاجلاً ويخرجهم منها، وبما أنه يكون قدراً معلقاً، لذا يُصرف بدعائهم وضراعتهم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٦)

الناس يعترضون ويقولون: لماذا ينقسم القدر إلى قسمين؟ فجوابه أن التجربة تشهد على أن الإنسان يواجه أحياناً مواقف خطيرة جداً فيقنط تماماً ولكنها تزول بالدعاء والصدقات. فلا بد من الاعتراف أنه إن لم يكن القدر المعلق شيئاً، بل القدر المبرم هو

كل شيء وأن الدعاء والصدقة والخيرات لا شيء، فلماذا تُردّ البلايا إذن؟ إن الله تعالى يُظهر بعض الأفعال ليخيف الإنسان إلى حد ما، ثم يزيل ذلك الخوف حين دفع الصدقة والتبرعات. إن مثل تأثير الدعاء كمثل الذكر والأنتى؛ أي عندما يتحقق الشرط ويتسنى الوقت المناسب ولا تكون هناك أية نقیصة يزول ذلك الأمر. وعندما يكون القدر مبرما لا تتسنى تلك الأسباب لاستجابة الدعاء. ترغب طبيعة الإنسان في الدعاء أحيانا ولكن لا يتسنى التركيز التام ولا يذوب القلب. وكل ما يقوم به المرء من الصلاة والسجود لا يتمتع بها، وهذا يوحي أن العاقبة ليست حسنة وأن القدر مبرم.... يقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله أيضا إن القدر المبرم زال أحيانا نتيجة دعائي. وقد اعترض على ذلك الشارح الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي قائلا بأن القدر المبرم لا يزول، فما معنى قوله هذا؟ ثم رد عليه بنفسه أن القدر المبرم قسمان: مبرم حقيقي، ومبرم غير حقيقي. المبرم الحقيقي لا يمكن أن يزول بأي حال. كما أن الموت يوافي المرء لا محالة فلو أراد أحد ألا يصيبه الموت ويظل حيا إلى يوم القيامة فهذا لا يمكن. والمبرم غير الحقيقي هو ما تبلغ فيه المصائب والمعاناة منتهاها وتبدو أنها لن تزول بحال، فقد سمي ذلك أيضا مبرما مجازا. أما المبرم الحقيقي فلا يزول قط، وإن دعا لزواله الأنبياء جميعا. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٧، عدد ١٦/٧/١٩٠٤م، ص ٣-٤)

القدر نوعان، الأول هو القدر المعلق، والثاني هو القدر المبرم. عندما تتم مشيئة الله لا تُردُّ. لو أمكن ردّها لاجتنبها العالم كله. من علامات القدر المبرم أن المرض يتفاقم يوما إثر يوم وتتدهور الحالة. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٦)

الآية ٥: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾

لو لم يكن النبي ﷺ أميّا فكيف كان لمعارضيه الإسلام أن يسكتوا على ذلك لو وجدوا الأمر خلافا للواقع، وخاصة اليهود والنصارى؛ الذين كانوا يكتنون للمسلمين

البغض والحسد أيضا - إضافة إلى الخلاف في المعتقدات - لعدم مجيء الرسول من بني إسرائيل ومجيئه من إخوانهم بني إسماعيل؟ فمما لا شك فيه أنه كان ثابتا لهم وبكل جلاء؛ أن ما يقوله النبي ﷺ ليس بوسع أمي وغير دارس، وكذلك ليس عمل عشرة أشخاص أو عشرين، لذلك قالوا لجهلهم: ﴿أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾. أما العاقلون منهم وأصحاب العلم في الحقيقة فقد علموا جيدا أن القرآن الكريم يفوق قوى البشر. وقد فُتِحَ عليهم باب اليقين لدرجة قال الله تعالى في حقهم: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٧). (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٨-٥٩٠)

فقالوا: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.. أي أن تأليف القرآن الكريم ليس فعل شخص واحد، بل قامت به جماعة كبيرة مجتمعين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٥٨٤)

الآية ٨: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾

لقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم اعتراض كفار العرب: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كأن أكل الخبز والطعام الجيد كان ينافي النبوة عندهم. كذلك كان اعتراضهم بأن النبي يجب أن يكون منزويا في زاوية لا أن يمشي في الأسواق. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٩٧، الحاشية)

التصرفات التي تكون مع الأنبياء باعتبارهم من خلق الله ما ورد في قول الله تعالى: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. فصحتهم ومرضهم وغيرهما تكون بيد الله نفسه. ثم هناك تصرف إلهي جديد آخر معهم نظراً إلى مراتب قربهم من الله تعالى، وهو أن الله تعالى يتقرب إليهم بحيث تبدأ معهم سلسلة المخاطبات والمكالمات الإلهية، ويتلقون من الله الجواب على أدعيتهم، ولكن بعض الناس لا يستطيعون استيعاب

هذا الأمر. ولا يقتصر الأمر على المكاملة والمخاطبة الإلهية فقط، بل يأتي بعد ذلك مرحلة يُلقَى فيها رداء الألوهية عليهم، ويُريهم الله تعالى نماذج شتى لوجوده. وخير مثال لهذا القرب والعلاقة هو أننا إذا وضعنا قطعة حديدية في النار فإنها تتراعى بتأثير النار عليها قطعةً من النار، حيث تضيء كالنار وتوجد فيها صفة الإحراق أيضاً التي هي من صفات النار، ومع كل ذلك يظل الواقع البين هو هو، أعني أن تلك القطعة الحديدية لا تكون ناراً أو جزءاً منها في الحقيقة.

كذلك قد جربنا أن أولياء الله يلبغون من قرب الله مقاماً ثواري فيه صبغة الألوهية في طياتها صبغة بشريتهم كلية، وكما أن النار تُواري الحديد في طياتها حتى لا يترأى شيئاً سواها بادي الرأي، كذلك فإنهم يتصبغون بصبغة الصفات الإلهية على وجه الظلّة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٠-١٤١)

حين قال الكفار: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، إنما تفوهوا بهذا الكلام نظراً إلى حالة النبي ﷺ الظاهرية أنه بشر مثلاً، ويأكل ويشرب ويتجول في الأسواق. وكان السبب وراء ذلك أنهم لم يحظوا ببركة صحبة النبي ﷺ حتى يشاهدوا أمراً يتعلق بالنبوة، فكانوا معذورين. فإنما قالوا بحسب ما شاهدوا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣م، ص ٤)

قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، فردّ عليهم أخيراً أنه بشر وتلازمه الحوائج البشرية كلها. الأنبياء والرسل الذين جاؤوا قبله كانوا أيضاً بشراً. لقد قالوا ذلك استخفافاً لأنهم كانوا يعرفون أنه ﷺ كان يتسوق بنفسه عادة. وكانوا قد رسموا في أذهانهم صورة النبي ﷺ كبشر فقط تلازمه الحوائج مثل الأكل والشراب والنوم والمشي وغيرها من مستلزمات البشرية لذلك رفضوه. هذه المشكلة تنشأ لأن الناس يرسمون في أذهانهم صورة أنه يجب أن يكون النبي كذا وكذا، وعندما لا يجدونه مطابقاً لتلك الصورة يتعثرون. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٧، عدد

المراد من الطعام هنا الفاخرُ والشهي الرائع. فحين يتجاوز الإنكار حدوده تخطر ببال الإنسان مثل هذه الاعتراضات. (بدر مجلد ٧، رقم ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠٨م، ص ٣)

الآية ٢١: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

تبرهن هذه الآية أيضا أن الأنبياء الذين كانوا قبل النبي ﷺ لا يأكلون الطعام الآن ولا يمشون في الأسواق. وقد بينّا من قبل بنص القرآن أن أكل الطعام من مستلزمات الحياة الدنيوية، فما دام هؤلاء الأنبياء كلهم لا يأكلون الطعام الآن، فتبين أنهم ماتوا جميعا بمن فيهم المسيح أيضا، لأن الكلمات الواردة في الآية تفيد الحصر. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣١)

الآية ٣١: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

اعلموا أن القرآن الكريم ينبوع البركات الحقيقية ووسيلة صادقة للنجاة، ومن خطأ هؤلاء أنهم لا يعملون بالقرآن الكريم. ومن غير العاملين به فئة لا يعتقدون به أصلا، ولا يعدّونه كلام الله، إنهم في شقاق بعيد. ولكن كم من غريب ومؤسف أن لا يعمل به أولئك الذين يؤمنون أنه كلام الله ووصفة ناجعة للنجاة! فكثيرون منهم لم يقرأوه في حياتهم. مثل الغافلين عن كلام الله والذين يهملونه إلى هذا الحد كمثل الذي يعلم يقينا أن ينبوعا كذا وكذا نقي جدا وزلال وبارد وماؤه إكسير وشفاء للأمراض كثيرة، فما أكبرها من شقاوة وجهل إن لم يقترب منه رغم كونه ظامئا ومصابا بأمراض عديدة! فهذه شقاوته وجهله. كان لزاما عليه أن يضع فمه على هذا ينبوع ويرتوي جيدا ويستمتع بمائه اللذيذ والشافي. ولكنه مع معرفته بذلك يظلّ بعيدا عنه كمن يجهله ويبقى بعيدا عنه إلى أن يقضي عليه الموت. إن حالته لجديرة بالعبارة والنصيحة، وقد آلت حالة المسلمين إلى ذلك في الوقت الحالي. فهم يعرفون أن مفتاح كل نجاح هو

القرآن الكريم وحده الذي يجب أن يعملوا به ولكنهم لا يأبهون به قط. أما الذي يدعوهم إليه بمنتهى المواساة والنصح، وليس بالمواساة فقط بل بأمر من الله تعالى وإيعازه، فيسمونه كذابا ودجالا. هل يمكن تصوّر حالة مزرية أكثر من حالة هؤلاء القوم؟ (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٤/٩/٢٤، ص ٢)

الآية ٣٣: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

يعترض الكفار ويقولون لم لم ينزل القرآن مرة واحدة؟ كذلك كان المفروض لنطمئن قلبك ونقويه فينة بعد فينة ولكي تستبين المعارف والعلوم -المرتبطة بزمن معين- على وقتها لأن فهم بعض الأمور يكاد يكون مستحيلا قبل الأوان. فأنزلت الحكمة الإلهية القرآن الكريم على زمن امتد إلى ٢٣ عاما لكي تتحقق في أثناء هذه المدة الآيات الموعود بها. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٥٧)

الحق أن الأنبياء عليهم السلام يتعلمون في مدرسة الله تعالى، ويدعون تلاميذ الرحمن ويكون تقدمهم أيضا تدريجيا، لذلك جاء في القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، أعلم جيدا ماذا تكون حالة الأنبياء عليهم السلام. يكون هناك فاصل زمني يُعَدُّ بالآلاف الفراسخ بين اليوم الذي يُكَلَّفُ نبي بمهمة النبوة واليوم الأخير من نبوته. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢، ص ١٠)

الآية ٤٢: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾

أي يسخرون منك وسيقولون مستهزئين: هل هذا الذي كلّفه الله بإصلاح الخلق؟ فلا تتوقع صلاحا من خبثاء الطوية. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦١١-٦١٢، الحاشية رقم ٣)

الآية ٤٥: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

الذي لا يكون نافعا للناس بالتحلي بالأخلاق الفاضلة فإنه لا يصلح لشيء على الإطلاق، بل يصبح أسوأ من الحيوان الميت، فجلد الحيوان الميت وعظامه تُستخدم على الأقل ولكن الإنسان الميت لا يُستخدم حتى جلده. وفي هذا المقام يصبح ذلك الإنسان مصداق: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. (الحكم، المجلد ٤، الرقم ٢٥، عدد ١٩٠٠/٧/٩، ص ٣)

الناس في الدرجة الثالثة هم أولئك الذين يسبقون في الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة. يتبين من إلقاء نظرة شاملة على زمن النبي ﷺ الذي كان زمن صدر الإسلام، كيف أوصل تعليمه ﷺ المؤمنين من الدرجة الأدنى المذكورة آنفا إلى الدرجة العليا؛ لأن حالة معظم المؤمنين الابتدائية التي جاءوا بها كانت أسوأ من وحوش البراري أيضا، فكانت حياتهم كالسباع وكانوا متورطين في أعمال وأخلاق سيئة حتى كانوا قد خرجوا من دائرة الإنسانية. وكانوا فاقدون الشعور حتى لم يدركوا أن أخلاقهم سيئة، أي تلاشت منهم حاسة التمييز بين الحسنة والسيئة. فالتأثير الأول الذي تركه فيهم تعليم القرآن وصحبة النبي ﷺ كان أنهم شعروا بأنهم عراة تماما من لباس الطهارة ومتورطون في قذارة سوء الأعمال، كما يقول الله تعالى عن حالتهم الابتدائية: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. ثم عندما شعروا نتيجة صحبة النبي ﷺ المقدسة وتأثير الفرقان الحميد الخلاب أن الحالة التي يقضون بها حياتهم هي حياة السبعية ومتلخطة بسوء الأعمال كليا، تحركوا إلى الأعمال الصالحة مستمدون القوة من روح القدس. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٤)

الآية ٤٦-٤٨: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالتَّوَمَّ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١٨٨﴾

أي ترى الظلام سائدا في الأرض في كل حذب وصوب. ولو شاء الله لجعل الظلام مستديما دون أن يسطع النور أبدا، ولكننا نُطلع الشمس لكي تكون دليلا على أن الظلام كان سائدا قبلها. أي حتى يُعرف الظلام بواسطة النور؛ لأنه بضدها تتبين الأشياء. وإن قدر النور إنما يتبين للذي يعرف وجود الظلام. ثم قال: نزيل الظلام بواسطة النور شيئا فشيئا لكي يستفيد الجالسون في الظلام من النور رويدا رويدا ولكيلا تنشأ الحيرة والوحشة التي يُتوقع حدوثها عند الانتقال من حالة إلى أخرى دفعة واحدة. كذلك عندما تسود الدنيا ظلمة روحانية فإن شمس الصدق تظهر من عند الله تعالى لإفادة الخلق بالنور ولإظهار الفرق بين النور والظلمة، ثم تطلع على الدنيا كلها رويدا رويدا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٦-٦٥٧)

الآية ٤٩-٥٠: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا﴾
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ أي القرآن لنحيي به أرضا ميتة. (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢٢)

الآية ٥١: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾
... وذلك ليعلم الناس أن هذا هو الهدف وراء إرسال الأنبياء. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٢)

الآية ٥٢-٥٣: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

لو شئنا لبعثنا في كل قرية رسلا منفصلين ولكن فعلنا ذلك لكي تظهر منك مساع عظيمة.. أي عندما يقوم شخص واحد بإنجاز مهمة آلاف الأشخاص سينال أجرا

عظيما دون شك، وسيكون ذلك مدعاة لأفضليته. فلأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء والرسل وأعظمهم؛ فكان بمشيئة الله أن يتبين للعالم كله كونه ﷺ أعلى الأنبياء والرسل وأسماهم من حيث الخدمات الظاهرية أيضا كما أنه أفضل الأنبياء والرسل وأعلامهم وأعظمهم جميعا في الحقيقة من حيث ميزاته الذاتية. لذا فقد جعل الله تعالى رسالة النبي ﷺ عامة لكافة بني آدم لكي تظهر جهوده ومسايعه للعيان بوجه عام، ولا تكون خاصة بقوم معين كرسالة موسى وابن مريم، وذلك كي يستحق ﷺ -نتيجة تحمله المعاناة الشاقة من كل فئة وقوم- أجرا عظيما لن يناله أنبياء آخرون. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٢-٦٥٤)

الآية ٥٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾

لقد خلق الله القادر على كل شيء البشر بقدرته الكاملة وجعل له نسبا وصهرا كذلك كان الله قادرا على خلق الإنسان الروحاني أيضا.. أي أن قانونه الطبيعي في الخلق الروحاني كمثال القانون في الخلق المادي تماما؛ بمعنى أنه تعالى أولاً؛ يخلق بيده شخصا خلقا روحانيا في وقت الضلال الذي هو في حكم العدم، ثم يهب أتباعه الذين هم في حكم ذريته حياة روحانية ببركة أتباعهم إياه. فالمرسلون كلهم أوادم روحانيون، والصالحون من أمهم ذرياتهم الروحانيون. والسلسلة الروحانية والسلسلة المادية تتطابقان تماما، ولا خلاف بين القوانين الظاهرية والباطنية من أي نوع قط. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٤-٦٥٦)

الآية ٥٨: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

الصفة الثانية هي ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فكان النبي ﷺ مظهرها كاملا لهذه الصفة أيضا، فليس لفيوضه وبركاته أي أجر أو بدل، كما ورد ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. ثم

كان مظهرًا للرحيمية أيضًا، فالجهود التي بذلها حضرته وأصحابه من أجل الإسلام، والمشاق التي تحملوها خلال تلك الخدمات لم تضع، بل قد وُهب لها أجر، وقد سُمي النبي ﷺ نفسه في القرآن الكريم رحيمًا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠ / ٨/١٩٠٣ م، ص ٢٠)

الآية ٦٠: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

لتفسير ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، انظروا تفسير سورة الأعراف، الآية ٥٥.

الآية ٦١-٦٤: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا * وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

أي عندما يقال للكافرين والملحدين وعديمي الإيمان أن اسجدوا للرحمن يتساءلون مظهرين نفورهم من اسم ﴿الرَّحْمَنُ﴾: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ فقال ﷺ بنفسه جوابًا عليهم: إن الرحمن ذات كثير البركات، ومصدر الخير الأبدي الذي جعل في السماء بروجًا، وجعل فيها الشمس والقمر ليهيئا الضوء لعامة الخلق دون تمييز بين كافر ومؤمن وهو الرحمن نفسه الذي جعل لكم أي بني آدم الليل والنهار خِلْفَةً ليستفيد من كان طالب المعرفة من دقائق المعرفة ويتخلص من حجب الجهل والغفلة، وليشكر من أراد الشكر... إن عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون بقسوة الكلام ردوا عليهم بكلمات السلام والرحمة؛ أي يعاملونهم بالرفق مقابل القسوة، ويدعون لهم مقابل السب والشتم، وينصبغون بصبغة أخلاق الله الرحمن، لأن الرحمن أيضا يفيد العباد جميعا بالشمس والقمر والأرض وغيرها من النعم الكثيرة

التي لا تُعد ولا تحصى دون تفريق بين صالح أو طالح. ففي هذه الآيات قد وضح الله تعالى جيدا أن كلمة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ تُطلق على الله ﷻ لأن رحمته الواسعة تحيط بكل شخص سيئًا كان أم بارًا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٤٨-٤٤٩، الحاشية)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي أن تناوب الليل والنهار دليل على أنه كما تأتي مرحلة الضلال والغفلة بعد مرحلة الهداية، كذلك مقدّر من الله تعالى أن تأتي مرحلة الهداية بعد الضلال والغفلة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٤)

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾... "هونا"، أي عدم إيذاء أحد إيذاء جسديا ظلما، وأن يكون المرء غير ضار، ويعيش بالصلح. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٨)

أي أن عباد الله الصالحين يمشون في الأرض مسالمين. (البراهين الأحمديّة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٤٩)

الآية ٦٥: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾

المسلمون الصادقون دوما يدعون لغلبة الإسلام ويتعهدون وتصيبهم رقة في الصلاة أيضا، وهم مصداق آية: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٨٤)

إن حالة الجزيرة العربية والعالم كله عند بعثة الرسول ﷺ ليست خفية على أحد. كان القوم متوحشين تماما، كانوا لا يعرفون إلا الأكل والشرب، وكانوا يجهلون حقوق العباد وحقوق الله تماما. وقد رسم الله حالهم بقوله: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٢). أما كيف كان تأثير تعاليم الرسول ﷺ المقدسة، فقال إنهم صاروا: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ أي أنهم كانوا يقضون ليلتهم في ذكر الله

ساجدين قائمين. الله الله، يا لها من فضيلة للرسول ﷺ لقد حصلت على يده ﷺ ثورة عظيمة منقطعة النظير، وأُرسيت حقوق الله وحقوق العباد باعتدال تام، وجُعِلت أمة مينة أكلت الجيفة أمة حيّة وطاهرة من الطراز الأول.

هناك ميزتان فقط، الميزة العلمية، أو الميزة العملية، أما ميزتهم العملية فقال الله تعالى في صفتهم: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. أما ميزتهم العلمية فلا تزال سلسلة المؤلفات الكثيرة وخدمة توسيع اللغة مستمرة بما لا مثيل له في العالم. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٤-٢٥، عدد: ٢٠ إلى ٢٧ أغسطس ١٨٩٨م، ص ١٠)

الجماعة التي أُعطيها رسول الله ﷺ كانوا طاهرين وعابدين لله ومخلصين له بحيث لا يوجد لهم نظير في جماعة نبي أي قوم في العالم قط. لقد وردت محامدهم بكثرة في الأحاديث حتى قال رسول الله ﷺ: "الله الله في أصحابي"، وقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم إذ قال: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٢/٧/٣١، ص ٧)

لا دين يستقيم دون الروحانية والطهارة. لقد بين القرآن الكريم كيف كان حال الدنيا قبل بعثة النبي ﷺ أي كانوا ﴿يَاكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٢) ثم حين قبلوا أنفسهم الإسلام قال ﷺ بحقهم: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، فالقلب لا يبقى مستقيماً ما لم ينل الترياق من السماء حيث يريد الإنسان خطوة إلى الأمام لكنه يتخلف ويتقهقر، فإذا كان الإنسان صاحب صفات قدسية وفطرة قدسية فدينه يمكن أن يتقدم، وبدون ذلك لا يتقدم أي دين، وإذا تقدم لفترة فلن يستمر في ذلك. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٧، عدد ١٩٠٣/١٠/٢، ص ٣٩٠)

أقول بكل قوة وشدة بأنه إذا تأمل أحد -مهما كان عدوا لدودا مسيحيا كان أو من الآريين- في الظروف التي كانت سائدة في العرب قبل بعثة النبي ﷺ، ثم نظر إلى تغيير حدث بسبب تعليمه ﷺ وتأثيره، لا يضطر إلى الشهادة على صدقه عفويا. لقد صوّر القرآن الكريم حالتهم الأولى قائلا: ﴿يَاكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٢).

هذه كانت حالتهم في الكفر، ثم عندما أحدثت فيهم تأثيرات النبي ﷺ الطيبة تغيراً صارت حالتهم: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. التغير الذي أحدثه النبي ﷺ في العرب الهمج، وانتشاله لهم من الهوة وإبصا لهم إلى الرفعة والمكانة، يدفع التأمل فيها الإنسان إلى البكاء عفويا نظرا إلى عظمة الانقلاب الذي أحدثه ﷺ والذي لا نظير له في أي تاريخ أو أي قوم في العالم. هذه ليست قصة بحتة بل هي أحداث واقعية اضطرت العالم إلى الاعتراف بصدقها. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤، ص ٥)

والمعجزة الثانية هي تبديل الأخلاق، فقد كانوا أسوأ من الدواب كما يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، ثم صاروا: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. (بدر مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ١٩٠٧/٥/٩، ص ٤)

كانت حالتهم قبل الإسلام: ﴿يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ (محمد: ١٢)، أي لم يكن لهم شغل إلا الأكل والشرب كالأنعام. تلك كانت حالتهم في أيام الكفر، أما حالتهم بعد الإسلام فقد صارت: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، أي نسوا الأكل والشرب وتغيرت حالتهم رأسا على عقب. (بدر مجلد ٦، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/١٧، ص ١١)

الآية ٧٣: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

﴿لا يشهدون الزور﴾، أي لا يجالسون الكاذبين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦١)

"وإذا مروا باللغو مروا كراما"، لا يجادلون في أمور تافهة، بل إذا سمعوا عبث القول مما قد يؤدي للقتال والحرب عاجوه بلباقة، وانصرفوا في وقار. أي أنهم يكرهون الخصام على كل صغيرة وكبيرة، إلا إذا أصابهم ضرر شديد، لأن من مقتضى الصلاح ألا يبالوا بالسفاسف ويعفوا عن صاحبها....

وليكن واضحا أن كلمة "اللغو" الواردة في الآية ههنا تعني في العربية العبث من القول أو الفعل الذي يأتيه أحد بغرض الإيذاء، ولكن لا ينتج عنه في الحقيقة ضرر

كبير. فمن مقتضى المسألة أن يُعاملوا ذلك الشخصَ معاملة الكرام، فيتغاضوا عما صدر عنه من عبث الكلام أو الحركة.

وأما إذا تجاوز الإيذاء حد اللغو، وعاد بضرر حقيقي على الحياة أو المال أو العرض، فلا يدخل الإعراض عن المعتدي في حُلُق التسامح، وإنما يسمى الإعراض عنه عفوًا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٩)

في بعض الأحيان يكون غضب المرء منافيا لتعليم كتاب الله، فتثور نفسه بسماعه الشتيمة. التقوى تعلّمه كظم الغيظ كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤١)

من المعروف أنه عندما يقاوم المرء غيره لا بد أن يقول شيئاً على أي حال، كما يحدث في القضايا في المحاكم. فالطريق الأسلم هو ألا تتصدّوا للناس أصلاً، واختاروا سبيل التحاشي، ولا تخاصموا أحداً، واحفظوا لسانكم، وإذا شتمكم أحد فمروا به بصمت كأنكم لم تسمعوا. واسلكوا مسلك الذين يقول القرآن عنهم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾. فلو سلكتم هذا المسلك لكنتم مخلصين صادقين لله حتماً. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ١٠)

الآية ٧٥: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

هناك غاية أخرى من الزواج قد أشار إليها القرآن الكريم أي في سورة الفرقان وهي ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. (الديانة الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣)

ليس صحيحاً أن كل من رأى رؤى صادقة أو فُتح له باب من الوحي جاز له أن يختار لنفسه لقب إمام الزمان، بل إن حقيقة الإمام أمر جامع آخر وحالة كاملة تامة أخرى؛ يسمى بسببها إماماً في السماء. وواضح أن مجرد التقوى والطهارة لا

تكفيان ليصبح الإنسان إماماً، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فلو كان كل تقي إماماً، لغدا المؤمنون المتقون كلهم أئمة، وهذا يخالف مفهوم هذه الآية. (ضرورة الإمام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٢-٤٧٣)

على الإنسان أن يفكر لماذا يرغب في الأولاد؟ لا ينبغي حصر ذلك في الرغبات الطبيعية كالعطش والجوع مثلاً، وإذا تعدت رغبة المرء في الأولاد حدّاً معيناً فلا بد أن يفكر في إصلاحها.

لقد خلق الله تعالى الإنسان لعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). فإذا لم يكن المرء عبداً مؤمناً بالله تعالى، ولم يحقق الغاية الحقيقية من خلقه، ولم يعبد الله حق العباد، بل عاش في الفسق والفجور وارتكاب الذنوب تلو الذنوب، فما الفائدة من أمنيته بالحصول على الأولاد سوى أنه يريد أن يخلف بعده من ينغمس في المعاصي مثله. فهل قصر هو في ارتكاب المعاصي، حتى يتمنى الأولاد الذين يكونون مثله؟ فما لم يتمم المرء الأولاد بنية أن يكونوا أتقياء وورعين ومطيعين لله تعالى وخداماً للدين، كانت أمنيته للأولاد عبثاً ولغوّاً تماماً، بل معصية وإثمًا، ويجوز أن يُطلق على أولاده "الباقيات السيئات" بدلاً من "الباقيات الصالحات". ومن قال أريد أولاداً صالحين وخاشعين لله تعالى وخداماً للدين، ولكنه لم يصلح نفسه، فإن قوله يكون مجرد ادّعاء فارغ. وإذا كان يعيش بنفسه عيشة الفسق والفجور، وقال بلسانه أريد أولاداً صالحين ومتقين، كان كذاباً في ادّعاءه. فقبل أن يتمنى المرء أولاداً صالحين متقين لا بد له من إصلاح نفسه، وأن يعيش عيشة التقوى، عندها ستأتي أمنيته بنتيجة مرضية، ويكون أولاده من "الباقيات الصالحات" حقاً. أما إذا تمنى الأولاد فقط لكي يخلد اسمه بعده، ولكي يرث أولاده أملاكه وعقاره، أو أن يُعَدّوا من كبار القوم ومشاهيرهم، فمثل هذه الأمنية شركٌ عندي.

لا تعملوا الحسنة طمعاً في الأجر والثواب، لأن فعل الخير بهذه الفكرة لن يكون ابتغاء مرضاة الله، بل سيكون طمعاً في الثواب، ويُخشى ألا يعمل له صاحبُه

في وقت من الأوقات. على سبيل المثال، لو جاء أحد لزيارتي كل يوم وأعطيتة روية واحدة في كل مرة، فلسوف يفكر في نفسه أنه يأتي بدافع الحصول على الروية، وعندما لا يتلقاها سيمنع عن الزيارة. ففعل الخير على هذا النحو نوع من الشرك الدقيق الذي يجب اجتنابه. ينبغي فعل الخير ابتغاء مرضاة الله وطاعة لأوامره فقط، بغض النظر هل يترتب عليه الثواب أم لا. لا يكتمل الإيمان ما لم ينتزه العمل من هذه الوسوسة والوهم. صحيح أن الله تعالى لا يضع حسنة أحد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، ولكن الذي يعمل الحسنة يجب ألا يكون هدفه الثواب. فمثلا إذا جاءنا ضيف بنية أنه سيجد عندنا أنواع الراحة والمشروبات الباردة والأطعمة الشهية، فلا شك أنه يأتي من أجل هذه الأشياء فحسب. لا جرم أن من واجب المضيف أن يكرم ضيفه وألا يقصر في ضيافته وأن يسهر على راحته قدر المستطاع، ولكن إذا جعل الضيف هذه الأشياء هدفاً لزيارته، فمآله الخسران.

قصدي أنه يجب على المرء أن يتمنى الأولاد على أساس الخير فقط، وليس أن يكون له خليفة في ارتكاب المعاصي مثله. والله يعلم جيدا أنني لم أتمن الأولاد مع أن الله تعالى قد وهب لي الأولاد حين كان عمري ١٥ أو ١٦ عاما. فقد وُلد سلطان أحمد وفضل أحمد في هذه المرحلة من عمري تقريبا. ولم أتمن قط أن يكونوا أناسا كبارا من حيث الدنيا ويتبوأوا مناصب مرموقة. إذا عاش الأولاد عيشة المعصية والفسق فينطبق عليهم فتوى الشاعر السعدي التالية كل الانطباق: كه بيش از پدر مرده به ناخلف أي: من الأفضل أن يموت الولد السيئ قبل أبيه.

ثم هناك أمر آخر وهو أن الناس يتمنون الأولاد كثيرا ويُرزقون بهم أيضا، ولكن لا نراهم أبدا يفكرون ويسعون ليربّوهم تربية حسنة، ويدربوهم على حسن الخلق والسيرة وطاعة الله، ولا يدعون لهم أبدا، ولا يراعون مبادئ تربيتهم. أما أنا فإني لا أصلي صلاةً إلا وأدعو فيها لأحبائي وأولادي وزوجتي.

كثير من الآباء يعلمون أولادهم عادات سيئة، ولا ينصحونهم، ولا يحذرونهم حين يتعلمون السيئات في أول أمرهم، فيظلون يتجاسرون ويتمادون فيها يوما فيوما. هناك حكاية أن شاباً أُعِدِمَ نتيجة جرائمه، وقبيل إعدامه سئل عن آخر أمنية له؟ فقال أريد لقاء والدي. فلما جاءت اقترب منها وقال لها أريد أن أقبل لسانك. فلما أخرجت لسانها عضه بشدة وقطعه. فقيل له ما هذا الذي فعلت؟ قال: إن أُمِّي هي التي دفعتني إلى منصة الإعدام، لأنها لو منعني عن المساوئ منذ البداية لما كان مصيري هكذا.

خلاصة الكلام أن الناس يتمنون الأولاد كثيراً، ولكن ليس لأن يكونوا خداما للدين، بل ليرثوهم في الدنيا، وعندما يُرزقون لا يُعَنون بتربيتهم وإصلاح معتقداتهم وأخلاقهم.

اعلموا أن لا إيمان لمن لا يدرك أهمية علاقات الأقربين، وإذا فشل في ذلك فكيف يُتوقع منه أن يقوم بالحسنات الأخرى. لقد ذكر القرآن الكريم أمنية الأولاد على النحو التالي: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٥)، وهذا يتأتى إذا كان الآباء والأمهات بعيدين عن الفسق والفجور، وعائشين عيشة عباد الرحمن، ومؤثرين الله على كل شيء سواه. وقد زاد الله تعالى الأمر شرحاً حين قال: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. لو كان الأولاد صالحين متقين لكان الإنسان إماماً لهم. إذن، فهذا الدعاء يتضمن الدعاء لأن يكون المرء بنفسه من المتقين. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٥، عدد ١٩٠١/٩/٢٤ م، ص ١٠-١٢)

أرى أن الناس كل ما يعملون فإنما لأغراض مادية فقط، إن حبهم للعالم يستصدر منهم الأعمال، ولا يعملون ابتغاء مرضاة الله. إذا كان الإنسان يريد أن يكون له أولاد فينبغي أن يكون ذلك بالنظر للآية: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، حيث يقصد أن يولد له طفل يتسبب في إعلاء كلمة الإسلام، إذا كانت أمنية الإنسان طاهرة على هذا المنوال فالله سبحانه قادر على أن يرزقه الأولاد كما وهب لذكرياء عليه السلام. لكنني

أرى أن نظرة الناس تنحصر في أن يكون وارثا لبستائهم وممتلكاتهم حتى لا يأخذها غيره. فهؤلاء الأشقياء لا يفكرون أنهم إذا ماتوا فجميع الأعداء والأقارب سواسية لهم، ولقد رأيت وسمعت الكثيرين يطلبون الدعاء للذرية حتى ترث عقارهم، حتى لا يأخذها شريك بعد وفاتهم. فهمهم الوحيد أن تكون لهم ذرية حتى لو كانوا أنذالا وأوباشا. فهذا ما بقي لديهم من معرفة الإسلام. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٩)

يجب على المرء أن يربي أولاده بدافع الرحمة فقط وليس رغبة في أن يخلفوه، بل يجب أن يكون في حسابه ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، أي يجب أن يرغب في أن تكون الذرية خادمة الدين. لكن كم منهم يدعون بحق الذرية أن يكونوا أبطال الدين. ستجدون من يفعل ذلك قلائل جدا، بينما الغالبية غافلون تماما عن غايتهم من السعي للحصول على الأولاد، فهم ينجبون الأولاد لكي يخلفوهم فقط ولا يكون لهم أي هدف آخر، وإنما يهمهم أن لا يأخذ إرثهم أي شريك (المعنى هنا: أبناء العمومة) أو غيرهم، لكن تذكروا أن الدين يتلاشى بذلك تماما. باختصار؛ يجب أن يرغب المرء في الذرية لكي تكون خادمة الدين، وكذلك ينبغي أن يتزوج لكي ينجب الأولاد بكثرة ويكون الأولاد خداما حقيقيين للدين. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٤)

الآية ٧٧: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾

هناك بيت آخر لبوا المحترم:

اوچوتھان سوہاونان اوپر محل مرار سچ کرنی دے پائے درگھر محل پیار

يعني: إن الجنة بيت عالٍ ورفيع، والمباني فيها جميلة، ويُنال ذلك البيت بالتحلي بالصدق. والحبُّ بابُ ذلك البيت الذي يدخل الناس منه إليه". وهذا الشعر

مستمد من الآية القرآنية التالية: ﴿وَأُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ﴾.. ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي أن الذين يتمسكون بالصدق ويخشون الله ﷻ فسوف يعطون الغرفة؛ وهي مكان جميل للاستقرار. انظروا؛ قد ترجم هنا باوا المحترم هذه الآية صراحة. فهل لا تزالون تشكّون في أن باوا المحترم كان يتبع القرآن الكريم فقط؟ فأين مثل هذا البيان عن الجنة في الفيدا؟ بل ليس في الإنجيل أيضا. ولذلك يعترض بعض النصارى العميان ويقولون إن القرآن الكريم ذكر الجنة المادية. ولا يعرفون أن القرآن الكريم يقول مرارا: لَمَّا كَانَ الْجِسْمُ وَالرُّوحُ يَعْمَلَانِ فِي الدُّنْيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنَالَانِ الْجَزَاءَ كِلَاهُمَا؛ فالجزء الأول يقتضي أن تُجزى الروحُ بحسب رغبتها ويجزى الجسم بحسب رغبته. إلا أن ذلك المكان سيكون منزلها تماما من الشوائب المادية والكدورات، وسيكون الناس مثل الملائكة من حيث الطهارة. ومع ذلك سيكون الجسم والروح كلاهما متمتعا باللذة والسرور، حيث يقع نور الروح على الجسم، وتشارك الروح لذات الجسم أيضا. وهذا لا يتأتى في هذا العالم، بل إن اللذة المادية تمنع اللذة الروحانية في هذا العالم. وبالعكس تمنع اللذة الروحانية اللذة المادية، لكن ذلك لن يحدث في الجنة. بل سوف تنعكس كلتا اللذتين على بعضهما. وهذه الحالة تسمى السعادة العظمى. باختصار؛ قد أخذ باوا المحترم نكتة المعرفة هذه من القرآن الكريم. لأن الشعوب الأخرى غافلة عن ذلك وعقائدها تنافي ذلك. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٢-٢٢٣)

الآية ٧٨: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾

أي قل للكافرين إن ربي لا يبالى بكم، فقد اخترتم التكذيب بدلا من الطاعة والعبادة فستحل بكم عقابه عما قريب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٢ الحاشية)

ولما كان المبدأ المتبع في قانون الله أن الرحمة الخاصة إنما تحالف الذين يختارون طريق الرحمة أي الدعاء والتوحيد؛ فالذين يتركون هذا الطريق يواجهون ألوان الآفات. هذا ما أشار الله إليه في قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٨) وقال أيضا: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٨) أي إن لم تدعوا الله ﷻ ولم تطلبوا من الله فيضه فإن الله تعالى ليس بحاجة إلى حياة أحد أو وجوده فإنه غني عن العالمين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٣-٥٦٤ الحاشية رقم ١١)

قل لهم إن ربي لا يبالي بكم إن لم تعبدوه ولم تعملوا بأوامره. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٤)

قل لهم إن ربي لا يبالي بكم إن لم تعبدوه ولم تستمروا في الدعاء. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٦٢٨)

... صحيح تماما أنه إذا عاش المرء عيش الغفلة ولم يستول رعب عظمة الله على قلبه وتكون أعماله كلها ناتجة عن التحرر والتجاسر فالشاة التي يُشرب حليبها ويُستخدم جلدُها في مجالات كثيرة أفضل منه. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٦٥١)

يقول الله عن الذين لا يتبعون أوامر الله ولا يباليون بها ويقضون حياتهم في الفسق والفسجور: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١ م، ص ١)

فإنما غاية خلق الإنسان الحقيقية هي عبادة الله، ولكنه لو قلب فطرته بتأثير الأسباب والعلاقات الخارجية وأفسدها، فلن يعبأ به الله تعالى. وهذا ما تشير إليه الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾

لقد ذكرت من قبل أيضا أنني رأيت في الرؤيا أنني واقف في فلاة وهناك قناة طويلة شرقًا وغربًا، ملقاة عليها الشياه، ولذبح كل شاة هناك جزّار مكلف بذلك، وفي يده سكينٌ وقد وضعها على عنقها وقد جعل وجهه إلى السماء، وأراني أتمشى

بالقرب منهم، وفهمتُ برؤية هذا المشهد أنهم ينتظرون أمراً من السماء، وعندئذ تلوت هذه الآية نفسها: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ وما إن سمع الجزّارون الآية إلا ومَرّروا سكاكينهم قائلين: إن أنْتَنَ إلا شياًء آكلَةُ النجاسة. باختصار، إن الله تعالى يعبأ بحياة المتقي وبقاؤه عزيز عليه، ولكن الذي يخالف مرضاة الله فإنه تعالى لا يعبأ به ويلقيه في جهنم. لذا يجب على الجميع أن يحرروا أنفسهم من عبودية الشيطان. وكما أن الكلوروفورم يُنَوِّم الإنسان كذلك فإن الشيطان ينوِّمه نومة الغفلة، ويهلكه خلالها. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠١م، ص ١)

انظروا إلى حياة الدواب كيف تُسَخَّر في خدمات مختلفة وكيف تُذبح، فالذي يقطع صلته عن الله تعالى، فلا ضمان لحياته. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. اعلّموا أن الذين يعبدون الله من أجل الدنيا، أو الذين ليسوا على علاقة مع الله تعالى، فلا يعبأ بهم الله عز وجل. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٠م، ص ٣)

العابد الكامل هو الذي ينفع الآخرين، ولكن في الآية التالية تصريح آخر أيضاً، والآية هي: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أو يمكن القول بتعبير آخر أنه تعالى يعبأ بالعابد. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٢م، ص ٤)

إن الله يحمي الأحق بالتقدير من الناس، وهم الذين يكونون على علاقة صادقة مع الله تعالى ويظهرون بواطنهم، ويعاملون البشر بالخير والمواساة، وهم مطيعون حقيقيون لله تعالى. هذا ما يتبين من القرآن الكريم أيضاً: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ ويتضح من المفهوم المخالف لهذه الآية أنه تعالى يعبأ بغيرهم، وهم أولئك السعداء الذين تزول عنهم العيوب التي تُبعدهم عن الله تعالى. عندما يصلح الإنسان نفسه ويتصالح مع الله يزيل الله تعالى عذابه أيضاً. فالله تعالى لا يصر على العذاب بل يقول بكل صراحة: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء: ١٤٨).

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٦)

من واجب المؤمن أن يدرك أولاً الغاية الحقيقية من الحياة، ثم ليعمل بحسبه. يقول الله ﷻ ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ هذه الآية أيضاً شرح للآية السابقة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧) في الحقيقة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٩٠٣/٣/٣١ م، ص ٦)

إذا تبتى الإنسان مبدأ أن الحياة هي للأكل والشرب فلا يركّز نظره على الله، بل ينهمك في مشاغل الدنيا وتجاراتها فقط، ولا يخطر بباله الرجوع والانتباه إلى الله. وفي هذا الحال لا تكون حياته جدية بالتقدير. يقول الله تعالى عن أمثال هؤلاء الناس: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٩٠٤/٩/١٧ م، ص ٤)

ليست لله حاجة سواء أأنبتم إليه أم لا، فهو يقول: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٨)، أي لو توجهتم إليه ﷻ لكان ذلك لفائدتكم أنتم. (بدر، مجلد ٤، رقم ٣، عدد: ٣٠ ٢٠/١/١٩٠٥ م، ص ٢)

لا يعبأ الله بأن يلقي الغافلين عن الدين في الهلاك، فثبت أن الذين لا يغفلون عن الدين لا يستعجل الله بهلاكهم وموتهم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٥، عدد ١٩٠٥/٢/١٠ م، ص ٥)

تُصبّ على المظلومين مظالم قاسية وصریحة جداً، ولا يُبطّش بالظالمين أمامنا، وقد ذكر الله تعالى سبب ذلك أيضاً في الآية: ﴿مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي لن يبالي بكم الله إن تكاسلتم في الدعاء وفي عبادة الله. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٥، عدد ١٩٠٥/٢/١٠ م، ص ٥)

إذا خضع الإنسان أمام الله رحمه، ولكن عندما لا يعبأ الإنسان فالله تعالى غني فلا يبالي بأحد كما يقول: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾... لا شك أنه كريم ورحيم وحليم ولكنه إلى جانب ذلك غني أيضاً. (بدر، مجلد ٦، رقم ١-٢، عدد ١٩٠٧/١/١٠ م، ص ١٣)

كم هو أحق ذلك الذي لا يفكر في السفر المهم. إن الله تعالى يطيل عمر الذي يبدل أسلوب حياته في الحقيقة ويصبح لله تعالى كليا. وإلا فيقول الله جلّ شأنه: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، ... أي قل لهم ماذا يبالي بكم الله إن لم تعبدوه. فليستفق المرء وليتنبه جيدا ولا يخطيء فإن هذه الدنيا فانية كليا وغير باقية. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٣/٨/٣١، ص ١٣)

يجب أن تتذكروا أمرا أيضا أنه إن لم تتوجهوا إلى الله ولا ترجعوا إليه فهذا لن يضره شيئا وهو لا يأبه بكم شيئا كما يقول ﷻ بنفسه: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ فكما هو رحيم وكريم كذلك هو غني وصمد أيضا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٩٠٧/١/١٧، ص ٦)

استمروا في الدعاء. يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ والذي لا يدعو، لا فرق بينه وبين الأنعام. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٧/٩/١٠، ص ٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "الشعراء"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٤: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

كان في قلب النبي ﷺ حماس كبير لرؤية انتشار الإسلام في العالم في حياته، وكان يتضايق جدا من أن يرتحل إلى العالم الآخر قبل إقامة الحق في الأرض، فبشّره الله ﷻ في هذه الآية بأنه حقّق مبتغاه. من الجدير بالذكر أن كل نبي كان يجب هذا الأمر بدرجة متفاوتة، لكن لما لم يكن لديهم الحماس لهذا الحد فلم يتلقّ المسيح ولا موسى هذه البشارة وإنما تلقّاها من ورد بحقه في القرآن الكريم ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. (نور القرآن، رقم ١، الخزائن

الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٥٤-٣٥٥، الحاشية)

أي هل ستهلك نفسك حزنا على عدم إيمانهم؟ فالمراد: إن شفتك قد بلغت درجةً أشرفت بها على الهلاك خوفاً عليهم. (نور القرآن، رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٣)

لقد نذر النبي ﷺ نفسه لإنقاذ البشرية، عن طريق المواساة الحقيقية لهم، وبتحمل المشاق في سبيل ذلك متوسلاً بالدعاء والدعوة والصبر على الجور والظلم وبكل طريق لائق حكيم كما قال الله جل شأنه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾... فالأسلوب الحكيم للتضحية بالنفس في سبيل القوم إنما هو أن يتحمل الإنسان العناء لمصلحتهم، عاملاً بالقوانين الطبيعية النافعة، وينذر نفسه لاتخاذ التدابير النافعة لهم؛ لا أن يشج رأسه بحجر، أو أن يتلع سما ويرحل عن الدنيا متأثراً مما يرى فيه قومه من بلاء شديد وضلال كبير وموقف خطير، ثم يحسب أنه قد أنقذ قومه بفعلته غير اللائقة هذه؛ ذلك ليس من شأن الرجال بل هو من صفات النساء. فإن من عادة عديمي الهمة أنهم يعمدون دائماً إلى الانتحار فوراً عند مواجهة مصائب يصعب عليهم تحملها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٨-٤٤٩)

كان كل واحد من الأنبياء يودّ أن يُسلم جميع الكفار في زمنه الذين كانوا قائمين على عداوته، ولكن لم تتحقق أمنيته هذه. فقد قال تعالى مخاطباً نبينا الأكرم ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

يتبين من هذه الآية أن النبي ﷺ كان يدعو بتضرع وحرقة ويتكبد عناء كبيراً ليؤمن الكفار لدرجة أن كان يُحشى عليه أن يهلك نفسه نتيجة هذا الحزن. لذا قال له الله تعالى ألا يحزن إلى هذا الحد من أجلهم، وألا يجعل قلبه عرضة للألم والمعاناة إلى هذه الدرجة، لأنهم غافلون عن الإيمان ولهم أهداف ومقاصد أخرى. لقد قال الله تعالى في هذه الآية: يا أيها النبي (ﷺ) إنك تلقي نفسك في مشقة كبيرة للدعاء لهداية هؤلاء الناس عاقداً عزماً صميماً بتركيز وتضرع وخضوع

وخشوع كامل، ولا شك في تأثير أدعيتك، ولكن الشرط لاستجابة الدعاء هو ألا يكون الذي يُدعى له عنيدا شديدا العناد وغير مهتمّ وذا طبيعة خبيثة، وإلا لن يجاب الدعاء بحقه. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٢٦)

إن نور الهداية الذي ظهر في جزيرة العرب بصورة خارقة ثم انتشر في الدنيا كلها كان تأثيرا لحرقة قلب النبي ﷺ. لقد ابتعدت كل أمة عن التوحيد وهجرته، أما الإسلام فظلت عين التوحيد متدفقة فيه. وكل هذه البركات إنما هي نتيجة لأدعية النبي ﷺ، كما يقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لم ينشأ الصلاح والتقوى في أمم الأنبياء السابقين إلى هذا الحد، والسبب في ذلك كان عائدا إلى أن الحرقة في قلوب هؤلاء الأنبياء لأممهم لم تصل إلى هذه الدرجة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية المجلد ٢٢، ص ١٠٣، الحاشية)

يريد هذا النبي - بسبب حماسه القلبي المتزايد لمواساة بني البشر - بواسطة توجهاته الروحانية وتضرعاته وتواضعه أن يعرف الآخرون أيضا ذلك الإله الذي تجلّى عليه وينالوا النجاة. فيضحى بنفسه في حضرة الله تعالى بخلوص قلبه، ويقبل لنفسه أنواع الموت متمنيا أن يحيا الناس، ويُلقي نفسه في مجاهدات كبيرة، كما تشير الآية: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. ومع أن الله تعالى صمدٌ وغنيٌّ عن الخلق ولكنه - نظرا إلى حزن النبي وكربه الدائم وقلقه وتواضعه وفناءه وصدقه وصفائه إلى أقصى الدرجات - يُجَلّي وجهه بواسطة آياته على قلوب خلقه النشيطة والمستعدة. فبسبب أدعية النبي المتضرعة التي تثير ضجة كبيرة في السماء، تنزل آيات الله على الأرض مثل المطر. ويُرَى الناس في الدنيا خوارق عظيمة، تعرف الدنيا بها أن الله موجود وترى وجهه ﷻ. فلو لم يتوجّه ذلك النبي الطاهر إلى الله تعالى بهذا القدر من الأدعية والتضرع والابتهاال، ولم يضحّ بنفسه لإظهار بريق وجه الله تعالى للدنيا، ولو لم يقبل لنفسه مئات المئات في كل خطوة لما تجلّى وجهه تعالى في الدنيا أبدا،

لأن الله تعالى غني بسبب استغنائه الذاتي (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٧)

فلأن هؤلاء القوم (المصلحون الربانيون - الناقل) متفانون في مواساة الناس، فيفكرون ليل نهار بحسرةٍ وألمٍ في أن يعود الناس إلى الصراط المستقيم بطريقة أو بأخرى، وأن يغترفوا غرفة من هذا ينبوع ولو مرة واحدة.

لقد بلغ هذا الحماس والمواساة في سيدنا ومولانا النبي الأكرم ﷺ غاية يستحيل أن يبلغ أحد أكثر منها. لقد رسم الله تعالى بنفسه عظيم مواساة النبي ﷺ وشفقته على الخلق فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي هل تُهلك نفسك حزناً على أنهم لا يؤمنون؟ من الممكن أن لا تدركوا حقيقة هذه الآية كما ينبغي، أما أنا فتجري هذه الحقيقة في نفسي مجرى الدم.

بدل دروے کہ دارم از برای طالبانِ حق
نمی گرد و بیاں آں درد از تقریر کوتا هم

أي: الألم الذي يقاسيه قلبي من أجل طلاب الحق يستحيل وصفه ببياني الناقص. أعرف جيداً كم يقاسي الوعاظ الربانيون في سبيل إصلاح الخلق من الألم الذي يكاد يُزهق نفوسهم. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠١ م، ص ٣)

إن محيي النبي ضروريٌ جداً، إذ يتمتع النبي بالقوة القدسية، ويكون قلبه مفعماً بحماس شديد يجعله مضطرباً لمواساة الناس ونفعهم ونصحهم العام. لقد قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي هل ستقتل نفسك أسفاً على أنهم لا يؤمنون؟

واعلموا أن لقول الله هذا جانبان، أحدهما يتعلق بالكافرين بأنهم لماذا لا يسلمون، وثانيهما يتعلق بالمؤمنين بأنهم لماذا لا تتولد فيهم القوة الروحانية العالية كالتى يجدها النبي ﷺ في نفسه. والارتقاء يتم تدريجياً، وقد حقق الصحابة أيضاً الرقي تدريجياً، ولكن قلوب الأنبياء مجبولة على المواساة التامة، أما نبينا الأكرم ﷺ فكان جامعاً لجميع كمالات النبوة، وكانت مواساته قد بلغت الذروة، فكان ينظر إلى الصحابة

ويتمنى أن يبلغوا ذروة الرقي، ولكن كان لهذا العروج أجل مسمى، وفي النهاية حقق الصحابة ما لم يحققه العالم ورأوا ما لم يره أحد قط. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٦، عدد ١/٥/١٩٠٠م، ص ٦)

فليكن معلوماً أنه يكون أن الرسالة أمرٌ ظاهر وأمرٌ خفي؛ خذوا مثلاً شهادة "لا إله إلا الله"، فقد بلغها الرسول ﷺ الناس بالكلمات نفسها، سواء آمن بها الناس أم لم يؤمنوا. أي أن الرسالة إنما تعني الإبلاغ، ولكن هذا المعنى ليس إلا معنى ظاهراً للرسالة، وعندما نتعمق في كلمة الرسالة ونخوض في بطونها ندرك أن رسالة النبي ﷺ التي هي جزء لا يتجزأ عن "لا إله إلا الله" - ليست مقتصرة على الإبلاغ فقط، إنما قدم النبي ﷺ بقوته القدسية أسوة لا نظير لها أيضاً، لكي يجعل هذا التبليغ مؤثراً.

ويتبين من القرآن الكريم أيضاً مدى حرقة النبي ﷺ والتباعد للقوم حيث قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، أي هل ستهلك نفسك قلقاً على أنهم لا يؤمنون؟

لا جرم أن النبي، كل نبي، لا يأتي بالكلمات فقط، بل يحمل في نفسه ألماً وحرقة أيضاً لإصلاح القوم، وهذا الألم والحرقة لا يكون تكلفاً منه، بل تصدر منه هذه الحرقة فطرةً واضطراً شأن الأم التي تتفاني بفطرتها في تربية ولدها. فمثلاً لو أمرها الملك أنها إذا لم ترضع أولادها، فمات لها ولد أو ولدان، فسوف يعفى عنها ولن تتعرض للمؤاخذة، فهل ستسعد هذه الأم بأمر الملك؟ كلا، بل ستسب الملك وتشتمه على قوله هذا، ولن تمتنع عن رضاعة ولدها أبداً، لأن هذا من فطرتها وطبعها، ولا ترجو على الرضاعة جنة ولا أجراً، إنما هو حماس طبيعي موهوب لها بالفطرة. ولولا ذلك لم تقم الدواب من شياه وجواميس وبقرات وطيور بتربية أولادها. هناك ثلاثة أشياء: الفطرة، والعقل، والحماس، وإن تفاني الأمهات في تربية أولادها فطرةً.

كذلك يوجد شيءٌ في فطرة المأمورين المبعوثين، فما هو ذلك الشيء يا تُرى؟ إنه الحرقه لخير خلق الله والذوبان لنصحهم. إنهم بطبيعتهم يريدون أن يهتدي الناس وينالوا الحياة في الله تعالى. وهذا هو السرّ المودّع في الجزء الثاني من شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أعني في إظهار حقيقة الرسالة المحمدية. إن الذين يبلغون رسائل الناس إلى الآخرين لا يبالون عادة ما إذا كان المرسل إليه يعمل بها أم لا، وهذا يعني أن تبليغهم يظل منحصرا في آذان المرسل إليهم، ولكن المأمورين الربانيين يبلغون رسالة الله إلى آذان الناس كما يوصلونها إلى قلوبهم أيضا بقوتهم القدسية. وإنما يُعطى الإنسان هذا الجذب والعزيمة حين يصير تحت رداء الله ويصبح ظلًا لله تعالى، فيشعر في باطنه اضطرابًا والتياعا لمواساة خلق الله وخيرهم. ولقد فاق نبينا الكريم ﷺ كل الأنبياء في هذا الأمر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٥-٦)

إن حياة النبي ﷺ مقسومة إلى قسمين: أحدهما حياته المكية التي امتدت إلى ١٣ سنة، والآخر حياته المدنية التي امتدت إلى ١٠ أعوام. وكانت حياته المكية تجليًا لاسم أحمد، إذ كان يقضي فيها ليله ونهاره في البكاء والابتهاال والدعاء والاستعانة بالله تعالى. والمطلع على سوانح حياته ﷺ اطلعا كاملا يدرك أن التضرع والبكاء للذين قد قام بهما النبي ﷺ في حياته المكية لم ولن يقوم بهما أي محب وعاشق بحثًا عن محبوبه ومعشوقه أبدًا. وزد على ذلك أن كل هذا التضرع والبكاء لم يكن لنفسه، بل كان سببه اطلّاعه الشامل على سوء أوضاع العالم، إذ كانت عبادة الله قد اختفت من الدنيا نهائيا. كانت روحه ﷺ وفطرته نالت اللذة والسرور بسبب الإيمان بالله، فكان بفطرته يريد أن يجعل الناس نشوانين في هذا الحب والسرور. ولكنه لما كان ينظر إلى حال أهل الدنيا كان يجد أن قدراتهم وطبائعهم على وضع عجيب غريب، وكان يواجه مشاكل كبيرة ومصائب جمة، ونظرا إلى حالة الدنيا السائدة آنذاك، كان يتضرع إلى الله ويبيكي حتى تكاد روحه تزهق، وقد أشار

الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. فكانت حياته في مكة حياة تضرع وانكسار، وكانت تجليًا لاسمه "أحمد". كان ﷺ عندها عاكفا على دعاء عظيم ظهرت نتائجه في حياته في المدينة حين تجلّى اسمه "محمد" كما هو واضح من قول الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٦). (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٤)

عندما يأتي المبعوث من الله تودّع فطرته مواساة صادقة لعامة الناس وللجماعة أيضا. كان نبينا الأكرم ﷺ يفوق الجميع في هذه المواساة لأنه جاء إلى العالم كله، أما الأنبياء الذين جاؤوا قبله فكانوا مرسلين إلى قوم معين ولزمن معين، ولكن النبي ﷺ كان نبيا إلى العالم كله وللأبد، فكانت مواساته أيضا كاملة كما يقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ من هذه الآية يتبين قلقه وألمه الذي كان يشعر به نظرا إلى حالة العالم المتردية، فكان يتمنى أن يؤمن الناس جميعا. هذا بالنسبة إلى مواساته العامة، ومن معاني هذه الآية: لعلك باخع نفسك لجعل المؤمن مؤمنا؛ أي لتكميل الإيمان. لذلك يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النساء: ١٣٧)، قد يبدو ذلك تحصيلًا حاصلًا في الظاهر، ولكن يتضح بجلاء عند التأمل في حقيقة الأمر أن هناك مراتب كثيرة، لذلك يريد الله التكميل.

باختصار، إن مواساة المبعوث للخلق تحتل درجة سامية بحيث تترك في الخلق تأثيرًا سريعًا. (الحكم، مجلده ٦، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٢م، ص ٧)

لا يسعني إلا أن أقول لكم ذلك باللسان فقط أما الإلقاء في القلوب فعلى الله وحده. هل قصر النبي ﷺ في الشرح والنصح؟ ومع ذلك لم يفهم أمثال أبي جهل. كان النبي ﷺ قلقا وحزينا لدرجة أن قال الله له بنفسه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. من هنا يتبين كم كان ﷺ يواسيهم. كان يريد أن ينجوا من الهلاك، لكنهم لم ينجوا. فمهمة المعلم والواعظ تقتصر في الحقيقة على الوعظ والنصيحة فقط، أما نافذة القلب فتنتفتح بفضل من الله فقط، إنما يحظى بالنجاة من كان نقياً

القلب، والذي ليس نقيًا إنما هو لص وقاطع طريق، فيهلكه الله أشد الهلاك. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٦، عدد ١٤/٢/١٩٠٣ م، ص ٦)

لم يأت نبي ولا ولي خاليا من قوة العشق، أي أن الحضرة الأحدية قد نفخت في فطرتهم عشقا لمواساة عباده، ونار ذلك العشق كانت تجعلهم يقومون بكل شيء، ولو قال لهم الله إنكم لو لم تدعوا وتواسوا خلق الله لن يُنقص من أجوركم شيء، فإنهم لن يمتنعوا عندها أيضاً عن حماستهم الفطرية ولا يخطر ببالهم ما الذي سيحصلونه من أجر جراء تحمل هذا الأذى. لأن حماستهم لا تكون مبنية على طمع، بل تكون ناتجة عن تأجج نيران عشقهم، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بـ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فالله هنا يُفهم نبيه ﷺ بأنك نتحمل من الهم والأذى ليكون الناس مؤمنين ما قد تُذهق نفسك. فبسبب العشق نفسه لم يبال الرسول ﷺ بموته، وهذه هي نوعية العلاقة بين المرشد والمريد، وبها يُعرف الصادقون، لأنه من سنة الله القديمة أن قوة العشق تكون في قلوب الصادقين حتما ليستحقوا أن يكونوا مواسين مخلصين. فكما أن الوالدين يتحلون بقوة العشق لأولادهم فإن دعاءهم لأولادهم أيضاً يتضمن قوة أكبر للقبول، فالعاشق مثله يكون مثل الوالدين لخلق الله، إنه يضع حول عنقه طوق هموم الآخرين دون مقابل، لأن قوة العشق لا تكاد تتركه، فهذا نظام وضعه الله تعالى أنه خلق بني آدم على طبائع مختلفة؛ فمثلاً، في الدنيا هناك حاجة للشجعان والمحاربين، فعند بعض الطبائع قابلية للقتال، كذلك هناك حاجة لأناس يتم إصلاح خلق الله بأيديهم، فبعض الطبائع تولد بهذه القدرة، وتكون متأججة بنيران العشق. فالحمد لله على الآلاء ظاهرها وباطنها. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٤-٢٥، عدد ٢٠-٢٧/٨/١٨٩٨ م، ص ١٢)

الأنبياء يركّزون لأجل هداية الخلق كثيراً، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم قائلاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾، كان النبي ﷺ قلقاً دائماً لهداية الخلق لدرجة كاد يهلك نفسه في هذا المجال. (بدر مجلد ١، رقم ١٧، عدد ٢٧/٧/١٩٠٥ م، ص ٢)

من الجدير بالذكر أن الأنبياء والرسل والمبعوثين من الله ينفرون من أهل الدنيا من ناحية، ومن ناحية أخرى يكونون في قلوبهم مواساة لهم لدرجة أنهم يلقون بأنفسهم في خطر لهذا الغرض، فتكون حياتهم مهددة بالأخطار. هذا ما أشار الله تعالى إليه في القرآن الكريم في ذكر النبي ﷺ فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ما أعظم المواساة والنصح المذكور هنا. يقول الله تعالى في الآية المذكورة: لا تحزن ولا تقلق على عدم إيمان هؤلاء الناس إلى هذا الحد. لعلك تهلك نفسك في هذا الهم. من هنا يتبين كم يتقدم الأنبياء في مواساة المخلوق. لا يوجد نظير هذه المواساة في غيرهم بل لا يمكن أن يوجد هذا القدر من المواساة في الوالدين والأقارب أيضا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٣)

الآية ١٥: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

إن أنبياء الله تعالى لا يحبون الشهرة بل يريدون أن يخفوا أنفسهم ولكن حُكم الله يُخرجهم. انظروا إلى موسى مثلا أنه عندما بُعث قال بدايةً: ﴿هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ (القصص: ٣٥)، وقال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ ولكن مشيئة الله اقتضت أن يكون هو النبي إذ كان أحق بذلك فقال ﷺ: أنا معك فاذهب وبلغ الدعوة. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٩/٥/١٩٠٧ م، ص ٥)

الآية ٢٠: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

إن غيرة الله لا تريد أن تجعل عباده الخواص والأحباء ممن يُعرفون للجميع، لذا يجعلهم الله - منذ أن خلقت الدنيا - مستورين ومحجوبين عن أعين الأغيار يجعلهم عرضة للاعتراضات الظاهرية كيلا يراهم الأغيار، وليبقى عباده مستورين تحت رداء غيرة الله. لهذا السبب وجه القساوسة العمهون والفلاسفة الأغبياء والآريون الجاهلون إلى الإنسان الكامل والنور المتجسد تماما أي سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ اعتراضات كثيرة إلى درجة لو جُمعت كلها لزاد عددها على ثلاثة آلاف اعتراض.

فأنتي لغيره أن يتوقع أن يجتنب اعتراضات المعارضين. لو أراد الله لما حدث ذلك ولكنه ﷺ قدّر أن يؤدّي عباده الخواص على أيدي أبناء الدنيا ويعدّبوا وأن تُقال بحقهم شتى الأقوال. كذلك يثبت من الإنجيل أن اليهود الأشقياء عدّوا عيسى ﷺ كافرا ومكارا وضالا ومضلا ومزيّفا إلى درجة فضّلوا عليه لصّا. كذلك دعا فرعون موسى ﷺ كافرا كما ورد في القرآن الكريم على لسان فرعون: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فما أغرب هذا الكفر الذي يُتهم به الرسل والأنبياء كلهم وراثته كابرًا عن كابر على لسان السفهاء منذ البداية حتى نلتُ أنا أيضا جزاءه الأخير. فمن دواعي اعتزازي أنني لم أُحرّم مما ناله الأنبياء والرسل والصادقون منذ القدم. بل ليس في غير محله القول بأنني نلتُه أكثر من عديد من الأنبياء السابقين. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٤٦-٣٤٧)

الآية ٦٢-٦٣: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

كما يتعذر كثيرا أن يحتلب المرء بقرة عقيما كذلك تنزل آيات الله أيضا عند حالة معاناة شديدة. كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ وكان الوقت عصيبا جدا بحيث كانوا يرون الموت أمامهم ووراءهم، إذ كان البحر أمامهم وجيش فرعون وراءهم، فأجابهم موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. ففي مثل هذا الاضطراب والابتلاءات تظهر المعجزات حين تكون الحياة نفسها مهددة بالخطر. ولأن اسم الله غيبٌ لذا تظهر أمور غيبية عندما تشتد الحاجة إليها. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧، ١٩٠٢م، ص ١١)

وعندما سعى موسى ﷺ لتحريرهم زيدت مشقة بني إسرائيل أكثر من ذي قبل نتيجة شُرور الأشرار وأمروا بأن يصنعوا اللّبن في نصف يوم ويجلبوا العشب في نصف

يوم. عندما بلغ موسى هذا الأمر وحكاها لبني إسرائيل استشاطوا غضبا وقالوا يا موسى كلّفك الله بما كَلَّفنا، ودعوا على موسى أدعية أخرى كثيرة أيضا ولكن موسى نصحهم بالصبر. لقد وردت في التوراة هذه القصة كاملة أنه كلما طمأنهم موسى ازدادوا غضبا حتى تقرر الهروب من مصر وأخذوا ما استعاروا من أهل مصر من الأقمشة والأواني. عندما خرج موسى مع قومه للاحقه فرعون وجنوده، وحين رأى بنو إسرائيل جنود فرعون على مقربة منهم قلقوا كثيرا، وقد ورد في القرآن الكريم أنهم قالوا حينذاك صارخين: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، ولكن موسى الذي كان يرى عاقبة الأمور بعين النبوة ردّ عليهم قائلا: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. لقد جاء في التوراة بأنهم قالوا أيضا: ألم تكن لنا قبور في مصر؟ وكان السبب وراء هذا القلق أن فرعون كان وراءهم والبحر أمامهم، فكانوا يعلمون أنه لا منجى لهم في التفهقر ولا في التقدم. ولكن الله تعالى قادر ومقتدر فقد وجدوا طريقا في البحر نفسه وعبره بنو إسرائيل كلهم بكل سهولة وغرق جنود فرعون. يقول السيد سيد أحمد في هذا المقام بأن هذا كان مدّا وجزرا، ولكني أقول: أيا كان الأمر ولكن لا شك أنها كانت معجزة عظيمة، إذ قد فجر الله تعالى طريقا لهم في الوقت المناسب تماما. وهذا ما يحدث مع كل تقّي فينجو من كل ضيق. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ١٩٠٣/٣/٢٤ م، ص ١)

قال النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وهذه المعية تشمل أبا بكر الصديق رضي الله عنه أيضا، بل كأنها شملت جماعة النبي ﷺ كلها. لم يقل موسى عليه السلام ذلك بل قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾. ماذا كان السر في ذلك إذ ذكر كون الله معه فقط؟ السر هو أن الله جامع الشؤون كلها وهو الاسم الأعظم. إن معية الاسم الأعظم كانت تحالف رسول الله ﷺ وجماعته مع جميع الصفات، ولكن قوم موسى كانوا أشرا وفساقا وفجارا وكانوا يستعدون للشجار والتراشق بالأحجار لأتفه الأمور، لذلك لم تُنسب المعية إليهم بل جعلها مقتصرة على نفسه. وكان المقصود من ذلك إظهار عظمة النبي ﷺ وعلوّ مدارجه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٩٠٣/١/١٧ م، ص ٧)

لقد وردت الآية: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي سيرشدني إلى سبيل الخلاص، في القرآن الكريم في قصة موسى حين تبعه فرعون، وظن بنو إسرائيل أنهم مدركون. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٩٨)

الآية ٨١: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

الحق أنه كلما يكمل الإنسان إيمانه ويتقوى في اليقين يعالجه الله بنفسه يقيناً، فلا يحتاج للبحث عن الأدوية لأنه يتناول أدوية الله ويعالجه وَعَلَىٰ بنفسه. هل لأحد أن يقول يقينا أن المريض الفلاني سيُشفى حتما بدواء كذا وكذا؟ كلا، بل يلاحظ في معظم الأحيان أن الدواء يصبح مدعاة للهلاك. تارة يكون التشخيص خاطئاً وتارة يحدث الخطأ في مكونات الأدوية. باختصار، لا يمكن أن يكون العلاج قطعياً، غير أن علاج الله يكون قطعياً ولا يسفر عن ضرر. ولكن هذا صعب بعض الشيء ويقتضي إيماناً كاملاً، وينشأ من يقين راسخ كالجبل. والله تعالى بنفسه يصبح معالج أناس مثلهم. أذكر أنني أصبت ذات مرة بوجع شديد في السرة، وسألت أحداً علاجه فقال: "علاج الأسنان هو قلعها". لقد شققت علي هذه الجملة كثيراً لأن الأسنان نعمة من الله وقلعها يعني الحرمان منها. بينما كنت في ذلك إذ غلبني النعاس وجرى على لساني: "وإذا مرضتُ فهو يشفين" وزال الوجع فوراً ولم يعاودني بعد ذلك. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨-١٢/٥-١٩٠٢م، ص ٣٨)

الآية ٨٢: ﴿وَالَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

ليس المراد من الموت والحياة هنا هو الموت المادي أو الحياة المادية فقط، بل هذه إشارة إلى الموت والحياة التي يواجهها السالك من حيث المراتب ومنازل سلوكه، بحيث يموت نتيجة حبه الشخصي لخلق الله، ويُحيى بحبه الشخصي لخالقه وَعَلَىٰ، ثم يموت نتيجة حبه الشخصي لرفقائه ويُحيى بحبه الشخصي لرفيقه الأعلى، ثم يموت نتيجة حبه الشخصي لنفسه ويُحيى بحبه الشخصي لحبيبه الحقيقي. وهكذا يواجه

أكثر من موت وأكثر من حياة، وبظل الحال على هذا المنوال إلى أن يصل إلى مرتبة الحياة الكاملة. فالحياة الكاملة التي تُنال بعد الانتقال من الدنيا السفلية ليست حياة الجسد المادي، بل لها صبغة أخرى وشأن آخر. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٢)

الآية ٩١-٩٢: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾

هناك درجة أخرى فوق الدرجة التي ذكرناها آنفا لأهل الجنة وأهل النار، وهي دخولهم الجنة أو النار، ويمكن أن نسميها الدرجة المتوسطة، وتأتي هذه الدرجة بعد حشر الأجساد وقبل دخول الجنة العظمى أو النار الكبرى. وبسبب العلاقة بين الروح والجسد كامل القوى، ينشأ نشاط ذو درجة عالية في قوى صاحبها فيلاحظ تحلي رحمة الله أو غضبه بوجه أكمل حسب حالته، ويجد الجنة العظمى أو جهنم الكبرى قريبة جدا منه، فتتقوى حاسة المتعة أو العقاب أكثر من ذي قبل كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، ويقول أيضا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (عبس: ٣٩-٤٣). والحائزون على الدرجة الثانية أيضا ليسوا سواسية، بل منهم من يحتلون درجة عليا وتصحبهم أنوار الجنة في حالة كونهم من أهل الجنة؛ كذلك من أهل النار أيضا كفار يحتلون درجة عليا؛ حيث تُضرم في قلوبهم نار جهنم قبل أن يدخلوها بصورة كاملة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٤)

الآية ١٣١: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

ولقد رأى مؤلف هذا الكتاب ناسكا كان يمسك في الصيف الحار زنبورا بعد قراءة الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، ولم يكن يلسعه. ولقد جربت

أنا شخصا بعض تأثيرات عجيبة للآية القرآنية تتبين منها عجائب قدرة الله البارئ جل شأنه. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٠٠)

الآية ١٨٣: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

أي لا تضروا بأموال الناس بأي طريق، ولا تسيروا في الأرض بنية الفساد، أي السرقة أو الإغارة أو اختلاس أموال الناس بنشل ما في الجيوب أو بأي طريق آخر. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ١٩٦: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾

ثم قال ﷺ عن الفصاحة والبلاغة: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، ثم طلب نظيره وقال فأتوا بنظيره إن كنتم فاعلين. فماذا يمكن أن يكون معنى التعبير: "عربي مبين" سوى الفصاحة والبلاغة؟ ولا سيما إذا قال القائل بأنني أقول هذا الكلام في لغة فأتوا بنظيره إن كنتم على ذلك من القادرين، فماذا يمكن أن يفهم من ذلك إلا أنه يدعي الكمال في البلاغة. وهذا ما تقتضيه الكلمة: "مبين" أيضا. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٩١)

الآية ٢١٥: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

يجب أن يكون المرء دائم التفكير في تبليغ أمر الله إلى الرجال والنساء. ورد في الحديث أن شيخ القبيلة سيُسأل كما يُسأل النبي. باختصار، كلما سنحت الفرصة للإنسان فيجب ألا يضيعها، إذ لا اعتبار للحياة. عندما أمر رسول الله ﷺ بأن: "أُذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"، قام بتبليغ رسالة الله لجميع أقاربه فردا فردا. كذلك قد بلغنا أنا أيضا النساء والرجال مرارا في مختلف المناسبات، ولا أزال ألقى المواعظ في البيت. (الحكم، المجلد ٥ رقم ٤٤، عدد: ٣٠/١١/١٩٠١ م، ص ١)

الآيات ٢١٨-٢٢٠: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

... أي توكل على الله العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم للدعاء والدعوة، وهو الله الذي كان يراك حين كنت تتقلب في أصلاب الصالحين كابرًا عن كابر كبدرة، حتى استقررت في رحم أمك "آمنة" الكريمة المعصومة. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٨١)

الآية ٢٢٢-٢٢٣: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾

فليتضح في هذا المقام أن الإلهام الشيطاني أيضا حقيقة، ويتلقاه بعض السالكين الناقصين، وكذا هناك حديث النفس؛ الذي يسمى بأضغاث الأحلام، ومن أنكره فإنه يخالف القرآن الكريم، فإن وحي الشيطان ثابت بالنص القرآني؛ ومفاده أن هناك احتمال نزول وحي الشيطان على الإنسان ما لم تكتمل تزكية نفسه، ويمكن أن يندرج ذلك تحت منطوق آية: ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، ولكن الأطهار يُبْهَوْنَ فورَ حدوث الوسوسة الشيطانية. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٨٣-٤٨٤)

اعلموا أن الشرط الأول لتلقي الوحي والإلهام من الله هو أن يصير الإنسان لله وحده، وألا يبقى فيه نصيب للشيطان أبداً لأنه حيثما وُجدت الجيفة اجتمعت الكلاب حتماً. لذلك يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ أما الذي ليس فيه للشيطان نصيب، وتخلّى عن الحياة السفلية كأنه مات وصار صادقاً وعبداً وفياً وأتى الله، فلا يقدر الشيطان أن يصول عليه. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٢)

الآية ٢٢٤: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾

أكثر تنبؤاتهم تكون كاذبة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٦، الحاشية)

الآيات ٢٢٥ - ٢٢٨: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾

أي لا يتبع الشعراء إلا الذين تركوا طريق الحق والحكمة، ألم تر أن الشعراء يجوبون كل فلاة بحثاً عن القوافي والسجع ولا تثبت قدمهم على الأمور الحقة، والظالمون الذين يشبهون كلام الله الحق بكلام الشعراء سيعلمون قريباً أي منقلب سينقلبون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٦، الحاشية رقم ١١)

الشعراء لا يستطيعون أن يلتزموا في كلامهم الصدق والحق وبيان الضرورات الحقة حتى لو ماتوا في سبيل ذلك. إنهم لا يتكلمون بشيء إلا ويخالطه السخف، بل إن كلامهم كله مبني على السخف والكذب، ولولا الكذب والهراء لما كان للشعر وجود أصلاً. ولو بحثتم في كل فقرة من كلامهم عن أي حقائق ودقائق، وفي مدى التزامه بالصدق والحق، وما يقوم عليه من الحق والحكمة، ولأية ضرورة حقة صدر ذلك الكلام من أفواههم، وما يشمله من أسرار عديمة النظير والمثال؛ لعلمتم أنه لا توجد في عباراتهم الميِّزة واحدة من هذه الميزات. بل الحق أنهم يميلون إلى القافية والسجع حيثما وُجد، ويهذون بكل ما يحلو لهم، فلا يلتزمون بالحق والحكمة ولا يجتنبون سخف الكلام. ولا يهتمون إذا كانت هناك ضرورة ماسة لهذا الكلام، وما هي الخسارة الكبيرة التي يمكن أن يواجهوها نتيجة تركهم له. بل الحق أنهم يردفون جملة بعد جملة بغير وجه حق ويقبلون الموازين رأساً على

عقب. وفي كلامهم لمعانٌ كثير مثل السراب، ولكن لو أمعنتم النظر لما وجدتم فيه شيئاً من الحقيقة. وإن هي إلا لعبتهم مثل المشعوذين لا حقيقة فيها. فهم فقراء وضعفاء ومساكين، لا حول لهم ولا قوة، وعيونهم عمياء، ثم فوق كل ذلك عشوائية وفوضى. ولو تساهلنا معهم كثيراً لقلنا إنهم مثل العنكبوت لضعفهم وذلمهم، وإن أبياتهم كببت العنكبوت. نعم ما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ * وَأَهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ *... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أي لا يتبع الشعراء إلا الذين تركوا طريق الحق والحكمة. ألم تر أن الشعراء يجوبون كل فلاة بحثاً عن القوافي والسجع والمضمون ولا تثبت قدمهم على الأمور الحقة. والظالمون الذين يشبهون كلام الله الحق بكلام الشعراء سيعلمون قريباً أي منقلب ينقلبون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٦٧-٤٧٠، الحاشية)

في زمن النبي ﷺ كانت الفصاحة والبلاغة في أوجها، فأعطي ﷺ القرآن الكريم كمعجزة من النوع نفسه. لقد اختير هذا الأسلوب لأن الشعراء عندها كانوا يُعدّون ذوي بيان ساحر، وكان في لسانهم تأثير، فكانوا يجعلون الناس يفعلون ما يريدون بمجرد قراءة بعض الأبيات.... كان الشعراء عندها يملكون لساناً يخلق الشجاعة والجرأة، فكانوا يستخدمون الشعر في كل شيء، وكانوا مصداق: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾، ولذلك كان ضرورياً أن ينزل الله كلامه، فأنزل كلامه وقدم معجزته على شاكلة الكلام نفسه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٧)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "النمل"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٩: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

... أي حين جاء موسى نودي: إن الله بريء عن التجسد والتحيز وهو رب العالمين... وأن الله تعالى باركها بواسطة النداء.

لاحظوا الآن، فقد قيل في هذه الآية بصراحة تامة: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي قد باركه الله تعالى بالنداء. فتبين من ذلك أن الذي بُورِكَ كان في النار وليس مَنْ بارك لأنه عَلَيْهِ السَّلَام يشير بكلمة ﴿نُودِيَ﴾ إلى أنه هو الذي بارك مَنْ في النار وَمَنْ حولها. فثبت من ذلك أن الله لم يكن في النار بنفسه، ولا يعتقد المسلمون

بذلك. بل قد أزال الله جلّ شأنه هذه الشبهة بنفسه في الآية نفسها إذ قال: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أن الله تعالى بريء من النزول والحلول وهو رب كل شيء. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٠٧)

الآية ١٥: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

أي أنكر الناس الحق بغيا فقط مع أن قلوبهم موقنة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٧٠، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

أي أنهم أنكروا آيات موسى ﷺ ولكن قلوبهم قد استيقنتها. (الحق مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٦)

أي أيقنت قلوبهم بتلك الآيات وعلموا أنه لات حين مناص. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٥٩٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٣٥: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

بعد مرور الحالة الرابعة يأتي دور الحالة الخامسة التي تحب النفس الأمارة مفاسدها حبا شديدا، لأنه لا تبقى في هذه المرحلة إلا معركة واحدة، وتدنو المرحلة ليفتح ملائكة الله جلّ شأنه مملكة ذلك الوجود كلها ويتمكنوا من التصرف والتدخل فيها كليا ويقلبوا الأهواء النفسانية رأسا على عقب، ويخربوا قرية القوى النفسانية ويدلّلوا ويهينوا زعماءها ويدمروا المملكة السابقة. فهذا ما يحدث عند انقلاب السلطنة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وهذا آخر امتحان للمؤمن وآخر معركة تنتهي عليها كافة مراتب السلوك وتصل سلسلة ترقياته المبنية على الجهد والسعي منتهاها، وتقطع المساعي الإنسانية أشواطها إلى نقطتها النهائية. ثم لا يبقى بعد ذلك إلا عمل الموهبة والفضل من الله تعالى،

الأمر الذي يتعلق بـ ﴿خُلِقَ آخَرٌ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٣٨)

عندما يدخل الملوك قرية يمزقون لحمها وسداها السابقة كلها، فيقبض على أعمدة البلدة وزعمائها ونوابها ويذلل المشاهير وهكذا يحدث تغير عظيم. هذه هي شيمة الملوك، وقد ظل الحال على هذا المنوال منذ القدم. كذلك حين يتغير الملكوت الروحاني يطرأ الدمار على الملكوت السابق ويقبض على عباد الشيطان. وتُسحق وتهان العواطف والشهوات التي تعيث الفساد في ملكوت الإنسان الروحاني ويبدأ نظام روحاني جديد ويستتب الأمن والسلام. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٦ م، ص ٤)

الآية ٤٥: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ومن حالات الإنسان الطنبعية بحثه عن الذات العليا التي توجد في قلبه جاذبية خفية إليها، وتظهر آثار هذا البحث في الوليد بمجرد خروجه من بطن أمه، فإن أول ما يديه الطفل من خواصه الروحانية بعد الولادة هو حبه لأمه وانجذابه إليها تلقائياً، ثم كلما أخذت حواسه في الجلاء والوضوح وتفتحت براعم فطرته ازدادت باستمرار جاذبية المحبة هذه جلاءً وإشراقاً، حتى إنه لا يرتاح إلا في حضن أمه، ولا يجد تمام السعادة إلا في حجرها الحنون، ولو أنه فصل عن أمه وطُرح بعيداً عنها لصارت حياته مريرة كلية، لا يشعر بالسعادة والراحة مطلقاً إلا في حجر أمه حتى لو كان بين يديه صنوف النعم. فما هو سر هذه الجاذبية والمحبة التي يشعر بها المولود نحو أمه؟

إنها في الحقيقة جاذبية المحبة التي أودعت في فطرة المولود للإله الحق، بل إنها الجاذبية نفسها التي تفعل فعلها في كل رابطة حب ينشئها الإنسان، وهي التي تنعكس في

وجدانه وهيامه هنا وهناك، فكأنه يفتش ويبحث من بين هذه الموجودات عن ضالته التي قد نسي اسمها، فإن حُب الإنسان للمال أو الولد أو الزوج، أو انجذاب روحه إلى غناء ذي لحن جميل، إنما هو في الحقيقة بحثه عن ذلك المحبوب المفقود.

وبما أن الإنسان لا يمكن أن يرى بعيونه المادية تلك الذات اللطيفة للغاية والكامنة في كل شيء كموون النار في الزند، والمستترّة عن الجميع، التي لا يستطيع أن يدرك كنهها بعقله الناقص، لذلك فقد ارتكب أخطاءً كبيرة في معرفتها، ونسب ما لها إلى غيرها خطأً. وما أروع المثل الذي ذكره الله تعالى في القرآن المجيد لتوضيح هذا الأمر! حيث شبه هذا العالم بصرح مُهدت أرضيته بزجاج شفاف للغاية، تجري من تحتها المياه بقوة. فمن نظر إلى هذا الفناء الزجاجي المصقول حسبه ماءً وخشي أن يمشي عليه كما يخشى المشي على الماء، مع أنه في الواقع زجاج شفاف. فكذلك الأجرام الجسام التي نراها، فهي بمنزلة ألواح زجاجية شفافة عبدها الناس خطأً.. وهناك وراء ستر هذا الزجاج قدرة عليا تعمل بكل قوة وسرعة كالماء الدافق، ولكن خداع البصر هو الذي ضلل عبدة المخلوق؛ إذ عَزَوْا إلى الزجاج ما تديره تلك القدرة من أفعال. وهذا هو المعنى الذي تشير إليه الآية: ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُّرَدٌّ مِنْ قَوَارِيرٍ﴾. إن ذات الله تعالى - مع كونها جليةً للغاية - هي أخفى ما يكون، لذلك لم يكن هذا النظام المادي المتجسد أمام أعيننا كافياً وحده لمعرفة الله تعالى. ولهذا السبب فإن الذين اعتمدوا على ظواهر هذا النظام لمعرفة الله وما برحوا ينظرون بكل إمعان وتدبر في تربيته الكامل المحكم المشتمل على عجائب لا تحصى حتى برعوا في علوم الفلك والطبيعة والفلسفة، وكأنهم جاسوا خلال السماوات والأرض إلا أنهم، مع كل هذا، ما استطاعوا النجاة من ظلمات الشكوك والشبهات، وأكثرهم وقعوا في أنواع الأخطاء الفادحة وصنوف الأوهام الواهية، فأنحرفوا وضلوا ضلالاً بعيداً.

(فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٣-٣٦٥)

لو تدبر الإنسان جيداً لرأى أن جميع الأعمال التي تنجزها الشمس المادية إنما هي أظلال تلك الشمس الحقيقية. وهذا لا يعني أنها تُنجز الأعمال الروحانية فقط بل جميع الأعمال المادية الموكولة إليها لا تُنجزها بنفسها، بل الحق أن قوة المعبود الحقيقي الكامنة هي التي تعمل فيها وتنجز جميع تلك الأعمال. وللإشارة إلى الأمر نفسه وردت في القرآن الكريم قصة ملكة اسمها "بلقيس" كانت تحكم بلدها وكانت تعبد الشمس. فحدث أن هددها نبي عصرها قائلاً بأن تحضر إليه وإلا سيغزوها بجيشه وذلك لن يكون خيراً لها. فخافت وانطلقت من مدينتها لتحضر إلى ذلك النبي. وقبل حضورها أعدّ النبي صرحاً أرضيته ممرّدة من قوارير، وأعدّ تحتها خندقاً واسعاً على غرار قناة يجري فيها الماء وتسبح الأسماك. عندما وصلت الملكة قيل لها: ادخلي الصرح. فحين اقتربت رأت أن الماء يجري بكل قوة وفيه أسماك، تأثرت بهذا المشهد بحيث كشفت عن ساقها لئلا تبتل ثيابها بالماء. عندها نادى النبي الملكة التي كان اسمها "بلقيس" وقال إنك مخطئة في ذلك. وهذا الذي خشيةً منه كشفت عن ساقيك ليس ماء، بل هي أرضية زجاجية والماء يجري تحتها. لقد جاء هذا الذكر في القرآن الكريم في آية: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ أي قال ذلك النبي: يا بلقيس لا تنخدعي، فإنه زجاج رُصِّعت بها أرضية الصرح، أما الماء فيجري تحت الزجاج، وأن الزجاج ليس ماءً بحد ذاته. ففهمت الملكة أنها قد نُبِّهت إلى خطئها الديني، وأدركت أنها كانت مخطئة في الحقيقة إذ قد سلكت مسلك الجهل بعبادتها الشمس. فأمّنت بالله الواحد الذي لا شريك له وفُتحت عيناها واستيقنت أن تلك القوة العظمى التي يجب عبادتها هي غير التي كانت تعبدتها، وأنها كان مخطئة إذ اتخذت الأشياء السطحية معبوداً لها. وكان بيان ذلك النبي يتلخص في أن الدنيا كمثّل صرح من القوارير، وما تنجزه الشمس والقمر والنجوم وغيرها من العناصر لا تنجزها بقوتها الذاتية بل هي بمنزلة القوارير، وأن هناك قوة كامنة وراءها وهو الله تعالى. وكل هذه الأعمال إنما ينجزها الله تعالى بنفسه. فبرؤية هذا المشهد تابت

بلقيس توبة صادقة عن عبادة الشمس وفهمت أن هناك قوة أخرى تستخدم الشمس وغيرها. أما هذه الأشياء فليست إلا كالقوارير فقط. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤١٠-٤١١)

الأشياء السماوية والأرضية التي تعمل بأساليب مختلفة وطرق شتى للمحافظة على نظام العالم ليست هي العاملة، بل إن قدرة الله هي التي تعمل من ورائها. كما قال ﷺ في آية أخرى: ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾. أي أن الدنيا هي بمنزلة صرح من القوارير التي يجري تحتها الماء بقوة. ويظن الجاهل أن القوارير هي الماء بينما الماء تحتها. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٢٥)

لقد وردت في القرآن الكريم قصة عجيبة تتعلق بملكة اسمها "بلقيس" كانت تعبد الشمس - لعلها كانت تتبع الفيدا - دعاها سليمان وأعدّ لجيئها صرحاً أرضيته من الزجاج، والماء يجري تحته. عندما قصدت بلقيس الدخول على سليمان حسبت الزجاج ماءً وكشفت عن ساقها. فقال سليمان: لا تنخدعي! إنه ليس ماء بل هو زجاج والماء تحته. ففهمت تلك السيدة الفطينة أنه أظهر عليها خطأ دينها بهذا الأسلوب، وكشف لها أن مثل الشمس والقمر والأجرام المضئية الأخرى بمنزلة الزجاج وهناك قوة خافية تعمل من ورائها، والله تعالى هو تلك القوة، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم في هذا الموضوع: ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾. فقد شبه الله تعالى الدنيا بالصرح الممرّد من القوارير. الأغبياء يعبدون القوارير أما العاقلون فيعبدون تلك القوة الكامنة. ولكن الفيدا لم يُشر إلى ذلك الصرح الممرّد من القوارير أدنى إشارة بل حسب القوارير الظاهرية إلهاً وجهل القوة الكامنة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٩٠)

إن إيماننا ومذهبنا هو أن هناك ذاتاً قادرةً فوق كل شيء، تتحكم فينا وتذهب بنا حيثما تشاء، هي ذات خالق ونحن مخلوقون. هو حيّ وقيوم ونحن خلق ضعيف. لقد ذُكر في القرآن الكريم عن سليمان وبلقيس أنها عندما رأت الماء كشفت عن

ساقِيها، فهذا أيضا يتضمن التعليم نفسه الذي علّمها سليمانُ. كانت بلقيس تعبد الشمس فوضّح لها سليمان بهذه الطريقة أنه كما يجري الماء تحت الزجاج والأصل هو الزجاج الذي فوق الماء، كذلك إن القوة التي تزوّد الشمس بالنور والضياء هي قوة عظيمة أخرى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ٨)

في هذا المقام يجدر بالذكر نكتة قرآنية بيّنها سليمان ﷺ بصورة "صرح مُرد" تنبيهها لملكة سبأ على خطئها في عبادة الشمس؛ فقد ورد في القرآن الكريم في هذا المقام: ﴿إِنَّهُ صَرَخَ مُرَدًّا مِنْ قَوَارِيرَ﴾، ويتبين من ذلك أن ما يتراءى في الأجرام العلوية والأجسام السفلية والتي يعبد الجهلاء بعضها بلا قيمة ومثلها كالمعدوم تماما وليست جديرة بالعبادة، وأن ما يتراءى فيها من قوى ظاهرة فإن نسبتهما إليها خداع محض. فهناك قوة عظمى أخرى وهي منفصلة عنها في الحقيقة وهي التي تُري كل هذه التجليات. كما كان تحت: ﴿صَرَخَ مُرَدًّا﴾ ماء ولم يكن عينه بل كان غيره ولكنه بدا في نظر بلقيس السقيم وكأنه عينه. لذا حسبت القوارير كأنها نهر ماء يجري وكشفت عن ساقِيها، فكان ذلك خطأ منها شبيها بخطئها في عبادة الشمس إذ لم تر تلك القوة العظمى التي تسخر الشمس من وراء حجاب لإظهار قدراتها العجيبة المختلفة حقيقة عن الشمس. كذلك إن مثل الدنيا كمثل صرح مُرد من زجاج وفرشه مرصوص بزجاج نقي جدا وقد أُطلق تحته الماء الذي يجري بكل قوة وشدة. وكل نظر يقع على الزجاج يحسبه ماء خطأ منه، ويخاف الناس المشي على الزجاج خوفهم من المشي على الماء مع أنه في الحقيقة مجرد زجاج. هذه النقطة التي تشكّل مبدأ أمثل لانكشاف حقيقة العالم كله تنطبق على حالة أولياء الله تطابقا تاما. وكما قال الله جلّ شأنه عن بلقيس: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُرَدًّا مِنْ قَوَارِيرَ﴾ أي ذلك الصرح الممرد الذي كانت أرضيته من قوارير نقية وشفافة وكان يجري تحتها الماء وحسبتها بلقيس ماء جاريا خطأ منها؛ كذلك يخطئ الناس بحق أولياء الله تعالى، ويحسبون "الماء" الذي يجري تحت "أرضية ممردة

بقواريرهم" منهم. لكن الحق أن الماء من الله، وهو يجري تحت حالتهم الفانية، يهيج تارة ويهدأ تارة أخرى، يتراءى أحيانا بصورة ماء مُرّ ومالح وأحيانا بلا طعم، ويدو تارة لذيذا وزلالا، ويسيل تارة بقوة غضبية كطوفان وتارة أخرى يختار الهدوء فيحسبه الجاهل ماء الأهواء النفسانية وينكر عظمة أولياء الله ويشك فيها مع أن نفوسهم تتخذ صورة القوارير بعد أن تُصقل مرارا، وما يراه الجاهل ماء وما يلحظه من قوة الماء إنما هو نبع إلهي يجري تحت هذه القوارير. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٣، عدد ١٠/٩/١٩٠١م، ص ٥)

الآيات ٤٩-٥٤: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

... أي سغتاله وأهله ليلا، ثم نقول لوارثه الذي يطالب الدية لم نكن موجودين حين قُتلوا، ونحن صادقون، أي يفعلون عذرا بأنهم كانوا قد سافروا إلى مكان كذا وكذا عندما قُتلوا. كما يفعل المجرمون في هذه الأيام أيضا أعذارا من هذا القبيل حتى لا تُرفع القضية ضدهم.... فكان مكر الله أنه أخفى إرادة العذاب إلى مدة حتى تبادى الأشرار في الشر، وعندما بلغت شرورهم الغاية بل أرادوا أن يقتلوا أصفياء الله بمكرهم مكرًا كَبَّارًا أنزل الله عليهم ذلك العذاب الخفي الذي لم يعرفوه، ولم يخطر ببالهم أنهم سيبادون ويُمحون بهذه الطريقة. هذه إشارة إلى أن إيذاء عباد الله الأصفياء ليس حسنا، فالله تعالى يبطش في نهاية المطاف. فهو يُخفي إرادته إلى حين، وهذا هو المراد من مكره. ولكن عندما يبلغ الشرير شره منتهاه يُظهر الله تعالى إرادته. فما

أشقى أولئك الذين يتصدّون لعباد الله الأصفياء بحماس الشر فقط ويريدون أن يهلكوهم ولكن الله تعالى يهلك الأشرار أنفسهم أخيراً. وفي ذلك بيت جميل من شعر "الرومي":

تادل مرد خدا نامد بردو پیچ قوسے را خدا رسوانہ کرو

أي: ما أخزى الله قوما ما لم يُعذّب قلبُ عبده. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٠١-٢٠٢)

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي مكر الكفار للقضاء على الإسلام ومكْرنا نحن أيضاً، أي تركناهم يتمادون في المكر حتى يصلوا الدرجة التي ينزل فيها العذاب بحسب سنة الله. ففي هذا الموضع من ترجمة القرآن ملحوظة من شاه عبد القادر رحمه الله في "موضح القرآن" ونسجل هنا تعريبها وهو: "كانت أسباب هلاكهم كاملة، لكنهم لم يهلكوا ما لم تصل شروهم وفتنتهم الحدود" تمت عبارته. راجع صفحة ٥٢٨ في القرآن الكريم المطبوع في مطبعة فتح الكريم. فثبت من جميع هذه الآيات أن العذاب الإلهي لا ينزل على أحد في الدنيا ما لم يوصل شرّه وظلمه واستكباره وعلوّه وغلوّه منتهاها. فلا يحدث أن يكون الكافر يهلك خوفاً ومع ذلك تحل عليه الصاعقة عذاباً من الله، ويكون المشرك يكاد يهلك خوفاً من العذاب ومع ذلك لا ينجو من مطر الأحجار. إن الله ﷻ رحيم وحليم، فهو لا يهلك أحداً بعذابه في هذه الدنيا إلا من هياً أسباب هلاكه بيده. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥-١٦)

الآية ٦٣: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

لقد بيّن الله ﷻ في القرآن الكريم وجوده أن إلهكم هو من يجيب دعاء المضطرب، كما يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فإذا كان الله قد وصف إجابة

الدعاء علامة على وجوده، فكيف يظن أيُّ ذي عقل وحياء أن نتائج إجابة الدعاء الصريحة لا تظهر، وأن الدعاء أمر تقليدي لا يتسم بأي روحانية؟ لا أظن أن أيَّ مؤمن صادق يمكن أن يرتكب هذه الإساءة؛ إذ يقول الله تعالى إنه كما يُعرَف الله الحق بالتفكر في خلق السماوات والأرض كذلك يحصل اليقين بالله من خلال ملاحظة إجابة الدعاء أيضاً. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٩-٢٦٠)

كلمة المضطر في كلام الله تخص المتضررين الذين تضرروا ابتلاءً فقط وليس عقاباً، وإن الذين يعانون آلاماً عقاباً فلا ينطبق عليهم مدلول هذه الآية، وإلا كان من اللازم أن يستجاب لقوم نوح ولقوم لوط ولقوم فرعون وغيرهم عند الاضطرار، لكن هذا لم يحدث، بل دمرهم يدُ الله وأهلكتهم. (دافع البلاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٣١)

الشرط الثاني لإجابة الدعاء هو أن يكون في قلب الإنسان ألم لمن يدعو له: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٢، عدد ١٩٠١/٨/٣١ م، ص ١٣) تذكرنا أن الله غني، فهو لا يعبأ بأحد ما لم يدعُ بكثرة وما لم يُبدِ اضطراباً مرة بعد أخرى. فانظروا إذا مرضت زوجة أحدكم أو مرض ابنه أو رُفعت ضد أحدكم قضية خطيرة، فكم يصاب باضطراب شديد بسبب ذلك؟! كذلك الدعاء عديم الجدوى وعملٌ عبث ما لم ينشأ فيه الاضطراب والحرقنة الصادقة. فالاضطرار شرط للقبول، كما قال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٨/٣/٢ م، ص ٥)

الآية ٧٢: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

يريد الله أن ينقذ الأبرار ويهلك الأشرار، وإذا أخبر بالوقت والتاريخ فيمكن لكل شرير أن يأخذ الحذر والحيلة. وإذا كانت النبوة تصبح عرضة للاعتراض لعدم تحديد الموعد فهذه هي حال نبوءات القرآن الكريم أيضاً، وقد اعترض عليها أناس

أمثالهم وقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي أخبرونا بالوقت والتاريخ؟ ولكن الحق أن الوقت لا يُحدَّد في نبوءات الوعيد وإلا لوقى الكافر أيضا نفسه بالهروب. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٨/٦/١٩٠٥ م، ص ٢)

الآية ٨١: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدِيرِينَ﴾

هناك حديث آخر في كتاب المغازي من صحيح البخاري جاء فيه: "قال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟" ولكن السيدة عائشة رضي الله عنها لم تقبله بمعناه الحرفي والمادي، بل قالت: إنه يعارض قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٩)

الآية ٨٣-٨٦: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾

أما دابة الأرض؛ فليس المراد منها حيوان لا يعقل، بل هي الإنسان بحسب قول سيدنا علي عليه السلام. والمراد من كلمة دابة الأرض هنا طائفة من الناس الذين ليس فيهم روح سماوية، ولكنهم يُفحمون منكري الإسلام بالعلوم والفنون الأرضية، ويبدلون علم الكلام وأساليب المناظرة في سبيل تأييد الدين، ويؤدون خدمة الشريعة الغراء قلبا وقالبا. ولكنهم ما داموا أناسا ماديين حقيقة وليسوا سماويين ولا يملكون روحا سماوية كاملة، فيدعون دابة الأرض. وما داموا غير حائزين على التزكية الكاملة والوفاء الكامل، فإن وجوههم وجوه الناس، أما بعض أعضائهم فتشبه أعضاء الدواب. وهذا ما أشار إليه الله جلَّ شأنه في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، أي حين يأتي زمن

يحلّ فيه العذاب بالكفار ويقترّب أجّلهم المقدّر، عندها تُخرج من الأرض فئة؛ هي دابة الأرض، وهي فئة المتكلمين الذين سيهاجمون جميع الأديان الباطلة تأييدا للإسلام، أي أنهم سيكونون علماء في الظاهر، وذوي كعب عالٍ في علم الكلام والفلسفة. فسيُهبّون هنا وهناك في تأييد الإسلام، وينشرون حقائق الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بالاستدلالات.

ولقد استُخدمت كلمة ﴿أَخْرَجْنَا﴾ هنا للإشارة إلى أن خروجهم - وليست نشأتهم - سيتم في الزمن الأخير؛ بمعنى أنهم سيكونون موجودين في كل زمن كبذرة، أو بعدد ضئيل، أما في الزمن الأخير فسيخرجون بكثرة وبكمال ملحوظ، ويحتلّون في تأييد الإسلام منصب الوعاظ في كل مكان تقريبا، ويكثر عددهم. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٦٩-٣٧٠)

لقد ورد في "آثار القيامة" قيل لعلّي ﷺ أن الناس يظنون أنك أنت دابة الأرض، فقال: ستكون في دابة الأرض بعض أوجه الشبه مع الدواب والطيور، فهل توجد في؟ وقد ورد أيضا أن دابة الأرض اسم جنس والمراد منها طائفة. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٦٩، الحاشية)

إن دابة الأرض، أي العلماء والواعظون الذين لا يجدون في نفوسهم قوة سماوية، ما زالوا موجودين منذ البداية، ولكن ما يقصده القرآن الكريم هو أن كثرتهم في الزمن الأخير ستتجاوز الحدود. والمراد من خروجهم هو كثرتهم.

هناك نقطة أخرى جديرة بالذكر أيضا أنه كما وردت كلمة "الخروج" بحق الأشياء التي لا تملك القوة السماوية وستظهر بكل حماس وقوة في الزمن الأخير، فقد وردت كلمة "النزول" في الأحاديث بحق الشخص الذي سيظهر بالوحي السماوي والقوة السماوية. والحقيقة أنه قد رُوعي في هذين اللفظين - أي "الخروج" و"النزول" - أمر وحيد، أي قد أريدَ التوضيح أن جميع الأشياء التي ستظهر في الزمن الأخير، تتحلّى من حيث قوة ظهورها إما بصفة الخروج أو بصفة النزول. فالذي قُدِّر له أن يأتي

بالقوة السماوية وُصف بصفة النزول، والذي كان سيخرج بالقوة الأرضية ذُكر بلفظ الخروج؛ وذلك لتفهم بلفظ النزول عظمة النازل، وبثبت نوع الدونية والحقارة بلفظ الخروج، وليعلم أيضا أن النازل غالب على الخارج. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٧٣-٣٧٤)

إن الناس الأرضيين دابة الأرض، وليسوا مُسحاه السماء. إن المسيح السماء ينزل من السماء، وتنزل أفكاره بعد أن تمسح السماء. وينزل عليه روح القدس، فيرافقه نور من السماء. أما دابة الأرض فترافقها أرجاس أرضية، ولا تملك صورة إنسانية كاملة، بل تكون بعض أعضائها ممسوخة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٧٣-٥٧٤)

كذلك أُطلق في الحديث اسم خاص على دابة الأرض أيضا، ولكن التعمق في الأحاديث يُبين أن هذا الاسم أيضا عام من حيث استخدامه؛ ففي صحيح مسلم، ذُكرت دابة الأرض من ناحية بأنها جساسة الدجال ورفيقة له ومقيمة معه في جزيرة، ومن ناحية ثانية أعطيت مكانا تحت الصفا في حرم مكة المعظمة، وكأنها توجد في تلك الأرض المقدسة وليست مع الدجال، وقيل أيضا بأنها ستخرج منها. يبدو أن المراد من هذه الاستعارة أن دابة الأرض في الحقيقة اسم جنس يُطلق على مشايخ ذوي اتجاهين. فمن ناحية لهم علاقة مع الدين والحق، ومن ناحية أخرى مع الدنيا والدجل. وإن خروج مشايخ أمثالهم في الزمن الأخير مذكور عدة مرات في صحيح البخاري. فقد جاء أن هؤلاء الناس سيقروون أحاديث خير البرية ويتلون القرآن الكريم أيضا ولكنه لن يُجاوز تراقيهم. فالعصر الراهن هو عصر هؤلاء الذين حذرنا النبي ﷺ منهم وقال: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" (صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣ ص ٥٩٣-٥٩٤)

فقد رأيت دابةً قُدَّها كَقَدِّ الفيل ووجهها يشبه وجه الإنسان، وبعض أعضائها تشبه أعضاء دوابٍ أخرى. ورأيتُ أنها خُلقت بيد القدرة تلقائياً، ورأيتُني جالسا في مكان تحيطه الفلوات التي فيها الثيران والحمير والأحصنة والكلاب والخنازير والذئب والإبل وغيرها من الدواب من كل نوع، وألقي في روعي أنها أناس ولكن أشكالهم تغيّرت إلى ذلك بسبب سوء أعمالهم، ثم رأيت دابة بحجم الفيل وهي مجموعة أشكال مختلفة وقد خُلقت من الأرض بيد القدرة فقط، فجاءت وجلست بالقرب مني صامئة واجمة مستقبله جهة الشمال، والحياء بادٍ في عينيها، ولكنها بعد كل بضع دقائق تركض مرة بعد أخرى إلى إحدى تلك الفلوات، وفور دخولها فلاة ترتفع ضجةٌ كضجة القيامة ثم تشرع بأكل الدواب الأخرى ويُسمع صوت قضمها العظام، وحين تفرغ من ذلك تأتيني وتجلس بالقرب مني وتظل جالسة قرابة عشر دقائق، ثم تتوجه إلى فلاة أخرى ويعاد الأمر نفسه الذي حدث من قبل، ثم تعود إليّ وتجلس بالقرب مني، عيناها طويلتان جدا، كلما أتنى نظرتُ إليها بإمعان فكأنها تقول لي بملامح وجهها: ما ذنبي أنا في ذلك؟ إنما أنا مأمورة. ويبدو أنها دابة طيبة ولطيفة جدا ولا تفعل شيئا من تلقاء نفسها بل تفعل ما تؤمر. عندها أُلقي في روعي أنها الطاعون، وهي دابة الأرض التي وُعد بها في القرآن الكريم بأننا سنُخرجها في الزمن الأخير فتكلم الناس لأنهم لا يؤمنون بآياتنا. كما يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي عندما تتم حجة الله عن بعثة المسيح الموعود نخرج من الأرض دابة تكلمهم.

ثم يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا أَنَّمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ﴾.

فملخص الكلام أن دابة الأرض المذكورة في هذه الآيات التي قُدِّرَ ظهورها في زمن المسيح الموعود منذ الأزل إنما هي دابة ذات أشكال مختلفة أُريَتْها في الكشف وأُلقي في قلبي أنها دابة الطاعون. وقد سماها الله تعالى دابة الأرض لأن هذا المرض يتفشى بدواب الأرض فيؤثّر في الفئران أولاً ويظهر في أشكالها المختلفة، وكما يصيب الناس، فيمكنه أن يصيب الدواب أيضاً، لذلك أُريْتُ لها أشكالاً مختلفة في الكشف. وفيما يلي القرائن والأدلة المفصلة على أن دابة الأرض هي في الحقيقة مادة الطاعون نفسها التي منها يتفشى الطاعون.

أولاً: لقد ذُكر العذاب مقروناً بدابة الأرض كما يقول تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي عندما تتم الحجة عليهم بالآيات السماوية والبراهين العقلية تُخَرَّج دابة الأرض. من الواضح تماماً أن دابة الأرض ستُخَرَّج من الأرض للعذاب، ولن تظهر عبثاً دون أن يكون لها نفع أو ضرر.

إن قلت إن الطاعون مرض، وأما دابة الأرض فلا بد أن تكون - من حيث معناها اللغوي - دودة ينبغي أن تخرج من الأرض، لقلنا: لقد تبَيَّن من البحوث الحالية أن السبب في تفشي الطاعون هي جراثيم تخرج من الأرض، بل تُجمَع الجراثيم نفسها، وتُستخلص منها عُصارتها من أجل إعداد المصل أيضاً، وتؤكد الرؤية بالمجهر الطبي أن شكلها كنقطتين ملتصقتين مع بعض (..)؛ فأية الكسوف والخسوف ظهرت في السماء بشكل مزدوج وكذلك ظهر الأمر في الأرض.

ثانياً: القرينة الثانية هي أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ونرى أنه كلما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مضافة، أُريد منها ذلك الكائن دائماً. ومثال ذلك الآية: ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَى الْمَوْتِ مَا دَهَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ أي حين قُدِّرَ على سليمان الموت لم يُطْلِع الجِنَّة على موته إلا دابة الأرض التي كانت تأكل عصاه.

لأحظوا، لقد أُطلِّقت الدودة هنا على دابة الأرض، فأبي شهادة أكبر على كشف المعنى الحقيقي لدابة الأرض من أن القرآن الكريم بنفسه قد بيّن في مكان آخر أن المراد من دابة الأرض هو الدودة، وإن استنتاج معنى مخالفا للقرآن الكريم إنما هو التحريف والإلحاد والدجل بعينه.

ثالثا: القرينة الثالثة هي أنه يتبين من الآية بصراحة تامة أنه ينبغي أن يكون إمام الوقت موجودا عندما تُكذَّب الآيات الإلهية لأن كلمة: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ تعني حلول العذاب بعد إتمام الحجة، والعقيدة المتفق عليها هي أن دابة الأرض ستخرج في الزمن الأخير عند ظهور المسيح الموعود لِيُثَبِّتَ حجة الله على الأرض، فكل منصف يستطيع أن يفهم بسهولة، أن المدّعي بكونه المسيح الموعود لا بد أن يكون موجوداً، وظهرت له آيات كثيرة في السماء والأرض. والآن، ليس المراد من دابة الأرض إلا الطاعون فقط الذي كان ظهوره ضروريا في زمن المسيح الموعود، وما دام يأجوج ومأجوج موجودين، وقد تحققت نبوءة: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ في كل أنحاء العالم، وقد بلغت الفتن الدجالية منتهاها، وتحققت نبوءة "لَتَتَرَكَّنَ الْفُلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا" أيضا بكل جلاء، وكثر شرب الخمر والزنا، وثار في المسلمين طبيعة اليهود، فلم يبق إلا خروج دابة الأرض؛ فقد خرجت هي الأخرى أيضا. فمن الجهل المجادلة في أنه يبدو من الحديث أن مكانا ما سينشق وتطلّ منه دابة الأرض برأسها وتحول في الدنيا كلها، ذلك لأن معظم النبوءات تغلب عليها صبغة الاستعارة، وما لم تنكشف حقيقة الأمر فإن ترك الحقيقة والتمسك بالأوهام قمة في الجهل، وبسبب هذه العادة حرم اليهود الأشقياء من قبول الحق.

رابعا: القرينة الرابعة على أن المراد من دابة الأرض هو الطاعون هي أن سورة الفاتحة تتضمن نبوءة أن بعض المسلمين في زمن من الأزمان سيصيرون مثل اليهود الذين كانوا في زمن عيسى عليه السلام وأهلكوا بالنهاية بالطاعون وغيره من البلايا، لأن من سنة الله القديمة أنه حين يمنع قوما من عمل فيكون مقدرا عنده حتما أن بعضا

منهم سيرتكبونه لا محالة، كما مُنع اليهود في التوراة من أن يحرقوها وغيرها من كتب الله، فقام بعضهم بالتحريف في نهاية المطاف. ولكن القرآن الكريم لم يَنْهَ عن تحريفه بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، كذلك علّم الله المسلمين في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وقد ثبت من الأحاديث بكمال التواتر أن المراد من المغضوب عليهم هم اليهود الفجار والفساق الذين كفّروا المسيح ﷺ وأرادوا قتله، وحرقوه وأهانوه كثيرا، وقد لعنهم عيسى ﷺ كما هو مذكور في القرآن الكريم. والمراد من الضالين هم فرقة النصاري الضالين الذين أهوا عيسى ﷺ واعتنقوا عقيدة التثليث وقيدوا النجاة بدم المسيح وأجلسوه على عرش الإله الحي.

فالمراد من هذا الدعاء هو أن ارحمنا يا ربنا حتى لا نكون كاليهود الذين كفّروا المسيح وأرادوا قتله، وألا نؤلّه المسيح ولا نعتقد بالتثليث. فلأن الله تعالى كان يعلم أن المسيح الموعود في الزمن الأخير سيأتي من هذه الأمة وأن بعض المسلمين المتحلين بصفات اليهود سيكفّرونه ويريدون قتله ويهينونه ويحرقونه كثيرا، وكان ﷺ يعلم أيضا أن مذهب التثليث يكون في أوج رقيّه في ذلك الزمن، وسيتنصر كثير من المسلمين الأشقياء، لذا فقد علّم المسلمين هذا الدعاء. وعبارة ﴿المغضوب عليهم﴾ في الدعاء تعلن بأعلى صوتها أن الذين يعارضون مسيح الإسلام سيكونون أيضا مغضوبًا عليهم في نظر الله كما كان معارضو المسيح الإسرائيلي مغضوبا عليهم. ويشير المسيح ﷺ بنفسه في الإنجيل إلى أن الموت (أي الطاعون) سيحل بمنكريّ وبعده ستنزل أنواع العذاب الأخرى أيضا، لذا كان ضروريا أن تظهر هذه الأمور في تأييد المسيح المبعوث في الإسلام أيضا.

وهناك أيضًا، أدلة أخرى كثيرة، على أن دابة الأرض المذكورة في القرآن الكريم هو مرض أرضي بلا أدنى شك ويخرج من الأرض. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية،

أما قول الله تعالى في القرآن الكريم إن دابة الأرض (أي جرثومة الطاعون) ستخرج من الأرض، فالسر في ذلك هو ليشير إلى أنها ستخرج حين يصبح المسلمون وعلماءهم بأنفسهم دابة الأرض لميلهم إلى الأرض. لقد سبق أن كتبنا في بعض كتبنا أن المشايخ وأصحاب الزوايا المعاصرين الذين ليسوا متقين بل هم مُخِلِدُونَ إلى الأرض، هم دابة الأرض. أما الآن فقد كتبنا في هذا الكتاب أن دابة الأرض هي جرثومة الطاعون. فلا يحسبنَّ أحد أن هناك تناقضا في هذين البيانيين. إن القرآن الكريم ذو المعارف، فتحمل معانيه عدة وجوه ولا يُناقض بعضها الآخر. وكما أن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة، كذلك إن معارفه أيضا لا تنزل على القلوب دفعة واحدة. لذا فقد ذهب الباحثون إلى أن النبي ﷺ أيضا لم يُعطِ المعارف دفعة واحدة، بل أكمل ﷺ دائرة التقدم العلمي تدريجاً. والحال نفسه بالنسبة إلى كوني مظهراً له ﷺ بصورة ظلية. والسر في تقدم النبي ﷺ التدريجي هو أن مدار تقدمه كان القرآن وحده. فلما كان نزول القرآن الكريم تدريجياً كذلك كان تكميل معارف النبي ﷺ أيضاً تدريجياً. والحال نفسه بالنسبة إلى المسيح الموعود الذي ظهر فيكم الآن. إن علم الغيب خاص بالله تعالى فتلقاه منه بقدر ما يعطينا الله ﷻ. فهو الذي أعطاني فهمًا من الغيب أن الذين يعيشون عيش الكسل ويؤمنون بالله وبرسوله ولكنهم ضعفاء جدا من حيث حالتهم العملية هم دابة الأرض أي ديدانها، ولا حظ لهم من السماء، وكان مقدرا أن يكثر في الزمن الأخير أمثال هؤلاء الناس الذين ينطقون بشهادة الإسلام بلسانهم وتكون قلوبهم في الظلام؛ هذا هو المعنى الذي نشرناه من قبل وهو صحيح بحد ذاته. وهناك معنى آخر لهذه الآية قد كشفه الله تعالى وذكرناه آنفا أن المراد من دابة الأرض، هي تلك الدودة أيضا، التي كان مقدرا لها أن تخرج من الأرض في زمن المسيح الموعود وتدمر الدنيا بسبب سوء أعمال أهلها.

من الجدير بالذكر حقاً أنه كما تحوي هذه الآية معنيين كذلك توجد مئات الأمثلة من هذا القبيل في كلام الله، ولهذا السبب يُسمَّى كلاما معجزا، إذ إن آية

واحدة تحمل عشرات الأوجه وتكون كلّها صحيحة. بل الحق أنّ أحرف القرآن الكريم وأعدادها بحسب حساب الجمل أيضا لا تخلو من المعارف الكامنة. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨ ص ٤٢١-٤٢٢)

يقول الله تعالى... ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. فهاتان الآيتان موجودتان في القرآن الكريم وتحتويان على نبوءة صريحة عن الطاعون؛ فالطاعون أيضا دابة، غير أن الأطباء السابقين لم يطلّعو عليها. ولكن الله عالم الغيب كان يعلم أن أصل الطاعون هو الدابة التي تخرج من الأرض، لذا فقد سمي دابة الأرض. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٤٠)

من معاني دابة الأرض الطاعون أيضا كما يتضح من قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، أي عندما تتم الحجة على الناس، فسوف نُخرج من الأرض دودة تجرحهم لأنهم كانوا بآيات الله تعالى لا يؤمنون. علماً أنه قد ورد في قاموس "أقرب الموارد" بوضوح أن ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ تعني تجرحهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٢م، ص ٥، الحاشية)

إن دابة الأرض تفيد معنيين: أولهما العلماء الذين ليس لهم من السماء نصيب فهم ديدان الأرض. والمعنى الثاني هو الطاعون: ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ (سبأ: ١٥). ثابت من القرآن الكريم أنه ما لم تتولد الروحانية في الإنسان يكون دودة الأرض. وقد أنبأ جميع الأنبياء بالطاعون أنه سيتفشى في زمن المسيح. إن دابة الأرض تكلم الناس؛ ومن معاني التكليم العض أيضاً، وقد حكم القرآن الكريم نفسه في الموضوع إذ قال بعد ذلك إن تلك الدابة تكلم الناس لأنهم لم يؤمنوا بمبعوثنا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٣)

دابة الأرض هو الطاعون لأن جراثيمها أرضية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢، ص ٨)

عندما يحلّ زمن الضلال يكون عندئذ إيمان الناس بالله تعالى كلعبة أطفال فقط، عندها تُخرج لهم دابة تكلمهم. باختصار، هذا الطاعون غضب من الله ولاجتنابه يجب على كل واحد أن يهتم بنجاته بنفسه. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/١١-٥/١٢/١٩٠٢ م، ص ٣٩)

يتبين من ذلك أن المسيح الموعود الذي تنبأت هذه الآية عن عصره، ستوقف دعاواه لحد كبير على الآيات وسيكون الله ﷻ قد أعطاه كثيرا من الآيات، لأنه حين قال: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي أن سبب هذا العذاب أنهم لم يبالوا بآياتنا أيما مبالاة، ولم يؤمنوا بها ولذا عوقبوا به. فالمراد من هذه الآيات خوارق المسيح الموعود فقط، وإلا لا يصح أن يُذنب زيد ويعاقب على ذنبه عمرو الذي أتى بعده بثلاثة عشر قرنا. إذا كان الناس رأوا آيات في زمن النبي ﷺ وكفروا بها فقد واجهوا عقاب ذلك في ذلك الزمن نفسه، فبادوا وهلكوا. إذا كانت الآية تقصد الآيات التي ظهرت على يد النبي ﷺ حصرا فالآن آلاف المسلمين بل مئات الألوف منهم إذا سُئلوا ما هي الآيات التي ظهرت على يد النبي ﷺ فقد نجد واحداً من الألوف يعرف عن تلك الآيات، وإلا لا يعرف المسلمون بشكل عام ماذا كانت تلك الآيات، وكيف كان الله ﷻ قد أظهرها تأييدا له ﷺ. لكن هل يمكن لأحد القول نظرا لعدم علم المسلمين بها أن كل هؤلاء ينكرون تلك الآيات، ولا يؤمنون بها، رغم أنهم مؤمنون، ولا ينكرونها بتاتا؟ فلا يسعنا القول بحق هؤلاء أنهم لا يؤمنون بآيات النبي ﷺ وذلك لأنهم قد آمنوا بالنبي ﷺ مع تفاصيل نبوته كلها، فأنى لهم أن يكفروا بها. أما أتباع الأديان الأخرى فلم تعد تلك الآيات حجة عليهم الآن، لأنهم لم يروها، أما الذين كفروا بها بعد رؤيتهم لها فقد هلكوا. وما دام المعاصرون لم يشاهدوا آياته ﷺ فكيف يمكن أن يهلكوا بكفرهم بها.

إذن، تبين أن المراد منها آيات المسيح الموعود حصراً، التي صدر الإنذار بالعذاب على إنكارها، وغضب الله على الذين كفروا بآيات المسيح الموعود، وهذا حكم الله الذي لا يُرَدُّ. فهذا نص صريح على أن الطاعون قد حل بسبب إنكار المسيح الموعود. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٣)

الآية ٩٠: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾

أي أن الذين كسبوا الحسنات فلهم أجر أكثر مما فعلوا وهم من كل نوع من الفزع آمنون في ذلك اليوم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٧-١٤٨)

الآية ٩١: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أي أن الذين كسبوا السيئات سيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ وَيُقَالُ لَهُمْ بِأَنَّ هَذَا الْجَزَاءَ فِي الْحَقِيقَةِ يُمَثِّلُ أَعْمَالَكُمْ الَّتِي كَسَبْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَلَنْ يَظْلَمَ اللَّهُ أَحَدًا بَلْ سَتُظْهِرُ الْأَعْمَالُ الْحَسَنَةُ بِصُورَةِ الْجَنَّةِ، وَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ بِصُورَةِ الْجَحِيمِ. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٨)

الآية ٩٤: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَيُّ قُلُوبٍ لِلَّهِ الصِّفَاتُ الْكَامِلَةُ كُلُّهَا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٤، الحاشية)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "القصص"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٨: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي
الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

"من كان يؤمن بالله وآياته، فقد وجب عليه أن يؤمن بأن الله يوحى إلى من
يشاء من عباده، رسولاً كان أو غير رسول، ويكلّم من يشاء، نبياً كان أو من
المحدّثين. ألا ترى أن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه كلّم أمّ موسى وقال: ﴿لَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. وكذلك أوحى إلى الحواريين وكلّم
ذا القرنين وأخبرنا به في كتابه." (تحفة بغداد، الخزانة الروحية المجلد ٧)

"ومن الناس من يقول إن باب الإلهام مسدود على هذه الأمة، وما تدبّر في
القرآن حق التدبر، وما لقي الملهمين. فاعلم أيها الرشيد أن هذا القول باطل

بالبداهة، ويخالف الكتاب والسنة وشهادات الصالحين. أما كتاب الله.. فأنت تقرأ في القرآن الكريم آياتٍ تؤيد قولنا هذا، وقد أخبر الله تعالى في كتابه المحكم عن بعض رجال ونساء كلّمهم ربهم وخاطبهم وأمرهم ونهاهم، وما كانوا من الأنبياء ولا رسل رب العالمين. ألا تقرأ في القرآن: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فتدبّر أيها المنصف العاقل، كيف لا يجوز مكالمات الله ببعض رجال هذه الأمة التي هي خير الأمم وقد كلّم الله نساء قوم خلوا من قبلكم، وقد أتاكم مثل الأولين؟" (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٩٧)

الآية ١٦: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾

أما عن تهمة الوكز التي يُلصقها النصارى بموسى: فلم يكن ذلك ذنباً إذ كان أحد إخوته الإسرائيليين مأخوذاً فوكزه بثورة طبيعية فمات المعتدي. كما أنه لو قتل أحدٌ دفاعاً عن نفسه فلا يُعدّ مجرماً. لقد جاء قول موسى في القرآن الكريم: ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أي كان القبطي يعتدي على ذلك الإسرائيلي بعمل الشيطان (أي بإرادة فاسدة). (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/٢٠١٩م، ص ١٥)

الآية ٣٤: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

إن الله لا يُحْزِي الأنبياء ولا يخذلهم. ففوة إيمان الأنبياء تكمن في أنهم يجدون في التضحية بحياتهم في سبيل الله سعادة لهم، إذا قال أحدهم بالنظر إلى قصة موسى ﷺ أنه كان يخاف فهذا كلام سخيّف تماماً. (إذ ليس المراد من الخوف هناك أنه كان يخاف الموت. كلا بل كان يخاف أن يؤثر ذلك سلباً في تبليغ الرسالة). (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٩/٤/١٩٠٣م، ص ٣٥٨)

الآية ٣٧: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾

وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ أي ما سمعنا بهذا من كبارنا أي من الأولياء السلف. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٧٠) شقاوتهم فوق ذلك هي أنه عندما يُعرض عليهم الإسلام الحقيقي الذي جاء به النبي ﷺ ويثبت من القرآن الكريم أنهم مخطئون يقولون: هذا ما كان آبؤنا يؤمنون به. ولكني أقول: هل يمكنهم أن يبرئوا ساحتهم بمجرد هذا الكلام؟ كلا! بل بهذا القول تتم عليهم الحجة بحسب القرآن الكريم وسنة الله الأزلية. كلما أُرسل مبعوث من الله قال المعارضون دائما بسماع تعليمه: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

الآية ٣٩: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

فقال لصاحبه أن أوقد نار الفتنة والابتلاء لعلى أطلع إلى إله موسى كيف يعينه وينصره وهل هو معه أو لا، لأنني أعده كاذبا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٩، الحاشية)

الآية ٦٠: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رِّسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

لا يغيين عن البال أن الشرك هو أيضا من الظلم، بل هو ظلم عظيم، لكن المراد من الظلم هنا في هذه الآية التمرد المتجاوز للحدود، وأعمال الفساد المتناهية. وإلا إذا كان مجرد شرك دون أن يكون معه إيذاء واستكبار وفساد ولم يتجاوز الحدود بحيث يهاجم المشركون الوعّاظ، ويعزّمون على قتلهم، أو انكبوا على ارتكاب

المعاصي كلبية، وأفرغوا القلب من خشية الله؛ فلهؤلاء المشركين أو المذنبين عذابٌ في الآخرة. أما العذاب الدنيوي فلا ينزل إلا بالاعتداء والتمرد وتجاوز الحدود. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥)

الآية ٧١: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

المحمد كلها ثابتة له وهو المنعم الحقيقي في الدنيا والآخرة والحكم كله بيده، وهو المرجع والمآب لكل شيء. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢١، الحاشية)

"فأوماً فيه إلى أحمدين وجعلهما من نعمائه الكاثرة. فالأول منهما أحمدُ المصطفى ورسولنا المجتبي، والثاني أحمدُ آخر الزمان، الذي سُمّي مسيحاً ومهدياً من الله المتان. وقد استنبطتُ هذه النكتة من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فليتدبّر من كان من المتدبّرين." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٣٩)

"أنه تعالى ما اختار لنفسه ههنا أربعة من الصفات، إلا ليُرِي نمذجها في هذه الدنيا قبل الممات، فأشار في قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ إلى أن هذا النموذج يُعطى لصدر الإسلام، ثم للآخرين من الأمة الداخلة. وكذلك قال في مقام آخر وهو أصدق القائلين: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠-٤١). فقسم زمان الهداية والعون والنصرة، إلى زمان نبينا ﷺ وإلى الزمان الآخر الذي هو زمانُ مسيح هذه الملة. وكذلك قال: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، فأشار إلى المسيح الموعود وجماعته والذين اتبعوهم. فثبت بنصوص بيّنة من القرآن، أن هذه الصفات قد ظهرت في زمن نبينا ثم تظهر في آخر الزمان، وهو زمانٌ يكثر فيه الفسق والفساد، ويقلّ الصلاح والسداد." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٥٣-١٥٥)

"وله الحمد في الأولى والآخرة ومن الأزل إلى أبد الآبدين. ولذلك سَمَّى الله نبيَّه أحمدًا، وكذلك سَمَّى به المسيح الموعود ليشير إلى ما تعمَّد.

وإن الله كتب الحمد على رأس الفاتحة، ثم أشار إلى الحمد في آخر هذه السورة، فإن آخرها لفظ ﴿الضَّالِّينَ﴾، وهم النصارى الذين أعرضوا عن حمد الله وأعطوا حقَّه لأحدٍ من المخلوقين. فإن حقيقة الضلالة هي تركُ المحمود الذي يستحقُّ الحمد والثناء، كما فعل النصارى ونحتوا من عندهم محمودًا آخر وبالغوا في الإطراء، واتبَعوا الأهواء، وبعُدوا من عين الحياة، وهلكوا كما يهلك الضالُّ في المومة. وإن اليهود هلكوا في أول أمرهم وباءوا بغضبٍ من الله القهَّار، والنصارى سلكوا قليلا ثم ضلُّوا وفقدوا الماء فماتوا في فلاة من الاضطرار.

فحاصل هذا البيان أن الله خلق أحمدَيْن في صدر الإسلام وفي آخر الزمان، وأشار إليهما بتكرار لفظ الحمد في أول الفاتحة وفي آخرها لأهل العرفان. وفعل كذلك ليردَّ على النصرانيين، وأنزل أحمدَيْن من السماء ليكونا كالجدارَيْن لحماية الأولين والآخرين. " (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٩٧-١٩٨)

الآية ٨٦: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي إلى مكة التي أخرج الكفارُ النبيَّ ﷺ منها. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٨، الحاشية)

الآية ٨٩: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

لا تدع لأجل تحقيق أمنيّاتك إلا الله... فكل ما سواه هالك وذاته فقط هي الباقية. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢١،

الحاشية في الحاشية)

الجزء الثاني لهذا التوحيد هو أنه كما لم يوجد شيء من تلقاء نفسه سوى الله، كذلك ليس هناك شيء بريء من الفناء والهلاك سوى الله كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أي كل شيء عرضة للهلاك والموت سوى الله فهو منزّه عن الموت. كذلك قال في آية أخرى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٧). فكما أدخل الله تعالى في الآية: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كل شيء سواه في عداد المخلوقات باستخدام كلمة: "كل" التي تفيد الإحاطة التامة، كذلك جعل الموت لا مندوحة منه لكل شيء سواه وعلى باستخدامه كلمة: "كل" في الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، وكذلك جعل الموت ضروريا لكل شيء إلا نفسه في الآية: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. فكما يصيب الجسم موت نتيجة الانحلال في التركيب الجسدي كذلك يحل الموت بالروح نتيجة التغيرات في صفاتها. ولكن الذين يموتون فانيين في وجه الله يُحْيَوْنَ من جديد نتيجة وصالهم بالله عز اسمه، وتكون حياتهم ظل حياة الله. وتُخْلَقُ في الأرواح الخبيثة أيضا حاسة للعذاب ولكنهم لا يكونون من الأحياء ولا من الأموات؛ كما أن أحدا عندما يصاب بألم شديد تصبح هذه الحياة فاقدة الصواب بمنزلة الموت وتترأى له الأرض والسماء مظلمتين. (بينوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٥-١٦٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "العنكبوت"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٣: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

هل يظن هؤلاء الناس أنهم سيتركون بمجرد ادعائهم الإيمان باللسان فقط؟
(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٦٠٨، الحاشية
في الحاشية، رقم ٣)

الذي يؤمن يوهب له العرفانُ حصراً. الإيمان أن يقبل المرء قبل أن يبلغ علمه
الكمال، وعندما لا تزال تجذبه الشكوك والشبهات، فالذي يؤمن - أي يقبل رغم
ضعفه وعدم توفر جميع أسباب اليقين بناء على الاحتمال الأغلب - فهو يُعدُّ عند
الله الأحد صادقاً وصالحاً، ثم يُرزق المعرفة التامة كموهبة ويُسقى كأس العرفان بعد

الإيمان. ولذلك لا يهاجم الرجل المتقي كلَّ جانب في البداية بعد سماع دعوة الرسل والأنبياء والمأمورين من الله، بل يتخذ من الجزء الذي يُفهم بسهولة من الدلائل الواضحة البينة على كون أحد المبعوثين من الله، وسيلةً لإقراره وإيمانه. أما الجزء الذي لا يفهمه فيعدّه من الاستعارات والمجازات بحسب سنة الصالحين، وبذلك يؤمن بإخلاص وصفاء برفع التناقض. فعندئذ يفتح الله عليه باب المعرفة التامة رحمة به وراضيا عن إيمانه وتقبلا لدعوته، ويوصله إلى اليقين الكامل بواسطة الإلهام والكشف والآيات السماوية الأخرى. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٦١)

أحسب الناس أن أَرْضِي بأن يقولوا آمنا ولا يُتَمَحَّنوا. (الوصية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٢٧)

ورد في كتاب "بحر الجواهر" أن يهوديا اسمه أبو الخير كان صالحا وصادقا يؤمن بالله واحده لا شريك له، وكان قد مرَّ في السوق حين سمع من مسجدٍ صوت شابٍ يقرأ آية القرآن الكريم: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾... هل يوجد فيه الصمود والصدق والإخلاص مثل المؤمنين أم لا. فأثرت الآية في قلب أبي الخير كثيرا وَلَيِّنَتْهُ. فوقف مستندا إلى جدار المسجد وبكى بكاء مُرًّا. ثم جاءه سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ في منامه ليلا وقال: "يا أبا الخير أعجبني أن مثلك مع كمال فضلك ينكر بنبوتِي". وما إن أصبح الصباح حتى أسلم أبو الخير وأعلن إسلامه.

ملخص الكلام أني لا أستطيع أن أفهم قط أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ويؤمن به واحدا لا شريك له فينقذه الله من النار ولا ينقذه من العمه، في حين أن أساس النجاة هي المعرفة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٠-١٥١)

على المؤمن أن يتعظ بغيره. أتعجبون من أن تُبتَلوا بالابتلاء نفسه الذي ابتلى الله به اليهود؟ يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٠١)

القول بأن مئات الناس صاروا أولياء بمجرد وصولهم إلى صحبة ولي لقول باطل. كيف هذا وإن الله تعالى يعلن: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. فأتى للإنسان أن يكون ولياً من دون أن يُختبر ويُلقَى في الفتنة؟ ... إن أهل الله ينالون الدرجات بعد مواجهة المصائب والشدائد. يظن الناس خطأ أن فلاناً ذهب إلى فلان وصار من الصديقين في لمح البصر بدون أدنى مجاهدة وتركية نفس. انظروا في القرآن الكريم لتعلموا أن الله تعالى لن يرضى عنكم حتى تحلّ بكم المصائب والزلازل كما حلّت بأنبياء الله الذين اضطروا أحياناً ليقولوا ما قالوا؛ إذ ورد: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢١٥). فعباد الله ألقوا في المحن في أول أمرهم دائماً، ثم قبلهم الله تعالى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣ م، ص ٧)

هناك طريقتان اثنتان فحسب للحصول على رضوان الله وقربه. الأول: أن يحرز الإنسان رقياً نتيجة التزام الأحكام الشرعية لذا فقد وضع الله تعالى التكاليف الشرعية ولكن الإنسان يمكن أن يتهرّب من هذه التكاليف. والطريق الثاني هو ذلك الذي يكلف الله به الإنسان مباشرة. فمثلاً لو أُعطي أحد سوطاً في يده وطلب منه أن يضرب به نفسه، فسوف يتحاشى ذلك قدر الإمكان لأنه لا يريد أن يؤلم نفسه. فلذلك لا يستطيع الإنسان أن يبلغ غايته المتوخاة لأنه يسعى لتحاشي المصائب التي هي بيده. أما المصائب التي تأتي من الله تعالى ويصبر عليها فإنها تصبح مدعاة لتقدمه... باختصار، التكاليف قسمان، القسم الأول ما يحتوي على الأحكام، ولكن مجال البحث عن الأعذار فيها مفتوح إذ يمكن للإنسان أن يتحاشى الصوم والزكاة والصلاة والحج ما لم تكن أخلاقه كاملة. ولسد هذا الخلل تحل المصائب السماوية لكي يتم بنصرة الله ما لم يتم بيد الإنسان. يقول الآريون بأن المصائب تمثل عقوبة على الأعمال التي كسبها المرء أثناء ولادته السابقة. ولكنني أقول: إنها مدعاة للتقدم في المستقبل، وإلا فالجاهدات أيضاً ستعّد عقوبة. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ٢٥/٦/١٩٠٨ م، ص ٧)

الابتلاء ضروري كما تشير الآية: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية ١٨٩٧م، ص ٣٦)

كثير من الناس يأتوننا ويريدون أن يبلغوا بنفخة واحدة إلى العرش ويكونوا من الواصلين بالله تعالى. ومثل هؤلاء إنما يستهزئون. عليهم أن ينظروا في أحوال الأنبياء. القول بأن مئات الناس صاروا أولياء بمجرد وصولهم إلى صحبة ولي لقول باطل. كيف هذا وإن الله تعالى يعلن: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. فأنتي للإنسان أن يكون ولياً من دون أن يُختبر ويُلقَى في الفتنة؟ كان بايزيد البسطامي -رحمه الله- يعظ الناس ذات يوم، وكان في المجلس شخص منحدر من عائلة صوفية قديمة، وكان يكنّ البغض لبايزيد. ومن سنة الله تعالى أن يتخلى عن العائلات القديمة ويصطفي أحداً من خارجها، كما ترك الله تعالى بني إسرائيل واختار بني إسماعيل، لأن الأولين نسوا الله تعالى منغمسين في متع الدنيا وملذاتها، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤١). فقال هذا في نفسه إن البسطامي ينحدر من عائلة بسيطة، فمن المحال أن تظهر على يده الخوارق حتى يجذب إليه الناس دوننا، فكشف الله تعالى أفكاره على بايزيد رحمه الله، فأخذ يعظ على النحو التالي: في إحدى الليالي كان يضيء مجلساً سراج بزيت مختلط بالماء، فبدأ النقاش بين الزيت والماء، فقال الماء للزيت: أنت كثيف ووسخ، فكيف تطفو عليّ مع كثافتك ووسخك؟ إني شيء مصفى وأستعمل للطهارة ومع ذلك أنا تحتك، فما السبب في ذلك؟ فقال الزيت: متى تعرضت للمشاق التي تعرضت لها، والتي بسببها كُتبت لي هذه الرفعة. لقد أتى عليّ زمان بُذرت فيه في الأرض، وظللت فيها مستوراً وذليلاً، ثم أنبتني الله بمشيئته، إلى أن حصدت بعد فترة قليلة، ثم تمت تصفيتي بالقائي في صنوف المشاق، وعُصرت في المعصرة عصراً، ثم صرت زيتاً وأُحرقت. فكيف لا أنال الرفعة بعد تعرضي لهذه المصائب كلها؟

هذا مثال لبيان أن أهل الله ينالون الدرجات بعد مواجهة المصائب والشدائد. يظن الناس خطأً أن فلاناً ذهب إلى فلان وصار من الصّديقين في لمح البصر بدون أدنى مجاهدة وتركية نفس. انظروا في القرآن الكريم لتعلموا أن الله تعالى لن يرضى عنكم حتى تحلّ بكم المصائب والزلازل كما حلّت بأنبياء الله الذين اضطروا أحياناً ليقولوا ما قالوا؛ إذ ورد ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ (البقرة: ٢١٥). فعباد الله ألقوا في المحن في أول أمرهم دائماً، ثم قبلهم الله تعالى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٢-٤٣)

خلاصة الكلام أنه لا بد من تحمل ابتلاءات كثيرة في هذه الجماعة، ولا بد من قبول الموت مراراً وتكراراً. نقرّ أن الذين يدخلون هذه الجماعة منهم الجبناء ومنهم الشجعان، وبعض الجبناء ينفصلون نظراً إلى كثرة القوم فقط. فالإنسان يحاول أن يثبت على ما قاله، ولكن الوقوف في وجه الابتلاء صعب. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ باختصار، الامتحان ضروري. الذي يدخل هذه الجماعة لا بد له من مواجهة الابتلاء. هناك كثير من الناس، هم في جانب وآباؤهم في جانب آخر. (الحكم، مجلد ٦، ص ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢م، ص ٩)

يتبين من القرآن الكريم بكل وضوح أنه لا بد لتكميل الإيمان من الابتلاءات كما يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣).

انظروا إلى الأنبياء عليهم السلام كم يعانون من الآلام في البداية. خذوا النبي ﷺ مثلاً وانظروا كم تحمّل من المصائب في حياته في مكة. عندما سافر إلى الطائف رشقه الناس بالحجارة حتى تخضبّ بدمه. فقال: ما أغرب هذا الوقت! أنا أكلمهم وهم يُعرضون، وقال يا ربّي سأصبر على هذا الألم إلى أن ترضى. هذا هو مسلك أولياء الله كما يقول السيد عبد القادر الجيلاني أن ملخص الحب المصائب. فقال:

عشقا! بر آ! تو مغز گرداں خوردی

باشیر دلاں چہ رستی ہا کردی

انکوں کہ ہماروئے نبرد آوردی

ہر حیلہ کہ داری کنی نامردی

أي: أيها العشق تعال أمامي، لقد أكلت أدمغة الأبطال، وأبديت شجاعة الأبطال أمام أناس لهم قلوب كقلوب الأسود.

أما الآن فقد عازمت على مبارزتي، فلو لم تستخدم كل ما كان في جعبتك من خديعة وشرطارة فلست رجلا.

لو صبر الإنسان على المصائب والشدائد ورضي برضا الله تعالى لكان ذلك بادرة حل المشاكل.

ہر بلا کیں قوم را او داده است

زیر آں یک گنج بہادہ است

أي: كل ابتلاء قدره الله تعالى لقوم فقد أخفى تحته كنوزا من الرحمة.

فقد فُتحت مكة نتيجة مصائب تحملها النبي ﷺ. إنك إن تشترط على الله تعالى عند الدعاء فإن ذلك خطأ فادح وحمق. المقدسون الذين حازوا أفضال الله وفيوضه قد حازوها بعد أن فنوا في سبيل الله بعد قبولهم الموت في هذا السبيل مرارا. الله أعلم بالذين هم مهياون للارتداد بعد بضعة أيام. إنهم يشهدون على أنفسهم بأنفسهم ثم يشتكون عند الناس أن دعاءهم لم يُقبل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٤)

إن المصائب والمصاعب أيضا وسيلة لاختبار إيمان الإنسان. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

هذا هو القانون الجاري منذ بدء النبوة. فقبل انكشاف الحقيقة تأتي الابتلاءات حتمًا للتمييز بين الضعفاء والأقوياء، والتفريق بين المؤمنين والمنافقين بشكل واضح، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣)، أي لن يُترك الناس بدون الابتلاء أبدا. وظاهرة الابتلاء والاختبار

جارية في أمور الدنيا أيضاً، وما دام الاختبار موجوداً في النظام المادي، فلماذا لا يكون في العالم الروحاني. بدون الابتلاء لا تنكشف الحقيقة.

يجب ألا ينخدع أحدٌ من كلمة الابتلاء هنا فيقول أي حاجة لله تعالى إلى الابتلاء والامتحان، وهو عالم الغيب ويعلم السرّ وأخفى؟ ألا يعلم هو شيئاً من دون اختبار الناس وامتحانهم؟

الحق أن مثل هذا التفكير ليس باطلاً فحسب، بل يؤدي إلى الكفر، لأنه يستلزم إنكار صفات الله العظيمة. إنما الهدف الحقيقي من الامتحان أن تظهر الحقائق الخفية، وتنكشف على المرء حقيقة إيمانه، فيعلم مدى صدقه وإخلاصه ووفائه لله تعالى، وأيضاً أن يطّلع الآخرون أيضاً على ميزاته ومحاسنه. فباطل القول بأن امتحان الله للناس يعني أنه تعالى لا يعلم شيئاً. كلا، بل عنده علم كل ذرة في الكون، ومع ذلك لا بد من أجل كشف كيفية إيمان الإنسان أن تحلّ به الابتلاءات ويُطحن في رحي الامتحان. ولنعم ما قال الشاعر:

هر بلا كين قوم راحق داده اند زير آں گنج كرم بهاده اند

أي: ما من مصيبة ينزلها الله تعالى على القوم إلا وقد جعل تحتها كنزاً من كرمه. فلا مناص من حلول الابتلاءات والامتحانات، إذ لا تنكشف الحقائق من دونها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٦، عدد ١٤/٢/١٩٠٣ م، ص ١)

إن ابتلاء خفيفاً ضروري على أية حال كما جاء في القرآن الكريم: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُؤْزِكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فمن ناحية كان النبي ﷺ يُبشّر بفتح مكة ومن ناحية أخرى كانت حياته في خطر. والله أعلم ماذا كان سيحدث لو لم تكن في قلبه قوة النبوة. هو الذي استطاع تحمّل ذلك. بعض الابتلاءات تأتي لإحداث التغيير فقط. فلتكن نماذجكم العملية سامية لتسبب في التغيير، وليكن التغيير واضحاً جلياً حتى يشعر المرء بنفسه أنه لم يعد كما كان من قبل، بل تحوّل إلى إنسان آخر تماماً. اِرْضُوا الله الآن لتنالوا البشارات. (بدر، مجلد ١، رقم ٩، عدد ٢٦/١٢/١٩٠٢ م، ص ٦٨)

إن المبايعة ليست إقرارا باللسان فقط، بل إنها بمنزلة بيع المرء نفسه فلا يبالي بشيء سواءً تعرّض لذلة أو خسارة، أو أي مصاب آخر. لكن انظروا كم من أناس يوفون بإقرارهم هذا؟ بل هم يريدون اختبار الله، إذ قد زعموا أنه يجب ألا يصيبهم أي مكروه مطلقا، وأن يعيشوا بسلام وأمن دوما. مع أن الأنبياء والأقطاب أيضا واجهوا المصائب، فثبتوا وصمدوا. أما هؤلاء فيريدون أن يأمنوا كل مصيبة، فليس البيعة في نظرهم إلا رشوة يقدمونها لله، مع أن الله ﷻ يقول ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، أي هل يحسبون أنهم سيتركون لمجرد نطقهم بالشهادتين فقط، وأنهم لن يُتَلَّوا؟ إذن فكيف يمكن أن يأمن هؤلاء البلايا؟ يجب أن يعرف كل من يبايع على يدي أنه لن يستفيد ما لم يهتم بالآخرة، أما أخذ الضمان بأن ملك الموت لن يقترب منه ولن تتعرض عائلته لأي خسارة ولن يحدث نقص في أمواله، فلا يجوز. عليه أن يفي بشرط الوفاء وييدي الثبات والصدق على الدوام، عندها سوف يراعيه الله بطرق خفية، وينصره في كل خطوة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٣/٦/٣٠، ص ١٠)

عندما يقيم الله ﷻ جماعة سماوية تكون الابتلاءات جزءا لا يتجزأ منها، فالذي ينضم إلى تلك الجماعة فلا بد أن يتعرض للابتلاء حتما، لكي يميز الله ﷻ الصادقين والصابرين ولكي ترتفع مدارج الصابرين. فمواجهة الابتلاء ضرورية جدا. يقول الله ﷻ: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فالله ﷻ يريد أن يفصل الغدارين والناقصين. فبعد الإيمان لا بد من مواجهة الحزن والألم، فبدون ذلك لا تكون تتيسر حلاوة الإيمان. فكم من المصائب حلت بصحابة النبي ﷺ وكم من الآلام واجهوها. وأخيرا أعطاهم الله ﷻ لصبرهم مدارج عالية عظيمة. إن الإنسان يستعجل حيث يضطرب إثر مواجهة الابتلاء، ونتيجة لذلك لا تبقى له الدنيا ولا الدين. لكن الذين يصبرون يكون الله معهم، ويعن عليهم بالإنعامات ويكرمهم. إذن يجب أن لا تضطربوا لأي ابتلاء، فالابتلاء

يقرب المؤمن من الله أكثر، ويجعل وفاءه محكما، إلا أنه يبعد الناقص والخائن.
(الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣ م، ص ٤)

الإنعامات والبركات ترتبط بالامتحان والابتلاء. تذكروا أن النعمة العظيمة الشأن تأتي بعد الابتلاء، والابتلاء شرط للمؤمن كما قال ﷺ ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. لامتحان الإيمان يضطر الإنسان للقفز في النار المشتعلة الخطرة، لكن إيمانه يخرج منه تلك النار صحيحا سالما وتكون النار بردا وسلاما عليه. يجب أن لا يتغافل المرء بعد الإيمان عن الابتلاء، وثمة حاجة أكثر للثبات في الابتلاء، وإن حلاوة إيمان المؤمن الصادق ولذته تزداد في الحقيقة في الابتلاء، ويزيد إيمانه بقدرات الله وعجائبه، وهو يتوجه إلى الله أكثر من ذي قبل، ويرجو استجابة وانتصارا بالدعاء.

من المؤسف أن الإنسان يتمنى المدايح السامية والمراتب، ثم يريد اجتناب المشاق التي هي ضرورة لنيلها.

اعلموا يقينا أن الابتلاء والامتحان شرط للإيمان إذ بدون ذلك لا يكتمل الإيمان أصلا، كما يستحيل الفوز بأي نعمة عظيمة دون ابتلاء، فالقاعدة السائدة في شؤون الدنيا أيضا أن الإنسان لنيل الراحة والنعم الدنيوية يواجه أنواع المصاعب والمشاق والآلام، ويتعرض لأنواع الاختبارات، وبعدها يرى وجه النجاح، ومع ذلك فهذا يتوقف على فضل الله فقط، فكيف يمكن إذن أن تيسر دون أي امتحان النعمة العظيمة التي لا مثيل لها ألا وهي الله ﷻ. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٤ م، ص ١)

ما لم يثبت الإنسان في مصائب وامتحانات كثيرة في سبيل الله لا ينال شهادة الفلاح، لذلك قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾... أما الإيمان الكامل فلا حرازه يحتاج الإنسان للمجاهدات، ولا يجد بدا من الثبات في الابتلاءات والمحن.

گویند سنگ لعل شود در مقام صبر آری شود و لیکن بخون جگر شود

أي: يقولون بأن الحجر يصبح ألماساً نتيجة الصبر، هذا صحيح ولكن بعد أن يصبح الكبد دماً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٧، عدد ٢٤/٥/١٩٠٤ م، ص ٣) المراد الحقيقي من الابتلاء هو أن الله تعالى يريد أن يرى هل قدّم المؤمن الدين على الدنيا أم لا. عندما يجد الناس في الزمن الراهن سبيل الله منافياً لمصالحهم أو يرون خطراً من الأحكام أحياناً ينكرون سبيل الله. هؤلاء الناس لا دين لهم، ولا يفقهون أن الله هو أحكم الحاكمين في الحقيقة. لا شك أن سبيل الله صعب جداً. وصحيح تماماً أنه ما لم يسلك المرء جلده بيده في سبيل الله لا يُقبل عنده. كما لا يستحق الخادم غير المخلص التقدير والاحترام عندنا أيضاً. والخادم الذي لا يُبدي الإخلاص والوفاء لا ينال القبول أبداً. كذلك من يترك الله طمعاً في مصالحه الدنيوية المؤقتة يُعدُّ سيئاً الأدب جداً في نظر الله. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٠، عدد ٨/٨/١٩٠٤ م، ص ٣)

يظن الناس أنه يكفي القول باللسان إننا آمنّا وعليه فلن نواجه أي امتحان أو مشكلة، ولكن هذه الفكرة خاطئة تماماً، فإن الله تعالى يمتحن المؤمن بالابتلاء. هذه هي سنة الله تعالى مع الصالحين أجمعين إذ يُفْتَنُونَ بالابتلاءات حتماً. (بدر، المجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١/٧/١٩٠٤ م، ص ٥)

.. الابتلاءات ضرورية وليس لأحد أن يجتنبها. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُؤْثِرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٦ م، ص ٤)

يود معظم الناس أن تظهر نتائج أعمالهم للعيان فوراً. إنهم لا يدرون ما مدى الحاجة إلى الصبر والجلد والمثابرة في أمور الدين! والأغرب من ذلك أن الدنيا التي يكادون يموتون من أجلها ساعين في سبيلها ليل نهار ينتظرون إلى سنوات طويلة لتحقيق أمور تتعلق بها. كم من الزمن ينتظر الزارع بعد زرع البذرة! ولكن عندما

يأتي الأمر إلى الدين يقولون: اجعلونا أولياء الله بنفخة واحدة، ويودّون أن يصلوا إلى العرش في أول يوم، مع أنهم لم يتجشموا في هذا السبيل جهدا ولم يتحملوا عناء ولم يتعرضوا لابتلاء.

تذكروا جيدا أن هذه ليست سنة الله ولا قانونه، بل التقدم هنا يحدث تدريجيا. والله تعالى لا يفرح بالكلام فقط أن نقول بأننا مسلمون أو مؤمنون. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. إنه لما ينافي سنة الله أن يجعل أحدٌ ولي الله بنفخة واحدة. لو جرت سنة الله على هذا المنوال لفعل النبي ﷺ ذلك وجعل أصحابه المضحين من أجله أولياء الله بنفخة واحدة، ولما عرضهم للابتلاء لثقطع أعناقهم، ولما قال الله تعالى عنهم: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ فما دام الحصول على الدنيا أيضا مستحيلا بغير تكبد المشاكل والعناء والجهد. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ١٧/٦/١٩٠٦م، ص ٣) يظن الناس أنهم مؤمنون ومسلمون ولكنهم ليسوا كذلك في الحقيقة. الإقرار باللسان وحده سهل ولكن العمل شيء آخر. يقول الله ﷻ ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. هناك كثيرون يتعشرون عند الابتلاء، ويتزعزع إيمانهم عند المصيبة. (بدر، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ٢٨/٢/١٩٠٧م، ص ١٠)

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾... الامتحان ضروري بل هو مهم جدا. لقد نال الرسل جميعا درجات نتيجة الامتحان. الحياة الدنيوية ليست جديرة بالاعتماد إذ لا بد من مغادرتها مهما كان الأمر. إن حلول المصائب ضروري. لقد جاء في قصة أيوب عليه السلام أن أنواع المعاناة حلّت به ونزلت عليه أصناف المصائب ولكنه صبر. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٦)

الحق أن نزول البلاء أمر ضروري، فإن تمنى الإنسان نيل وصال الله تعالى نتيجة التمتع بأنواع الأطعمة الشهية وحياة الراحة والأمن أمر محال. لا يصل الإنسان إلى الله قط بغير تكبد جراحا شديدة وابتلاءات قاسية. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ

النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٤٠﴾. فلا تستقيم الأمور بغير الامتحان الذي يقسم الظاهر. لقد تعرض نبينا الأكرم عليه السلام لامتحان أقسى من غيره تماماً إذ يقول الله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الإنشراح: ٣-٤).

(الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٨)

﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾... كلا، بل الامتحان والاختبار ضروري، وقد اتفق الأنبياء كلهم على أن الامتحان ضروري للحصول على مدارج الارتقاء. وما لم يعبر المرء مدارج الابتلاء والامتحان لا يكون صاحب دين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٢ عدد ١٧/١٠/١٩٠٧م، ص ٨)

إن الذي يؤمن بمبعوث من الله فلا بد له من مواجهة الابتلاء، فقد قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، فكأن الابتلاء شرط الإيمان. فكم من ابتلاءات واجهها الصحابة عليهم السلام! فقد أصابهم قومهم بأنواع الأذى، وابتلوا في الأموال والأنفس والأقارب أيضاً. فإذا عاش المرء بعد الإيمان حياة الرغد والبهجة فليخشَ عدم صحة إيمانه، لأنه مما ينافي سنة الله أن لا يواجه المؤمن ابتلاء. لا يمكن أن يفوق أحدُ النبي عليه السلام، فحين آمن عليه السلام برسالته بدأت سلسلة المصائب فوراً، فقد فُصل عن الأعزة وحظر عليه اللقاء والزيارة، وأُخرج من وطنه، حتى حاول الناس تسميمه، تلقى الجروح بالسيوف، وهذا كان حاله حتى أواخر الحياة. فلما كان سيدنا ومقتدانا عليه السلام قد واجه ذلك فمَن هؤلاء الذين آمنوا به حتى ينجوا؟ فحين يواجه المؤمن مثل هذه الابتلاءات فعليه أن يتحملها كالرجال.

إنما يأتي الابتلاء لكي يتميز الكاذب من الصادق. إن الله تعالى رحيم لكنه في الوقت نفسه غني وصدمد أيضاً، فحين لا يقوِي المرء إيمانه بالاستقامة فإن نصر الله أيضاً ينقطع، بعض الناس يلحدون لمجرد موت أبنائهم أو زوجاتهم، أو حصول النقص في الرزق، مع أن ذلك كان ابتلاء لو صبروا فيه لُرزقوا أكثر من ذي قبل. فالتضجر بسبب النقص في الرزق لا يليق بالمؤمن المتقي.

إن المثل "الفقير مشوشة أفكاره". فإنما معناه أن الذي أفكاره مشوشة يبقى فقيراً. ويتبين من قراءة سوانح الصادقين أنهم كانوا قد اتخذوا الفقر بأنفسهم، فسيدنا أبو بكر رضي الله عنه كان تاجراً كبيراً من أشرف القوم، وحين آمن بالنبي ﷺ جعل الجميع يعادونه، وتضررت تجارتة أيضاً، حتى اضطر للخروج من وطنه. تذكروا أنه بالتخلي بالتقوى الحقيقية تنحل كل الصعوبات، ويتخلص المرء من كل أنواع الفقر. (بدر، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ١٩٠٨/٢/٢٠، ص ٣)

فالذين ينجحون في ابتلاء من الله فلهم كل نوع من الراحة والرفاهية ورغد العيش، وتفتح لهم أبواب الرحمة والفضل. فقد ورد في القرآن الكريم بجلاء: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فمجرد الادّعاء باللسان سهل، لكن إنجاز شيء والنجاح في امتحان الله أمر عظيم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٧، عدد ١٩٠٨/٣/٦، ص ٨)

إن الله غني جداً، فلا يعبأ بأن يدخل أحد جهنم أو الجنة، فدخل أحد جهنم لا يضر الله شيئاً كما لا ينفعه دخول أحد في الجنة أيضاً، فليس الله ﻻ في ذلك أي نفع أو ضرر شخصي. يقول الله ﻻ: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، أي هل يظن الناس أن الله يرضى بمجرد إعلاؤهم باللسان أنهم آمنوا؟ مع أن صدق قولهم هذا لم يُختبر بعد هل هم في الحقيقة مؤمنون أم لا؟ إذ لم يتبين صدق قولهم هذا أو كذبه. فالقول الحق المؤكد أن على الإنسان أن يورد على نفسه أولاً آلاف الموتات بصدق وإخلاص وحرقة، فعندها يرحمه الله وينظر إليه. فالذين يظنون أن بمجرد بعض التماائم والرقى والأوراد أو بنفخة واحدة من أحد المشايخ يصبح الإنسان من ورثة خزائن السماء يبقون محرومين دوماً. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٨/٤/٢، ص ٢)

كم من الاستعدادات والعدة يقوم بها الإنسان للامتحان المادي، وكم يواجه القلق والهـم، وكم يبذل من الجهود الشاقة. أما الشيء الذي لا يهتم به ولا

يبدل الجهود من أجل النجاح فيه فهو الامتحان الديني فقط. يقول الله: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فالله تعالى يلفتنا إلى امتحان ينبغي الاهتمام به، والاستعداد له ضروري جداً. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣١، عدد ١٩٠٨/٥/٦، ص ٢)

إن دليل الإيمان الصادق الحقيقي هو الثبات في الصعوبات الخطيرة، والتقدم وإحراز النجاح في امتحان الله. إن تعرض المؤمن للمشكلات والابتلاءات ضروري، لكي يتبين من هو المؤمن الصادق ومن يدعي الإيمان باللسان فقط. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٩٠٨/٧/١٤، ص ٨)

لا بد من وجود المعارضين أيضاً، فقد جرت سنة الله بأن كل من يخطو إلى الله تعالى يليقه في الاختبار حتماً. قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. فالامتحان من سنة الله المستمرة. لا تظنوا أن الله عالم الغيب فأى حاجة به لامتحان العباد؟ هذا فهم خاطئ. إن الله ليس بحاجة إلى الامتحان، بل الإنسان هو المحتاج إلى الاختبار، ليطلع على حاله وتنكشف عليه حقيقة إيمانه. إذا صار المرء مغلوباً على أمره لدى سماع الرأي المخالف فلا شك أنه لا يملك القوة. لا يستطيع الإنسان أن يتقن ويفهم العلوم والفنون إلا بعد الامتحان فيها. إنما الغرض من اختبار الله أن يطلع العبد على حاله، ومن أجل ذلك لا مناص للمأمور الرباني من أعداء يؤذونهم ويعذبونهم ويهينونهم، وفي ذلك الوقت يعرف أصحاب الفطرة السليمة الحق ببركة ما في ضميرهم من نور. فوجود أعداء المبعوثين الربانيين ضروري كضرورة الأشواك حول الورد. إذا كان هناك الترياق فهناك السم أيضاً. هل بوسع أحد أن يدلني على نبي لم يكن له أعداء، ولم يسموه تاجراً، ومخادعاً، ومفترياً وكذاباً؟ لقد افترى على موسى عليه السلام أيضاً، حتى اتهمه أحد الخبيثين بالزنا وأتى بامرأة أيضاً.

خلاصة الكلام إن المبعوثين الربانيين يُرْمَوْنَ بكل نوع من الافتراء لابتلاء الناس واختبارهم. ولكن من المحال أن تُدمّر أفواه هؤلاء الخبيثين أغراسًا غرسها الله تعالى. فالعلامة الوحيدة لكونهم مبعوثين من عند الله تعالى أن المعارضين يسعون جاهدين للقضاء عليهم، ولكنهم ينمون ويزدهرون. إن الذي لا يكون من عند الله يهلك ويباد في نهاية المطاف، أما الذي غرسه الله تعالى بيده فلا يدمّر بسعي أحد. يريد الأعداء قطعه واستئصاله، ولكنه ينمو ويزدهر باستمرار، مما يدل بجلاء تام على أن يد الله هي التي تسانده وتحميه. ما أعظمها من معجزة لرسول الله ﷺ، إذ واجه المعارضة من كل حذب وصوب، ومع ذلك فاز في كل موطن. عندما كان الصحابة يرون هذا المشهد، فكم كان هذا الدليل يبعث فيهم السعادة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ١٩٠١/١/٣١، ص ٥)

لا مفر لنا من الابتلاء بحال من الأحوال. لقد جعل الله الابتلاء وسيلة للتقدم كما يقول: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. (مكتوبات أحمد عليه السلام، مجلد ٢، ص ٩٩)

لا بد من الابتلاءات، لذا على المؤمن أن يواجهها كالأبطال. لا يريد الله أن يدمّر المؤمن بل ينزل الابتلاءات ليغفر له ذبونه ويرفع درجاته. (مكتوبات أحمد عليه السلام، المجلد ٥، الجزء الأول، ص ١٢، مكتوب رقم ٢٨ إلى السيد عبد الرحمن المدراسي)

الآية ١٠: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

أي من سنتنا المستمرة منذ الأزل أن الذين يؤمنون ويعملون الصالحات نُدخلهم في الصالحين. فانظر أيها المولوي المحترم أن النون الثقيلة موجودة في ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾ أيضا. ولكن لو استنبط هنا معنى تبغيه لاستلزم ذلك فسادا كبيرا لا يخفى على أحد لأننا نضطر إلى الإقرار في هذه الحالة أن هذه القاعدة سُنت للمستقبل فقط ولم يُدخَل إلى الآن أحد في الصالحين مع كسبه الأعمال الصالحة. وكأن توبة المذنبين مقبولة في المستقبل وكان بابها مغلقا من قبل. فعليك أن تفكر جيدا في مدى الفساد

الذي يستلزمه هذا المعنى؟ (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٤)

يعترض البعض على أن الذين يعملون الصالحات هم سلفا صالحون فما المراد من إدخالهم في الصالحين؟

الحقيقة أن في ذلك تكمن نقطة لطيفة، وهي أن الله ﷻ يبين أن الصلاح على قسمين، أحدهما أن يحرز الإنسان الحسنات بتحمل المشاق، فهو يعمل الصالحات لكنه يجد الصعوبة والمشقة في ذلك، ويكون في نفسه صراع. فعندما يعارض النفس يواجه الصعوبة الشديدة، لكنه - في القسم الثاني - حين يحرز الأعمال الصالحة ويؤمن بالله تعالى، كما هو المراد من هذه الآية، تزول المشاق والصعوبات التي يواجهها في إحراز الحسنات، وتنشأ فيه خصلة الصلاح طبعاً، ولا يجد الصعوبة صعوبةً، فيحرز الحسنات بمتعة ولذة، ويتلذذ بها، فالفارق بينهما أن الأول يحرز الحسنة بتكلف وصعوبة، بينما يعمل الآخر الحسنة بشوق ولذة، حيث تكون الحسنة له غذاء لا يستطيع العيش دونه. وينقلب التكلف والصعوبة التي كان يجدها من قبل متعةً ولذة. فهذا هو مقام الصالحين الذين قال بحقهم: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾.

وعند بلوغ هذا المقام لا يبقى في المؤمن أي فساد أو فتنة ويكون في مأمن من شرور النفس، ويطمئن بالانتصار على ثوائرها ويدخل دار الأمان. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٤م، ص ٢. والحكم، مجلد ٨، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٤م، ص ١)

الآية ١١: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ سَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾

أي كثيرون يدعون الإيمان بالسنتهم، ويتباهون بأنهم مؤمنون، لكنهم حين يواجهون الابتلاء والاختبار يفتضحون، إذ لا يبقى إيمانهم بالله في الابتلاء والفتنة

كالسابق، بل يشتكون ويعدونه عذاباً من الله. إن الذين لا يرتقون إلى مقام الصالحين هم في الحقيقة محرومون جداً، لأن هذا هو المقام الذي يشاهد فيه الإنسان ثمار مدارج الإيمان، ويشعر تأثيرها في نفسه، وتوهب له حياة جديدة، لكن هذه الحياة تقتضي موتاً أولاً، وإن هذه الإنعامات والبركات ترتبط بالامتحان والابتلاء...

اعلموا يقيناً أن الابتلاء والامتحان شرط للإيمان إذ بدون ذلك لا يكتمل الإيمان أصلاً، كما يستحيل الفوز بأي نعمة عظيمة دون ابتلاء، فالقاعدة السائدة في شؤون الدنيا أيضاً أن الإنسان لنيل الراحة والنعم الدنيوية يواجه أنواع المصاعب والمشاق والآلام، ويتعرض لأنواع الاختبارات، وبعدها يرى وجه النجاح، ومع ذلك فهذا يتوقف على فضل الله فقط، فكيف يمكن إذن أن تيسر دون أي امتحان النعمة العظيمة التي لا مثيل لها ألا وهي الله تعالى.

فالذي يريد أن يحظى بقرب الله تعالى فعليه أن يستعد لمواجهة كل نوع من الامتحان، فحين يقيم الله تعالى جماعة كما أقامها الآن يتعرض المنضمون إليها أولاً لأنواع المشكلات، ويسمعون التهديدات والشتائم من كل طرف وصوب، فبعضهم يقول لهم شيئاً والآخر يقول لهم شيئاً آخر. حتى يقال لهم إنا سنخرجكم من هنا، أو إذا كان أحدهم موظفاً فيحاك كل نوع من المكاييد لإيقافه، فهم يؤذون بكل طريقة ممكنة ولا يتورع الأعداء عن قتلهم أيضاً، فالذين يرتعبون من التهديدات في هذه الأوضاع، ويبدون الضعف خشية الاختبار، فاعلموا أن إيمانهم لا يساوي عند الله مقدار مليم؛ لأنه لا يخاف الله في الابتلاء ويخاف الإنسان ولا ينظر إلى عظمة الله وجبروته، فهو لم يؤمن مطلقاً، لأنه يقيم وزناً للتهديد مقابله تعالى، ويستعد للتخلي عن الإيمان. الأمر الذي يؤدي إلى حرمانه من الدخول في الصالحين، فهذا هو ملخص الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣،

الآية ١٨: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

أي أيها المشركون إنكم تعبدون من دون الله أوثانا لا حياة فيها، وأنتم قائمون على الكذب المحض. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٤٣٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٣٧: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

أي لا تسيروا في الأرض بنية الفساد؛ أي السرقة أو الإغارة أو اختلاس أموال الناس بانتشال ما في الجيوب أو بأي طريق آخر...

لقد بين الله تعالى في الآيات المذكورة أعلاه طرق الخيانة كلها، وقد جاء بكلام وافٍ فما ترك طريقا من طرق الخيانة إلا ذكره. لم يكتفِ ﷺ بأن قال "لا تسرقوا"، لئلا يفهم الجاهل أن السرقة وحدها حرام، وأما سواها من أساليب الحرام فهو في حل منها. كلا، بل إن الله حرم بهذا البيان الجامع كل أسلوب غير شرعي، وهذا هو البيان الحكيم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧-٣٤٨)

الآية ٤٤: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

كما أن أهمية الشمس لا تتبين إلا بالعين، وأن فوائد النهار الساطع لا تظهر إلا على أهل البصر، كذلك لا يقدر كلام الله تعالى حق التقدير إلا أصحاب العقل، إذ يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٣٠٠-٣٠١، الحاشية رقم ١١)

الآية ٤٦: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

إنما تيسر لذة الصلاة وحلاوتها نتيجة الاتصال بين العبودية والربوبية. فما لم يجر العبد أمام الله تعالى معتبرا نفسه كالمعدوم تماما أو شبه معدوم كما هو مقتضى الربوبية، لا ينزل عليه فيض الربوبية ولا يُظله ظلُّها. ولو قام بذلك في الصلاة لنال متعة ما بعدها متعة.

في هذا المقام تصبح روح الإنسان كالمعدوم تماما، وتيسل إلى الله تعالى كعين جارية، وتنقطع عما سوى الله كلية، وتنزل عليه محبة الله تعالى، وباتصال هذين الهياجين، هياج الربوبية من فوق وهياج العبودية من تحت، تتولد حالة خاصة تسمى الصلاة. وتلك الصلاة هي التي تحرق السيئات وتغادرها رمادا، وتترك وراءها نورا ولمعانا ينفع السالك كمصباح منير عند صعوبات الطريق وشدائده، وينبئه ويقيه من كل العوائق والعثرات التي تعترض طريقه من عشب وشوك وحجر وما إلى ذلك. هذه هي الحالة التي يصدق عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ لأن سراجا منيرا يكون في قلبه، لا في يده. وهذا المقام لا يُنال إلا بالتذلل الكامل والفناء الكامل والتواضع الكامل والطاعة الكاملة، وأنى لمن بلغ هذا المقام أن يفكر في الإثم. كلا، بل يستحيل أن ينشأ فيه الإنكار والعصيان، ويرتفع بصره إلى الفحشاء. باختصار، ييسر له من اللذة والسرور ما لا أراني قادرا على وصفه.

(الحكم مجلد ٣، رقم ١٣ عدد: ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٥-٦)

الصلاة هي الحسنة الوحيدة التي بأدائها يزول الضعف الشيطاني، وهي التي تسمى الدعاء. يريد الشيطان أن يبقى الإنسان ضعيفا في أدائها لأنه يعلم أن الإنسان يصلح نفسه بالصلاة فقط، ولا بد لها من التطهير والتزكية. فما دامت القدرة موجودة في الإنسان يظل الشيطان يحبه. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤، عدد ١٣/٢/١٩٠٣م، ص ٢٧)

ولا بدّ من الاستمرار في إنشاء حب الله في القلوب والشعور بعظمته. ما من شيء أنفع في هذا الشأن من الصلاة. الصيام يأتي بعد سنة، والزكاة لا يؤدّيها إلا صاحب النصاب، ولكن الصلاة لا بد أن يصلّيها كل إنسان، أيا كان وضعه، خمس مرات يوميا. فلا تضيعوها أبدا، بل واطبوا عليها وصلّوها موقنين بأنكم ماثلون أمام القدير الذي لو شاء لقبلها حالا في هذه الحالة نفسها، بل في الساعة نفسها بل في اللحظة نفسها، لأن الحكام الدنيويين محتاجون إلى الكنوز، وهم في خوف دائم من نفاذ كنوزهم ومن الإفلاس، أما كنز الله فلا نفاذ له، وغاية ما يحتاج إليه المرء عند وقوفه أمام الله تعالى هو اليقين بأنه واقف أمام السميع العليم الخبير القادر الذي لو أراد لأعطاه حالا. فليدع المرء بمنتهى الضراعة، ولا ييأس ولا يسيء الظن بالله تعالى. ولو فعل ذلك لفاز بالراحة عاجلا، ولحالفته أفضال الله الأخرى أيضا بالإضافة إلى فوزه بوصاله رَبِّكَ. فهذا هو الطريق الذي يجب اتّباعه. ولكن دعاء الظالم الفاسق لا يجاب لأنه غافل عن الله. فما دام الوالد لا يكثرث لابنه العاق الذي لا يقدره، فلماذا يكثرث الله تعالى لمثل هذا الإنسان؟ (بدر، مجلد ٢، رقم ٤، عدد ١٣/٢/١٩٠٣م، ص ٢٨)

الصلاة أيضًا وسيلة للتخلص من الذنوب. إن ميزة الصلاة هي أنها تصرف المرء عن الذنوب والفواحش، فتحرّوا هذه الصلاة، واسعوا أن تجعلوا صلاتكم من هذا القبيل. الصلاة روح النعم. الفيوض الإلهية تنزل بسبب هذه الصلاة حصرا، فأقيموها باهتمام لترثوا نعم الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٨)

الصلاة مكتوبة على كل مسلم، فقد ورد في الحديث الشريف أن قوما أسلموا ثم جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا يا رسول الله، نرجو أن تُعفينا من الصلاة لأننا تجار وبسبب مواشينا لا نتق بطهارة الثياب، كما لا نجد وقت فراغ. فقال لهم ردّا على ذلك: ماذا يبقى إن لم تكن هناك صلاة؟ لا قيمة لدين لا صلاة فيه.

ما هي الصلاة يا تُرى؟ ألا إنما الصلاة أن يعرض المرء تذللُّه وعجزه وضعفه أمام الله ويطلب منه قضاء حاجاته. تارة يقف رابطا اليدين أمامه تعظيمًا له واستجابة لأوامره، وطورًا يخزّ له ساجدًا بمنتهى التذلل والتفاني، ويسأله سدّ الحاجات. الصلاة هي أن يحمد المرء المسؤول كالمسؤول قائلًا: إنك تتصف بكذا من الصفات، ثم يثير رحمته بإظهار عظمته وجلاله، ثم يطلب منه. الدين الذي يخلو من ذلك ليس دينًا أصلاً. الإنسان محتاج دائماً إلى أن يسأله سبيل رضاه، ويطلب فضله منه وحده، لأنه بتوفيقه فقط يمكن إنجاز كل شيء. ربنا وقِّفنا لنكون لك ونتمكن من إرضائك بالسلوك على طرق رضوانك. المراد من الصلاة أن يكون القلب منهما في حب الله وخوفه وذكره وهذا هو الدين. والذي يريد أن يتخلى عن الصلاة والإعفاء منها فماذا فعل أكثر من الدواب؟ الأكل والشرب والنوم كالبهائم ليس من الدين في شيء، بل هي سيرة الكفار؛ وصحيح تماماً ما جاء في المثل القائل: جودم غافل سودم كافر. أي: لحظة الغفلة إنما هي لحظة الكفر. لقد ورد في القرآن الكريم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٨) أي أذكروني يا عبادي، وانشغلوا في ذكري دومًا، فسأذكركم أنا أيضاً أي سأعتني بكم. واشكروا لي، أي اقدروا إنعاماتي ولا تكفروها. من هذه الآية يتبين جلياً أن ترك ذكر الله والغفلة عنه كفر. فالمثل القائل: لحظة الغفلة إنما هي لحظة الكفر صحيح تماماً. لقد فرض الله الصلوات الخمس كمثال، أما ذكر الله فيجب أن يشغل بال الإنسان كل حين وآن، وألا يتغافل عنه لحظة. انهماك المرء في الذكر قيامًا وقعودًا ومشياً صفة يستحق بها الإنسان أن يسمّى إنساناً، ويستحق أن يرجو الله ويثق به.

هناك قاعدة أنه إذا كان الإنسان يريد الوصول إلى محطة معينة فهو بحاجة إلى المشي، وبقدر ما تكون المحطة بعيدة يضطر الإنسان للمشي بسرعة وجهد وسعي أكبر. الوصول إلى الله أيضاً محطة، وهي مسافة بعيدة. الذي يريد الوصول إلى

أعتابه تكون الصلاة له بمنزلة المركبة التي توصله بسرعة. أما الذي ترك الصلاة فأني له أن يصل؟

الحق أنه منذ أن ترك المسلمون الصلاة- أي تركوا أداءها بسكينة القلب والحب غافلين عن حقيقتها- ظلت حالتهم تتردى رويدا رويدا. فكروا جيدا كيف كان الإسلام في الزمن الذي كانت الصلوات تقام فيه باهتمام. كان الإسلام مسيطرا على العالم كله، لكن حين تركوها تركوا. الصلاة بحرقة القلب هي التي تخرج الإنسان من كل مأزق. فقد جربْتُ مرارًا أن دعوت في أثناء مشكلة ما ووجدت أن الله يحلّها وأنا في الصلاة. ماذا يحدث في الصلاة، إنما يلتبس المرء ويمدّ يدي الطلب، والطرف الثاني يستمع لهذا الطلب جيدًا. ثم يأتي زمان يبدأ المستمع بالكلام، ويجب الطالب. هذا هو حال المصلي، إذ يسجد لله تعالى ويعرض عليه مصائبه وحاجاته. وتكون نتيجة الصلاة الحقيقية أن يحين الوقت عاجلا لأن يكلمه الله ردًا على طلبه، ويطمئنه بالجواب. هل يمكن ذلك بدون الصلاة الحقيقية؟ كلا! هذا مستحيل. الذين ليس إلههم هكذا فهم أيضًا مساكين. فما حقيقة دينهم وإيمانهم وعلى أي أمل يضيّعون أوقاتهم؟ (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣م، ص ٧-٨)

ما هي الصلاة؟ إنما هي نوع من الدعاء الذي يحمي من جميع أنواع السيئات والفواحش ويجعل الإنسان مستحقا للإنعامات ومحط النعم الإلهية. لقد قيل إن "الله" هو الاسم الأعظم، وقد جعل الله تعالى جميع الصفات تابعة له. الآن تدبروا قليلا، إن الصلاة تبدأ بالأذان الذي يبدأ بـ الله أكبر، أي يبدأ باسم "الله" وينتهي بـ لا إله إلا الله أي اسم "الله". هذه المفخرة موجودة في العبادة الإسلامية وحدها، حيث إن المقصود في أولها وآخرها هو الله وحده لا غير. أقول بكل تحدٍ إن هذا النوع من العبادة لا يوجد في أي أمة أو ملة أخرى. فالصلاة هي الدعاء، وقد قُدِّم فيه اسم الله الذي هو اسم الله الأعظم، كذلك إن الاستقامة هي الاسم الأعظم للإنسان. والمراد من الاسم الأعظم هو ما تُنال بواسطته الكمالات

الإنسانية. (نقلا عن كتيب رقم ١: خطابه عليه السلام ورسالة حول وحدة الوجود، تدوين شيخ يعقوب علي عرفاني ص ١٨)

الصلاة أمر تتحسن به الدنيا والدين أيضاً... الصلاة شيء إذا أقامها الإنسان فسوف يُحفظ من كل أنواع السيئة والفاحشة، لكن الإنسان كما قلت سابقاً لا يستطيع أن يقيم هذه الصلاة بقوة ساعده، وهي لا تتأتى دون نصره الله والاستعانة به، ولا ينشأ هذا الخشوع والضراعة ما لم يداوم المرء على الدعاء، لذا يجب أن لا يخلو نمازكم وليلكم بل أي ساعة من الدعاء. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٠٨/١/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ٤٧: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

لا يختلف مسلم عاقل أننا ما علمنا أن نقوم بثورة أو نخدم من أجل نصره الدين بل الأمر الوارد في القرآن الكريم هو: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وأمر في آية أخرى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، معنى ذلك أنه يجب مجادلة المسيحيين بالوجه الأحسن والمفيد وبالْحكمة والتزام طريق النصح لكي يستفيدوا. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٢١٧)

الآية ٤٨-٥٠: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾

ثم قال المحاضر بأن القرآن منتحل من الكتاب المقدس. يتبين من ذلك مدى ما وصل إليه تجاسر هؤلاء القوم ووقاحتهم. لا ينكر أحد في العالم أن القرآن الكريم ظل ينزل بين ظهري اليهود والنصارى إلى ٢٣ عاماً متتالية ولم يعترض أحد أنه

منقول من الكتاب المقدس. من الواضح أن النبي ﷺ كان أميا لا يعرف الكتابة ولا القراءة، وكان علماء اليهود والنصارى أعداءه الألداء فكيف كان ممكنا والحالة هذه، أن ينقل النبي ﷺ شيئا من كتب اليهود والنصارى؟ فقد جاءت في القرآن الكريم آيات في هذا الباب: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أي يا أيها الرسول، قد أنزلنا إليك أيضا كتابا كما أنزلنا إلى الرسل قبلك. والذين آتيناهم الكتاب قبلك يؤمن به العاقلون والسعداء منهم. كذلك يؤمن المتفكرون من مشركي مكة. ولا يؤمن من بين كلتا الفِرقتين أولئك الذين اختاروا لأنفسهم الكفر قصدا منهم. ويا أيها الرسول! ما كنت تتلو قبل القرآن من كتاب وما كنت تستطيع أن تكتب بيدك، ولو كان الأمر كذلك لكان لهؤلاء الملحدون مجال للشك، أما الآن فإن تشكيكهم ليس إلا تعنت محض، أي لما كان ثابتا متحققا أن النبي ﷺ كان أميا، ولم يُثبت أحد أنه كان قادرا على الكتابة أو القراءة فإن إثارة شبهات مثلها تنافي الأمانة. ثم قال ﷺ بأنه من الثابت المتحقق أن القرآن يمثل آيات الله البينات للذين أُعطوا علم معارفه وحقائقه، ولا يعترض عليه إلا الذين لا يتدبرون فيه ويجهلون مرتبته المعجزة. أما المتدبرون فيعرفون بإلقاء نظرة واحدة أن هذا الكلام يفوق قدرات البشر لأنه يحمل في طياته صفة إعجازية. وإضافة إلى ذلك فقد جاء في وقت الضرورة تماما حين كانت الدنيا قد نسيت سبيل الله. وقد شفى المرضى الذين جاء من أجلهم. ولم تستطع التوراة ولا الإنجيل إصلاحا قام به القرآن الكريم لأن العاملين بتعليم التوراة أي اليهود تورطوا في الوثنية مرارا وتكرارا. فالمطلعون على التاريخ شاهدون على ذلك. وتلك الكتب كانت ناقصة تماما من الناحية التعليمية والعملية أيضا وقد ضل العاملون بها بعد مدة وجيزة جدا. لم تمض على الإنجيل حتى ثلاثون سنة حتى حلت

عبادة إنسان ضعيف محل عبادة الله تعالى، أي قد اتُّخذ عيسى ﷺ إلهًا، وبدلاً من الأعمال الصالحة عُدَّ الإيمان بصلبه وكونه ابن الله وسيلة لغفران الذنوب. فهل نقل النبي ﷺ من هذه الكتب؟ بل الحق أن تلك الكتب كانت قد صارت مثل شيء رديء إلى زمن النبي ﷺ وأضيفت إليها كذبات كثيرة، كما ورد في عدة آيات قرآنية بأن تلك الكتب محرفة ومبدلة ولم تُعد قائمة على حقيقتها. وقد شهد على ذلك كثير من كبار الباحثين الإنجليز المعاصرين أيضاً. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٦٤-٢٦٦)

إن كون النبي ﷺ أميًا يثبت من هذه الآيات بكمال الوضوح، إذ من الواضح أنه لو لم يكن ﷺ أميًا وغير دارس، لوجد كثير من الناس ليكذبوا ادعاء أميته، لأنه لم يدع ﷺ ذلك في بلد يمكن أن يُعدَّ أهله يجهلون سيرة حياته. بل ترعرع النبي ﷺ بين ظهراني أهله منذ نعومة أظفاره، وقضى معظم حياته في صحبتهم وخالطهم. فلو لم يكن ﷺ أميًا في الحقيقة، لما أمكنه أن يدعي أميته أمام هؤلاء القوم الذين لم يخف عليهم حاله، وكانوا يترصدون به في كل حين وآن ليشتبوا ضده كذبة مهما كانت صغيرة ويشيعوها. كان عنادهم قد بلغ درجة بحيث لو استطاعوا لاخترعوا كذبا من عند أنفسهم ونسبوه إليه ﷺ. فمن هذا المنطلق كانوا يُعطون -على الرغم من سوء ظنهم كل مرة- جوابًا يتركهم صامتين واجمين لا يطبقون جوابا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٩-٥٧٠)

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ معلوم أن الآية تعني أن المؤمنين أعطوا علم القرآن الكريم ووفقوا للعمل به. فلما كانت صدور المؤمنين أوعية للقرآن الكريم فماذا عسى أن يكون معنى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ إلا أن القرآن لن يُمحى من الصدور كما مُحيت التوراة والإنجيل من صدور اليهود والنصارى. مع أن التوراة والإنجيل كانا في أيدي اليهود والنصارى وصناديقهم ولكنهما مُحيا من قلوبهم، أي لم تعد قلوبهم ثابتة عليهما، ولم يقيموا التوراة والإنجيل

في قلوبهم. إذن، هذه الآية تعلن بأعلى صوتها أنه لن يضيع ولن يُحصى شيء من تعليم القرآن أبداً، وكما عُرس غراسه في القلوب من أول يوم ستبقى هذه السلسلة جارية إلى يوم القيامة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥٠-٣٥١)

الآية ٥١-٥٤: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

يقولون لماذا لم تنزل عليه آيات أي آيات العذاب التي يطلبونها... إن مهمتي هي الإنذار فقط وليست إنزال العذاب من عندي. ثم قال تعالى: قل هؤلاء الذين يريدون أن تنزل عليهم آية العذاب: ألا تكفي آية رحمة أنزلناها عليك أيها الرسول الأمي، وهي هذا الكتاب الكامل والجامع الذي يُتلى عليهم؟ أي أن القرآن آية رحمة، ويحقق الهدف نفسه الذي كان الكفار يريدون تحقيقه بآيات العذاب لأن كفر مكة طلبوا آية العذاب لتحل بهم فتبلغهم مبلغ حق اليقين، وألا يبقى الأمر منحصرًا في رؤية العين فقط لأنه كانت هناك إمكانية أن يخطئوا في فهم الآيات المقتصرة على الرؤية وحدها أو أن يغمضوا أعينهم عنها، فقال تعالى لدحض هذه الشبهة والقلق بأنكم إذا كنتم تريدون أن تحل بكم آية فما الحاجة إلى آية العذاب بالذات؟ ألا تكفي آية رحمة لتحقيق هذه البُغية؟ أي القرآن الكريم الذي يبهر أبصاركم بقوة أشعته النورانية، ويُري محاسنه الذاتية وحقائقه ومعارفه وميزاته الخارقة للعادة بكثرة حتى عجزتم عن مبارزته ومواجهته، ويلقي عليكم وعلى قومكم تأثيره الخارق للعادة. ويلقي بظلاله على القلوب ويُحدث تغييرات عجيبة وغريبة للغاية.

فبركته يحيا باستمرار الذين ماتوا منذ زمن طويل، وتُفتح عيون الذين كانوا عميانا كابرا عن كابر. وتُشفى به أمراض الكفر والإلحاد من شتى الأنواع، ويُشفى المصابون بجذام التعصب شديد الوطأة. وبه يُنال النور وتزول الظلمة، ويتأتى وصال الله وتنشأ أماراته. فلماذا تهجرون آية الرحمة هذه التي تهب الحياة وتطلبون آية العذاب والموت؟ ثم قال: هؤلاء القوم يستعجلونك بالعذاب ولا يريدون أن يستفيدوا من آيات الرحمة، فقل لهم بأنه لولا ارتباط آيات العذاب بأوقات محددة لكانت قد نزلت منذ زمن طويل. ولسوف يحل بهم العذاب حتما من حيث لا يشعرون.

انظروا الآن بنظر الإنصاف، أين إنكار المعجزات في هذه الآية؟ بل تعلن هذه الآيات بصوت جهوري أن الكفار طلبوا آية الهلاك والعذاب، فقل لهم أولا بأن الآية التي تهب الحياة موجودة بين ظهراينكم، أي القرآن الكريم الذي لا يهدف إلى هلاككم بوروده عليكم بل يهبكم حياة أبدية. ولكن إذا حلت بكم آية العذاب فستهلككم. فلماذا تستجلبون هلاككم بغير حق. ولكن إذا كنتم تطلبون العذاب لا محالة فاعلموا أنه سيصيبكم أيضا سريعا.

إذًا، فقد وعد الله جلّ شأنه في هذه الآيات بآية العذاب، ثم وجّه الأنظار إلى آيات الرحمة في القرآن الكريم التي تحل بالقلوب وتلقي عليها بتأثيراتها الخارقة. أما زعم المعارض أن "لا النافية" تفيد نفي جنس المعجزات، الأمر الذي يستلزم نفي المعجزات كلها، فيدل على جهله قواعد الصرف والنحو.

فليكن معلوما أن تأثير النفي يقتصر على نفي مقدّر في إرادة المتكلم، سواء أذكرت تلك الإرادة تصرّحا أو تلميحا. فمثلا إذا قال أحد بأنه "لم يبق للشتاء أثر"، فالواضح أنه يقول ذلك بالنظر إلى الحالة التي تسود بلده. ولا يصح أن يفهم من كلامه - وإن لم يذكر اسمه وبلده ظاهريا- بأنه يدّعي نهاية الشتاء في جميع المناطق الجبلية وبداية الحر الشديد فيها بدلا من البرد. ولا يجوز بحال من الأحوال الاستدلال من ذلك أن "لا" التي استخدمها في كلامه تفيد نفي الجنس

فيجب أن يمتد تأثيره إلى العالم كله. الوثنيون المغلوبون في مكة الذين آمنوا في نهاية المطاف برسالة النبي ﷺ ومعجزاته كمعجزات، والذين ما كانوا منكرين فقط في زمن كفرهم أيضا بل كانوا يشيعون في بلاد الروم وفارس أيضا أفكارهم الغربية عن النبي ﷺ بأنه ساحر؛ كانوا يقرّون بالمعجزات ولو بطريق غير لائق. وأتى كان للذين اعترفاتهم مذكورة في القرآن الكريم أن يستخدموا "لا" لنفي الجنس في كلامهم الضعيف الذي كان مغشّى تحت أنوار النبوة المحمدية الساطعة؟ فلو كانوا مصرين على الإنكار إلى هذه الدرجة، لما أسلموا في الأخير باليقين الكامل الذي أثبتوه بإهراقهم دماءهم وبتضحيتهم بأرواحهم؟ إن كلماتهم التي ذكرت في القرآن الكريم أكثر من مرة في أيام الكفر مخدوعين بقصر نظرهم هي أنهم كانوا يسمون النبي ﷺ ساحرا كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ٣) ويقول ﷺ في آية أخرى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص: ٥). فمن الواضح أنهم كانوا يسمون النبي ﷺ ساحرا عند رؤيتهم الآيات ثم قبلوها أيضا كمعجزاتٍ وأسلمت الجزيرة كلها وشهدت على معجزاته ﷺ المقدسة بصدق القلب؛ فكيف أمكنهم أن ينكروا الآيات بوجه عام ويستعملوا في إنكارهم المعجزات "لا" للنفي الذي كان يفوق نطاق احتمالهم وبعيدا عن رأيهم المستمر؟ بل يتضح من القرائن وضوح الشمس أنه كلما ذُكر في القرآن الكريم اعتراض الكفار بعدم نزول آية على الرسول ﷺ، ذكر أيضا في الوقت نفسه بأنهم يقصدون من ذلك: لماذا لا تنزل آية مما نطلبه نحن؟

باختصار، لقد أطلال المعارض أكثر من حدود القرائن قضية "لا" النافية الواردة في الآية المذكورة. أظن أن العرب لم يطلّعو على هذا النوع من الـ"لا" النافية حتى في الحلم. كانت قلوبهم مطمئنة تماما بصدق الإسلام لذا أسلموا جميعا في نهاية المطاف ما عدا بعضهم الذين استحقوا العذاب الذي وعدوا به.

وليكن معلوماً أن "لا" النافية على النمط نفسه موجودة في كلام المسيح عليه السلام أيضاً فقد ورد في إنجيل مرقس: "فَخَرَجَ الْقَرِيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِّنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ * فَتَنَّهُدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هَذَا الْجِيلُ آيَةً!"^١

انظروا الآن كيف نفى المسيح هنا بكل وضوح. فلو تدبرت لرأيت أن اعتراضك ليس بشيء يُذكر مقابل الاعتراض الذي يرد على عبارة الإنجيل؛ لأنك اكتفيت بتقديم إنكار الكفار فقط، وذلك أيضاً ليس إنكاراً عاماً بل يتعلق بآيات خاصة. والمعلوم أن إنكار العدو لا يفيد الاطمئنان كلياً لأنه يقول أحياناً ما يخالف الواقع. أما المسيح فقد أنكر بلسانه إراءة المعجزات وجعل نفي صدور المعجزات مرتبطاً بالزمن. فقال ما مفاده أنه لن يُعطى جيل هذا الزمن آيةً. فأَيُّ بيان يمكن أن يكون أوضح لنفي المعجزات من بيانه؟ (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٢٨-٤٣٥)

ليكن واضحاً أن مطالبة الكفار بالآيات لم ترد في القرآن الكريم مرة أو مرتين فقط بل قدّمت المطالبة نفسها في عدة مواضع. ويثبت من التأمل في تلك المواضع معاً بأن كفار مكة كانوا يطلبون من النبي ﷺ آيات من ثلاثة أنواع:

- (١) آيات العذاب التي طلبها كفار مكة كما اقترحوها على هواهم.
- (٢) الآيات التي أنزلت على الأمم السابقة بصورة العذاب أو أماراته.
- (٣) الآيات التي يُرفع بها حجاب الغيب كلياً، مع أن رفعه يعارض مبدأ الإيمان بالغيب تماماً. فالطلبات التي قدّمت لإظهار آيات العذاب ردّها عليها القرآن الكريم قائلاً: فانظروا فإن العذاب سينزل حتماً، بينما رفض إنزال العذاب الذي كُذِّب من قبل، غير أنه قد وُعد بنزول العذاب على أية حال وتحقيق في نهاية المطاف بواسطة الغزوات. ولكن قد رُفض إظهار الآية من النوع الثالث رفضاً باتاً. والواضح

أن ذلك النوع من السؤال كان يستحق الإنكار فقط ليس إلا، لأن الكفار قالوا: لن نؤمن ما لم نر آية حيث يكون هناك سُلّم من الأرض إلى السماء فترقى به في السماء أمام أعيننا، ولن نؤمن لرقيك أيضا ما لم تأت من السماء بكتاب نقرأه بفتحه بأيدينا، أو تفجّر في أرض مكة، التي تعاني من شح المياه دائما، قنوات على غرار بلاد القنوات في الشام والعراق، أو يحيا كافة آبائنا الذين خلوا من الدنيا منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا بمن فيهم قصي بن كلاب أيضا لأن ذلك العجوز كان يصدق القول دائما، فنسأله هل أنت صادق في إعلانك أم كاذب؟ فكل هذه كانت آيات كبيرة اخترعوها على هواهم وكانوا يطالبون بها، ولكن ليس ببساطة وسهولة بل واضعين شروطا عديدة ورد ذكرها في القرآن الكريم مرارا. فإن الطلبات من هذا القبيل التي قدّمها أشرار العرب دليلٌ واضح وبيّن للمتفكرين على معجزات سيدنا ومولانا محمد ﷺ الواضحة وآياته البينة ورسالته. والله وحده يعلم إلى أيّ مدى أعيت هؤلاء العمهين وأحرجتهم أنوار صدق سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وإلى أيّ مدى نزلت أمطار التأييدات والبركات السماوية التي انبهروا بها وقدموا مثل هذه الطلبات البعيدة عن الحق والصواب ليعرضوا عنها ويتهربوا منها.

والمعلوم أن إظهار مثل هذه المعجزات يخرج عن حدود الإيمان بالغيب. لا شك أن الله جلّ شأنه قادر على أن يجعل سُلّما بين الأرض والسماء ليراه الناس، وأن يُحيي عشرات الملايين من الناس فضلا عن بضع آلاف، ويجعلهم يُدلون بشهاداتهم بلسانهم أمام أولادهم على صدق نبوته ﷺ. فهو قادر على كل ذلك ولكن فكّروا قليلا أنه لو حدث الانكشاف التام على هذا المنوال لتلاشى الإيمان بالغيب الذي هو مدار الأجر والثواب ولصارت الدنيا نموذج الحشر. فكما لن ينفع الإيمان يوم القيامة الذي هو وقت الانكشاف التام كذلك لن ينفع الإيمان نتيجة هذا الانكشاف التام أيضا. بل يُعدّ الإيمان إيمانا حقيقيا ما بقي فيه شيء من الخفاء. وإذا أزيلت الحجب كلها لما بقي الإيمان إيمانا حقيقيا. لهذا السبب أظهر جميع

الأنبياء معجزاتٍ واضعين الإيمان بالغيب في الحسبان دائما. لم يُعَدَّ نبيٌّ قط إلى الحياة المدينة كلها ليُدلي أهلها بالشهادة على نبوته، ولم يرقَ إلى السماء بالسُّلم على مرأى من الناس كافة ليُري العالم كله شعوذة. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٣-٤٣٤، الحاشية)

اعلموا إن الله لا يعبأ بشخص معين، ولا يركز رسلُهُ على هُدي شخص معين، بل هم يدعون ويضطربون لخلق الله عامة، فقد سئل النبي ﷺ أيضًا الإتيان بآيات، لكن كيف ردّ الله عليهم؟ فقد قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الأنعام: ٣٨)، ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ١١٠) لقد نهى الله الإنسان عن طلب الآية بحسب رغبته، وتفيد التجارب أن الذين طلبوا الآيات بحسب طلبهم ظلوا محرومين من الهدى، لأن الله ﷻ لا يخضع لمشيئتهم وأمانيتهم، ولا هم يهتدون. ألا حين طُلبت الآيات والمعجزات بحسب الشروط المعينة جاء الجواب: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٨/٤م، ص ٣)

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. أي أن الله تعالى يُظهر آية يشاء، والعبد ليس قادرا على أن يطلبها منه قهرا. فهذا الجبر والإكراه يوجد في كتبكم أنتم فقط. وكان المسيح بحسب قولكم يُري معجزات اقتدارية وأعطى هذه القدرة تلاميذه أيضا. وتعتقدون أيضا أن المسيح ما زال حيًا وقيوما وقادرا على كل شيء وعالما بالغيب وهو معكم ليل نهار ويستطيع أن يعطيكم ما شئتم، فعليكم أن تترجّوا منه أن يشفي هؤلاء المرضى الثلاثة بوضع أيديكم عليهم لتحقيق علامة الإيمان فيكم وإلا فليس من المناسب أن تناظروا أهل الحق بصفتمكم مسيحيين صادقين، وإذا طُلبت منكم علامات على كونكم مسيحيين صادقين فتقولون: لاحول لنا ولا قوة في ذلك!! فبقولكم هذا تقيمون الحجة على أنفسكم بأن دينكم ليس دينا حيّا الآن. أما أنا فمستعد لإظهار الآيات التزاما بما حدد الله تعالى من علامات كوننا مؤمنين

صادقين. وإن لم أستطع فيمكنكم أن تُعاقبوني بأية عقوبة تشاءون، وتضعوا على رقبتي سكيناً كما تشاءون. الأسلوب الذي أمرنا به لإراءة الآيات هو أن نطلب من الله - الذي هو إلهنا الحق والقادر - آية بتضرع وابتهاال عند المواجهة حين يُنكر نبيّه الصادق والكامل، فسيُريها ^{عَظَمَتِ} كيفما شاء بحسب مرضاته وليس لكونه مسيراً أو تابعا لأمرنا. وعليكم أن تفكروا جيداً أن المسيح ﷺ مع غلوكم في شأنه عجز عن إراءة معجزات اقتدارية كما جاء في إنجيل مرقس ٨: ١١-١٢: "فَخَرَجَ الْفَرِيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ. * فَتَنَّهُدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: "لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هَذَا الْجِيلُ آيَةً!"

لاحظوا الآن، فقد طلب اليهود آية على المنوال نفسه ولكن المسيح تنهّد ورفض إعطاء الآية. وهناك مناسبة أخرى أكثر غرابة من سابقتها حين علّق المسيح على الصليب قال اليهود: "خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكٌ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ!"^١.

تأملوا الآن في هذه العبارة بنظرة فاحصة أن اليهود أقرّوا بكل وضوح أنه لو نزل عن الصليب لآمنوا به، ولكن المسيح لم يقدر على ذلك. ويتبين من هذه العبارات كلها بجلاء أن إراءة الآيات الاقتدارية ليس بوسع الإنسان بل في يد الله كما يقول المسيح ﷺ في موضع آخر أي في إنجيل متى ١٢: ٣٩: "جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ". انظروا الآن، لم يقبل المسيح طلبهم بل قال ما كان يعلمه من الله تعالى، كذلك أقول أنا أيضاً ما أعلمه من الله جلّ شأنه. لا أدعي الألوهية ولا القدرة، إني إنسان مسلم أتبع القرآن الكريم، وبحسب تعليم القرآن الكريم أدعي النجاة الحالية. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٥٥-١٥٦)

^١ إنجيل متى ٢٧: ٤٢

الآية ٥٨: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

لا يرحل أحد من هذه الدنيا للأبد إلا بالموت. والسبب هو أن هناك باباً واحداً للخروج من الدنيا ودخول الجنة، ألا وهو الموت، حيث قال ﷺ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٩٦)

الآية ٦٥: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

الحياة الكاملة التي تُنال بعد الانتقال من الدنيا السفلية ليست حياة الجسد المادي، بل لها صبغة أخرى وشأن آخر، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٢)

الآية ٦٩: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾

اعلموا أن للافتراء أيضا حداً، ومعلوم أن المفترى يخيب ويخسر دوماً كما قال ﷺ: ﴿قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (طه: ٦٢)، وقال ﷺ للنبي ﷺ إذا تقولت على الله فسوف نقطع وتينك، كما قال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الأنعام: ٢٢)، فالذي يؤمن بهذه الأمور أنى له أن يتجاسر على الافتراء. إذ من المعلوم أنه إذا انتحل أحد وظيفة حكومية بسيطة جداً فالحكومة المادية تعاقبه ويُسجن، فهل تسود الفوضى في ملكوت الله المليك المقتدر لدرجة أن يدّعي أحدهم افتراءً على الله بأنه مبعوث منه ﷺ، ثم لا يلقي عليه القبض بل يؤيد؟ كلا، بل بذلك ينتشر الإلحاد. فقد ورد في جميع كتب الله تعالى أن المفترى يُهلك عاجلاً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٤م، ص ٧)

الآية ٧٠: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

كيف يمكن لشخص يتهاون إهمالا شديدا منه أن يستفيض من فيض الله كالذي يبحث عنه وَيَكِلْ بكل عقله وقوته وبكل إخلاص؟ وإلى هذا الأمر أشار الله تعالى في آية أخرى فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٦-٥٦٧، الحاشية رقم ١١)

أي الذين يجاهدون في سبيلنا سنريهم سبلنا التي لا تُدرك بمجرد العقل والقياس. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٥، الحاشية)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي نريهم سبلنا الآن، وسنريهم في المستقبل أيضا. من المعلوم أنه لو كان المراد هنا الاستقبال فقط لفسد المعنى تماما واضطررنا إلى القول بأن هذا الوعد يتعلق بالمستقبل فقط، والذين يجاهدون الآن، أو جاهدوا من قبل محرومون من سبل الله تماما. بل الحق أن في هذه الآية بيان الأزمنة الثلاثة كعادة جارية مستمرة. والمراد هو أن من سنتنا أن الذين يجاهدون فينا نهديهم سبلنا. وهذا الأمر لا يخص زمنا دون غيره بل هو بيان سنة مستمرة دائمة وسائرة ولا يخرج عن دائرتها أي زمن. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٣)

لقد مرت على نزولها ١٣٠٠ عام، ولا شك أن كل من جاهد في هذه المدة نال نصيبه المقدر دائما من الوعد القائل: "لنهديهم" ولا يزال يناله وسيناله في المستقبل أيضا. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٩٢)

فكما نشاهد بكل وضوح في حياتنا الدنيوية أن لكل عمل من أعمالنا نتيجة محتومة هي من فعل الله تعالى، كذلك تماما يسري القانون نفسه في أمور الدين، كما يصرح الله بذلك في هاتين الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾. أي أن

الذين بذلوا الجهد كله في ابتغاء مرضاة الله، سنجزئهم مقابل ذلك هداية إلى سبيلنا

حتماً، وأما من اعوج ولم يُرد السير على الطريق المستقيم قابل الله فعله هذا باعوجاج قلبه. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٩)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾... أي من يجاهد في طريقنا سنريهم طريقنا، والواضح أن طرق الله هي التي أريها الأنبياء. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٥٩)

الذين يجاهدون في سبيلنا وفي سبيل البحث عنا نهديهم سبلنا. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٩)

أي أن الذين يتجشمون في طريقنا عناء المجاهدات ويوصلون مساعيهم إلى ذروتها فإن قانوننا الطبيعي بحقهم هو أننا نهديهم إلى سبلنا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٧)

أي أن الذين يجاهدون في سبيلنا ويقومون بكل ما في وسعهم من قدرة وقوة فإن رحمة الله تأخذ بيدهم وتنجز ما لا يستطيعون إنجازه بأنفسهم. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٤، الحاشية)

لقد جاء في القرآن الكريم وعدٌ أن الذي يؤمن بالله بصدق القلب لن يضيعه الله، بل سيكشف عليه الحق ويهديه إلى الصراط المستقيم، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وتعني هذه الآية أن المؤمن بالله لا يُضاع بل يهديه الله هداية كاملة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٩)

تطراً على قلب الإنسان حالات عديدة، وفي نهاية المطاف يزيل الله تعالى الضعف من الأرواح السليمة، ويهبها القوة على الطهارة والحسنة، فيصبح كلُّ ما هو مكروه عند الله مكروهاً تماماً في نظر أصحابها، ويكون محبباً في نظرهم كل ما هو محبوب عند الله ويعطون قوة لا ضعف بعدها، وحماساً لا كسل بعده ويوهبون تقوى لا معصية بعدها. ويرضى بهم الرب الكريم فلا يخطئون بعد ذلك. ولكن هذه النعمة تتسنى بعد مدة طويلة. ويعثر الإنسان كثيراً في البداية نتيجة أخطائه ويسقط إلى

الأسفل ولكن القوة العليا تجذبه إلى الأعلى بعد أن تجده صادقا. هذا ما يشير الله تعالى إليه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي نثبتهم على التقوى والإيمان ونهديهم سبل المحبة والعرفان وسنيسرهم لفعل الخيرات وترك العصيان. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٥٠-٥١)

إن تأييد روح القدس الذي يحالف المؤمن هو إنعام من الله فقط ويناله الذين يؤمنون بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم بصدق القلب ولا يُنال بمجاهدة بل بالإيمان وحده ويُنال مجانا. والشرط هو أن يكون المرء صادقا في الإيمان وثابت الأقدام وصابرا في الامتحان ولكن هداية الله ﷻ للدينونة المذكورة في الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لا تُنال بدون المجاهدة. إن مثل المجاهد كمثل الأعمى إذ لا يزال بينه وبين البصير بُعد شاسع. ولكن تأييد روح القدس يجعله حسن الظن ويهبه قوة ليرغب في المجاهدة. وبعد المجاهدة يُعطى الإنسان روحا جديدة هي أقوى وأعظم كثيرا من الروح السابقة. ولكن ليس المراد من ذلك أن هناك روحين بل روح القدس واحدة غير أن هناك فرقا بين مراتب القوة. كما أنه ليس هناك إلهان اثنان بل إله واحد ولكن الإله نفسه ينصرهم بالتجليات الخاصة ويربّيهم ويُرِي من أجلهم العجائب الخارقة التي لا يُريها للآخرين قط. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٥-٤٢٦)

...ثم خاضوا في المجاهدات بالاستفادة من قوة روح القدس ليغلبوا الشيطان بأعمالهم الطيبة. فاختاروا ابتغاء مرضاة الله بمجاهدات لا يمكن للإنسان أن يتصور أكبر منها. لم يُعدّوا في سبيل الله أرواحهم حتى كالعشب والكلأ فقبلوا في حضرة الله وبراً ﷻ قلوبهم من الذنوب كليا وألقى فيها حب الحسنات كما يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٥) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، أي أن الذين يجاهدون في سبيلنا سوف نهديهم إليها. فهذا وعد من الله تعالى، وهناك دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لذا فعلى المرء أن يدعو بإلحاح آخذاً هذا الوعد في الحسبان، ويتمنى أن يكون من

الحائزين على الرقي والبصيرة، كيلا يرحل من هذه الدنيا أعمى عديم البصيرة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٩)

الحق أن الأمر كله متوقف على المجاهدة. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، أي أن الذين يسعون من خلالنا نفتح عليهم سبلنا كلها. فلا يتم شيء من دون المجاهدة، ومخدوعون الذين يقولون إن الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمة الله عليه- جعل أحد السارقين في ملح البصر ولياً لله تعالى، ومثل هذه الأمور هي التي قد أهلكت الناس. يظن الناس أنه يمكن للإنسان أن يصير من أولياء الله بنفخة واحدة لأحد الصالحين. والحق أن الذين يستعجلون مع الله تعالى يهلكون. كل شيء في الدنيا يتطور بالتدرج، والتطور الروحاني أيضاً يحصل على هذا النحو، ولا يتم شيء من دون المجاهدة، شريطة أن تكون المجاهدة من خلال الله تعالى، وليس أن يخترع المرء من عنده مختلف المجاهدات والممارسات العقيمة والمنافية للقرآن الكريم كما يفعل نُسَّاك الهندوس. وهذه هي المهمة التي بعثني الله من أجلها، أي أن أخبر الناس كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى الله تعالى. إنما سنة الله أنه لا يُحَرِّم الجميع من الهداية، ولا يهتدي الجميع أيضاً. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٦، عدد ١/٥/١٩٠٠م، ص ٦)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، أي الذين يسعون ويجاهدون من خلالنا نهديهم إلى سبلنا ونفتح لهم أبوابنا. ولا شك أن الذين يبحثون يجدون حتماً. ونعم ما قيل: *اے خواجہ دردمست و گرنہ طبیب ہست* أي. يا صاحبي ليس عندك الألم، وإلا فإن الطبيب موجود. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠١م، ص ٨)

لا يستطيع الإنسان الوصول إلى أعلى مقامات الترقى دون المجاهدة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. فعليكم أن تجاهدوا في الله لتكشف عليكم سبله فتتالوا بالسلوك على تلك المدارج لذة ثنال في الله. المصائب والمشاكل في هذا المقام لا تعني شيئاً. هذا هو المقام الذي يُسمى "الشهيد" في مصطلح القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠١م، ص ١-٢)

إن الله تعالى يريد أن يصبغ الجميع بصبغة معرفته لأنه خلق الإنسان على صورته وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٢م، ص ٣)

الصدق شيء عظيم وبدونه لا يكتمل العمل الصالح. إن الله لا يترك سنته والإنسان لا بد له من هذا السبيل لذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ٧)

أن أساس هذا الدين هو التقوى والسعادة، وهذا لا يمكن ما لم يكن اليقين بالله، واليقين لا يتأتى إلا من الله. لذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٢م، ص ٦)

عند المجاهدات تفتح سبل الله، وتنزكي النفوس، كما يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ و﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ١٠)

إن مرحلة التقوى صعبة جدا، فلا يقدر على عبورها إلا الذي يسلك سبل مرضاة الله تعالى فقط، وينجز ما يريده ﷺ ولا يتبع مشيئته الشخصية، فإذا أراد أحد أن ينال شيئا بالتكلف فلن يتأتى له ذلك، لذا ثمة حاجة ماسة لفضل الله، ولا يتأتى ذلك إلا بالدعاء من ناحية والدوام على بذل المساعي من ناحية أخرى. فقد أكد الله ﷻ على الدعاء وبذل السعي كليهما معا، إذ قد أمر بالدعاء في ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وأوصى بالسعي في ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. إذن فلن يعد الإنسان من أولياء الرحمن ما لم يتحلل بالتقوى، وما لم يحدث ذلك لن تنكشف عليه الحقائق والمعارف. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢، عدد ٨/١/١٩٠٤م، ص ٣)

صحيح أن الإنسان أحيانا يستفيد من التدبير لكن الاتكال الكلي على التدبير لصفة شديدة وجهل، فالتدبير لا يفيد أبدا ما لم يقترن به الدعاء أيضا كما لا ينفع

الدعاء وحده ما لم يصحبه التدبير. فمن الضروري أن تُسد أولا النافذة التي تأتي منها المعصية، ثم يجب أن يداوم على الدعاء للنجاح في الصراع مع النفس، ولذلك قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. فكم تتضمن هذه الآية التأكيد على اتخاذ التدابير. يجب أن لا ينسى الله حتى في التدابير. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

المراد من المجاهدة في ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ هو هذا التدريب، بحيث يجب أن يداوم على الدعاء من ناحية، ومن ناحية أخرى عليه أن ينصرف إلى التدبير الكامل. فأخيرا ينزل فضل الله، وتفتقر ثورة النفس وجموحها، ويحدث وكأن أحدا رش الماء على النار. كثيرون متورطون في اتباع النفس الأمارة فقط. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٨)

التخلص من الذنوب أيضا يتطلب فضل الله وحده، فحين ينظر الله ﷻ إلى رجوعه وتوبته يُلقي في قلبه أمرا من الغيب، فيبدأ النفور من الذنوب. ولنشوء هذه الحالة ثمة حاجة للمجاهدة الحقيقية. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فالذي يسأل يعطى حتما. ولذلك أقول ليس للدعاء أي مثيل. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

وإنه لَوَعْدُ اللَّهِ الْحَقُّ أن الذين يتحرّون سبيله بصدق القلب وحسن النية يفتح الله عليهم سبل الهداية والمعرفة، كما يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. والمراد من ﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾ هم الذين يبحثون عن مرضاة الله بمحض الإخلاص وحسن النية جاعلين الله نصب أعينهم. أما إذا كان أحد يقصد الاختبار فقط عن طريق الاستهزاء والسخرية فيبقى ذلك الشقي محروما. فلو استمررت في الدعاء والسعي بصدق القلب بحسب هذا الأصل المقدس لوجدتم الله غفورا رحيمًا، أما الذي لا يعبأ به ﷻ فهو غني. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٨، عدد ٣١/٥/١٩٠٤م، ص ٢)

يضطر الإنسان إلى أن يعمل شيئاً أولاً في كل عمل من أعمال الدنيا، فعندما يسعى الإنسان جاهداً بيارك الله في سعيه. هكذا لا ينال الكمال في سبيل الله إلا الذين يجاهدون في سبيله، يقول الله عَلَيْكَ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. إذن، لا بد من السعي، فإن المجاهدة هي السبيل الوحيد للنجاحات. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٣)

والذين يجاهدون في سبيلنا يصلون إلى الهداية في نهاية المطاف. كما تفقد الحبة المزروعة البركة بدون السعي والري بل تفسد أيضاً، كذلك لو لم تذكروا هذا الإقرار كل يوم ولم تدعوا الله أن ينصركم لما نزل فضل الله. والمعلوم أن التغيير بدون نصره من الله محال. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٦)

هناك مثل معروف: "من جدّ وجد"، وقيل: من قرع الباب فُتِحَ له. والقرآن الكريم أيضاً قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. أي الذين يسعون للوصول إلينا ويجاهدون فينا نفتح لهم سبيلنا ونسيرهم على الصراط المستقيم. ولكن أنى لمن لا يقوم بالسعي والمجاهدة أن يهتدي إلى هذا السبيل؟ هذا هو سر الوصول إلى الله ولنيل النجاح والنجاة الحقيقيين. على الإنسان ألا يقصر في المجاهدة في سبيل الله تعالى ولا يُظهر كلاً ولا ضعفاً في هذا المجال. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٤١-٤٢، عدد ٣٠-١١/١٠-١٢/١٩٠٤م، ص ٦. والحكم، مجلد ٨، رقم ٤٣-٤٤، عدد ١٧-٢٤/١٢/١٩٠٤م، ص ٣)

فمن تاب إلى الله تاب الله عليه، لكن من الضروري ألا يقصر المرء في ذلك بقدر ما كان في وسعه، وعندما يبلغ سعيه منتهاه سيرى نور الله. ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إشارة إلى أن على المرء أن يؤدي حق السعي الواجب عليه ولا يثبط همته بعد حفر الأرض إلى ذراعين فقط إذا كان الماء يخرج بعد حفر عشرين ذراعاً. إن أساس النجاح في كل شيء هو ألا يملّ المرء في سعيه. وأضف إلى ذلك أن الله وعد هذه الأمة أنه إذا دعا أحد ورثى نفسه بوجه أتم ستتحقق

بحقه كل الوعود المذكورة في القرآن الكريم. أما مَنْ عمل ما ينافي ذلك فيُحرم لأن الله غيور. لا شك أنه فتح سبيلا للوصول إليه، ولكن جعل أبوابه ضيقة، فلا يصل إليه إلا مَنْ يشرب كأس المرارة. الناس يتحملون الألم في سبيل الدنيا، حتى يهلك بعضهم في هذا السبيل، ولكن لا يحبون أن يتحملوا ألما حتى وخزة شوكة لوجه الله، فما لم يُبد المرء آثار الصدق والصبر والإخلاص كيف تظهر آثار رحمة الله؟ (بدر، مجلد ٤، رقم ٣، عدد ١٩٠٥/١/٢٠، ص ٣)

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم بكل وضوح: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. يتبين من ذلك أن هناك حاجة إلى المجاهدة لفتح أبواب معرفة الله. ولكن يجب أن تكون المجاهدة كما علّمنا الله، وتكفيها أسوة النبي ﷺ الحسنة بهذا الشأن. كثير من الناس يتركون أسوة النبي ﷺ ويذهبون إلى متنسكين مختلفين ممن يلبسون ثيابا خضراء أو حمراء ليجعلوهم شيئا يُذكر بنفخة واحدة. هذا سخف محض. الذين لا يلتزمون بأحكام الشريعة ويدّعون مثل هذه الادّعاءات الفارغة يرتكبون ذنبا خطيرا، ويريدون أن ترتفع مكانتهم فوق الله ورسوله أيضا، وليعلموا أن الهداية بيد الله ولكنهم مع كونهم حفنة من التراب يدّعون أنهم قادرون على هداية الناس. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٥/٧/١٠، ص ٩)

هذا هو الفرقان بين الإسلام والأديان الأخرى ولكن لا يقدمه معارضونا، فقد أرسلني الله تعالى بهذا الفرقان بالذات. السؤال هنا هو: إذا كان هذا الفرقان موجودا فلماذا لا يراه كل شخص؟ جوابه: لقد جرت سنة الله أنه لا يُنال بغير المجاهدة والتبذل التام. فيقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، أي لن ينال هذا السبيل إلا الذين يجاهدون في سبيلنا. فكيف يمكن أن يُفتح هذا الباب على الذين لا يعملون بوصايا الله وأوامره بل يعرضون عنها؟ هذا مستحيل. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٥/٨/١٧، ص ٥)

فعلى قدر الجهد والسعي يحظى المرء بعون من الله. البحث عن الله بالصدق والوفاء مدعاة للنجاح: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٧ الحاشية)

تذكروا جيدا أن الإيمان من دون الأعمال كحديقة من دون أنهار. فلو لم يتنبه صاحب الحديقة إلى الأشجار التي يزرعها فلسوف تيبس يوما من الأيام. كذلك هو حال الإيمان ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾؛ أي لا ترضوا بالأعمال اليسيرة بل هناك حاجة للمجاهدات العظيمة. قد شُبِّهَت النفس بالثور. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ٢٥/٦/١٩٠٨ م)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فيعني أنه لا بد لهم من المجاهدة مع النبي في هذه السبيل. الفرار بعد ساعة أو ساعتين ليس من دأب المجاهد، بل من واجبه أن يكون مستعدا لفداء نفسه كل حين. فعلامة المتقين الاستقامة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣ م، ص ٧)

يريد الله ﷻ المغزى والحقيقة، ولا يحب الاسم والتقليد. إذا بحث المرء عن الإسلام الحقيقي بصدق القلب فقد وعد الله ﷻ أنه سيهديه سبيله، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الله ﷻ ليس بخيلا، فإذا جاهد المرء في الله فمن المؤكد أنه سيهديه سبيله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣ م، ص ٩)

إن الذي يجاهد في الله خاشيا إياه ﷻ فقط، ويستعين به فإن الله ﷻ يمسك بيده بحسب سنته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي يريه السبيل بنفسه ممسكا بيده ويهب له طمأنينة القلب. أما إذا كان القلب مسكن الظلام وكان اللسان يستثقل بالدعاء، وكان الاعتقاد مشوبًا بالشرك والبدعة، فما قيمة هذا الدعاء؟ وما هذا الطلب الذي لا يترتب عليه نتائج حسنة؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٣ م، ص ١٣-١٤)

إن الذي يجتهد ويتفانى في عشق الله وحبه، يتميز عن الآخرين ويُعدّ من أعباء الله. فالله ﷻ يرشد مثل هؤلاء بنفسه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي أن الذين يجاهدون من أجلنا نريهم سبلنا أخيراً، فكل الأولياء والأنبياء والصلحاء الذين خلّوا إلى الآن حين قاموا بمجاهدات كبيرة في سبيل الله، فتح الله عليهم أبوابه في نهاية المطاف. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد ١٩٠٨/١/٢، ص ٦)

التوبة والاستغفار هما الوسيلتان للوصول إلى الله، قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فداوم على السلوك في سبيله ببذل قصارى الجهود فسوف تصل إلى الهدف المنشود. إن ﷻ لم يبخل تجاه أحد. (بدر المجلد ٧، رقم ٢، عدد: ١٩٠٨/١/١٦، ص ٣)

نرى هذا الأمر في ضوء تعليم القرآن الكريم أن الله ﷻ من ناحية يبين في القرآن الكريم صفاته، الكرم والرحم واللفظ والرأفة ويبيد كونه رحماناً، ومن ناحية أخرى يحصر فيضَه في السعي والمجاهدة بقوله: ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٤٠) و﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، كما يشكّل دأب الصحابة ﷺ أسوة حسنة وقدوة رائعة لنا، فتأملوا في حياة الصحابة ﷺ فهل كانوا قد نالوا تلك المدارج العظيمة بمجرد الصلوات العادية؟ كلا بل لم يبالوا بحياتهم لنيل رضوان الله، وضحووا بحياتهم كالقرايين، وبعدها نالوا هذه الدرجة، ولقد رأينا معظم الناس يريدون أن يُمنحوا تلك الدرجات والوصول إلى العرش بنفخة واحدة.

من ذا الذي يمكن أن يفوق النبي ﷺ درجة، فكان أفضل البشر وأفضل الرسل والأنبياء وإن لم ينجز هذه الأعمال بنفخة فمن غيره يمكن أن يتمكن من ذلك؟ فانظروا كم من المجاهدات الشاقة بذلها في غار حراء، الله أعلم لأي مدة طويلة بكى وتضرع إلى الله، وكم بذل من الجهود الشاقة والمسااعي المضنية للتركية، وبعدها نزل الفيض من الله تعالى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٨/٤/٢، ص ١)

الذين يسعون للفوز بقرب الله متفانين فيه بحرقه فلا تضيع جهودهم ومساعدتهم، وأنهم يُرشدون ويوجَّهون حتما. فالذي يخطو إلى الله بصدق وإخلاص النية، فإن الله يتقدم إليه لإرشاده وهديهِ. يجب على الإنسان أن يتدبر ويخلق في نفسه الحرقه الصادقة والعطش لطلب الحق. فالطريق الذي علَّمه لتوسيع نطاق المعلومات يجب أن يتمسك به المرء. أما الذي يُعرض عن الله فإن الله وَبَعَثَ اللَّهُ لا يعبأ به. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨م، ص ١-٢)

اسعوا جاهدين لإحداث التغيير في نفوسكم، وادعوا في الصلوات. كونوا في صف: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ بالصدقات وبكل طريقة أخرى. كما يذهب المريض إلى الطبيب ويتناول الدواء ويستخدم المسهلات ويحتجم وما إلى ذلك، أي يقوم بكل ما أمكن له من أجل الشفاء، فاسعوا كذلك لإزالة الأمراض الروحانية. ليس باللسان فقط بل اعملوا بطرق المجاهدة كلها التي علَّمها الله تعالى. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٤، عدد ٨/١١/١٩٠٥م، ص ٤)

أما قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، فيعني أنه لا بد لهم من المجاهدة مع النبي في هذه السبيل. الفرار بعد ساعة أو ساعتين ليس من دأب المجاهد، بل من واجبه أن يكون مستعدا لفداء نفسه كل حين. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٢)

يقول البعض: هل علينا أن نكون أولياء الله؟ من المؤسف أن مثل هؤلاء ما قدروا الله حق قدره. نعم، يجب على الإنسان أن يكون وليا لله تعالى. لو سلك المرء الصراط المستقيم فإن الله تعالى أيضا سوف يأتي إليه، فيلتقيان. حتى وإن كانت حركة الإنسان إلى الله تعالى بطيئة، فإنه تعالى يأتيه بسرعة فائقة، وإليه يشير قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٧)

الساعي إلى الله تعالى لا يفشل أبدا، لأن الله تعالى قد وعد ووعدته الحق: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فمن بحث عن سبل الله وصل غايته المنشودة

في نهاية المطاف. إذا كنا نشفق على الطلاب الذين يسهرون الليالي ليعدّوا عُدتهم لامتحاناتهم الدنيوية، فكيف يمكن أن يضيع الله الذي لا حدّ لرحمه ولا نهاية لأفضاله من يأتي إليه؟ كلا، ثم كلا. إن الله لا يضيع سعي ساعٍ. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٦١-١٦٢)

من المسلّم به أنه إذا كانت في شيء قوة الجذب جذب إليه الأشياء الأخرى، وتكون قوة الجذب في الأنبياء قوية بحيث تحترق فيها أمور الدنيا وشؤونها، وتجذب إليها فضل الله وفيضه. ويصبح هذا الأمر فوق كلّ أمر آخر. ولكن هذا الأمر يتطلب المجاهدة الصحيحة، ومن دونها لا تنفتح هذه السبيل، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٥م، ص ٥)

كما يحتاج الفلاح للسعي وبذل الجهد بالإضافة إلى بذر البذور والري، كذلك قد جعل الله تعالى المجاهدات ضرورية للحصول على الثمرات الحسنة للفيوض والبركات الروحانية، كما يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "الروم"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٥: ﴿الَمْ * غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ
سَيُغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ﴾

ما دام قانون الله في الطبيعة قد وضع للكشوف والرؤى الصالحة مبدءاً بأن تغلب
عليها الاستعارات في معظم الحالات فإن صرفها عن هذا المبدأ والادعاء أن النبوءات
تُحْمَلُ على ظاهرها دائماً ليس إلا الإلحاد بعينه. إن اعتبار النبوءة حقيقة مكشوفة
مثل أحكام الصوم والصلاة خطأ فادح وخديعة كبرى. لقد شرح لنا النبي ﷺ هذه
الأحكام بعمله وأماط اللثام عنها كلياً. ولكن هل قال ﷺ بحق الأنبياء أيضاً بأنها

مكشوفة من كل الوجوه، ولا توجد فيها حقيقة أو كيفية مكنونة تُفهم عند تحققها؟ إذا كان هناك حديث بهذا المعنى فلماذا لا تقدّمونه؟... تعرفون جيدا أنه حين شارط أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبا جهل، وجعل مدار الشرط في نبوءة القرآن الكريم: ﴿الْمَ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ مدة ثلاثة أعوام لتحقيقها؛ غير النبي ﷺ بفراسته في الشرط بعض الشيء فورا نظرا إلى طبيعة النبوءة وقال لأبي بكر رضي الله عنه إن عبارة: ﴿بَضْعِ سِنِينَ﴾ جملة، وتطلق في معظم الأحيان على مدة تمتد إلى تسع سنين. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣١٠-٣١١)

لقد ذكر القرآن الكريم أمثال الملوك الذين احتلوا بلاد الملوك سيئي السيرة من اليهود كما يتضح من الآية ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وثابت من الأحاديث أن المراد من الروم هم النصارى، وأنهم في الزمن الأخير سيحتلون بعض أجزاء البلاد الإسلامية، وأن بلاد الملوك المسلمين ستنتقل أيام فواحشهم إلى الملوك المسيحيين مثلما كانت الإمبراطورية الرومية قد احتلت بلاد ملوك اليهود زمن انغماسهم في السيئات. فاعلموا أن هذه النبوءة قد تحققت في زمننا هذا، إذ لا تخفى على أحد الأضرار الفادحة التي ألحقها الروس بالإمبراطورية العثمانية بمشيئة الله الأزلية. وهذه الآية إذا فسرناها تفسيراً آخر فليس المراد من الروم عند الغلبة عائلة قيصر، لأن تلك العائلة قد قُضي عليها على أيدي المسلمين. بل المراد من الروم هنا بروز الروس وبقية ملوك الحكومات التي تعتنق المسيحية. هذه الآية نزلت أولاً عندما غلب كسرى ملك إيران قيصر ملك الروم بالحرب على بعض الحدود. ثم حين غلب قيصر الروم ملك إيران في بضع سنين تحقيقاً لهذه النبوءة، نزلت هذه الآية مرة أخرى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ... إلخ﴾ مما يعني أن الإمبراطورية الرومية غلبت الآن، لكنهم في بضع سنين سيُغلبون على أيدي المسلمين. ففي قراءة أخرى؛ قُرئت "غلبت" بصيغة المبني للمعلوم و"سيُغلبون" المبنية

للمجهول، ومع وجود القراءة الأولى التي وردت فيها ﴿عُلبت﴾ مبنيا للمجهول و﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ مبنيا للمعلوم، إلا أن الآية لم تصبح منسوخة التلاوة، بل ظل جبريل ﷺ يُسمع النبي ﷺ القرآن الكريم بحسب هذه السنة الإلهية الثابتة في نزول القرآن الكريم. وهو أنه مقدر أن تحتل الحكومة المسيحية مرة أخرى بعض حدود الدولة العثمانية. وبناء على ذلك قد ورد في الأحاديث أن غالبية سكان العالم في زمن المسيح ستكون الروم، أي نصارى.

نستهدف من عبارتنا هذه أن كلمة الروم أيضا وردت في القرآن الكريم والأحاديث بروزا، أي ليس المراد من الروم الروم أنفسهم، وإنما المراد منهم النصارى. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٧-٣٠٨)

يوجد في الأحاديث تناقض ظاهري إذ جاء فيها من ناحية أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض في زمن بعثة المسيح الموعود، وقيل من ناحية أخرى بأن الأمة المسيحية تكون حينها غالبية في العالم كله كما يفهم من الحديث: "يكسر الصليب" أيضا أن الأمة الصليبية ستكون في ارتقاء وازدهار في ذلك الزمن. كذلك يفهم من حديث آخر أن الرومان، أي المسيحيين، سيكونون الأكثر عددا وقوة في ذلك الزمن لأن السلطنة الرومية في زمن النبي ﷺ كانت مسيحية كما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿عُلبتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ٣-٤) والمراد من الروم هنا أيضا هي السلطنة المسيحية. ثم يتبين من بعض الأحاديث أن الدجال سيكون غالبا في الأرض كلها في زمن المسيح الموعود وسيحيط بالأرض كلها إلا مكة المعظمة.

فليخبرني الآن أحد من المشايخ كيف يمكن إزالة هذا التناقض؟ فإذا غلب الدجال على الأرض كلها أين ستكون السلطنة المسيحية؟ وكذلك أين سيكون يأجوج ومأجوج الذين يخبر القرآن الكريم بعموم سلطنتهم؟ فهذه هي الأخطاء الواقع فيها مكفرونا ومكذبونا هؤلاء. توحى الأحداث الواقعة بأن هاتين الصفتين أي صفة

يأجوج ومأجوج وصفة الدجال موجودتان في الأمم الأوروبية لأن تعريف يأجوج ومأجوج المذكور في الأحاديث هو أنه لا يدان لأحد بقتالهما، والمسيح الموعود أيضا سيلجأ إلى الدعاء فقط. وهذه الصفة توجد في الحكومات الأوروبية بكل وضوح، ويصدقها القرآن الكريم أيضا كما يقول: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧) أما الدجال فقد ورد في الأحاديث أنه سيستخدم الدجل وينشر الفتنة الدينية في الدنيا. وهذه الصفة مذكورة في القرآن الكريم كصفة القساوسة المسيحيين كما يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٧).

يتبين من هذا البيان كله أن هؤلاء الثلاثة واحد في الحقيقة، لذلك علمنا في سورة الفاتحة للأبد دعاء أن نستعيد بالله من فتنة المسيحيين، ولم يقل الله تعالى أن استعيدوا من الدجال. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٥-٨٦)

كذلك نجد القرآن الكريم مليئا بأبناء كثيرة مثل نبوءة عظيمة عن سلطنة الروم والفرس. ويعود تاريخ هذا النبأ إلى زمن غلبت فيه سلطنة المجوس سلطنة الروم في حرب وسيطرت على بقعة من أرض بلادهم، فتفاهل مشركو مكة بغلبة الفُرس لصالحهم وفهموا أنه ما دامت سلطنة الفُرس تشاركنا في عبادة المخلوق سنتمكن نحن أيضا من استئصال هذا النبي الذي شريعته تشبه شريعة أهل الكتاب. فأنزل الله تعالى في القرآن الكريم نبوءة أن سلطنة الروم ستغلب في نهاية المطاف. لما كانت هذه نبوءة بغلبة الروم لذا سُميت السورة "سورة الروم". ولما فهم مشركو العرب غلبة سلطنة المجوس علامة على غلبتهم فقال الله تعالى في هذه النبوءة أن اليوم الذي يغلب الروم مرة أخرى سيغلب المسلمون أيضا على المشركين في اليوم نفسه. وهذا ما حدث فعلا. فقد وردت في القرآن الكريم آية في هذا الموضوع: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَنْصَدُقُونَ بِالْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلْنَا لَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَدَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ شَقِيظٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْإِيمَانِ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِ الْوَعْدِ وَالَّذِينَ يَرِثُنَهَا إِنَّهُمْ بِرَبِّهِمْ يَوَاسِعُونَ﴾ (سورة الروم: ٤٨) أنا الله أعلم، ستغلب سلطنة الروم في أدنى الأرض بعد ثلاث سنين إلى تسع سنين على المجوس... فحدث تماما كما ورد في

الآية وغلبت سلطنة الروم سلطنة الفُرس بعد ثلاث إلى تسع سنين. وفي الوقت نفسه غلب المسلمون المشركين، فكان يوم غزوة بدر الذي انتصر فيه المسلمون. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٢٠)

﴿الَمْ * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾. أمعنوا النظر الآن، فكم هي محيرة للعقول وجليلة الشأن هذه النبوءة! قد أنبئ بها حين كانت حالة المسلمين ضعيفة جدا بل كانوا بأنفسهم في خطر، ولم يملكوا عُدة ولا عتادا، وكان الأعداء يقولون إن هذه الشزيمة سَتُدْمَر وتباد سريعا، بل حددوا موعدا لذلك أيضا من عند أنفسهم. ولكن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ جعلها نبوءة مزدوجة، حيث أخبر الله تعالى أنه عندما يغلب الروم الفُرس سيسعد المسلمون أيضا بنيل المرام، فتحققت هذه النبوءة برمتها يوم بدر، إذ غلب الروم من ناحية، كما انتصر المسلمون من ناحية أخرى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٢)

كان الفُرس في زمن النبي ﷺ مشركين، أما قيصر الروم فكان مسيحيا ولكن كان موحدا في الحقيقة، وما كان يؤمن بالمسيح ابنا لله، وعندما عُرض عليه ما ذُكر عن المسيح في القرآن الكريم قال ما مفاده: ليست مرتبة المسيح عندي أكثر من ذلك ولو قيد ذرة. وشهادته موجودة في صحيح البخاري أنه قال ما مفاده: أشهد أن هذا هو الكلام نفسه الذي ورد في التوراة، وأن المسيح ليس أكثر من نبي. عندها نزلت الآية: ﴿الَمْ * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي سيعلب الروم قريبا (خلال ٩ سنين). يقول النصارى خبثا منهم أن النبي ﷺ كان قد قدر كلتا القوتين لذا أدلى بهذه النبوءة بفراسته.

نقول: كذلك كان المسيح أيضا يقدّر بالنظر إلى المرضى، ويشفي القابلين للشفاء. فبهذه الطريقة تفلت المعجزات كلها من اليد. ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾

أي سينال المؤمنون فرحتين، فرحة الانتصار في معركة بدر وفرحة على تحقق النبوة عن الروم. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢م، ص ١٤)

واضح لكل ذي سعة علم أن أخطاء اجتهدية عن الكشف صدرت من معظم الأنبياء ومن تلاميذهم أيضا كما حسب أبو بكر رضي الله عنه كلمة "بضع" الواردة في الآية: "سيغلبون في بضع سنين" محدودة في ثلاثة سنين. وكان ذلك خطأ تبّه إليه النبي ﷺ. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٧٧)

قال ﷺ عند ذكر نبوءات القرآن الكريم: ما أعظم النبوءة في: ﴿الْم * غُلِبَتْ الرُّومُ﴾. كان الفُرس مشركين والروم نصارى. وقد ورد في صحيح البخاري أن قيصر الروم الذي كان اسمه "هرقل" قد اعترف بعظمة الإسلام فكان موحدا. باختصار، عندما انتصر الفُرس على الروم زعم كفار مكة أنهم أيضا سيغلبون وسيكون المسلمون مغلوبون، ولكن الله تعالى أخبرهم في هذه النبوءة أن الفُرس سيغلبون مرة أخرى. زعم بعض أن هذه النبوءة تحُص محض ولكنهم لا يعرفون أنها نبوءة مزدوجة بأن الإسلام أيضا سينتصر في اليوم نفسه. فعندما انتصر المسلمون في معركة بدر غلب الفُرس في اليوم نفسه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٤)

الآية ٢٣: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

لم يوجد في العالم من وجهه إلى علم اللسان سوى القرآن الكريم، فإن هذا الكلام المقدس الذي قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الروم) .. أي من الآيات الدالة على وجود البارئ ووحدانيته ﷻ خلق السماوات والأرض واختلاف لغاتكم وألوانكم، إنها آيات عظيمة لمعرفة الله، ولكن للذين هم أهل العلم.

فانظر إلى مدى حثّ القرآن الكريم على التحقيق في الألسنة حتى عدّ هذا العمل مداراً لمعرفة الله تعالى. (من الرحمن، الخزان الروحانية المجلد ٩، ص ١٦٣-١٦٤، الحاشية)

الآية ٣١: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قد تخالج هنا قلب أحد شبهة أن الله تعالى بيّن أن جميع الناس فُطروا على الاعتقاد بالتوحيد إذ قال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣١).. أي أن القيام على التوحيد موجود في فطرة البشر التي خلُقوا عليها. وكذلك قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: ١٧٣).. أي أن كل روح قد أقرت بربوبية الله دون استثناء ولم تنكر أي منها، وهذا أيضا إشارة إلى الإقرار الفطري. وقال أيضا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)، وفي ذلك أيضا إشارة إلى أن العبادة أمر طبيعي. إذن، فما دام توحيد الله تعالى وعبادته أمرا طبيعيا لبني آدم كافة، ولم يُخلق أحد للتمرد والإلحاد، فكيف يمكن أن تُعدّ من الفطرة أمور تعارض معرفة الله وَعَلَيْكُمْ وخشيته؟

إن هذه الشبهة ناتجة عن سوء الفهم للحقيقة، لأنه لا يثبت من الآية المذكورة إلا أنه قد زُرعت في فطرة الإنسان بذرة الرجوع إلى الله تعالى والإقرار بوحدانيته. ولكن أين ورد في الآية أن تلك البذرة متساوية في كل فطرة؟ بل قد جاء التصريح في القرآن الكريم مرارا بأن تلك البذرة تصبح متفاوتة المراتب في بني آدم؛ ففي بعضهم توجد بقدر ضئيل جدا وفي بعضهم بقدر متوسط، وفي بعضهم الآخر بقدر كبير جدا، كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (فاطر: ٣٣).. أي أن بني آدم يملكون طبائع مختلفة، فمنهم ظالم وقد غلبت القوى البهيمية أو الغضبية على نور فطرتهم، ومنهم من يحتلون الدرجة الوسطى، وبعضهم سبقوا في الحسنات والرجوع إلى الله تعالى. وقال عن بعضهم الآخر: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾

(الأنعام: ٨٨).. أي أن هؤلاء المجتبن كانوا متميزين عن غيرهم من حيث قواهم الفطرية فاستحقوا الرسالة والنبوة. وقال عن بعضهم: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ (الأعراف: ١٨٠).. أي أن نور فطرتهم تضائل لدرجة لا فرق بينهم وبين الدواب إلا قليلا.

فيجب الانتباه إلى أنه مع أن الله تعالى قد قال بأن بذرة التوحيد موجودة في كل نفس، ولكنه بيّن أيضا إلى جانب ذلك في عدة أماكن أن تلك البذرة ليست على مستوى واحد في كل الناس، بل قد غلبت الأهواء النفسانية على طبائع البعض لدرجة صار نورها كالمفقود. فمن الواضح أن كون القوى البهيمية أو السبعية هي من الفطرة، لا ينافي الاعتقاد أن وحدانية الله تعالى أيضًا من الفطرة. ومهما غلبت المرء الأهواء النفسانية والنفس الأمارة، فإن نور الفطرة يظلّ فيه إلى حد ما. فالذي يسرق مثلاً أو يسفك الدم أو يرتكب الفعل الحرام بسبب غلبة القوى الشهوانية أو الغضبية عليه - وإن كان ذلك من مقتضى طبيعته - فإن نور الصلاح المودع في فطرته مقابل ذلك يُدنيه كلما صدر منه فعل غير لائق. وإلى هذا أشار الله تعالى في قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٩).. أي لقد أنزل الله تعالى على كل إنسان إلهاما يسمّى نور القلب؛ أي القوة على التمييز بين فعل الخير والشر. بمعنى أنه كلما قام السارق بسرقة أو سفك القاتل دما، فإن الله تعالى يلقي في قلبه فورا بأنه أساء العمل وما أحسن صنعا، ولكنه لا يُلقي لذلك الإلقاء بالاً، لأن نور قلبه يكون مضمحلاً جداً وعقله ضعيفاً، وتكون القوة البهيمية غالبة والنفس طالبة. فتوجد في الدنيا مثل هذه الطبائع أيضاً، إذ تثبت وجودها في المشاهدات اليومية. إن حدة نفوسهم واشتعالها الطبيعي لا يقلّ، لأنه لا يقدر أحد على محو ما خلقه الله، غير أن الله تعالى قد أوجد له علاجاً أيضاً. فما هو ذلك العلاج؟ إنه التوبة والاستغفار والندم؛ بمعنى أنه لو صدر من الناس عمل سيئ - وهو مقتضى نفوسهم - أو خطرت ببالهم فكرة سيئة نتيجة مقتضى الطبيعة ثم حاولوا تداركها بالتوبة والاستغفار، لغفر الله لهم ذلك الذنب. ثم إذا ندموا وتابوا مرارا نتيجة التعثر المتكرر،

فالتوبة والندامة تغسل تلك الشوائب. هذه هي الكفارة الحقيقية، وهي العلاج للذنب الطبيعي. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١١). إن هذه الآية الحكيمة والدقيقة المعاني تعني: أنه كما أن صدور العثار والذنب من لوازم النفوس الناقصة، فإن المغفرة والرحم صفة الله الأزلية والأبدية، لأنه هو الغفور والرحيم، أي أن مغفرته ليست سطحية أو آنية، بل هي الصفة الأزلية لذاته الأزلية التي يحبها، ويجب إفاضتها على كل إنسان ذي صفات متميزة. أي أنه كلما رجع الإنسان إلى الله تعالى عند الزلة وصدور الذنب نادما تائبا، كان جديرا عند الله بأن يرجع عليه بالرحمة والمغفرة. وإن رجوع الله إلى العبد النادم والتائب لا يقتصر على مرة أو مرتين بل هذه صفة الله الدائمة. فكلما رجع المذنب إليه ﷻ بالتوبة، تجلت له صفته هذه دائما وحتمًا. فليس من سنة الله تعالى ألا تتعثر الطبائع القابلة للعثار أو أن تتغير جذريا فطرة الذين تغلب عليهم القوى البهيمية والغضبية، بل إن من سنته الثابتة والجارية أن الناقصين الذين يرتكبون الذنب من جراء النقص فيهم فإنه تعالى يغفر لهم نتيجة توبتهم واستغفارهم. أما من كان ضعيفا بطبيعته من حيث بعض قواه، فلا يمكن أن يتقوى؛ لأن ذلك يستلزم التغيير في الخلق وهو محال بداهة. والملاحظ والمحسوس بشكل عام أن الذي يملك طبيعة سريعة الغضب لا يمكن أن يتحول إلى بطيء الغضب قط، بل يلاحظ دائما أن شخصا مثله يُظهر في مواضع الغضب أماراته عفويا على الرغم منه، ويفقد السيطرة على نفسه أو يقول ما لا يجوز قوله. ولو صبر بالكاد لاحترق قلبه كمدا على أية حال.

فمن الغباوة الظن أن شعوذة ما أو اختياره دينًا معينًا سيؤدي إلى التغيير في طبعه. لذا قال النبي المعصوم ﷺ الذي كانت الحكمة جارية على شفثيه: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام"، أي أن الذين يملكون طبائع سليمة في الجاهلية هم الذين يكونون سليمي الفطرة بعد دخولهم الإسلام أيضا. إذن، فالطبائع

الإنسانية مختلفة الأقسام والأنواع كالجواهر في المناجم؛ فمن الطبائع ما هو لاعم ونزیه مثل الفضة، وبعضها كریه الرائحة وسريع الاحتدام مثل الكبریت، بعضها مضطرب غیر مستقر مثل الزئبق وبعضها صلب وكثیف كالحديد. وكما أن الاختلاف في الطبائع بديهي الثبوت، كذلك فإنه ينسجم مع سنة الله تعالى أيضا، وليس بالأمر العشوائي، وليس بالذي يخالف قوانين نظام العالم، بل عليه تعتمد عمارة العالم وتقدمه.

والمعلوم أنه لو كانت الطبائع كلها على مستوى واحد من حيث الكفاءات، لبطل اختلاف الأمور التي تقتضي كفاءات مختلفة وتعتمد عليها عمارة الدنيا، لأن الطبائع الشديدة تتناسب مع الأعمال الشديدة، والطبائع اللطيفة تنسجم مع الأعمال اللطيفة. لقد أبدى الحكماء اليونانيون أيضا رأيهم بأنه كما يكون بعض الناس أقرب إلى الدواب، كذلك يقتضي العقل أن يملك بعضهم نفوسا تبلغ كمال الصفوة واللطفة، فكما تلاحظ سلسلة الطبائع الإنسانية متردية إلى الأسفل لدرجة تتصل بالدواب كذلك يجب أن ترتقي إلى الأعلى بحيث تتصل بالعالم الأعلى.

فلما ثبت أن للناس مراتب متفاوتة من حيث العقل والقوى الأخلاقية ونور القلب، ثبت بذلك أن الوحي الإلهي يختص ببعض الأفراد منهم.. أي الكاملين منهم من كل الوجوه؛ لأنه من الواضح لكل عاقل أن كل نفس تستقبل الأنوار الإلهية بحسب كفاءتها ومقدرتها وليس أكثر من ذلك. إن مثال الشمس واضح جلي لفهم هذا الأمر؛ فمع أن الشمس تنشر أشعتها في كل جانب، ولكن لا يستقبل كل بيت ضوءها بالمستوى نفسه. فالبيت الذي بابه مغلق لن يدخله الضوء. والبيت الذي فيه نافذة صغيرة تقابل الشمس سيدخله قليل من الضوء، ولكنه لا يزيل الظلمة كليا. أما البيت الذي أبوابه مفتوحة كلها أمام الشمس وليست جدرانها مصنوعة من مادة كثيفة بل من زجاج شفاف وجلي تماما، فلن

يستقبل الضوء بصورة كاملة فحسب، بل سينشره أيضا في كل جانب ويوصله إلى غيره. هذا المثل ينطبق على نفوس الأنبياء النقية المذكورة آنفا. أي أن النفوس المقدسة التي يصطفها الله تعالى لرسالته تكون من حيث رفع الحُجُب والصفاء الكامل كقصر من زجاج لا كثافة فيه ولا حجاب. فمن الواضح أن الذين لا يحظون بهذا الكمال التام لا يمكن أن ينالوا مرتبة النبوة من الله تعالى. بل وُهبَت هذه المرتبة من قبل القَسَام الأزلي لذوي النفوس المقدسة البريئة تماما من الحُجُب المظلمة، والمنزّهة حقًا من الأغشية المادية، والذين بلغت قداستهم ونزاهتهم درجة لا يُصوّر أكثر منها. فإن تلك النفوس التامة والكاملة تكون وسيلة لهداية جميع المخلوقات. وكما أن فيض الحياة يصل إلى جميع الأعضاء بواسطة القلب، كذلك قد قدّر الله تعالى الحكيم أن يصل فيض الهداية بواسطة هؤلاء الكُمل، لأنهم وحدهم قد زُوّدوا دون غيرهم بالعلاقة الكاملة التي يجب أن تتحقق في المفيض والمستفيض. ولا يمكن بحال من الأحوال أن يُفيض الله -الأحد والمنزّه- بأنوار وحيه المقدس على أناس معظم أجزاء دائرة فطرتهم مظلمة وضبابية وضيقة جدا ومنقبضة، وطبائعهم الخسيسة منغمسة في التكدرات السّفلية. ولو لم نخدع أنفسنا بأنفسنا، لما وسعنا إلا أن نعترف بأن تحقيق الاتصال الكامل بالذات الأزلية ومكاملة ذلك القدوس الأعظم ﷺ، يُشترط الكفاءة الخاصة والنورانية التي تليق بتلك المرتبة العظيمة وشأنها. وليس صحيحا مطلقا أن كل من كان في حالة النقصان والفقر والتورط في الشوائب، وكان محجوبا بمئات الحُجُب المظلمة يمكنه أن ينال هذه المرتبة مع قصور طبيعته وفتور همته. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ١٨٤ - ١٩٠، الحاشية)

﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾، أي إنه منقول في صحيفة الفطرة أي إن يقينه محفور في الفطرة، كما يقول: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٠)

لقد خلق الله الإنسان على الإسلام، ومن أجل الإسلام، بمعنى أنه قد أراد أن ينهكم الإنسان بجميع قواه في عبادة ربه وطاعته ومحبته، ولأجل ذلك قد وهب له ذلك القادر الكريم جميع هذه القوى بصورة ثلاثم مقتضيات الإسلام... كل ما أُوتيه الإنسان من أعضاء وملكات، ظاهرًا وباطنًا، إنما الهدف الحقيقي منه هو معرفة الله وعبادته ومحبته. لذلك نجد أن الإنسان - مهما انشغل بشتى الملذات المادية - إلا أنه لا يجد سعادته الحقيقية إلا في الله تعالى. فمهما كان غنيًا ثريًا، أو صاحب منصب رفيع، أو تاجرًا كبيرًا، أو ملكًا عظيمًا، أو فيلسوفًا شهيرًا؛ فإنه لا محالة يغادر كل هذه المشاغل الدنيوية بحسرات كبيرة في آخر المطاف. ولا يزال قلبه يؤنبه دوماً على انهماكه في هو الدنيا وملذاتها، ولا يوافق ضميره أبداً على ما يأتي من صنوف المكر والخداع والمحرمات.

ويمكن للعاقل أن يفهم هذا الأمر أيضاً بطريق آخر، وهو أن غاية خلق كل مخلوق هي القيام بأفضل فعل يستطيع القيام به بأقصى جهده، وتعجز قواه عن أن تزيد عليه. خذوا الثور مثلاً، فإن أقصى ما يقدر على عمله هو الحراثة والسقاية والحمل، ولا نعلم أكثر من هذه الفوائد من قواه. لذلك فهذه الأعمال الثلاثة هي غاية خلقه، ولا توجد فيه غير هذه القوى.

وأما إذا بحثنا في ملكات الإنسان لنعرف أعظم ملكة فيه تأكد لنا أنها البحث الدائم عن الإله العلي حتى أنه ليود أن يذوب في محبة الله وينمحي فلا يبقى له من نفسه شيء، بل يصير كله لله تعالى. إن الحيوانات تشارك الإنسان إلى حد كبير في الأكل والنوم وغيرهما من العادات الطبعية، بل إن بعض الحيوانات تسبق الإنسان كثيراً في مجال الصنعة البديعة، فهذا النحل تصنع من رحيق الزهر عسلاً نفيساً، لم ينجح الإنسان في صنع مثله حتى اليوم. يتبيّن من ذلك أن ذروة كمال الإنسان هو الوصال بالله تعالى، لذلك فإن الغاية الحقيقية لحياته أن تظل نافذة قلبه مفتوحة تجاه الله. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٥-٤١٦)

"وأما الرجل الحمدي فقد أمر له أن يتبع الشريعة الفطرية كما يتبع الشريعة القانونية، ولا يَقْطَعُ أمراً إلا بعد شهادة الشريعة الفطرية، ولذلك سُمِّيَ الإسلام دينَ الفطرة للزوم الفطرة لهذه الملة، وإليه أشار نبينا ﷺ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَلَوْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ". فانظر كيف رَغَّبَ في الشريعة الفطرية ولم يَقْنَعِ على ما قال العالمون. فالمسلم الكامل من يتبع الشريعتين، وينظر بالعينين، فيُهدى إلى الصراط ولا يخذعه الخادعون. ولذلك ذكر الله في محامد الإسلام أنه شريعة فطرية حيث قال ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وهذا من أعظم فضائل هذه الملة ومناقب تلك الشريعة، فإنه يوجد في هذا التعليم مدار الأمر على القوة القدسية القاضية الموجودة في النشأة الإنسانية الموصلة إلى كمال تام في مراتب المَحْوِيَّة، فلا يبقى معها مَنَقَذٌ للتصرفات النفسانية، لما فيه عملٌ على الشهادة الفطرية. وأما التوراة والإنجيل فيتركبان الإنسان إلى حدٍّ هو أبعدُ من الشهادة الفطرية القدسية، وأقربُ إلى دُخُلِ إفراطِ القوة الغضبيَّة، أو تفريطِ القوة الواهمة، حتى يمكن أن يُسَمَّى المنتقم في بعض المواضع ذنباً مؤذياً عند العقلاء، أو يُسَمَّى الذي عفا في غير محلِّه وأغضى -مثلاً- عند رؤية فسقِ أهله- دَيُّوثاً وقيحاً عند أهل الغيرة والحياء. ولذلك ترى في بعض المواضع رجلاً سرَّه تعليمُ العفو يتركُ حقيقةَ العفو والرحمة، ويجاوز حدود الغيرة الإنسانية. فإن العفو في كل محلٍّ ليس بمحمود عند العاقلين، وكذلك الانتقام في كل مقام ليس بخير عند المتدبرين. فلا شك أنه مَنْ أوجب العفو على نفسه في كل مقام بمتابعة الإنجيل فقد وَضَعَ الإحسان في غير محلِّه في بعض الحالات، وَمَنْ أوجب الانتقام على نفسه في كل مقام بمتابعة التوراة فقد وَضَعَ القصاص في غير محلِّه وانحطَّ من مدارج الحسنات. وأما القرآن فقد رَغَّبَ في مثل هذه المواضع إلى شهادة الشريعة الفطرية التي تنبع من عين القوة القدسية، وتنزل من روح الأمين في جَذْرِ القلوب الصافية، وقال ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤١). فانظر إلى هذه الدقيقة الروحانية، فإنه أمرٌ بالعفو عن الجريمة بشرط أن يتحقق فيه إصلاحُ

لنفس، وإلا فجزاء السيئة بالسيئة. ولما كان القرآن خاتم الكتب وأكملها وأحسن الصحف وأجملها، وضع أساس التعليم على منتهى معراج الكمال، وجعل الشريعة الفطرية زوجًا للشريعة القانونية في كل الأحوال، ليعصم الناس من الضلال، وأراد أن يجعل الإنسان كالميت لا يتحرك إلى اليمين ولا إلى الشمال، ولا يقدر على عفو ولا على انتقام إلا بحكم المصلحة من الله ذي الجلال. " (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣١٥-٣١٦)

من وسائل العلم الوجدان الإنساني الذي سمي في كتاب الله باسم الفطرة الإنسانية. حيث يقول الله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي أن الناس مخلوقون على فطرة الله تعالى. فما هو ذاك الطابع الفطري يا ثري؟ إنما هو الاعتقاد بأن الله واحد، لا شريك له، وأنه خالق الكل، ومنزه عن الولادة والموت.

وإننا نعدُّ حكم الوجدان بمنزلة علم اليقين؛ لأنه - وإن كان لا يبدو في ظاهره الانتقال من علم إلى آخر كانتقال العلم بالدخان إلى العلم بوجود النار - إلا أنه في الحقيقة لا يخلو أيضًا من انتقال دقيق على نحو ما. وبيان ذلك أن الله قد أودع كل شيء خاصيةً مجهولة، لا يمكن أن يحيط بها الوصف والبيان، ولكن إذا نظر الإنسان إلى شيء أو تصوره انتقل الذهن فورًا إلى تلك الخاصية الموجودة فيه لما بينهما من تلازم شديد فتلك الخاصية تستلزم ذلك الشيء كما تستلزم النار الدخان. فمثلاً عندما نتدبر في ذات الله تعالى، ونفكر كيف يجب أن يكون؛ أينبغي أن يكون مولودًا كمثلنا، ويقاسي الآلام كمثلنا، ويموت كما نموت؟ فما أن يخطر هذا التصور عن الله تعالى ببالنا إلا وتتألم منه قلوبنا امتعاضًا، ويشمئز منه الوجدان ويثور عليه وكأنه يدفع هذا التصور بشدة وينادي قائلاً: إن الإله الذي تتوقف جميع آمالنا على قدراته، يجب أن يكون منزها عن العيوب والنقائص كلها، وكاملاً وقوياً. ما إن تمر بخاطرنا فكرة الإله إلا نشعر بوجود تلازم كامل بين الله ووحدانيته تلازم النار والدخان أو أشد منه. وهكذا فإن العلم الحاصل لنا بطريق الوجدان يدخل أيضاً في عداد علم اليقين.

غير أن هناك درجةً أخرى من العرفان أعلى من هذه تسمى عين اليقين. والمراد به هو اليقين الذي لا يُبقي بيننا وبين الشيء الذي نوقن به أي واسطة. ومثال ذلك ما نشمه من رائحة زكية أو كريهة بحاسة الشم، أو ما ندوقه من الحلو أو المالح بحاسة الذوق، أو ما نحسه من الحرارة أو البرودة بالחס، فكل هذه المعلومات هي من قبيل عين اليقين.

وعلمنا بغيبات العالم الأخروي لا يبلغ درجة عين اليقين إلا إذا تشرفنا بالوحي مباشرة بلا واسطة وسمعنا كلام الله بآذاننا وشاهدنا الكشوف الإلهية الواضحة الصحيحة بأم أعيننا. إننا، ولا ريب، بحاجة إلى الوحي الرباني المباشر حتى نكتسب العرفان الكامل. وفعلاً نجد في أنفسنا ظمأً وجوعاً لهذا العرفان الكامل. فلو لم يكن الله قد هياً لهذه المعرفة أسبابها من قبل، لما كان سبحانه قد أوجد فينا جوعاً وظمأً لها. هل يكفيننا في حياتنا هذه -التي هي المقياس الوحيد لذخيرتنا الأخروية- بأن نؤمن بذلك الإله الحق الكامل القادر الحي إيماناً لا يتجاوز القصص والحكايات فقط؟ أو أن نكتفي بمجرد المعرفة العقلية التي لم تزل حتى الآن معرفة ناقصة غير كاملة؟ أولاً يودّ العاشقون الصادقون الذين تملّك حُبُّ الله قلوبهم أن يتمتعوا بكلام ذلك الحبيب؟ هل يمكن لأولئك الذين زهدوا في دنياهم كلها، وضحّوا بنفوسهم، وفدّوا بقلوبهم أن يقنعوا بالموت واقفين تحت بصيص ضوء خافت، ولا يتمكنوا من رؤية طلعة شمس الحق تلك؟ أوليس حقاً أن نداء ذلك الإله الحي: "أنا الموجود" يمنح درجة سامية من العرفان، بحيث لو وضعنا نداء "أنا الموجود" في كفة ووضعنا في كفة أخرى ما ألفه فلاسفة الدنيا كلهم في كتبهم من عند أنفسهم، لم يبق لكتبهم وزن ولا قيمة أمام ذلك النداء؟ ماذا عسى أن يعلمنا هؤلاء الذين لم يزالوا عمياناً وإن كانوا يُسمون فلاسفة؟

إذن فما دام الله قد أراد أن يهب لطلاب الحق العرفان الكامل، فلا بد أن يكون وَبِاللَّهِ قد ترك لهم باب المكالمة والمخاطبة مفتوحاً أيضاً.

قال الله جل شأنه في القرآن الكريم في هذا الشأن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٤-٤٣٧)

إن عطش الروح من أجل الله الواحد الذي لا شريك له، وعدم نيلها السعادة الحقيقية بأي شيء دون وصاله وَجَلَّ إنما هو من فطرة الإنسان، أي قد وضع الله تعالى في روح الإنسان أمنية أنها لا تطمئن ولا تهدأ إلا بوصال الله تعالى. إذا كانت هذه الأمنية موجودة في روح الإنسان فلا بد من الاعتراف بأن الله تعالى هو خالقها الذي أودعها هذه الأمنية، ولكن هذه الأمنية موجودة في الروح أصلاً. فثبت من ذلك أن الله هو الذي خلق روح الإنسان في الحقيقة. ومن الواضح تماماً أنه كلما كانت العلاقة الذاتية بين الشيئين متينة، تقوى الحب بينهما بسبب هذه العلاقة، فكما تحب الأم ولدها كذلك يحب الولد أمه لأنه وُلد من دمها وترى في رحمها. فإن لم تكن للأرواح علاقة الخلق مع الله تعالى وكانت أزلية وجاءت من تلقائها فلا يُعقل أن يكون حب الله تعالى في فطرتها. ولولا حب الإله في فطرتها لما حازت النجاة بأية طريقة. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٤)

إن الآية: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ تعني أن الإسلام دين الفطرة. والدين الذي تقتضيه فطرة الإنسان هو الإسلام، وهذا يعني أنه لا تَصْنَعُ في الإسلام، بل مبادئه كلها تطابق فطرة الإنسان وليست غير معقولة مثل التثليث والكفارة. يعترف المسيحيون بأنفسهم أنه حيثما لم تبلغ فكرة التثليث إلى الناس سوف يُسألون عن التوحيد، لأن التوحيد هو الذي يوافق الفطرة. لولا القرآن أيضاً لقبلت فطرة الإنسان التوحيد فقط لأنه يطابق الشريعة الباطنية. كذلك إن تعليم الإسلام كله يطابق الشريعة الباطنية على النقيض من تعليم المسيحيين الذي يعارضها. لقد سُئِلَ في أميركا مؤخراً قانون الطلاق على عكس تعليم الإنجيل. لماذا ظهرت هذه المشكلة للعيان؟ لأن تعليم الإنجيل لا ينسجم مع الفطرة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠٠١/١١/٢٠١٩م، ص ٦)

الفطر يعني الشق، فالمراد من فطرة الإنسان أن الإنسان قد فُطر بوجه خاص، فحين تنزل القوة من السماء تتفطر القوى الحسنة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

الآية ٣٢: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

لقد ورد في تفسير حسيني تحت الآية: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ما مفاده: نُقل عن المولوي محمد بن أسلم الطوسي في كتاب: "التيسير" أنه بلغه حديث قال النبي ﷺ فيه: كل ما تروونه عني اعرضوه على كتاب الله أولاً. فإذا كان متوافقاً مع القرآن الكريم فهو مني وإلا فلا. فأردت أن أوفق الحديث: "من ترك الصلاة متمعدا فقد كفر" مع القرآن، وظللت أفكر في ذلك إلى ثلاثين عاماً حتى وجدتُ آية: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٥٥)

لقد عدَّ القرآنُ بنفسه الأحاديثَ خادمة له ومفسرة له. لقد بين الله تعالى بعض الأحكام في القرآن بحيث لا يفهمها المخاطب بالقرآن دون أن يفصلها صاحب الحديث ﷺ، ولا يمكن اعتبارها دستوراً للعمل. فخذ الصلاة مثلاً، فقد ورد عنها في القرآن: "أقيموا الصلاة" ولم يُذكر تفصيل إقامتها. ثم بيّن صاحب الحديث ﷺ (بأبي هو وأمي) بشهادة قوله وفعله كيفية أدائها، وعندها فهم حكم القرآن وعمل به. (الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٥٥)

الآية ٤١: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

لقد بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة سنته المستمرة في أن حياة الإنسان تتسم بأربع مراحل فقط. فإنه يُخلق في المرحلة الأولى، ثم ينال رزقه المقسوم الروحاني والمادي من أجل التكميل والتربية، ثم توافيه المنية، ثم يُحيى. والمعلوم أنه لا توجد في هذه

الآيات كلمة تفيد استثناءً ليُخرجَ المسيح ﷺ بناءً عليها من نطاق هذه الأحداث، مع أن القرآن الكريم يلتزم دائما من بدايته إلى نهايته بمبدأ أنه إذا كان هناك أحد جديرا بالاستثناء عند ذكر سلسلة أحداث معينة، فيستثنيه فورا أو يذكر أحداثا تخصه منفصلة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٤)

الآية ٤٢: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

أي جاء ذلك الرسول حين ساد الأرض كلها ظلام وضلال، وفسد الناس جميعا بمن فيهم الأميون وأهل الكتاب وأهل العلم، ولم يعد أحد منهم قائما على الحق. ولقد ساد هذا الفساد كله لأن الإخلاص والصدق قد تلاشى من قلوب الناس، ولم تعد أعمالهم لوجه الله بل وقع فيها خلل كبير، فتوجهوا إلى الدنيا ولم يعودوا متجهين إلى الحق فانقطعت عنهم نصره الله، فأرسل الله رسوله ليتم حجته عليهم وليذيقهم وبال بعض أعمالهم لعلهم يرجعون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٣٣-٦٣٤)

كان النبي ﷺ قد أعلن أنه بُعث إلى جميع الأمم وقد أقام القرآن الكريم الحجة على جميع الأمم أنها متورطة في أنواع الشرك والفسق والفجور فيقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي فسدت البحار والبراري أيضا. (نور القرآن، رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٣٦)

لقد بُعث سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زمن كان العالم فيه قد فسد وخرب من كل الوجوه كما يصفه الله تعالى بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. وفساد البر والبحر يشير إلى أن الفساد قد عم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم المحرومة من ماء الوحي. وعليه فإن هدف القرآن المجيد في الحقيقة هو إحياء الموتى. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٨)

ولسوف يقبل كل عقل سليم أن مرحلة كمال الإصلاح تأتي بعد كمال الفساد. إذ لا يليق بالطبيب أن يعطي الأصحاء والمعافين أدوية يجب إعطاؤها عند شدة المرض. لذلك فقد قال الله تعالى في القرآن أولا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي قد انتشر الفساد في العالم كله، وطغى طوفان كل أنواع الذنوب والمعاصي. ثم أعطى ﷺ تعاليم كاملة عن كافة أنواع سوء الاعتقاد وسوء العمل وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤) ولكن كيف كان ممكنا أن يُعطى الناس كتابا كاملا في الزمن الابتدائي حين لم يكن طوفان الضلال هائجا؟ (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٧-١٤٨)

يقول القسيس "فندل"، وهو مسيحي إنجليزي أوروبي متعصب جدا للمسيحية في كتابه "ميزان الحق" بأن المسيحيين كانوا الأكثر فسادا من كل الطوائف الدينية في زمن النبي ﷺ. وكانت تصرفات المسيحيين البذيئة مصدرا للخزي والعار للديانة المسيحية. والقرآن الكريم يقدم الآية: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تأكيدا على ضرورة نزوله. معنى هذه الآية أنه ما من قوم يخلو من الفساد سواء أكانت حالته تنم عن الهمجية أو ادّعى العقل والتحضر. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٦٢)

هذه الأمة المرحومة قد ظهرت في زمن تظهر فيه الآفات بكثرة، ويسارع الناس إلى الذنوب والمعاصي سرعة الحجر المتدحرج إلى الأسفل. لقد سميت هذه الأمة بالمرحومة لأن المعاصي كثرت في عهدها، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. وقال أيضا: ﴿يُجْهِى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الحديد: ١٨). ويتبين بالإمعان في هاتين الآيتين أن الله تعالى قد رسم فيهما صورتين، ففي الآية الأولى رَسَمَ صورةَ العصر الذي وُلد فيه نبينا الأكرم ﷺ، فلأن حالة الدنيا في ذلك العصر اقتضت الرحمة جدا، إذ كانت الأخلاق والأعمال والمعتقدات قد صارت معدومة عندها، فسُميت هذه الأمة مرحومةً لأن وضع الدنيا كان يقتضي رحمة الله بشدة، ومن أجل

ذلك قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨).

(تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٦-١٤٧)

الزمن الذي نزل فيه القرآن أن ينزل كلام الله تعالى وأن يأتي رجل سماوي ليعيد هذا المتاع المفقود؟ اقرأوا تاريخ زمن بعثة رسول الله ﷺ وستعلمون كيف كانت حالة الدنيا آنذاك. كانت عبادة الله قد تلاشت من العالم، وكانت آثار التوحيد قد اندرست، وحلت عبادة الباطل والآلهة الباطلة محل عبادة الله جلّ شأنه. كانت غشاوة الجهل والظلام الخطيرة محيطة بالعالم كله، ولم يكن على وجه الأرض بلد أو مصر أو بقعة يُعبد فيها الله الواحد الحي القيوم. كانت الأمة النصرانية العابدة للأموات واقعةً في دوامة التثليث، وكان سكان الهند الذين يدعون بغير حق وجود تعاليم التوحيد في الفيدا يعبدون ثلاثمائة وثلاثين مليون إله زائف. والحالة التي رسمها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ كانت سائدة عندها حقاً وصدقاً، بحيث لا يقدر لسان إنسان أو قلمه التعبير عن تلك الأوضاع بأفضل من ذلك. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠١م، ص ٣)

في عصر رسولنا ﷺ كان الناس عندها قد فسدوا من حيث العقائد والأعمال كلية، وليس العرب فحسب بل كان العالم كله قد عمّه الفساد، كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. وعند ظهور هذا الفساد العظيم أرسل الله تعالى عبده الكامل المقدس مأموراً من عنده، فحصل على يده انقلاب عجيب في فترة وجيزة، فعبد الله وحده بدلاً من عبادة المخلوق، وحلت الأعمال الصالحة مكان السيئات. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠١م، ص ٥)

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ علماً أن المراد من ﴿الْبَحْرِ﴾ هنا الذين أعطوا الماء، أي الشريعة وكتاب الله، والمراد من ﴿الْبَرِّ﴾ الذين لم يُعطوا نصيباً منهما. فالمعنى أن أهل الكتاب والمشرّكين كلهم كانوا قد فسدوا. باختصار، كانت الظلمة في زمنه ﷺ مخيمة على العالم أجمع. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

الذي يتقي الله فهو معنا سواء أسمع دعوتي أم لم يسمع بها لأن هذا هو الهدف من بعثتي. لقد تلاشت التقوى في هذه الأيام أو ندر وجودها. لم يعد الإخلاص قائما في أي عمل بل شابته الشوائب. يريد الله أن تحرقوا الشوائب وتتحلوا بالإخلاص. إن نموذج ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ سائد حاليا. حالة أوروبا والبلاد الأخرى الفاسدة لم تكن معروفة في زمن رسول الله ﷺ كان الإيمان بوحى الله موجودا، أما الآن فقد نشأت حالة العرفان، فليذهب من يشاء إلى تلك البلاد وينظر. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٣م، ص ١٠-١١)

يحتاج الناس الآن ماء روحانيا. ماتت الأرض تماما وحلّ زمن: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي ما الذي حدث إذ فسدت البراري والبحار. المراد من البر المشركون ومن البحر أهل الكتاب. وقد يكون المراد منه الجهال والعلماء أيضا. باختصار، تطرق الفساد إلى كل فئة من الناس. من أية زاوية نظرتم رأيتم حالة العالم متغيرة. لم تبق الروحانية ولا تتراءى تأثيراتها، وكل صغير وكبير مصاب بالضعف الأخلاقي والعملية. قد انمحت آثار عبادة الله ومعرفته. لذا من الضروري في هذه الظروف أن ينزل الماء السماوي ونور النبوة لينير القلوب السليمة. أشكروا الله على أنه تعالى قد أنزل بمحض فضله هذا النور في هذا الوقت ولكن قليل ما هم الذين يستفيدون منه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٢)

إن بعثة النبي ﷺ إلى العالم ومغادرته العالم برهان ساطع على صدق نبوته، فقد جاء حين كان الزمن مصداق قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وكان العالم بحاجة إلى نبي، فالبعثة عند الضرورة أيضا دليل على صدق المبعوث. ثم عاد ﷺ من هذا العالم حين تلقى نداء ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ٢)، فقد أخبرنا الله ﷻ في هذه الآية بأي فتح عظيم ودّع ﷺ هذا العالم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣م، ص ١٠)

لقد بُعث النبي ﷺ حين كان الدهر مصداقاً لـ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، ورحل حين نال شهادة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ٢). (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٤/٩/١٩٠٣ م، ص ٢٥٧)

كان الصحابة كلهم أهل الله وعاقلين، ولكن النبي ﷺ كان أكثرهم إخلاصاً ووفاء لدرجة لا يمكن لأحد أن يتصورها. لذلك أرى فلاة فيها الأفاعي والضواري والأشواك والسباع والحيوانات في صورة أناس. وقد سُلِّم إليه ﷺ بلد لم يكن في العالم أكثر شراً من أهله، وبُعث في زمن حين كان الناس كلهم كالأموات وبؤرةً للفساد، حيث قال ﷺ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وتوفي حين قال الله عنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤) وقال أيضاً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ٢). (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤ م، ص ٨)

أعلم يقيناً أنه لم يشارك النبي ﷺ أحدٌ في سعادته المثبتة؛ فلم يحظ أحد بهذا القدر من النجاح والسعادة في أمور الرسالة. لقد بُعث ﷺ في وقت قال الله عنه بنفسه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي لم يكن في البر أمان ولا في البحر. المراد من ذلك أن أهل الكتاب وغيرهم كانوا قد فسدوا كلهم، وتطرفت إليهم المفاسد والمثالب بكل أنواعها. فكانت حالة الزمن تقتضي بطبيعتها أن يُبعث فيه هادٍ ومصلح عظيم. فبعثه الله تعالى في ذلك الوقت بعينه. ثم رحل ﷺ من الدنيا حين سمع نداء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤) ولم يسمع أيّ نبي غيره هذا النداء. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/١٢/١٩٠٥ م، ص ٣)

هناك نقطة عنه ﷺ تزيد عظمتة أكثر، وهي أنه بُعث في زمن كان مصداقاً: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي فسد أهل الكتاب وغيرهم أيضاً، وهذا ثابت بشهادة الأعداء أيضاً. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٦ م، ص ٤)

انظروا أيضا أن النبي ﷺ بُعث حين كان الفسق والفجور والشرك والوثنية قد بلغت منتهاها. وكان مشهد ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ملحوظا. ثم رحل ﷺ من الدنيا حين شاهد مشهد: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: ٣) أمام عينه. هذا ما لا يوجد نظيره في العالم كله. والكمال هو أنه ﷺ قد أنجز ما جاء من أجله. أما عيسى ﷺ فقد واجه الصليب ولم يتخلص من اليهود. ولكن نبينا ﷺ أبدى، بعد كونه غالبا، أخلاقا لا نظير لها. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٦)

القرآن الكريم كتاب طاهر جاء إلى العالم في زمن كانت تسوده المفساد العظيمة، وكانت الأخطاء الكثيرة رائجة في المعتقدات والأعمال، وكان الناس كلهم تقريبا متورطين في الأعمال السيئة والمعتقدات الفاسدة، وإلى ذلك أشار الله ﷻ في قوله في القرآن الكريم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، أي كان الناس كلهم - سواء أكانوا من أهل الكتاب أو غيرهم - متورطين في المعتقدات الفاسدة، وكان الفساد العظيم يسود العالم. باختصار، قد أنزل الله ﷻ في مثل هذا الزمن كتابا كاملا هو القرآن الكريم، وذلك لدحض المعتقدات الباطلة وهدايتنا، وهو يضم الرد على جميع الأديان الباطلة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد ٢/١/١٩٠٨م، ص ٥)

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، المراد من ذلك أنه قد فسد القوم الذين أعطوا الكتاب السماوي وكذلك فسد الذين لم يكن لديهم كتاب سماوي وكانوا كالكفر اليابس. هذا هو الأمر الحق الذي يشهد به تاريخ كل بلد. هل يسع المؤرخين العقلاء في الهند أن ينكروا أن زمن ظهور النبي ﷺ كان كذلك في الحقيقة؟ ونالت أماكن عبادة الأوثان تقديرا وكأن هذا هو دين الفيدات الحقيقي. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٧٩-٣٨٠)

الآية ٤٨: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَأَتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾

... إن سنة الله الجارية منذ القدم هي أنه لا يخذل أنبياءه الصادقين، ولا يتفرق شمل جماعتهم بل هم يُنصرون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥١، الحاشية رقم ١١)

أي قد وعدنا المؤمنين بالنصرة والعون منذ البداية لذا نفرض على أنفسنا أن ننصرهم، وإلا لا يمكن لغيره أن يفرض عليه حقا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٤-٣٥)

الآية ٤٩-٥١: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

الله تعالى كريم ورحيم وهو الذي يرسل الرياح عند الضرورة فتثير سحابا... ويجعله متراكما... ثم يأخذ الله بيد عباده أي ينزل عليهم غيثا بعد ما كانوا مبلسين من نزوله... لا شك أنه هو الإله الذي من سنته أنه عندما يموت الناس روحانيا، وتبلغ القسوة ذروتها يحييهم أيضا وهو على كل شيء قدير. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٧-٥٢٩)

الآية: ٥٥: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

هذه الآية أيضا تدل بصراحة متناهية على أنه ما من بشر يخرج عن قانون الطبيعة، بل إن للدهر قانونا يحيط بكل المخلوقات، فيؤثر في عمر الإنسان حتى

يصير نتيجة هذا التأثير شيخا فانيا ثم يموت. (إزالة الأوهام الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٩-٤٣٠)

هذه الآية تنطبق على جميع الناس حتى الأنبياء عليهم السلام، ولا يخرج عن نطاقها حتى نبينا الأكرم عليه السلام الذي هو سيد الأنبياء، بل بدت عليه أيضا أمارات الشيخوخة، وابتضّ بعض شعر لحيته المباركة. وكان يشعر في الفترة الأخيرة من حياته بآثار الضعف الناتج عن الشيخوخة، ولكن عيسى عليه السلام يخرج عن نطاق هذا المبدأ بحسب قول معارضينا، إذ يقولون بأن هذه مزية خاصة به وهي تفوق العادة وتشكّل دليلا على ألوهيته. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٩٥)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "لقمان"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١٤: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

الشرك ثلاثة أقسام، الأول عبادة الأوثان أو الأشجار وأشياء أخرى بوجه عام. هذا القسم شائع ومعروف. والقسم الثاني هو الثقة بالأسباب أكثر من اللازم، كأن يقول المرء: لو لم يتم أمر كذا وكذا لهلكْتُ، هذا أيضا شرك. والقسم الثالث هو أن يحسب المرء نفسه شيئا يُذكر مقابل الله تعالى. فيما يتعلق بالشرك الشائع بوجه عام فلا يرتكبه أحد في الزمن الراهن، زمن التنوير والعقلانية. أما الشرك في الأسباب فقد تفاقم كثيرا في زمن التقدم المادي هذا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد

الإيمان بأن أحدا غير الله أيضا معبود وقادر فلن يُغْتَفَر. فليس المراد من الشرك في قوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، عبادة الأوثان وغيرها بل من الشرك أن تُعبد الوسائل والأسباب أيضا، وأن يركز المرء على معبودات الدنيا، فهذا ما يسمى الشرك. إن مثل المعاصي الأخرى كمثّل النرجيلة التي لا يجد المرء أي صعوبة في التخلي عنها. أما الشرك فمثله كمثّل الأفيون الذي ما إن أدمنه المرء تعذر تركه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٤، عدد ٣٠٤/٦/١٩٠٣م، ص ١١)

اعلم أن للشرك عدة أنواع أحدها شرك جليّ، والآخر شرك خفي. مثل الشرك الجلي بوجه عام هو كما يحسب الوثنيون الأوثان والأشجار وأشياء أخرى آلهة. والشرك الخفي هو أن يعظم المرء أحدا أو شيئا كما يعظم الله أو كما يجب أن يعظمه، أو أن يحب أحدا أو شيئا كحب الله أو يخافه أو يتوكل عليه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٧)

الآية ١٦: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الآية ١٩: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

الإسلام دين واسع ويجعل مدار الأعمال على النيات. لقد ورد أن شخصا خرج إلى الميدان يوم بدر وكان يمشى مرحا، فقال النبي ﷺ: إن هذه المشية سيئة جدا لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ولكن الله تعالى يحبها الآن لأن صاحبها مُقدم على التضحية بنفسه في سبيله ونيته حسنة جدا. باختصار لو لم يراع المرء النية واجه مشاكل جمّة. كذلك قال النبي ﷺ ذات مرة ما مفاده: المسبلون إزارهم يدخلون النار. فبكى أبو بكر رضي الله عنه بسماع ذلك لأن إزاره كان كذلك. فقال

ﷺ: لست منهم. فللنية دخل كبير في كل عمل. إن مراعاة المحل والمناسبة ضروري جدا. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٧، عدد ١٩٠٤/٥/٢٤ م، ص ٣)

الآية ٢٠: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

إن ما ندعو إليه ونقصده هو ألا تجعلوا عقولكم وأفكاركم تتخبط أमلا في اكتشاف الأمور التي لا تقدر على عليها والتعمق فيها. أليس من الحق أن هناك كثيرين يخرجون بأفكارهم غير الشرعية من حدودهم المحددة وسعتهم المعينة التي وهبها لهم القدرة الإلهية؟ وهم بذلك يريدون بعقولهم المحدودة حل جميع الأسرار العميقة للكون. فهذا هو الإفراط. كما أن الإعراض نهائيا عن التحقيق والتفتيش هو التفريط. يقول الله ﷻ: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، أي اتخذ التوسط في سلوكك، إذ ينبغي أن لا تجمدوا التفكير فتكونوا محرومين من آلاف النكات واللطائف الإلهية التي تجدر بالاكشاف، كما لا ينبغي التنشط لدرجة أن يشغل بالكم التفكير في من خلق الله أو كيف خلق هذا الكم الهائل من الأرواح والأجسام أو كيف تمكّن من صنع هذا العالم الهائل وحده؟ (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٦٦-١٦٧)

لقد استنبط النبي ﷺ نفسه المسائل الإضافية بوحى من الله مستنبطاً الأحكام القرآنية من القرآن نفسه وما دام القرآن الكريم قد حرّم الخبائث كلها بوضوح تام، فهل ترى السباع والحُمير من الطيبات حتى تكون هناك حاجة إلى حديث بوجه خاص لتحريمها. لقد استنكر الله جلّ شأنه الحُمير قائلا: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحُمِيرِ﴾. فكيف يصبح المنكر والمكروه والذي من الخبائث في نظر الله حلالاً؟ والمعلوم أن من السباع كلها تفوح منها رائحة كريهة. اذهب مثلاً إلى حديقة الحيوانات ترى كم تفوح من الأسود والذئاب والتمور رائحة كريهة حتى يتعذر على

المرء أن يقف بقربها. فماذا عسى أن تكون هذه الدواب إن لم تكن من الخبائث؟
(الحق، مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٠٦)

أي الزم الوسط في سيرك، فلا تبالغ في السرعة أو البطء إلا عند الضرورة، والزم الاعتدال في صوتك فلا ترفعه كثيرا ولا تخفضه كثيرا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧)

الآية ٣٥: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

"يعلم ما في الأرحام"، لقد أثار أحد الآريين شبهة بصورة اعتراض فقال: لقد أثار أحد الآريين من مدينة هوشيار بور شبهة بصورة اعتراض على هذه النبوءة فقال بأن القابلات أيضا يستطعن أن يعرفن هل سيولد ذكر أو أنثى. فليكن واضحا أن اعتراضا مثله ليس إلا محاولة البحث عن أعذار واهية وكتمان الحق لأنه أولا: ليس بوسع قابلة أن تدعي ذلك، بل الطبيب الحاذق أيضا لا يستطيع أن يدعي أن رأيه في هذا الأمر قطعي ويقيني ولا إمكانية للخطأ فيه. بل لا يكون ذلك إلا تخمين وتقدير يخطئ مرارا وتكرارا. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٩٩)

قال عليه السلام عند ذكر: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾:

صحيح تماما وثابت من القرآن الكريم أيضا أن المراد من "الساعة" هنا هو زمن دمار اليهود، أما الساعة التي ينتظرها هؤلاء القوم فليس لها أي أثر حاليا. فمن ناحية أصيب اليهود بشقاوة في صدر عصر المسيح، وفي المرحلة الثانية نال النصارى نصيبا منها. وقد حذا المسلمون أيضا حذو اليهود تماما. لو كانت الحكومة أو السلطة في يدهم لعاملوني أيضا كما عومل المسيح. (بدر، مجلد ١، رقم ٢،

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "السجدة"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٦: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

"إن زمان خلقي ألفٌ سادس لا ريب فيه، فاسأل الذين يعلمون، ونطق به التوراة التي يؤمن بها المسلمون، ولم يثبت بنصوص صريحة ما يخالف هذه العدة ويعلمه العالمون. فما كان لهم أن يكفروا بعدة التوراة وما قال النبيون. وكيف وما خالفه القرآن بل صدقه سورة العصر، فأين يفرون؟ بل إليه يشير قوله تعالى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، واقرؤوا معها آية ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾. هذه آية كتبناها من سورة السجدة، ومن السنة

أَنهَا تُقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِنَّهُ دَبَّرَ أَمْرَ الشَّرِيعَةِ بِإِنزَالِ الْفُرْقَانِ الْحَمِيدِ، وَأَكْمَلَ لِلنَّاسِ دِينَهُم بِالْكَلامِ الْمَجِيدِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ تَمْتَدُّ ضَلَالَتُهُ إِلَى أَلْفِ سَنَةٍ، وَيُرْفَعُ كِتَابُ اللَّهِ إِلَيْهِ وَيَعْرُجُ إِلَى اللَّهِ أَمْرُهُ بِشِقَائِهِ، يَعْنِي يُضَاعَ فِيهِ حَقُّ اللَّهِ وَحَقُّ الْعِبَادِ، وَتَهَبُّ صَرَاصِرُ الْفَسَادِ عَلَى قِسْمِيهِ، وَيَفْشُو الْكَذِبُ وَالْفِرْيَةُ، يَعْنِي الْفِتْنَةُ الدَّجَالِيَّةُ، وَيُظْهَرُ الْفُسْقُ وَالْكَفَرُ وَالشِّرْكُ، وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُعْرَضِينَ عَنْ رَبِّهِمْ وَظَاهِرِينَ عَلَيْهِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ أَلْفٌ آخَرُ يُغَاثُ فِيهِ النَّاسُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُرْسَلُ آدَمُ آخِرُ الزَّمَانِ لِيَجِدَّ الدِّينَ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ فِي آيَةٍ هِيَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ أَعْنِي قَوْلُهُ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة: ٨). وَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ هُوَ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ، وَقُدِّرَ بَعَثُهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَلْفِ سَنَةٍ مِنَ الْقُرُونِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ مَعْشَرُ النَّبِيِّينَ. وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلَوْهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلَوْهُمْ، ثُمَّ إِنْ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ"، وَفِي رِوَايَةٍ: "وَيُحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ". فَظَهَرَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّ الزَّمَانَ الْمَحْفُوظَ مِنْ غَلْبَةِ الْكَذِبِ -الَّذِي هُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الدَّجَالِيَّةِ- وَزَمَانَ الصَّدَقِ وَالصَّلَاحِ وَالْعَقَّةِ لَا يَجَاوِزُ ثَلَاثَ مِائَةٍ مِنْ قَرْنٍ سَيَدُنَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي زَمَانٌ كَلِيلٌ سَجَى عِنْدَ غِيْبَةٍ بِدَرٍ اخْتَفَى، وَفِيهِ يَفْشُو الْكَذِبُ وَيَهْوِي مِنَ الْأَهْوَاءِ مَنْ هَوَى، وَيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ زُرُورًا وَأَحَادِيثَ تُفْتَرَى. فَإِذَا بَلَغَ الْكَذِبُ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ فَيَنْتَهِي يَوْمًا إِلَى ظُهُورِ الدَّجَالِ، وَهُوَ آخِرُ أَيَّامِ هَذَا الْأَلْفِ كَمَا يَقْتَضِيهِ سِلْسَلَةُ التَّرْقِي فِي الزُّورِ وَالْإِفْتِعَالِ، وَكَمَا هُوَ مَفْهُومُ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ. وَذَلِكَ الزَّمَانُ هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي يَعْرُجُ أَمْرُ اللَّهِ إِلَيْهِ وَالْهُدَى، وَيُرْفَعُ الْقُرْآنُ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَقَدْ شَهِدَتِ الْوَاقِعَاتُ الْخَارِجِيَّةُ أَنَّ هَذَا الزَّمَانَ الْفَاسِدَ امْتَدَّ إِلَى أَلْفِ سَنَةٍ، أَعْنِي إِلَى هَذَا الزَّمَانِ، حَتَّى صَارَ الصِّلُ كَالْأَفْعُوانِ. فَفَهَمْنَا مِنْ هَذَا بِالْيَقِينِ التَّامِ وَالْعِرْفَانِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ

أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿١﴾ يتعلّق بهذه المدّة التي مرّت في الضلالة والفسق والطغيان، وكثُر فيه المشركون، إلا قليل من الذين كانوا يتّقون. وإنه ألف سنة ما زاد عليه وما نقص، فأَي دليل أكبر من هذا لو كنتم تفكّرون؟

وإن لم تقبلوا فبيّنوا لنا ما معنى هذه الآية من دون هذا المعنى إن كنتم تعلمون. أنظنون أن القيامة هي ألف سنة كسنوات مُدّة الدنيا أو تصعد الأعمال إلى الله في يوم القيامة في مدّة كمثّلها، ولا يعلمها الله قبلها؟ اتّقوا الله أيها المسرفون! وأي شهادة أكبر مما ظهر في الخارج، أعني مقدار مدّة غلبت الضلالة فيها، فإنكم رأيتم بأعينكم أن مدّة زمان الضلالة وشدّتها وتزايدها بعد قرون الخير قد امتدّت إلى ألف سنة حقا وصدقا؛ أنتم ترون وأنتم تشاهدون؟ وبدأ الكذب كزرع، ثم صار كشجرة، حتى ظهرت هيكل الدجّال وأنتم تنظرون. وإن الضلالة وإن كانت من قبل ولكن ما حدّت قرونها إلا بعد هذه القرون الثلاثة. ألا تقرأون حديث "القرون"؟ وقد جمع هذا الألف كلّ ضلالة، وأنواع شرك وبدعة، وأقسام فسق ومعصية، وأضيع فيه حقوق الله وحقوق العباد وحقوق المخلوق، وانفتحت أبواب الارتداد، فبأي دليل بعد ذلك تؤمنون؟ وفُتحت يأجوج ومأجوج، وترون أنهم من كل حدبٍ ينسلون. وما خرّجا إلا بعد القرون الثلاثة، وما كُمل إقبالهما إلا عند آخر حصّة هذا الألف، وكُمل الألف مع تكميل سطوتهما، وإن فيها لآية لقوم يتدبّرون، وإن القرآن يهدي لهذا السرّ المكتوم، ويقول إن يأجوج ومأجوج قد حُبسوا وصُقّدا إلى يوم الوقت المعلوم، ثم يُفْتَحان في أيام غروب شمس الصلاح وزمان الضلالات، كما أنتم ترون في هذه الأيام وتشاهدون. وكفى الطالبين هذا القدر من البيان، وأرى أني أكملتُ ما أردت وأتممت الحجّة على أهل العدوان. (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٣١، الحاشية)

"قد صرّح الله تعالى في هذه الآية وبيّن حقّ التبيين أن أيام الضلالة بعد أيام دعوة القرآن هي ألف سنة، وبعدها يُبعث مسيح الرحمن، فانقطعت الخصومة بهذا التعيين

المبين، لا سيّما إذا ألحق به ما جاء ذكر ألف سنة في كتب النبيين السابقين، ففكّر ثم فكّر حتى يأتيك اليقين. ألا ترى الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، وألحقوا بجماعتهم كثيرا من الحشرات، وقلّبوا العالم بالبدعات، وأرادوا أن يستأصلوا الحق بالخزعبيلات، وأنفقوا جبال الطلاء كإجراء نهر الماء لهدم الشريعة الغراء. أ يوجد مثلهم في الأولين من الأعداء؟ أو صُبّت على الإسلام مصيبة من قبل كمثل هذا البلاء؟ لن تجد من آدم إلى آخر الوقت فتنة كهؤلاء". (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٣١ الحاشية)

أي شك في أن الزمن الذي أشار إليه الإنجيل أخبر عنه النبي دانيال أيضا؟ وإن نبوءات الإنجيل تقوي نبوءة دانيال لأن كل الأمور المذكورة قد ظهرت في هذا الزمن. كما تصدّقها نبوءة اليهود والنصارى المستمدّة من التوراة، وهي أن المسيح الموعود سيولد في نهاية الألفية السادسة من ولادة آدم. فكانت ولادتي في نهاية الألفية السادسة بحسب التقويم القمري الذي هو التقويم الحقيقي عند أهل الكتاب. وإن ولادة المسيح الموعود في نهاية الألفية السادسة كانت مقدرة عند الله منذ البداية لأن المسيح الموعود خاتم الخلفاء، ولا مندوحة من الانسجام بين الأول والأخير. ولما كان آدم ﷺ قد خلّق في نهاية اليوم السادس فكان ضروريا - نظرا إلى العلاقة المذكورة أعلاه - أن يولد الخليفة الأخير أيضا الذي هو آدم الأخير في نهاية الألفية السادسة. والسبب في ذلك أن كل يوم من أيام الله السبعة يساوي ألف عام كما يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. ويتبين من الأحاديث الصحيحة أيضا أن المسيح الموعود سيولد في الألفية السادسة. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٠٨-٢٠٩)

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، فما دام يتبين من كلام الله تعالى أن الأيام سبعة ففي ذلك إشارة إلى أن عمر نسل الإنسان سبعة آلاف سنة. وقد كشف الله عليّ أنه قد مضى على نسل الإنسان إلى عهد النبي ﷺ حسب التقويم

القمرى من ألوف السنين بقدر ما تساويه سورة العصر بحسب حساب الجمل، لأن الله تعالى قد عدّ الحساب بحسب التقويم القمرى. ومن هذا المنطلق قد مضى من عمر نسل الإنسان في عصرنا الحالى ستة آلاف سنة، ونمر الآن بالألفية السابعة. فكان ضروريا أن يولد مثل آدم أو المسيح الموعود بتعبير آخر في نهاية الألفية السادسة التي تمثّل يوم الجمعة الذي وُلد فيه آدم، كذلك خلقني الله. فهكذا ولدت في الألفية السادسة.

والغريب في الأمر أني ولدت يوم الجمعة من أيام الأسبوع. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٥٧-٤٥٨)

الآية ١٢: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

لقد ورد في تفسير معالم التنزيل تحت تفسير الآية: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، "أن علي بن طلحة روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تعني: "إني مميتك". وتدل على ذلك آيات أخرى منها: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١٢)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٣)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ (النحل: ٢٩). إذن، كان ابن عباس رضي الله عنه يعتقد أن عيسى عليه السلام قد مات. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥)

معنى "التوفي" هو الموت وقبض الروح. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٦٩)

معنى "التوفي" المستخدم في القرآن كله هو قبض الروح وترك الجسد على حاله، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٤٢٤)

كذلك هناك آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم يتبين منها بدهاة أن تعبير الرفع إلى الله والرجوع إلى الله يفيدان الموت دائما كما يقول تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٨٥، الحاشية)

الآية ١٨: ﴿فَلَا تَعْلَمَ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لا تدري أية نفسٍ صالحة النعيم الذي أُخفي لها في عالم الآخرة. لقد وصف الله هنا جميع نِعَم الآخرة بأنها مخفية عنا لا مثال لها في النعم الدنيوية. والواضح أن نعم الدنيا غير خفية علينا، فإننا نعرف اللبن والرمان والعنب ونأكل منها دوماً. فيتبين من ذلك أن نعم العالم الثاني هي غير ما في هذا العالم، وإنما تشترك مع هذه في الاسم فقط. فمن ظن أن الجنة هي موجودات هذه الدنيا فلم يفهم من القرآن حرفاً. يقول سيدنا ومولانا ونبينا ﷺ في شرح الآية المذكورة وهو يصف الجنة ونعيمها: "أَعَدَّ اللهُ لعباده الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر". مع أننا نرى نِعَم الدنيا بأعيننا، ونسمع عنها بأذاننا، وهي تمر بخوابرتنا. فما دام الله ورسوله يصفان نعيم الفردوس بكونه شيئاً غريباً، فنكون إذن قد انحرفنا عن القرآن انحرفاً كبيراً لو ظننا أن في الجنة أيضاً لبنا مادياً كهذا الذي يُجلب من البقر والجاموس، وكأنما يكون فيها قطعان من حيوانات حلوبة! وكأن النحل تكون قد بنت هنالك في الأشجار كثيراً من البيوت، والملائكة يبحثون عنها ويشتارون منها العسل ويصبّونه في الأنهار! هل هناك أية علاقة بين أفكار كهذه وبين ذلك التعليم السامي الذي تنطوي عليه آيات عديدة حيث تعلن أن تلك الأشياء لم ترها الدنيا قط، وأنها تنير الروح وتزيد معرفةً بالله، وأنها أغذية روحانية. هذه الأغذية - وإن كانت قد صُوِّرت لنا بصورة مادية - إلا أن الله قد

نَبَّهَ أَيْضًا إِلَى أَنَّ مَنبَعَهَا هُوَ الرُّوحُ وَالصَّدَقُ. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٧-٣٩٨)

فِي إِخْفَاءِ اللَّهِ أَيْضًا عَظْمَةٌ، إِنْ مَثَلَ إِخْفَاءُ اللَّهِ كَمَثَلِ قَوْلِهِ عَنِ الْجَنَّةِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الْحَقُّ أَنَّ فِي الْإِخْفَاءِ أَيْضًا كَرَامَةً، كَمَا أَنَّهُ عِنْدَمَا يُؤْتَى الطَّعَامُ يُؤْتَى بِهِ مُسْتَوْرًا بِالْقِمَاشِ فَهَذِهِ عَلَامَةٌ تَكْرِيمٍ. (بدر، مجلد ١، رقم ١١، عدد ٩/١/١٩٠٣ م، ص ٨٦)

الآية ٢٢: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

عِنْدَمَا يَبْلُغُ الشَّرُّ مَنْتَهَاهُ وَيَأْتِي وَقْتُ الْقَرَارِ النَّهَائِيِّ لَا يُسْتَجَابُ حَتَّى دَعَاءُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي حَقِّ الْمَعَارِضِينَ. اَعْلَمُوا أَنَّ نُوحًا عليه السلام قَدْ دَعَا لِابْنِهِ كَنْعَانَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْكَرِينَ وَلَكِنْ لَمْ يُسْتَجَبْ دَعَاؤُهُ. (انظروا سورة هود) كَذَلِكَ آمَنَ فِرْعَوْنُ بِاللَّهِ حِينَ أَوْشَكَ عَلَى الْغَرَقِ وَلَكِنْ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ. نَعَمْ، إِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ قَبْلَ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ تُقْبَلُ، ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.. أَيُّ تَقْبَلِ التَّوْبَةُ حِينَ تَظْهَرُ آثَارُ الْعَذَابِ الْخَفِيفَةِ. (حَقِيقَةُ الْوَحْيِ، الْخَزَائِنُ الرُّوحَانِيَّةُ، الْمَجْلَدُ ٢٢، ص ٤٢٧)

الآية ٢٤: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

"أَعْيَسَى حَيٍّ وَمَاتِ الْمَصْطَفَى؟ تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضَيْزَى! اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ، فَأَيُّ خُصُوصِيَّةٍ ثَابِتَةٍ لِحَيَاةِ الْمَسِيحِ؟ أَهَوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ؟ بَلْ حَيَاةُ كَلِيمِ اللَّهِ ثَابِتٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ أَلَا تَقْرَأُ فِي الْقُرْآنِ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَلَى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مُوسَى، فَهِيَ دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى حَيَاةِ مُوسَى عليه السلام،

لأنه لقي رسول الله ﷺ، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام، نعم جاء ذكر وفاته في مقامات شتى، فتدبر فإن الله يحب المتدبرين." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢١٩-٢٢٠)

إذا كانت كل هذه الشهادات لا تثبت موته، (أي موت المسيح الناصري عليه السلام) فنستطيع أن نقول إنه لم يمِمت أيُّ نبي، وكلُّهم رُفِعوا إلى السماء بالجسم العنصري، لأنه ليست بحوزتنا هذه الشهادات الكثيرة على وفاتهم، بل إن موت موسى أيضا يبدو مشكوكا فيه لأن الآية القرآنية: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ تشهد على حياته، كما يشهد على ذلك حديث مفاده أن موسى يأتي لحج الكعبة كل عام مع عشرة آلاف القديسين. (تحفة غولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٠١)

الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾

.. أي لماذا لا تتفكرون لتدركوا أن الإله الكريم والرحيم الذي ينزل الغيث لإنقاذكم من الموت المادي عند شدة المجاعة وإمساك المطر، كيف يمكن أن يمسك عنكم إنزال ماء الحياة -الذي هو كلامه- عند شدة الضلال الذي هو القحط الروحاني؟ (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٣٤)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "الأحزاب"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٥-٦: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ
اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ
قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ
وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

لقد اعترض الآريون على زواج النبي ﷺ من السيدة زينب رضي الله عنها بأنه

إذا طلق المتبنّي زوجته فلا يجوز لمن تبناه أن يتزوج من تلك المرأة المطلقة، فقال المسيح الموعود عليه السلام ردا على ذلك:

ليكن معلوما الآن أن الله ﷻ كان قد أمر في القرآن الكريم سلفا أنه قد حرمت عليكم زوجات آبائكم الذين من أصلابكم كما ورد في الآية: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (النساء: ٢٤). فلما كان هذا القانون نفسه قد صدر في تعليم القرآن الكريم سلفا وظهرت قصة زينب هذه بعد مدة، فيمكن أن يفهم كل واحد أن القرآن الكريم قد اتخذ هذا القرار في ضوء القانون الذي تقرر في السابق. فافتح القرآن ولاحظ أن قصة زينب مذكورة في أواخر القرآن الكريم، أما القانون بأن زوجة المتبنّي ليست محرّمة فوارد في أوائل القرآن. وقد صدر هذا القانون في وقت لم تكن زينب قد تزوجت زيدا بعد. فافتح القرآن الكريم وقرأ بنفسك كلتا الآيتين واخجل قليلا.

ثم بعد ذلك قال في سورة الأحزاب: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي إذا قلت لأحد: "أنت قلبي" فلن يصبح لك قلبان، فالقلب يبقى وحيدا؛ وكذلك التي وصفتموها أمّا لم تصبح أمّا لكم، وكذلك لم يجعل الله متبنّيكم أبناءكم في الحقيقة.

فهذا هو تعليم القرآن الكريم، فلما كان الله يريد أن يزيل من القلوب كراهية ذلك التقليد القديم بإقامة أسوة نبيّه في ذلك، فقد أقام الله هذه الأسوة بحيث ساءت علاقات عبد النبي ﷺ - الذي أعتقه - مع زوجته وتأزمت حتى كان مصيرها في نهاية المطاف الطلاق، فحين طلقها زوجها عقد الله قرانها مع رسول الله ﷺ. وليس المراد من تزويج الله أن النبي ﷺ جاء بزینب إلى بيته وأسكنها عنوة ومكرهة دون الإيجاب والقبول بينهما، فهذه وقاحة هؤلاء الذين لا يخافون الله وافتراؤهم الباطل، فإذا كانوا صادقين في هذا الافتراء فليبرهنوا عليه من

الحديث الصحيح والقرآن الكريم. هم لا يعرفون أنه ليس من حق المأذون في الإسلام أن يعقد القران جبرا، بل يجب موافقة الفريقين قبل عقد القران. باختصار لا يمكن أن يكون أحد ابن أحد ولا أمًا باللسان فقط، فنسأل الآريين أنه إذا قال أحدهم لزوجه في الغضب أو خداعا أنها أمه، فهل ستصبح حراما عليه ويحدث الطلاق؟ إذن هذه الفكرة باطلة أصلا بالبداهة، لأنه لا يتحقق الطلاق في الآريين في أي حال حتى لو قال أحدهم لامرأته أمًا أو جدة ألف مرة لا مرة واحدة. فإذا كانت امرأة أحد لا تصبح أمًا أو جدة له في الحقيقة بوصفه إياها بذلك باللسان فقط، فأني لنطفة شخص آخر أن تصبح ابنا له بالوصف باللسان فقط، وكيف يُقبل أنه أصبح ابنا له في الحقيقة، وصارت زوجته حراما عليه، فلا اختلاف في كلام الله. فلا شك في أنه إذا كانت امرأة أحد الآريين لا تصبح أمه بإعلانه باللسان فقط، فكذلك لا يمكن أن يكون ابنُ الغير ابنَ شخص بإعلان ذلك باللسان فقط. (الديانة الآرية، الخزائن الورحانية، المجلد ١٠، ص ٥٨-٦٠)

الآية ١١: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا﴾

فليكن واضحا أنه لم تكن حروب الإسلام كما يغزو ملك قوي قوما ضعيفا ويقتلهم بلا هوادة، بل حقيقتها أنه عندما ظل نبي الله المقدس وأتباعه يتحملون الأذى على يد المعارضين إلى مدة طويلة حتى قُتل كثير منهم، وأهلك كثير منهم بأشنع أنواع التعذيب حتى خططوا لقتل نبينا الأكرم ﷺ أيضا. وحملوا كل هذه الانتصارات على أن أوثانهم آلهة صادقة. ولم يتركوا النبي ﷺ في سلام بعد الهجرة أيضا بل جاءوا للقتال قاطعين مسافة ثمانية منازل. عندها أمر المسلمون بالقتال درءًا لهجومهم ولتأمين الذين كانوا في أيديهم كالأسرى، ولإثبات زيف الآلهة التي حُمِلت الفتوحات السابقة على

تأييدها، كما يقول الله تعالى: ... ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٤٤-٢٤٥)

الآية ١٢: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾

يتبين من إلقاء النظر على سوانح الأنبياء والرسل أن المكروهات تطرأ على الإنسان دوماً، حيث يواجه أنواع الفشل والخيبة، ويستشف من ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ١٢)، أن أحوال الخيبة السيئة للغاية تحدث، لكن ذلك لا يكون من الهزيمة والفشل. ففي الابتلاء يرى الله تعالى صبر المبعوث وهمته واستقامة الجماعة، فقد قال تعالى بنفسه: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة: ٢٢)، فكلمة "كتب" تدل على سنة الله، أي من عادة الله تعالى أنه حتما يهب الغلبة لرسله، فالمصاعب العابرة في الطريق لا شيء، حتى لو كانت مصداق: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ (التوبة: ١١٨). (بدر، مجلد ٣، رقم ٩، عدد: ١/٣/١٩٠٤ م، ص ٤)

فقد أطلقت كلمة الزلزلة على معان أخرى غير ظاهرة. كما يتبين من القرآن الكريم: ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨ م، ص ٣)

الآية ٢٢: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

وأود هنا أن أبين أيضا أن كثيرا من الناس يريدون إحراز هذه الكمالات وإنشاء العلاقة الحقيقية مع الله تعالى بترديد أوراد وأذكار اختلقوها من عند أنفسهم، ولكني أقول لكم إن الطريقة التي لم يتبعها النبي صلى الله عليه وسلم هي عديمة الجدوى تماما. من الذي هو أصدق خبرة بصراط المنعم عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم الذي قد حُتِمت عليه كمالات النبوة كلها؟ إن الطريقة التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم هي الأمثل والأقرب، وترك طريقته واختلاق طرق أخرى، هَلَكَةٌ عندي، مهما كانت تلك الطرق رائعة في ظاهرها. وهذا ما كشفه الله عليّ.

بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ حَقًّا يَتَيْسِرُ وَصَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِدُونِ اتِّبَاعِهِ لَنْ يَنَالَ أَحَدُ غَايَتِهِ
أَوْ مَنَشُودِهِ، وَإِنْ قَضَى حَيَاتِهِ كُلَّهَا فِي السَّعْيِ وَالْمَجَاهِدَةِ.
وَنِعَمَ مَا قَالَهُ الشَّاعِرُ سَعْدِي فِي ضَرُورَةِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ:

بزه و ورع کوش و صدق و صفا وليکن میفرائے بر مصطفی

أي: اسعَ لِلزَّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالصَّدَقِ وَالصَّفَاءِ، وَلَكِنْ لَا تَزِدْ شَيْئًا عَلَى سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ.
فَلَا تَتْرَكَوْا سَبِيلَ النَّبِيِّ ﷺ أَبَدًا. أَرَى النَّاسَ قَدْ اخْتَلَقُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ أَذْكَارًا
وَأَوْرَادًا؛ يَعْلَقُونَ أَنْفُسَهُمْ مَقْلُوبِينَ، وَيَتَرَهَّبُونَ كُنُتَاكِ الْهِنْدُوسِ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا جَدْوَى
مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا، إِذْ لَيْسَ مِنْ سُنَّةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَعْلَقَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ مَقْلُوبًا، أَوْ يَرُدَّ
أَذْكَارَ النَّفْسِ وَالْإِثْبَاتِ وَالْأَثَرِ، وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ قَدْ سَمَى اللَّهَ تَعَالَى نَبِيْنَا ﷺ أَسْوَةً،
حَيْثُ قَالَ: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢). فَاتَّبِعُوا خُطَوَاتِ
الرَّسُولِ ﷺ وَلَا تَسْعُوا لِلانْخِرَافِ عَنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١١،
عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م، ص ٦)

الآية ٢٤: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

أي المؤمنون قسمان، الأول: الذين حَقَّقُوا سُلْفًا عَهْدَ التَّضْحِيَةِ بِأَرْوَاحِهِمْ،
وَأَسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. والثاني هم أولئك الذين يَنْتَظِرُونَ الشَّهَادَةَ، وَيُودُونَ أَنْ
يُضْحُوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَغَيِّرُوا مِنْ مَوْقِفِهِمْ شَيْئًا بَلْ ظَلُّوا ثَابِتِينَ عَلَى
عَهْدِهِمْ. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٨)

الشَّيْعَةُ يَسْبُوهُمْ وَيَشْتَمُوهُمْ وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَدْ نَشَرُوا الْإِسْلَامَ كَمَا
كَانَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَمَامًا. كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ زَوْجَاتِهِمْ سَيِّئَاتٌ، وَيُذْبِحُونَ أَوْلَادَهُمْ،
وَيَسِيَّاجُهُنَّ أَلْوَانُ الْمَصَائِبِ، وَلَكِنْ لَمْ يُعْرِضُوا عَنِ اللَّهِ فَقَالَ ﷺ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ
نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ مَا أَعْظَمَهَا مِنْ شَهَادَةٍ أَنْ بَعْضُهُمْ ضَحَّى بِحَيَاتِهِمْ فِي سَبِيلِهِ،

وهناك تضحية يعتز بها المسيحيون ثم تبين فيما بعد أنها أيضا لم تُقدّم. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩٠٢م، ص ١٣)

جميع الأنبياء الذين بعثوا في العالم ... كانوا يتمتعون بجذب ينجذب إليهم الناس بسببه، وعندما يدعون فإن دعاءهم يؤثر في المواد السامة الكامنة في الناس بواسطة ذلك الجذب، ويهب للمريض الروحاني السلوان والطمأنينة، فهذا الأمر من المستحيل بيانه في كلمات، وإن المغزى الحقيقي للدين أن ينشأ ذلك الجذب في الطبع. ويستحيل أن تنشأ التقوى الحقيقية والاستقامة دون وجود صاحب هذا الجذب، ولا يتأسس بدونه القوم، فهذا الجذب فقط يلقي القبول في القلوب، وبدون ذلك لا يستطيع أي خادم أو غلام إحراز الطاعة المطلوبة واللائقة لسيدته، وبسبب فقدانه قد غدر كثير من الخدم والعبيد -الذين كان سيدهم قد أكرمهم كثيرا وأعطاهم كثيرا- بأسيادهم. فقد دُبح عدد كبير من الملوك على يد أمثال هؤلاء العبيد والخدم، لكن هل يمكن أن يقدم أحد مثالا لذلك من حياة الأنبياء حيث قتل أي نبي على يد مريديه أو خدامه؟ فلا المال والثروة ولا أي وسيلة أخرى تمسك بالقلب كما يمسكه هذا الجذب، فما الذي كان عند النبي ﷺ والذي بالحصول عليه قد أبدى الصحابة الصدق والإخلاص ولم يتخلوا عن عبادة الأوثان والمخلوق فحسب بل قد سلب منهم حب الدنيا في الحقيقة، وبدأوا يرون الله ﷻ عيانا. فكان كل واحد منهم فداء في سبيل الله ﷻ بمنتهى النشاط والصدق، وكأن كل واحد منهم إبراهيم. فقد سجلوا بكامل الإخلاص لإظهار جلال الله تلك الإنجازات التي لا يوجد لها نظير في العالم؛ إذ قد قبلوا بكل سرور أن يُذبحوا في سبيل الله، بل إن بعض الصحابة حين لم يستشهدوا فوراً قد خطر ببالهم أن صدقهم ربما كان ناقصا، كما في هذه الآية ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، أي بعضهم استشهدوا وبعضهم الآخرون ينتظرون متى يظفرون بالشهادة. فالجدير بالتأمل؛ ألم تكن هؤلاء حوائج كالأخرين، ولم تكن لهم علاقات حب بالأولاد؟ كلا بل قد

جعلهم ذلك الجذب نشوانين بحيث آثروه على كل شيء. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٦، عدد ١٩٠٣/٩/٢٥ ص ٣٨١-٣٨٢)

لقد بقي في المسلمين في العصر الراهن التمسك بظاهر الكلمات فقط، ونسوا الانقلاب الذي يريده الله، وحسروا التوبة أيضا في ترديد كلمة التوبة فقط، بينما يريد القرآن الكريم التضحية بالنفس. إن جملة ﴿مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ تدل على هذه التوبة التي أحرزوها، أما جملة ﴿مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ فتفيد أنهم ينتظرون التوبة التي يجب عليهم أن يحرزوها. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤١-٤٢، عدد ١٩٠٣/١١/٨-١٠/٢٩ ص ٣٢٢)

كان الصحابة جماعة طاهرة لم يتخلوا قط عن نبيهم ﷺ ولم يكونوا ليتخلفوا حتى عن التضحية بأنفسهم من أجله ﷺ بل لم يتأخروا قط، فقد ورد بحقهم ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، أي بعضهم قد أدوا حقهم وبعضهم الآخرون ينتظرون أن يقتلوا في هذا السبيل. من هنا تستبين عظمة عظمة النبي ﷺ وقدره، فالجدير بالتأمل هنا أيضا أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين كانوا براهين ساطعة على صدق النبي ﷺ. فالذي يضيّع هذه الإثباتات فكأنه يريد أن يضيع نبوة النبي ﷺ. فالذي يحترم الصحابة هو الذي حصرا يكرم النبي ﷺ إكراما صادقا، أما الذي لا يعظم الصحابة فلم يعظم النبي ﷺ مطلقا، فهو كاذب في ادعائه بأنه يحب النبي ﷺ لأنه من المستحيل أن يحب المرء النبي ﷺ ويبغض الصحابة ﷺ في الوقت نفسه.

(الحكم، مجلد ٨، رقم ٧، عدد ١٩٠٤/٢/٢٤ ص ٢)

يقول القرآن الكريم في وصف الصحابة ﷺ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾... ما لم يبلغ المرء هذا المقام لن ينال مرامه. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ١٩٠٤/٥/١٦-٨ ص ١٠)

إن رسل الله ومبعوثيه لا يكونون جناء أبدا، بل لا يكون المؤمنون الحقيقيون أيضا جناء. الجبن علامة ضعف الإيمان. لقد هاجمت المصائب الصحابة ﷺ مرة بعد أخرى ولكنهم لم يجبنوا. يقول الله ﷻ عنهم: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا»، أي أن الإيمان الذي عزموا عليه أثبتته بعضهم، وبعضهم يتربصون الفرصة بفارغ الصبر لتحقيقوه، وما وهنوا وما استكانوا وما جبنوا قط. (بدر، مجلد ١، رقم ٨، عدد ٢٥/٥/١٩٠٥ م، ص ٦)

نعم ما قال الله تعالى في نعت الصحابة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾، أي هناك رجال من المؤمنين ضحوا بأرواحهم وهناك آخرون جاهزون للتضحية بها. لو جُمعت الآيات من القرآن الكريم في مدح الصحابة لما وُجدت أسوة أحسن من أسوتهم. (بدر مجلد ١، رقم ٢٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٥ م، ص ٣)

كان الصحابة يريدون أن يُرضوا الله مهما واجهوا في هذا السبيل من المصائب والمصاعب. وإن لم يواجه أحدهم المصائب والمشاكل لبعض الوقت بكى واضطرب. كانوا قد فهموا أن تحت هذه الابتلاءات تكمن شهادة مرضاة الله وكنزها.

هر بلا کیس قوم راحق داده است زیر آل گنج کرم بهاده است

أي: كل ابتلاء يقدره الله تعالى لقوم، يخفي تحته كنزاً من الرحمة.

القرآن الكريم زاخر بالثناء على الصحابة، اقرؤوه لتعلموا أن حياتهم كانت حجة عملية على صدق النبي ﷺ. المكانة التي احتلها الصحابة ذكرها القرآن الكريم قائلاً: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾. أي نال بعضهم الشهادة وكأنهم حققوا مرامهم الحقيقي، وبعضهم ما زالوا ينتظرون ويودّون أن تُكتب لهم الشهادة. لم يَرَكْنِ الصحابة إلى الدنيا لتكون أعمارهم طويلة أو يكتنوا أموالاً وثروة فيعيشوا عيش الرفاهية هادئي البال. عندما أتأمل في أسوة الصحابة أضطر للإقرار عفويًا بقوة النبي ﷺ القدسية وكمال فيضه إذ قلبهم رأساً على عقب ووجههم إلى الله تعالى. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٤)

تلاشت رغبات الصحابة القلبية وعواطفهم النفسانية تماماً. ولم يبق لهم شيء، لا رغبة ولا أمنية إلا أن يرضى الله بهم. ولهذا الغرض ذُبحوا في سبيل الله كالشياه.

يقول القرآن الكريم عن حالتهم هذه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

ليس سهلاً أن تنشأ في الإنسان حالة ليكون جاهزاً للتضحية بروحه في سبيل الله. ولكن حالة الصحابة توحى بأنهم أدوا هذا الواجب. لما أمروا بالتضحية بأرواحهم في سبيل الله، لم يميلوا إلى الدنيا. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ١٠١/١/١٩٠٦م، ص ٤) تذكرنا جيداً أن هذه ليست سنة الله ولا قانونه، بل التقدم هنا يحدث تدريجياً. والله تعالى لا يفرح بالكلام فقط أن نقول بأننا مسلمون أو مؤمنون. يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣). إنه لما ينافي سنة الله أن يجعل أحدٌ ولي الله بنفخة واحدة. لو جرت سنة الله على هذا المنوال لفعل النبي ﷺ ذلك وجعل أصحابه المضحين من أجله أولياء الله بنفخة واحدة، وما عرضهم للابتلاء لتقطع أعناقهم، ولما قال الله تعالى عنهم: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ فما دام الحصول على الدنيا أيضاً مستحيلاً بغير تكبد المشاكل والعناء والجهد، فما أغبى ذلك الذي يحسب الدين شيئاً سهلاً المنال دون عناء! صحيح أن الدين سهل ويسر، ولكن كل نعمة تتطلب مشقة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ١٠١/٦/١٩٠٦م، ص ٣)

يتجلى تكميل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في أن الله تعالى بنفسه قال عنهم: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾، وقال أيضاً: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ١٠١/٧/١٩٠٦م، ص ٤)

إذا تأملنا في عصر الصحابة تبين أنهم كانوا قد قرروا سلفاً أنهم لو اضطروا للتضحية بأرواحهم في سبيل الله لضحوا بها. لقد قبلوا الموت في سبيل الله. الصحابة الذين كانوا يشتركون في الحرب كان يُستشهد بعضهم ويعود بعضهم إلى بيوتهم. والذين كانوا يُستشهدون كان أقاربهم يفرحون على أنهم ضحوا بحياتهم في سبيل الله. أما الذين كانوا يعودون إلى بيوتهم كانوا ينتظرون ويشكون من أنفسهم كأنهم

مقصرّون، لذا لم يُستشهدوا في الحرب. فكانوا يقوون عزمهم ويستعدون للتضحية بأرواحهم لوجه الله دائما كما يقول ﷺ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٩)

كان عدد أصحاب النبي ﷺ يربو على مئة ألف، وأؤمن أنه لم يكن إيمان أي واحد منهم مشوبا بالشوائب. لم يكن لأحدهم جزء للدين وآخر للعالم بل كانوا جميعا مستعدين للتضحية بحياتهم في سبيل الله، كما يقول الله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾. (الحكم، مجلد ١١، ص ٣٥، عدد ٣٠/٩/١٩٠٧م، ص ٧)

الآية ٣٤: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

أي يا أهل البيت يريد الله أن يطهركم حق التطهير بواسطة امتحان. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١٠، ص ٧١٧)

نجد ذكر أزواج النبي ﷺ في سياق هذه الآية في القرآن الكريم، وقد أجمع المفسرون على أن الله مدح هنا أمهات المؤمنين. وقال في موضع آخر: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾، فهذه الآية تقتضي أن يكون أهل بيت النبي ﷺ من الطيبات، إلا أنها لا تشمل الأزواج فقط، بل تشمل جميع الساكنات في بيته ﷺ ولذا فهي تشمل البنت أيضاً، ولهذا كانت فاطمة رضي الله عنها منهن ولا بد أن يكون الحسان أيضاً منهن. ولا يمكن التوسع في هذه الآية أكثر من هذا. فقد وسّعنا قدر ما كان المجال له، لأن القرآن الكريم يخاطب الأزواج، وقد أدخل بعض الأحاديث السيدة فاطمة والحسين أيضاً في المطهّرين، فقد جمعناهما معاً. أما الشيعة فقد سبوا الأزواج المطهّرات

وشتموهن، فلما كان في علم الله أنهم سيقومون بذلك فقد برأهن قبل الأوان.
(الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ٩)

أهل البيت الذين كانوا جماعة طيبة جدًا وكانت عائلة عظيمة، فقد قال الله بنفسه لتطهيرهم أيضًا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، أي أنا الذي سأطهرهم وأزيل عنهم الرجس والخبث، فطهرهم بنفسه. فمن ذا الذي إذن يقدر على التطهر بنفسه، من الضروري أن تداوموا على الدعاء، وتحذروا على أعتابه. فبيده كل توفيق. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٩)

الآية ٣٧: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾

... أي من يعص الله ورسوله فقد حُرِمَ من النجاة لأن النجاة في نصيب أهل

الحق. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٩)

الآية ٣٨: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾

إن زعم الذين يتبنون بأن المتبنّى يصبح ابنًا حقيقيا بحيث يرد عليه جميع الأحكام المتعلقة بالأبناء الحقيقيين سخف وباطل، فالظاهر أن قانون الطبيعة يفند هذه الدعوى السخيفة، وذلك لأن أعضاء جسم الابن تتشكل من أعضاء صاحب النطفة، وتشبه قواه قوى صاحب النطفة، وإذا كان لونه أبيض كالإنجليز فيكسب الولد منه البياض، وإذا كان حبشيا فهو أيضا ينال نصيبا من السواد وإذا كان مصابا بالزهري فيصاب هذا المسكين أيضا به، باختصار تظهر على الولد ملامح صاحب النطفة حصرا، كما ينبت القمح من القمح والحمص من الحمص، وكذلك تماما إن

اعتبار نطفة أحد ابنٍ غيره ينافي الحقائق الثابتة. فالبين أن الوقائع الحقيقية لا تتغير بالادعاء باللسان فقط، فإذا قال أحدهم مثلاً بأنه ظن سمَّ الفأر طيشورةً، فلن تصبح طيشورةً بظنه، وإذا تناوله بناءً على هذا الظن فموته مؤكد. فإذا كان الله قد خلق زيدا من نطفة بكر وجعله ابناً له، فلا يمكن أن يصبح ابنٌ خالدٍ نتيجة بذاءة أحد من الناس، وإذا كان بكر وخالد جالسَيْن في مكان واحد ووصل أمرُ الحاكم بإعدام من هو والدُ زيدٍ في الحقيقة فسوف يقول خالد فوراً: إن زيدا في الحقيقة ابنُ بكرٍ، وليس لي أي علاقة معه. فالواضح أنه لا يمكن أن يكون لأحد والدان، فإذا كان المتبني قد صار في الحقيقة أباً فيجب أن يتقرر على أي أساس حُرِّم الوالد الحقيقي من أبوته.

باختصار ليست هناك بذاءة أكبر من قصد المرء تغيير الحقائق التي صنعها الله. في الهندوس أمران منذ القديم هما اتخاذ الابن واتخاذ الإله، فلاتخاذ الابن طريقة رائعة هي النيوك أما اتخاذ الإله فهو أنهم يقرأون على حجر سالغرام نصّاً عادياً يسمى "منتر اواهن" فيوقنون أن برميشور قد حل فيه، فالآريون رفضوا هذا الطريق لاتخاذ الإله، أما وصفة اتخاذ الابن فما زالت محببة في نظرهم. يُخيل إليَّ أن الآريين في الماضي كانوا يتبنون طفل الغير، ثم وجدوا هذا الأمر يتسم بنوع من الاصطناع، فاخترعوا النيوك بديلاً لذلك، حيث يطلبون من نسائهم مضاجعة الآخرين لتلقي نطفتهم لتختلط أجزاء النطفة مع أجزاء بيضة المرأة وتنشأ بينهما علاقة ما. لكنه بعد هذا الزنا المخجل لا تنشأ أي علاقة لزوج المرأة بتلك النطفة في الحقيقة لأنها لشخص أجنبي، فلما كان العقل لا يقبل في أي حال أن يصبح المتبني ابناً حقيقياً للمتبني لهذا يجب على مثل هذا المعارض أن يبرهن على هذه الدعوى قبل الاعتراض. وإن الاعتراض في الحقيقة من حقنا أنه كيف تصير نطفة شخص أجنبي حائزة على مزايا نطفة الزوج؟ ففندوا هذا الاعتراض أولاً ثم اعترضوا علينا. وليكن معلوماً أن زيدا الزوج الأول لزنب كان في الحقيقة عبداً للنبي ﷺ وكان قد حرره لكرمه

الشخصي وناداه ابنا له أحيانا ليغسل عنه وصمة الرق، ثم لما كان ﷺ كريم النفس فقد اتخذ هذا الموقف الحكيم لتشريف زيد في القوم، إلا أن عادة كانت تسود في العرب أنه إذا كان أحد يوصف بالابن على لسان أستاذه أو سيده أو مالكة اعتُبر في الحقيقة ابنا، فكانت هذه العادة سيئة وفاسدة جدا وكان أساسها على وهم سخيف هو أنه إذا كان الناس كلهم بني البشر فينبغي أن يُعتبر الأشخاص من العمر نفسه إخوةً من هذا المنطلق أما الكبار في السن فكالآباء أما الصغار فكالأبناء. لكن انطلاقا من هذه الفكرة إذا وصف أحد الهندوس أدبا بأن مسنًا من قوم كذا أبوه، أو وصف أحدا في عمره أخًا له، فهل يستلزم ذلك أن يُعتبر ذلك القول وثيقة فتصبح ابنته بموجبه حراما على ذلك الهندوسي؟ أو لن يستطيع الزواج من أخته؟ وسيخيل أنها بهذا القول أصبحت شقيقته، ووارثة لماله، أو صار هذا وارثا لها، فإذا صحّ ذلك لكان من السهل على أي شرير أن يقول بحق رجل ثري لم ينجب أنه أبوه، ليرث جميع أمواله، لأنه إذا كان يمكن أن يكون الإنسان ابنا بإعلان باللسان فقط، فما الذي يمنع أن يصبح أبا أيضا لمجرد الإعلان باللسان؟ فإذا كان ذلك حقا فقد صار على مفلس معوز أسهل من السرقة وقطع الطريق أن يعلن بحق ثري لم ينجب وله عقار يقدر ثمنه بمئات الألوف أو عشرات الملايين أنه أبوه. فإذا كان قد أصبح أبا في الحقيقة فسيكون لزما من منطلق هذا الدين أن ينال ذلك المفلس كل تركة ذلك الأبتر بعد وفاته. أما إذا لم يصبح أبا في الحقيقة فلا بد من الإقرار بأن هذه الفكرة باطلة أصلا. ومثل ذلك يمكن للمرء أن يخدع أحدا بتبنيّه. فسايرني لأرى إلى أين تستطيع السير، وأثبت لنا أولا صدق فيداك. كثير من الراجات والمهاراجات يعتبرون شعبهم الوفي بنين وبنات ومع ذلك يعقدون على بناتهم أيضا، وكثيرون يعتبرون أحدا - أديبا أو حبا - أبا وأحدًا ابنا لكنهم لا يرثونهم.

وليكن معلوما الآن أن الله ﷻ كان قد أمر في القرآن الكريم سلفا أنه قد حرمت عليكم زوجات آبائكم الذين من أصلابكم كما ورد في الآية: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ

الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ». فلما كان هذا القانون نفسه قد صدر في تعليم القرآن الكريم سلفاً وظهرت قصة زينب هذه بعد مدة، فيمكن أن يفهم كل واحد أن القرآن الكريم قد اتخذ هذا القرار في ضوء القانون الذي تقرر في السابق. فافتح القرآن ولاحظ أن قصة زينب المذكورة في أواخر القرآن الكريم، أما القانون بأن زوجة المتبنى ليست محرمة فوارد في أوائل القرآن. وقد صدر هذا القانون في وقت لم تكن زينب قد تزوجت زيدا بعد. فافتح القرآن الكريم واقرأ بنفسك كلتا الآيتين... أما الجزء الثاني الذي عليه أساس الاعتراض أن زينب لم تقبل النبي ﷺ وإنما أمرها الله جبراً، فرداً على ذلك قد كتبنا قبل قليل أن هذا الافتراء ناتج عن أشنع الوقاحة ولا يوجد له أي أثر في كُتُبنا، وإن كنتم صادقين في ذلك فأرونا من القرآن الكريم أو الحديث، فما أكبر خيانة أمة لا تستحيي من الكذب. إن لم يكن ذلك افتراءً فليخبرنا أين ورد أفي القرآن أو في البخاري ومسلم، إن الجدير بالثقة الدائمة بعد القرآن الكريم كتابان لنا فحسب، أحدهما البخاري والثاني مسلم، فبرهنوا من القرآن الكريم أو من البخاري أو مسلم على أن ذلك القران كان قد عقد ضد رغبة زينب، فالواضح أن زينب حين لم تكن راضية بزواجها من زيد عتيق النبي ﷺ فاضطر زيد لأن يطلقها أخيراً، وكانت زينب قد تربت في بيت النبي ﷺ وكانت من أقاربه ﷺ ومدينةً لمنه، فأبي مراد وفخر كان أكبر لزينب من أن تتحرر من ربة العتيق وتتزوج سيد العالم الذي هو رسول الله وخاتم الأنبياء وكان رئيس ملوك العالم كله حتى في السلطة المادية وشئون المملكة، الذي كان بهيبته يرتجف قيصر وكسرى، انظروا إن راجاتكم الهنود على كونهم هندوساً قد زوّجوا بناتهم ملوك المغول لمجرد نيل الشرف، ونالوا هذه السعادة بتقديم الطلبات شخصياً وإبداء الرغبة، ولم يراعوا قوانين الدين أي مراعاة بل قد علّموهن القرآن الكريم في بيوتهم وعلّموهن شعائر الإسلام وأرسلوهن مسلمات. مع أن لكل هؤلاء الملوك لم يكن شأنٌ يذكر أمام سمو ذلك السيد العظيم

ﷺ، الذي كان ملوك العالم يخضعون له، فهل يستسيغ أي عقل عدم قبول امرأة- متضايقة جدا من خزي كونها زوجة لعبد عتيق- الزواج، بعد التحرر من زوجها العتيق، من ذلك الامبراطور الذي كان ملوك العالم يخرون على قدميه، بل لم يكونوا يطبقون النظر إليه لهيبته، فقد ورد أنه ذات مرة أُحضر إلى حضرته ﷺ ملك أحد البلاد بعد اعتقاله فكان يرتجف كشجرة الخيزران، فقال له ﷺ: هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد. فإن لم يكن الزوج الذي هو ملك الدنيا والآخرة مدعاةً للفخر فمن غيره يمكن أن يكون إذا؟ أما زينب فكان النبي ﷺ نفسه قد زوّجها من زيد، وكان قد ربّأها في بيته إذ كانت يتيمة من أقاربه، وكانت تلاحظ كم تتمتع زوجات النبي ﷺ بالفخر والشرف، أما هي فزوجة رقيق. ولهذا السبب كانت على شجار مع زوجها ليل نهار، ويقول القرآن الكريم إن النبي ﷺ كان يكره هذا الزواج وكان يعرف نتيجة ملاحظته الشجار اليومي أنه سيؤدي إلى الطلاق، فلما كانت الآيات التي تفيد أن المتنبئ لا يصبح ابناً حقيقياً قد نزلت سلفاً، كان النبي ﷺ يقدر بفراسته أن زيدا إذا طلق فالظن الغالب أن الله ﷻ سيأمره ﷺ بالزواج منها. لكي يقيم أسوة للناس، فهذا ما قد حدث على أرض الواقع وهذه القصة نفسها مسجلة في القرآن.

ثم إن الخبيثين الذين يميلون دوماً بوقاحتهم إلى الافتراء قد اختلقوا هذه الأمور الباطلة أن النبي ﷺ نفسه كان معجباً بزينب، مع أن زينب لم تكن قد أتت من بعيد بحيث لم يكن ﷺ قد رآها في السابق قط، بل كانت هي نفسها التي تربّت وشبّت في بيته أمام عينيه ﷺ وكان نفسه قد زوّجها - لا أحد غيره - عبده الذي حرره، وكانت تكره هي وأخوها ذلك الزواج في أول الأمر فسعى ﷺ جاهداً حتى رضيته، وكان سبب تضايقها كون زيد عبداً محرراً. ثم كم من الخيانة والوقاحة أن يميل الإنسان إلى افتراء بعيدا عن الحقائق الثابتة؛ فالقرآن موجود والبخاري ومسلم أيضاً موجودان،

فأخرجوا لنا النص الذي تستدلون به أن النبي ﷺ كان يجب أن يتزوج زينب. فهل كان قد طلب من زيد أن يطلقها، لكي يتزوجها هو نفسه؟ كلا بل كان ينهأ عن الطلاق نصحًا مرارًا وتكرارًا. فهذه هي الأمور التي كتبناها من القرآن الكريم والحديث، وإذا كان أحد يدعي خلاف ذلك فليثبت دعواه من كتبنا المذكورة، وإلا سوف يُعتبر عديم الإيمان والخَوَان. أما قول الله ﷻ بَأَنَا ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فمعناه أنه ﷻ راضٍ بهذا الزواج، وأنه قد أراد تحقق ذلك، لئلا يكون حرجٌ على المؤمنين.

فليس المراد منه أن يستولي على زينب خلاف مشيئتها، فالظاهر أنه ليس من مسئولية المأذون أن يسلم امرأةً لرجل دون موافقتها، بل إنه يخضع لموافقتها عند إعلان النكاح، أما تزويج الله فيعني حصرًا أنه ﷻ أَمَالَ قلب زينب إلى ذلك وقال له أنه لا بد من ذلك، لئلا يكون حرجٌ على أمته. وإن لم يرتدع أحد فليثبت لنا دعواه من القرآن الكريم والبخاري ومسلم، لأن مدار ديننا كله على القرآن الكريم، وأن حديث النبي ﷺ مفسرُ القرآن الكريم، وإن القول الذي يخالفهما مردود وقول الشيطان، أما مجرد إلصاق التهمة فأمر سهل هين. فإذا قال أحدٌ لأحد الآريين مثلاً: إن اقتران والدك مع أمك ليس صحيحاً، وإنما جاء بها قسراً، ولم يبرهن على قوله هذا بدليل مُقنع، ولم يقبل أي دليل يفند قوله، فما علاج مثل هذا الوقح؟ وكذلك لا يقل عنه وقاحةً من يتهم المقدسين والصادقين دون أي برهان. (الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥٥-٦٣)

إن عقد القران على مطلقة المتبنّي ليس من الزنا في شيء، فالمرء لا يصبح ابناً لأحد ولا أباً لأحد ولا أمّاً بمجرد الإعلان باللسان. فمثلاً إذا قال مسيحي لزوجته عند الغضب: أنتِ عليّ كظهر أمي، فهل ستكون حراماً عليه ويقع الطلاق؟ كلا بل سيظل يجامع "أمّه" نفسها كالمعتاد. فمن قال لا يجوز تطليق المرأة إلا إذا ارتكبت الزنا، فقد اعترف بلسانه أنَّ عدَّ أحدٍ أمّاً أو أباً أو ابناً باللسان فقط لا يعني شيئاً. وإلا لقال: إن الطلاق يقع إذا عدَّت الزوجة أمّاً، وربما لم يكن المسيح حائزاً على

الدرجة نفسها من العقل الذي بحوزة "فتح المسيح"، فقد صار من اللازم عليك أن تبرهن من الإنجيل على أنه إذا ظاهر المرء زوجته فيقع الطلاق، أو اعتبر تعليم مسيحك ناقصا، أو قدم الشواهد من الكتاب المقدس أن المتبني يكسب حق الإرث كالابن الحقيقي. (نور القرآن، رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٨٨-٣٨٩)

الآية ٤٠: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

إن أنبياء الله الصادقين هم الذين يبلغون رسالته، ولا يخشون أحدا في سبيل تبليغ الرسالة. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٣٥)

إنهم مؤمنون وشجعان لدرجة أنهم يضحون بأنفسهم في سبيل الله ولا يخشون أحدا. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٦)

الآية ٤١: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

ولو قدّم عذر أن باب النبوة مسدود، وأن الوحي الذي ينزل على الأنبياء قد انقطع؛ لقلت: لم يُغلق باب النبوة من كل الوجوه ولم ينقطع كل أنواع الوحي أيضا؛ بل إن باب الوحي والنبوة مفتوح جزئيا للأبد لهذه الأمة المرحومة. ولكن يجب الانتباه جيدا إلى أن النبوة التي بابها مفتوح إلى الأبد ليست نبوة تامة، بل كما قلت قبل قليل: إنها نبوة جزئية وتسمى بتعبير آخر "المحدثية" التي تُنال بالاقتداء بالإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع كمالات النبوة التامة؛ أي سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ. (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠)

"فاعلم أرشدك الله تعالى أن النبي محدث والمحدث نبي؛ باعتبار المحدثية نوعا من أنواع النبوة. وقد قال رسول الله ﷺ: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، أي لم يبق من أنواع النبوة إلا نوع واحد؛ وهي المبشرات من أقسام الرؤيا الصادقة والمكاشفات

الصحيحة والوحي الذي ينزل على خواص الأولياء، والنور الذي يتجلى على قلوب قوم موجع. فانظر أيها الناقد البصير، أَيْفَهُمْ من هذا سد باب النبوة على وجه كلي؟ بل الحديث يدل على أن النبوة التامة الحاملة لوحي الشريعة قد انقطعت، ولكن النبوة التي ليس فيها إلا المبشرات فهي باقية إلى يوم القيامة، لا انقطاع لها أبدا. وقد علمتَ وقرأتَ في كتب الحديث أن الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءا من النبوة، أي من النبوة التامة. فلما كان للرؤيا نصيبٌ من هذه المرتبة، فكيف بالكلام الذي يوحى من الله تعالى إلى قلوب المحدثين. فاعلم، أيديك الله، أن حاصل كلامنا أن أبواب النبوة الجزئية مفتوحة أبدا. وليس في هذا النوع إلا المبشرات أو المنذرات من الأمور المعيّنة أو اللطائف القرآنية والعلوم الدنيوية. وأما النبوة التي هي تامة كاملة جامعة لجميع كمالات الوحي؛ فقد آمنا بانقطاعها من يوم نزل فيه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٦٠-٦١)

كيف يمكن أن يأتي بعد خاتم النبيين نبيٌّ، وذلك بمفهوم النبوة التامة والكامل الذي يدخل في شروط النبوة التامة؟ أليس ضروريا أن توجد في ذلك النبي كافة مقتضيات نبوته التامة بما فيها الوحي ونزول جبريل؟ لأن الرسول، بحسب تصريح القرآن الكريم، هو الذي يتلقى أحكام الدين وعقائده بواسطة جبريل. والمعلوم أنه قد خُتم على وحي النبوة قبل ١٣٠٠ عام، فهل سيُنقَض هذا الختم عندئذ؟ وإذا قلتم: سيُرسل المسيح ابن مريم منزوع النبوة التامة؛ قلتُ: لا بد أن يكون هناك سبب لهذه العقوبة. يقول البعض إن السبب في ذلك أنه كان قد أُخِذَ معبودا بغير حق، فأراد الله أن يعزله عن النبوة عقوبة على ذلك، ليقتردي بالآخرين عند مجيئه إلى الدنيا ويصلي وراء غيره، ويقوم بالاجتهاد فقط مثل الإمام الأعظم، ويؤيّد المذهب الحنفي بسلوكه مسلكا حنفيا. ولكن هذا الجواب ليس معقولا، إذ قد برّأه الله من هذه التهمة في القرآن الكريم، وبيّن أن نبوته دائمة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٧)

إن مجيء المسيح ابن مريم رسولا بعد خاتم النبيين يستلزم فسادا عظيما؛ وفي هذه الحالة لا بد من التسليم بأحد أمرين: إما أن تبدأ سلسلة وحي النبوة مجددا، أو سيرسل الله تعالى المسيح ابن مريم بعد نزع جميع مستلزمات النبوة منه، وسيُرسله فردا من أفراد الأمة فقط، ولكن كلا هذين الأمرين مستحيل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٩٣)

إن كون نبينا ﷺ خاتم النبيين؛ يمنع مجيء نبي آخر، أما الذي يستمد النور من مشكاة نبوة محمد ﷺ، ونبوته ليست نبوة تامة، بل يُدعى بتعبير آخر محدثا؛ فهو يخرج من نطاق هذا التحديد، لأنه داخل في وجود خاتم المرسلين ﷺ، وذلك لاتباعه وفائه في الرسول ﷺ، كما يدخل الجزء في الكل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤١٠-٤١١)

لو قيل افتراضا إن الوحي سينزل عليه مرة واحدة فقط، ويأتيه جبريل بجملة واحدة ثم يصمت نهائيا، لكان ذلك أيضا منافيا لختم النبوة؛ لأنه إذا فُضَّ ختم النبوة مرة، وبدأ نزول وحي النبوة من جديد - قليلا كان أم كثيرا - فلا يغير في الموضوع شيئا. لكل عاقل فطين أن يدرك أنه إذا كان الله تعالى صادق الوعد - وكان وعده الوارد في آية خاتم النبيين، وما جاء في الأحاديث بصراحة تامة أن جبريل ﷺ قد مُنِع بعد وفاة النبي ﷺ من الإتيان بوحي النبوة إلى الأبد - صدقا وحقا، لاستحال قطعا أن يأتي أي شخص رسولا بعد نبينا الأكرم ﷺ. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤١١-٤١٢)

من الواضح أيضا أن فكرة تردّد جبريل إلى الأرض بوحي الرسالة بعد خاتم النبيين ووجود كتاب جديد من الله - وإن كان يطابق القرآن الكريم من حيث المضمون - يستلزم المحال، وما استلزم المحال كان محالا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤١٤)

في هذه الآية أيضا دلالة واضحة على أنه لن يأتي في الدنيا نبي بعد نبينا الأكرم عليه السلام. وقد تبين من ذلك أيضا بوضوح تام استحالة مجيء المسيح ابن مريم إلى الدنيا لأنه رسول. ويدخل في حقيقة الرسول وماهيته أنه يحصل على علوم الدين بواسطة جبريل. وتبين الآية أن وحي الرسالة منقطع إلى يوم القيامة، فلا مندوحة من التسليم بأن المسيح ابن مريم لن يأتي قط، وهذا الأمر في حد ذاته يستلزم موته. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣١-٤٣٢)

لا يجوز القرآن الكريم مجيء أي رسول بعد خاتم النبيين، سواء أكان قديما أو جديدا؛ لأن الرسول ينال علم الدين بواسطة جبريل، وإن باب نزول جبريل بوحى النبوة مسدود. ومن ناحية أخرى من المستحيل تماما أن يأتي رسول من دون أن يتلقى وحي الرسالة. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٥١١)

المحدث يكون نبيا من حيث القوة. ولولا انسداد باب النبوة لكان في كل محدث قوة وموهبة ليكون نبيا. فمن منطلق هذه القوة والموهبة يجوز حمل المحدث على أنه نبي؛ بمعنى أنه يجوز القول: "المحدث نبي"، حيث يقولون: "العنب خمر، نظرا إلى القوة والاستعداد؛ ومثل هذا الحمل شائع متعارف في عبارات القوم، وقد جرت المحاورات على ذلك، كما لا يخفى على كل ذكي عالم مطلع على كتب الأدب والكلام والتصوف." وإلى هذا الحمل أشير حين اختصر الله جلّ شأنه قراءة: "وما أرسلنا من رسول ولا نبي ولا محدث" واكتفى في قراءة ثانية بالكلمات: "وما أرسلنا من رسول ولا نبي". (مرآة كمالات الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٣٨-٢٣٩)

"ما كان الله ليرسل نبيا بعد نبينا خاتم النبيين، وما كان ليحدث سلسلة النبوة ثانية بعد انقطاعها، وينسخ بعض أحكام القرآن، ويزيد عليها، ويخلف وعده، وينسى إكماله الفرقان، ويحدث الفتن في الدين المتين. ألا تقرؤون في أحاديث المصطفى عليه السلام أن المسيح يكون أحدا من أمته، ويتبع جميع أحكام ملته، ويصلي مع المصلين." (مرآة كمالات الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٧٧)

والجدير بالذكر أيضا أنه قد أشير إلى المسيح الموعود في القرآن الكريم بكلمة "رسل"، ولكن إذا كان السؤال: لماذا لم يُذكر في القرآن بالكلمات نفسها التي وردت في الأحاديث؟ فجوابه: لكي لا ينخدع القراء فيفهموا خطأ أن المراد من المسيح الموعود هو في الحقيقة عيسى ﷺ الذي نزل عليه الإنجيل، وكذلك أن المراد من الدجال هو مفسد معين. لذا فقد أزال الله تعالى في القرآن الكريم جميع الشبهات من هذا القبيل؛ إذ أخبر أولا بوفاة عيسى ﷺ بكل صراحة ووضوح كما هو واضح من الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، ثم بين كون نبينا الأكرم ﷺ خاتم النبيين فقال: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦١)

لم يُرسل أن نبينا ﷺ إلى الأميين فقط. كلا بل إن أمته تشمل الناس وكل مرتبة وطبقة. يقول الله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فقد ثبت من هذه الآية أن القرآن الكريم نزل لإكمال كل نوع من الكفاءة، وإلى ذلك في الحقيقة تشير الآية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٦١)

كما تُعارض عقيدة صعود عيسى ﷺ إلى السماء بيان القرآن الكريم، كذلك تنافي عقيدة نزوله من السماء بيان القرآن الكريم أيما منافاة. ذلك لأن القرآن الكريم كما أعلن وفاته في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، وآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥) فقد ختم النبوة بصراحة على النبي ﷺ في آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤) وآية: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. وأعلن بكلمات صريحة أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء بقوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. أما الذين يعيدون عيسى ﷺ إلى الأرض ثانية فمن عقيدتهم أنه سيأتي مع النبوة كما كان، وأن جبريل سيظل ينزل عليه بوحى النبوة لمدة ٤٥ عاما بانتظام. فأخبرونا الآن كيف بقي ختم النبوة وختم وحي النبوة بحسب اعتقادهم؟ بل لا بد

من الإيمان بأن خاتم الأنبياء هو عيسى ﷺ! (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٧٣-١٧٤)

"إذا كان نبينا ﷺ خاتم الأنبياء، فلا شك أنه مَنْ آمَنَ بنزول المسيح الذي هو نبي من بني إسرائيل فقد كَفَرَ بخاتم النبيين. فيا حسرة على قومٍ يقولون إن المسيح عيسى بن مريم نازلٌ بعد وفاة رسول الله، ويقولون إنه يجيء وينسخ من بعض أحكام الفرقان ويزيد عليها، وينزل عليه الوحي أربعين سنة، وهو خاتم المرسلين. وقد قال رسول الله ﷺ: "لا نبي بعدي"، وسمّا الله تعالى خاتم الأنبياء، فمن أين يظهر نبي بعده؟" (تحفة بغداد، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٣٤)

"وإن الأنبياء لا يُنقلون من هذه الدنيا إلى دار الآخرة إلا بعد تكميل رسالات قد أُرسلوا لتبليغها، ولكل برهة من الزمان مناسبة بوجود نبي، فيُرسل كل نبي برعاية المناسبات، وإلى هذا إشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. فلو لم يكن لرسولنا ﷺ وكتاب الله القرآن مناسبة لجميع الأزمنة الآتية وأهلها علاجا ومداواة، لما أُرسل ذلك النبي العظيم الكريم لإصلاحهم ومداواتهم للدوام إلى يوم القيامة. فلا حاجة لنا إلى نبي بعد محمد ﷺ، وقد أحاطت بركاته كلُّ أزمنة، وفيوضه واردةٌ على قلوب الأولياء والأقطاب والمحدثين، بل على الخلق كلهم، وإن لم يعلموا أنها فائضة منه، فله المنة العظمى على الناس أجمعين." (حمامة البشري، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤٣-٢٤٤)

"وأما ذكرُ نزول عيسى بن مريم فما كان لمؤمن أن يحمل هذا الاسم المذكور في الأحاديث على ظاهر معناه، لأنه يخالف قول الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. ألا تعلم أن الربَّ الرحيم المتفضل سَمَّى نبينا ﷺ خاتم الأنبياء بغير استثناء، وفسره نبينا في قوله لا نبي بعدي ببيان واضح للطالبين؟ ولو جَوَّزنا ظهورَ نبي بعد نبينا ﷺ لجَوَّزنا انفتاح باب وحي النبوة بعد تغليقها، وهذا حُلْفٌ كما لا يخفى على المسلمين. وكيف يجيء نبي بعد رسولنا ﷺ

وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله به النبيين؟ أعتقد بأن عيسى الذي أنزل عليه الإنجيل هو خاتم الأنبياء، لا رسولنا ﷺ؟ أعتقد أن ابن مريم يأتي وينسخ بعض أحكام القرآن ويزيد بعضا، فلا يقبل الجزية ولا يضع الحرب، وقد أمر الله بأخذها وأمر بوضع الحرب بعد أخذ الجزية؟ ألا تقرأ آية: ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩)؟ كيف ينسخ المسيح محكمات الفرقان؟ وكيف يتصرف في الكتاب العزيز ويطمس بعض أحكامه بعد تكميلها؟ فأعجبي أنهم يجعلون المسيح ناسخ بعض أحكام الفرقان ولا ينظرون إلى آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤)، ولا يتفكرون أنه لو كانت لتكميل دين الإسلام حالة منتظرة يُرجى ظهورها بعد انقضاء ألوف من السنوات، لفسد معنى إكمال الدين والفرغ من كماله بإنزال القرآن، ولكان قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤) من نوع الكذب وخلاف الواقعة، بل كان الواجب في هذه الصورة أن يقول الرب تبارك وتعالى إني ما أنزلت هذا القرآن كاملا على محمد ﷺ بل سأنزل بعض آياته على عيسى بن مريم في آخر الزمان، فيومئذ يكمل القرآن وما كمل إلى هذا الحين." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٠-٢٠٢)

فهل يمكن أن يكون مؤمنا بالقرآن الكريم الشقي الذي يدعي الرسالة والنبوة افتراء؟ وهل يمكن للمؤمن بالقرآن الكريم والواقع بأن آية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١) هي من قول الله، أن يفصح بأنه رسول ونبي بعد النبي ﷺ؟ فليتذكر جناب طالب العدل أن هذا العبد المتواضع لم يدع الرسالة والنبوة قط بالمعنى الحقيقي، أما استخدام أي كلمة مجازا وبمعنى غير حقيقي بحسب المعاني الشائعة الواردة في المعاجم، فلا يستلزم الكفر، غير أنني لا أحب حتى هذا، لأنه يتضمن احتمال الخداع عامة الناس. إلا أنني لا أستطيع أن أخفي المكالمات والمخاطبات التي تلقيتها من الله جل شأنه وقد وردت فيها كلمة النبوة والرسالة بكثرة لكوني مأمورا من الله. وأقول مرارا وتكرارا بأن كلمة المرسل أو الرسول النبي

الواردة في هذه الإلهامات في حقي لم تُستعمل في معناها الحقيقي، والحقيقة الأصلية التي أعلنها على الملأ أن نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء، ولن يأتي بعده أي نبي لا قديم ولا جديد، ومن قال بعد رسولنا وسيدنا بأنه نبي أو رسول على وجه الحقيقة والافتراء وترك القرآن وأحكام الشريعة الغراء، فهو كافر كذاب. باختصار؛ إنا نؤمن بأن الذي يدعي النبوة على وجه الحقيقة منفصلاً عن ذيل فيوض النبي ﷺ وبعيدا عن ذلك ينبوع الطيب ويريد أن يكون بنفسه نبي الله مستقلاً، فهو ملحد ولا دين له، وأغلب الظن أن مثل هذا المدعي سيخترع له كلمة جديدة، ويخترع أسلوباً جديداً للعبادة، ويُجري على الأحكام تعديلاً وتغييراً، فلا شك في كونه أحماً لمسيلمة الكذاب، ولا مراء في كفره؛ فكيف يمكن القول في حق خبيث مثله إذن بأنه يؤمن بالقرآن الكريم؟ (عاقبة آتهم، الحزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٧-٢٨، الحاشية)

إن كلمات النبي الكريم ﷺ المقدسة كانت واضحة وبينية لدرجة أن كانت تهدي نفسها إلى أن النبوة لا تهدف إلى بيان عودة النبي الإسرائيلي في هذا العالم، وكان النبي ﷺ قد قال مراراً أنه لن يأتي بعده نبي. وكان الحديث "لا نبي بعدي" مشهوراً لدرجة أن لم يكن يعترض على صحته أحد، وكان القرآن الكريم الذي كل كلمة فيه قطعية، يصدق أيضاً بآيته ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أن النبوة في الحقيقة قد ختمت على نبينا ﷺ، فكيف كان يمكن أن يأتي أي نبي بعد النبي ﷺ بالمعنى الحقيقي للنبوة؟ فهذا المعنى يختل نظام الإسلام كله. أما القول "إن عيسى ﷺ سيأتي معزولاً عن نبوته" فوقاحة نكراء وإساءة بالغة! إذ هل من الممكن أن يُحرم النبي المقبول والمقرب إلى الله مثل عيسى ﷺ من نبوته؟ ثم أي طريق لمحيء عيسى ﷺ إلى العالم من جديد؟ باختصار، إن الله ﷻ بتسمية النبي ﷺ في القرآن الكريم ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وقول النبي نفسه ﷺ في الأحاديث أنه "لا نبي بعدي" قد حكم أنه لا يمكن أن يأتي بعده ﷺ أي نبي بالمعنى الحقيقي للنبوة، ثم إيضاحاً لهذا الأمر أكثر قد قال النبي ﷺ أيضاً بأن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة حصراً.

فحديث "إمامكم منكم" في صحيح البخاري و"فأتمكم منكم" في صحيح مسلم الواردان في عين محل ذكر المسيح الموعود، يصريحان بجلاء أن ذلك المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة حصراً. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢١٧ - ٢١٨، الحاشية)

إضافة إلى ذلك فإن آية: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أيضا تمنع البعثة الثانية للمسيح ابن مريم، وكذلك الحديث: "لا نبي بعدي"؛ فكيف يجوز أن يأتي نبي آخر في زمن ما ويبدأ وحي النبوة. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤٧)

يقول المسيح الموعود ﷺ عن إلهامه: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله". يجدر بجماعتي التأمل في هذا المقام لأن الله القدير يقول في هذا الوحي إن الفوز بالحب الإلهي منوط باتباعكم الكامل بحيث ينبغي أن لا تبقى فيكم أدنى ذرة من المعصية. وإن كلمة "الرسول" أو "النبي" الواردة في الكلام الإلهي بحقي، أني رسول ونبي الله، فهذا الإطلاق مجازاً واستعارة لأن الذي يتلقى الوحي من الله مباشرة وكان من المؤكد أن الله يكلمه مثلما كلم الأنبياء فليس من غير المناسب إطلاق كلمة النبي أو الرسول عليه، بل إنه استعارة فصيحة جدا، ولهذا السبب قد وردت كلمة "نبي" في صحيح البخاري وصحيح مسلم والإنجيل وسفر دانيال وفي أسفار بعض الأنبياء الآخرين حيث ورد ذكره، كما وردت كلمة "الملك" بحقي في كتب بعض الأنبياء مجازاً. (أربعين رقم ٣، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤١٣، الحاشية)

إذا قيل هنا أن سيدنا محمدا ﷺ خاتم النبيين، فكيف يمكن أن يأتي نبي بعده؟ فجوابه: مما لا شك فيه أنه لن يأتي أي نبي لا قديم ولا جديد بالطريقة التي يتصورها الناس عن نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان، إذ يعتقدون بأنه سيكون نبياً؛ بل يعتقدون بأنه سيتلقى وحي النبوة لأربعين سنة، وهي مدة أطول من مدة وحي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. هذه العقيدة إثم بلا شك، وإن آية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وحديث "لا نبي بعدي" يشهدان شهادة واضحة على بطلان

هذه العقيدة. إنني أعارض بشدة مثل هذه العقائد، وأؤمن إيماناً صادقاً وكاملاً بهذه الآية التي تقول ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. وفي هذه الآية نبوءة لا يعلمها خصوصاً؛ وهي أن الله تعالى قد بيّن في هذه الآية أن أبواب النبوءات بعد النبي ﷺ قد أُغلقت إلى يوم القيامة، وأنه لا يسع الآن أي هندوسي أو يهودي أو مسيحي أو مسلم تقليدي أن يثبت لنفسه لفظ "نبي"؛ لقد أُغلقت كل أبواب النبوة الكاملة، لكن باباً واحداً مفتوح، وهو باب سيرة الصّدّيقية: أي الفناء في الرسول ﷺ؛ لذا فالذي يأتي الله من هذا الباب يلبس رداء النبوة الذي هو رداء النبوة المحمدية ظلياً، فلا غيره على نبوته، لأنه لا ينالها بجهوده الذاتية، بل إنه يستقي من نبع نبيه ﷺ، وليس هذا لنفسه، بل لجلال النبي ﷺ فحسب؛ لهذا اسمه في السماء محمد وأحمد؛ وهذا يعني أن نبوة محمد ﷺ عادت أخيراً إلى محمد ﷺ لا إلى غيره، وإن كانت بروزية، لذا فإن آية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ تعني: "ليس محمد أباً أحد من رجال الدنيا، ولكن هو أب لرجال الآخرة، لأنه خاتم النبيين ولا سبيل إلى فيوض الله من غير توسطه."

فنبوتي ورسالتي هي بسبب كوني محمداً وأحمد، وليست من نفسي، كما نلت هذا الاسم بفنائني في الرسول ﷺ، فلذا إن مفهوم خاتم النبيين لم يتغير، لكنه يتغير حتماً بنزول عيسى ﷺ.

وجدير بالذكر أيضاً أن النبي لغةً هو من يخبر عن الغيب بإلهام الله تعالى، فحيثما يتحقق هذا المعنى يتحقق لفظ نبي. ولا بد أن يكون النبي رسولاً، وإلا لن يتلقى أخبار الغيب المصطفى، وتمنعه من ذلك الآية التالية: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨)؛ فإذا أنكرت النبوة بعد الرسول ﷺ وفق هذه المعاني لزم الاعتقاد بأن هذه الأمة لا نصيب لها من المكالمات والمخاطبات الإلهية، لأن الذي تظهر على يده الأخبار الغيبية من عند الله تعالى ينطبق عليه بالضرورة مفهوم "نبي" وفقاً للآية: ﴿لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ...﴾ (الجن: ٢٧). كما أن

الذي يُرسل من الله تعالى هو الذي نسميه رسولا. إنما الفرق فقط أنه لن يكون بعد نبينا محمد ﷺ حتى يوم القيامة نبيٌ تنزل عليه شريعة جديدة، أو يُعطى لقب النبي بدون وساطة النبي ﷺ، وبدون أن يكون متفانيا في الرسول ﷺ بحيث يسمى في السماء محمدا وأحمد. "ومن ادّعى فقد كفر".

والسرّ الحقيقي في ذلك إنما هو أن من مقتضى مفهوم خاتم النبيين أنه إذا أعلن أحد أنه نبي، في حين يكون بينه وبين النبي ﷺ مغايرة، فإنه يكسر الختم الذي هو على خاتم النبيين، ولكن الذي يفنى في خاتم النبيين ﷺ نفسه فناءً بحيث ينال اسمه بسبب اتحاده المتناهي وانتفاء الغيرية بينهما، وينعكس فيه وجه النبي ﷺ كما في المرأة الصافية؛ فإنه سيسمى نبياً من دون أن يكسر هذا الختم، لأنه محمدٌ ولو على سبيل الظلية. فحتى مع ادعاء النبوة من قبل مَنْ سُمي محمداً وأحمد ظلياً، فقد ظلَّ سيدنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين؛ لأن محمداً الثاني هذا هو انعكاس لمحمد ﷺ نفسه، ويحمل اسمه. أما عيسى فلا يمكن أن يأتي من دون أن يكسر ختم النبوة. (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٠٧-٢٠٩)

النبوة تعني الإظهار على الغيب. والنبي لفظ مشترك بين العربية والعبرية، أعني أن هذا اللفظ يسمى في العبرانية "نابي"، الذي هو مشتق من نابا، الذي معناه: التنبؤ بناءً على تلقي الخبر من الله تعالى. وليس شرطاً أن يكون النبي مشرعاً، إنما هي هبة تنكشف من خلالها أمور غيبية. (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٠٩-٢١٠)

حيث إنني قد تلقيت من الله تعالى علم الغيب ببركة رسولي المقتدى ﷺ مستفيضاً بفيوض الباطنة، ونائلاً اسمه؛ فإنني رسول ونبي، ولكن بدون أي شرع جديد. لم أنكر نبوتي بهذا المفهوم قط، بل بهذا المعنى نفسه قد ناداني الله تعالى نبياً ورسولاً؛ لذلك لا أنكر الآن أيضاً أنني نبيٌ ورسول بهذا المفهوم. أما قولي: "لستُ رسولا ولم آتِ بأي كتاب" فلا يعني إلا أنني لست صاحب شريعة.

غير أنه لا بد من أن تتذكروا أمراً هاماً ولا تنسوه أبداً وهو أنه مع أنني قد نوديتُ بكلمات "نبي" و"رسول" إلا أنني قد أُخبرْتُ من عند الله تعالى أن كل هذه الفيوض لم تنزل عليّ مباشرة، وإنما ببركة الإفاضة الروحانية من شخصية مقدسة في السماء، أعني محمداً المصطفى ﷺ. فبالنظر إلى هذه الوسيلة، ومن خلالها، وبفضل نيلي اسميه محمداً وأحمد، فأنا رسول ونبي أيضاً، أي أنني مرسل، وأتلقى أبناء الغيب من الله تعالى. وهكذا بقي خاتم "ختم النبوة" مصوناً، لأنني حَظِيتُ بذلك الاسم على سبيل الانعكاس والظلية من خلال مرآة المحبة. وإذا كان أحد يغضب من هذا الوحي الإلهي ويقول: لماذا سماني الله نبياً ورسولاً، فهذا يدلّ على حمقه؛ لأن ختم الله لا ينكسر بنبوتي ورسالتي. (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢١٠-٢١١)

ليس هناك مجال للاعتراض على تسميتي رسولا ونبيا بعد سيدنا محمد ﷺ الذي هو خاتم النبيين في الحقيقة، ولن ينكسر بذلك ختم الخاتمية، لأنني قد قلتُ مرارا إنني نفس ذلك النبي خاتم الأنبياء على سبيل البروز، وذلك بموجب آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، وأن الله تعالى قد سماني محمداً وأحمد في "البراهين الأحمدية" قبل عشرين سنة من هذا اليوم، وعدّني محمداً ﷺ نفسه، فبهذه الطريقة لم تُحَلَّ نبوتي بخاتمية محمد ﷺ، لأن الظلّ ليس بمنفصل عن أصله. ولأني محمد ﷺ ظليّاً، فلم يُنْقَضْ ختم خاتم النبيين، لأن نبوة محمد ﷺ ظلت محصورة بمحمد ﷺ؛ أعني ظلّ محمد ﷺ على كل حال هو النبي لا غيره. بمعنى أنني ما دمت أنا محمداً ﷺ بروزياً، وما دامت الكمالات المحمدية كلها، بما فيها النبوة المحمدية، منعكسة في مرآتي الظليّة؛ فأين الشخص المغاير الذي ادعى النبوة المستقلة؟ (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢١٢)

أن الله تعالى قد نفى في كلامه المقدس أبوة الرسول ﷺ لأحد، وأنبا عن البروز. لو كان مجيء البروز باطلاً، لماذا عُدَّ رفقاء هذا الموعود في آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ صحابة لرسول الله ﷺ؟ فنفي البروز يستلزم تكذيب هذه الآية. لقد نسب أصحاب

الفكر المادي هذا الموعود إلى ذرية الحسن حيناً، وإلى ذرية الحسين حيناً آخر، وإلى ذرية العباس حيناً ثالثاً. مع أن الرسول ﷺ إنما قصد أن المبعوث سيكون وارثه مثل الأبناء، فيرث اسمه وخلقه وعلمه وروحانيته ويكون انعكاساً لصورته ﷺ من كل الجوانب، ولن يكتسب شيئاً من نفسه، بل كل ما يكتسبه فهو من النبي ﷺ، وسيعكس وجهه متفانياً فيه. فكما أنه سيكتسب اسمه ﷺ وخلقه وعلمه ظلياً، كذلك سيكتسب منه لقبه "نبي" أيضاً؛ لأن الصورة البروزية لا تكتمل ما لم توجد فيها كمالات الأصل من كل جهة. وبما أن النبوة أيضاً كمال للنبي، فلا بد أن يظهر هذا الكمال في صورته البروزية. لقد ظل الأنبياء جميعاً يؤمنون أن البروز انعكاس كامل لأصله، حتى يتوحد اسماهما. فكما أن من البديهي أن تسمية هذا الشخص بمحمد أو أحمد بطريق البروز لا يُنتج محمدين أو أحمدين، كذلك فإن مخاطبة هذا الشخص بنبي أو رسول بطريق البروز لا يستلزم كسر ختم النبوة؛ لأن البروز ليس له وجود مستقل، وعلى هذا فإن النبوة التي مُنحت بواسطة وبركة محمد ظلت محصورة فيه ﷺ وحده. لقد أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن البروز لا يُنتج الغيرية، إذ ينطبق على مقام البروز قول الشاعر:

من تو شدم تو من شدى من تن شدم تو جاں شدى
تا كس نه گوید بعد ازیں من دیگرم تو دیگرى

أي: لقد أصبحت (لشدة الحب والاتحاد) "أنت"، كما صرّحت "أنا"، وأصبحت جسماً أنت روحه، حتى لا يقول أحد فيما بعد أنا غيرك أو أنت غيري. لكن إذا عاد عيسى ﷺ إلى العالم ثانية فكيف يمكن أن يعود من غير أن يكسر ختم خاتم النبيين؟

باختصار، إن لفظ خاتم النبيين هو الختم الإلهي الذي وُضع على نبوة محمد ﷺ، فمن المستحيل الآن أن يُكسر هذا الختم. نعم، يمكن حقاً أن يأتي محمد ﷺ إلى العالم في حلة البروز، ليس مرة بل ألف مرة، ويعلن نبوته بجميع كمالاتها أيضاً في

حلة البروز. وكان هذا البروز عهدًا مقطوعًا من الله تعالى حيث قال ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

والأنبياء لا يغارون من بروزهم، لأنه صورتهم وانعكاسهم هم، لكنهم يغارون من الآخرين حتما. فانظروا إلى موسى ﷺ كيف أظهر غيرته ببكاء شديد لما رأى أن الرسول ﷺ قد تقدم عليه ليلة المعراج. فكم سيكدّر صفو قلب النبي ﷺ أن يتعهد الله له أولاً أن لا نبي بعده، ثم يبعث عيسى ﷺ خلافاً لعهد؟

باختصار، إن النبوة البروزية لا تُخلّ بختم النبوة ولا ينكسر بها الختم، لكن مجيء نبي آخر سيقتوّض الإسلام، وسيعرض الرسول ﷺ لإهانة شديدة، لأن مهمة قتل الدجال العظيمة الشأن ستتم على يد عيسى ﷺ، لا على يد الرسول ﷺ! وستبطل بذلك الآية الكريمة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ -والعياذ بالله. إن في هذه الآية نبأً خفياً، ألا وهو أن النبوة قد وُضع عليها الختم الآن إلى يوم القيامة، وليس بوسع أحد الآن الحصول على علم الغيب من الله تعالى مثل الأنبياء بشكل واضح جلي إلا بالوجود البروزي الذي هو وجود محمد ﷺ نفسه. ولما كنتُ أنا ذلك البروز المحمدي الموعود به منذ القدم، لذلك قد أُعطيْتُ تلك النبوة البروزية. لا يملك العالم بأسره أمام هذه النبوة المحمدية الآن شيئاً، لأن النبوة قد حُتِمت. وكان مقدراً فقط ظهور البروز المحمدي مع جميع الكمالات المحمدية في آخر الزمان، وقد ظهر. وباستثناء هذا الباب لم يبق الآن أي باب آخر لأخذ ماء نبع النبوة.

خلاصة القول لا ينكسر ختم النبوة بالنبوة والرسالة البروزية، أما فكرة نزول عيسى ﷺ فتستلزم تكذيب آية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وتكسر الخاتمية. لا أثر لهذا الأمر العبث الباطل المخالف للعقيدة في القرآن الكريم، كيف وهو يخالف صراحةً الآية المذكورة آنفاً؟ أما مجيء نبي ورسول بروزي فهو ثابت من القرآن الكريم كما يتضح من آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾. (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية المجلد ١٨،

تذكروا نقطة أني لست رسولا ولا نبيا.. أي بشرية جديدة أو ادعاء جديد أو اسم جديد، ولكني رسول وني من حيث الظلية الكاملة ومرآة تنعكس فيها الصورة والنبوة المحمدية انعكاسا كاملا. لو ادّعت النبوة المستقلة لما سماني الله تعالى باسم محمد وأحمد والمصطفى والمجتبى، ولما لُقِّبْتُ بلقب خاتم الأولياء على شاكلة خاتم الأنبياء، بل لأتيتُ باسم آخر. ولكن الله تعالى قد أدخلني في الوجود المحمدي في كل شيء فلم يُرد أن يكون لي اسما منفصلا أو قبرا منفصلا، لأن الظل لا يمكن أن ينفصل عن أصله. ولكن لماذا قيل ذلك؟ إن في ذلك سرًّا، وهو أن الله تعالى كان يعلم أنه قد جعل النبي ﷺ خاتم الأنبياء، فكان ضروريا من أجل تحقيق التشابه بين السلسلتين أن يأتي مقابل المسيح الموسوي مسيخٌ محمدي متحليًا بأنوار النبوة حتى لا ينحط شأن هذه النبوة العظيمة؛ فخلقني الله تعالى بالظلية الكاملة ووهب لي النبوة المحمدية بصورة ظلية لتتطبق عليّ كلمة "نبي الله" من ناحية، ويبقى ختم النبوة من ناحية أخرى مصونًا. (نزل المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٨١-٣٨٢، الحاشية)

لم يعط القرآن الكريم؛ حتى الحسين مرتبة النبوة، ولم يُذكر فيه اسمه أيضا، بل كان زيدٌ أحسن منه حالا في هذا المقام إذ قد ورد اسمه في القرآن الكريم، مع أن ذكره ابنًا للنبي ﷺ يتنافى مع نص قرآني صريح كما هو مفهوم من الآية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾. والمعلوم أن الحسين كان من الرجال ولم يكن من النساء. والحق أن هذه الآية قد عدّت علاقة الإمام الحسين - كونه حفيد النبي ﷺ - غير جديدة بالذكر نهايا. ففي هذه الحالة، إن المبالغة في شأنه إلى هذا الحد وعدّه أفضل من رسول الله ﷺ إنما هو تطاول على القرآن نفسه. ينبغي ألا يُعطى أحد أفضلية إلا ما ثبت من القرآن الكريم. إن القرآن الكريم ينفي حتى بنوته للنبي ﷺ، أما أهل الشيعة فيجعلونه شفيعا لجميع الأنبياء. فما أسخف هذا الكلام! وما أقله من حياء القول بأن كافة الأنبياء محتاجون للإمام الحسين، ولولاه لتعدّرت نجاة الأنبياء كلهم، بل تكاد تكون مستحيلة! (نزل المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٢٣-٤٢٤)

لقد حُتِمت الشريعة على القرآن الكريم، ولكن لم ينقطع الوحي، لأنه روح الدين الصادق. والدين الذي لا تجري فيه سلسلة الوحي الإلهي هو ميت والله تعالى ليس معه. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٤، الحاشية)

ليكن معلوما أننا نؤمن بأن الكتاب الأخير والشريعة الأخيرة هو القرآن، ولن يأتي بعده إلى يوم القيامة نبي بشريعة جديدة أو يتلقى الوحي دون اتباع النبي ﷺ، بل هذا الباب موصد إلى يوم القيامة. أما أبواب تلقي الوحي نتيجة اتباع النبي ﷺ فمفتوحة إلى يوم القيامة. لن ينقطع أبدا الوحي الذي هو نتيجة اتباع النبي ﷺ. أما النبوة التشريعية أو النبوة المستقلة فقد انقطعت. ولا سبيل إليها إلى يوم القيامة. ومن قال إني لست من أمة محمد ﷺ وادّعى أنه نبي صاحب الشريعة أو من دون الشريعة وليس من الأمة، فمثله كمثل رجل غمره السيل المنهمر فألقاه وراءه ولم يغادر حتى مات.

وتفصيل ذلك أنه حيثما وعد الله تعالى أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء أشار أيضا في المقام نفسه إلى أنه ﷺ - من حيث روحانيته - في حكم أبي الصلحاء جميعا الذين تُكْمَل نفوسهم بواسطة الاتباع ويوهّبون شرف وحي الله تعالى ومكالماته. كما يقول جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. من المعلوم أن لفظ "لكن" يفيد الاستدراك في العربية؛ أي يأتي لتدراك ما فات. فالأمر الذي عُدَّ فائتا في الجزء الأول من الآية أي ما نُفِي عن النبي ﷺ إنما هو كونه أبا لرجل من الناحية الجسدية، فقد استُدْرِك الأمر الفائت بلفظ ﴿لَكِنْ﴾ إذ جعل ﷺ خاتم الأنبياء. وهذا يعني أن فيوض النبوة المباشرة قد انقطعت بعد مجيء النبي ﷺ. والآن لن ينال كمال النبوة إلا مَنْ وُجد على أعماله خاتم اتباع النبي ﷺ، وبذلك سيكون ابنه ووارثه ﷺ. ففي هذه الآية قد نُفِيَتْ أبوة النبي ﷺ من ناحية، وأُثْبِتَت الأبوة من ناحية أخرى لتفنيد الاعتراض الذي ورد ذكره في الآية: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

فملخص هذه الآية أن النبوة - وإن كانت بغير شريعة- فمنقطعة؛ بمعنى أنه لن ينال أحد مقام النبوة مباشرة، ولكنها ليست بمنقطعة؛ إذا كانت مكتسبة ومستفاضة من سراج النبوة المحمدية. أي أن صاحب الكمال هذا يجب أن يكون فردا من الأمة من جهة وأن يملك من جهة أخرى كمالات النبوة أيضا بسبب اكتسابه من الأنوار المحمدية. ولو نُفي تكميل النفوس المستعدة في الأمة من هذا المنطلق أيضا لكان النبي ﷺ أبتر - والعياذ بالله- من كلا الوجهين، أي ليس له ابن من الناحية الجسدية ولا الروحانية. وفي هذه الحالة سيكون المعترض الذي يُطلق على النبي ﷺ "الأبتر" على صواب.

فما دام قد ثبت أن باب النبوة المستقلة التي تُنال مباشرة موَّصد بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة، ولا يمكن لأحد أن يظهر بأي حال بعد النبي ﷺ ما لم يكن في شخصه حقيقة كونه فردا من الأمة، وما لم يكن خادما له ﷺ. (التعليق على المناظرة بين البطالوي والجرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ٢١٣-٢١٥)

"إنا مسلمون.. نؤمن بكتاب الله الفرقان. ونؤمن بأن سيدنا محمداً نبيُّه ورسوله، وأنه جاء بخير الأديان. ونؤمن بأنه خاتم الأنبياء لا نبي بعده، إلا الذي رُيِّيَ مِنْ فِيضِهِ وَأَظْهَرَ وَعْدَهُ. والله مكالمات ومخاطبات مع أوليائه في هذه الأمة، وإنهم يُعْطَوْنَ صَبْغَةَ الْأَنْبِيَاءِ وليسوا نبيِّين في الحقيقة، فإن القرآن أكمل وَطَرَ الشريعة، ولا يُعْطَوْنَ إِلَّا فَهَمَّ الْقُرْآنِ، ولا يزيّدون عليه ولا ينقصون منه، ومن زاد أو نقص فأولئك من الشياطين الفَجَرَة.

ونعني بختم النبوة ختم كمالاتها على نبينا الذي هو أفضل رسل الله وأنبيائه، ونعتقد بأنه لا نبي بعده إلا الذي هو من أمته ومن أكمل أتباعه، الذي وجد الفيض كله من روحانيته وأضاء بضياءه. فهناك لا غير ولا مقام الغيرة، وليست بنبوة أخرى ولا محل للحيرة، بل هو أحمدٌ تجلّى في سَجَنَجَلٍ آخَرَ، ولا يغار رجل على صورته التي أراها الله في مِرْآةٍ وَأَظْهَرَ. فإن الغيرة لا تهيج على التلامذة والأبناء، فمن كان من

النبي وفي النبي فإنما هو هو، لأنه في أتمّ مقام الفناء، ومصبَّغ بصبغته ومرتدى بتلك الرداء، وقد وجد الوجود منه وبلغ منه كمال النشو والنماء. وهذا هو الحق الذي يشهد على بركات نبينا، ويرى الناس حُسْنَه في حُلل التابعين الفانين فيه بكمال المحبة والصفاء، ومن الجهل أن يقوم أحد للمراء، بل هذا هو ثبوت من الله لنُفْي كونه أبتر، ولا حاجة إلى تفصيل لمن تدبَّر. وإنه ما كان أبا أحد من الرجال من حيث الجسمانية، ولكنه أب من حيث فيض الرسالة لمن كَمَل في الروحانية. وإنه خاتم النبيين وعَلَمُ المقبولين. ولا يدخل الحضرة أبدا إلا الذي معه نقشُ خاتمه، وآثار سنته، ولن يُقبَل عمل ولا عبادة إلا بعد الإقرار برسالته، والثبات على دينه وملته. وقد هلك من تركه وما تبعه في جميع سننه، على قدر وَسْعِهِ وطاقته. ولا شريعة بعده، ولا ناسخ لكتابه ووصيته، ولا مبدل لكلمته، ولا قَطَر كُزْبَتِهِ. ومن خرج مثقال ذرة من القرآن، فقد خرج من الإيمان. ولن يفلح أحد حتى يتَّبِع كلَّ ما ثبت من نبينا المصطفى، ومن ترك مقدار ذرة من وصاياه فقد هوى. ومن ادَّعى النبوة من هذه الأمة، وما اعتقد بأنه رُبِّي من سيدنا محمد خير البرية، وبأنه ليس هو شيئا من دون هذه الأسوة، وأن القرآن خاتم الشريعة؛ فقد هلك وألحق نفسه بالكفرة الفجرة. ومن ادعى النبوة ولم يعتقد بأنه من أمته، وبأنه إنما وجد كلَّ ما وجد من فيضانه، وأنه ثمرة من بستانه، وقطرة من تَهْتَانِه، وشُعْشُع من لمعانه، فهو ملعون ولعنة الله عليه وعلى أنصاره وأتباعه وأعوانه.

لا نبيّ لنا تحت السماء من دون نبينا المجتبي، ولا كتاب لنا من دون القرآن، وكلُّ من خالفه فقد جرّ نفسه إلى اللظى. " (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٨٥-٢٨٧)

إن تعليم الله الدعاء ألا نكون يا ربنا مثل اليهود- الذين حاولوا قتل عيسى على الصليب - يبيّن بكل جلاء أن "عيسى آخر" سيُبعث في الأمة المحمدية أيضا، وإلا فما الحاجة لتعليم هذا الدعاء؟

ولما ثبت من الآية السالفة الذكر أن بعضاً من علماء المسلمين سيشبّهون علماء اليهود تماماً في زمن من الأزمنة وكأنهم سيصيرون يهوداً، فمن غير المعقول أبداً أن يقال بعد ذلك إن عيسى الإسرائيلي سينزل من السماء لإصلاحهم. وذلك لأنه بمجيء نبي من خارج الأمة المحمدية، يَنْقُضُ خُتْمَ النبوة أولاً، والقرآن الكريم يؤكد بصراحة تامة على أنّ النبي ﷺ خاتم النبيين؛ فلا تُتصور إهانة أكبر من أن تُشَبَّه هذه الأمة باليهود، ثم يأتي عيسى من خارجها. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٣-١٤)

لا شك أن نبينا ﷺ هو آدم الثاني من حيث توطيد دعائم الروحانية، بل هو آدم الحقيقي؛ إذ بلغت بواسطته كل الفضائل الإنسانية كما لها، وأخذت كل القوى الصالحة تعمل عملها، ولم يبق غصن من أغصان الفطرة الإنسانية دون ورق وثمر. ولم تُختم عليه النبوة من حيث إنه الأخير زماناً فقط، بل خُتِمت به جميع كمالات النبوة أيضاً. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٠٧)

ولم تعد هناك حاجة لاتباع جميع الرسائل والكتب السماوية السابقة، لأن النبوة المحمدية احتوتها جميعاً. فالأبواب كلها مُغلقة إلا بابها. إنها مشتملة على كل الحقائق الموصلة إلى الله تعالى. لن تأتي حقيقة جديدة بعدها، كما ليست من حقيقة سابقة إلا وُجِدت فيها. لذلك قد خُتِمت عليها كل نبوة، وهكذا كان ينبغي أن يكون، لأن لكل بداية نهاية.

ولكن هذه النبوة المحمدية ليست بعاجزة عن الإفاضة الذاتية، بل إن فيضها يفوق سائر الرسائل، وطاعة هذه النبوة تُوصِل المرء إلى الله بأسهل الطرق، وباتباعها يتشرف المرء بالحبّة الإلهية، والمكاملة والمخاطبة، أكثر مما كان مُتاحاً من قبل. ولا يُقال لتابعها الكامل نبياً مستقلاً، لأن في ذلك انتهاكاً للنبوة المحمدية الكاملة، بل ينطبق عليه في آن واحد تعبيران: "نبي وأمتي"، لأنه ليس في ذلك إساءة إلى كمال النبوة المحمدية التامة، بل إن هذا الفيضان الروحاني يزيدنا حسناً ولمعناً.

عندما تبلغ المكاملة والمخاطبة الإلهية درجة الكمال كيًّا وكمًّا، بحيث لا تشوبها شائبة ولا نقیصة، وتكون مشتملةً على الأمور الغيبية بصورة بينة.. فإنها بتعبير آخر تسمى بالنبوة، الأمر الذي اتفق عليه الأنبياء جميعهم.

فمن المستحيل للأمة التي قيل بحقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١) والتي علّمت دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦-٧)، أن يبقى جميع أفرادها محرومين من هذه المرتبة الرفيعة ولا ينالها فرد منهم. ولو كان الأمر كذلك لكانت الأمة المحمدية ناقصة يعوزها الكمال، ولصار أفرادها كلهم كالعميان، بل ولكانت قوة فيضان الرسول عرضة للطعن ولاعتبرت قوّته القدسية ناقصة، ولصار من العبث دعاء سورة الفاتحة الذي علمنا الله إياه وأمرنا أن ندعو به في صلواتنا الخمس.

وإلى جانب ذلك كانت هناك نقیصة أخرى وهي أنه لو كان بالإمكان أن ينال أحد أفراد الأمة هذه المرتبة مباشرة بغير اتباع نور النبوة المحمدية لبطل معنى ختم النبوة. ولكي يحفظ الله تعالى النبوة المحمدية من هاتين النقيصتين.. وهب لبعض أفراد الأمة شرف المكاملة والمخاطبة الكاملة التامة المطهرة المقدسة، ممن بلغوا مرتبة التفاني في الرسول على الوجه الأتم، بحيث لم يبق بينهم أي حجاب، وتحقق فيهم مفهوم "الأمتي" ومعنى الاتباع على الوجه الأكمل والأتم بحيث لم يعد لکیانهم الشخصي أي أثر، بل إن شخص المصطفى قد انعكس في مرآة تفانيهم، ومن ناحية أخرى نالوا كالأنبياء شرف المكاملة والمخاطبة الإلهية على الوجه الأكمل والأتم. (الوصية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣١١-٣١٢)

فذكروا جيدًا أن باب النبوة التشريعية بعد الرسول ﷺ قد أغلق بالكلية، فلا كتاب بعد القرآن يأتي بأحكام جديدة أو ينسخ حكمه أو يعطل اتباعه بل هو معمول به إلى يوم القيامة. (الوصية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣١١، الحاشية)

المعلوم أن "لكن" تفيد الاستدراك في العربية، بمعنى أن الأمر الذي لم يتحقق بأسلوب، فيُخَبَّر بتحقيقه بأسلوب آخر. فمن هذا المنطلق يكون معنى الآية بأنه لم يكن للنبي ﷺ أولاد ذكور من الناحية المادية، ولكن سيكون له أولاد روحانيون بكثرة هائلة، وقد جُعِلَ ﷺ خاتم النبيين. أي لن ينال أحد أيّ كمال من كمالات النبوة في المستقبل إلا بخاتم أتباعه.

هذا هو معنى الآية الذي قلبه رأساً على عقب وأنكروا إنعام النبوة في المستقبل، مع أن هذا الإنكار يستلزم إهانة النبي ﷺ ومنقصته بكل ما في الكلمة من معانٍ. لأن كمال النبي هو أن يمتّع شخصاً آخر أيضاً بكمالات نبوته بصورة ظلية، ويربّيه تربية كاملة في الأمور الروحانية. الأنبياء يأتون لهذه التربية وحدها ويُرضعون الباحثين عن الحق حليب معرفة الله حاملين إياهم في حضنهم كالأم. فإن لم يملك النبي ﷺ ذلك الحليب فلا تثبت نبوته أصلاً، والعياذ بالله. ولكن الله تعالى سماه ﷺ في القرآن الكريم سراجاً منيراً ينير الآخرين بنوره ويلقي بتأثير ضيائه على الآخرين ويجعلهم مثله. وإن لم يملك النبي ﷺ فيضاً روحانياً، والعياذ بالله، تصبح بعثته في الدنيا عبثاً. ومن جانب آخر يُصبح الله ﷻ أيضاً خادعاً إذ علّم دعاء أن اطلبوا كمالات جميع الأنبياء، ولكنه ما كان يقصد في قرارة قلبه قط أن يعطيهم إياها، بل كان ينوي أن يُتركوا عمياناً إلى الأبد. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٨-٣٨٩)

لو قام جميع الكفار الموجودين على وجه الأرض في جانب وفي جانب آخر توجّهت أنا وحدي إلى حضرة الله لأمرٍ ما لأَيِّدني الله تعالى حتماً، ولكن ليس لأنني أفضل من الجميع بل لأنني آمنتُ برسوله ﷺ بصدق القلب، وأعلم أن النبوات كلها قد حُتِمت عليه، وأن شريعته خاتم الشرائع، إلا أن هناك قسمًا من النبوة لم ينقطع، أي النبوة التي تُنال نتيجة الاقتداء الكامل به ﷺ وتستتير بمصباحه ﷺ، فهي لم تنقطع لأنها نبوة محمد ﷺ أي ظلها، وتُنال بواسطتها، وهي مظهرها، ومستقاة من فيضها. والله يعادي مَنْ يعدّ القرآن الكريم كالمُنسوخ ويريد أن يسلك على عكس

الشرعة الحمديدية، وينوي أن يشرع بشريعته، ولا يتبع النبي ﷺ بل يريد أن يكون بنفسه شيئاً يُعتدّ به.

والله يحب من يتخذ كتابه القرآن الكريم دستور عمل له ويؤمن برسوله محمد ﷺ خاتم الأنبياء في الحقيقة، ويحسب نفسه محتاجاً إلى فيضه. فهذا الشخص يصبح حبيباً عند الله تعالى. والمراد من حبه هو أنه تعالى يجذبه إلى نفسه ويشرفه بمكاملته ومخاطبته ويظهر آياته تأييداً له. وعندما يبلغ أتباعه للنبي ﷺ درجة الكمال يهبه نبوة ظلية هي ظل النبوة الحمديدية. وذلك ليبقى الإسلام خضراً نضراً غالباً على الأعداء دائماً بوجود هؤلاء الناس. الجاهل الذي هو عدو للدين في الحقيقة لا يريد أن تبقى سلسلة المكالمات والمخاطبات الإلهية جارية في الإسلام بل يودّ أن يغدو الإسلام أيضاً ديناً ميتاً مثل بقية الأديان الميتة ولكن الله تعالى يأبى ذلك. لقد استخدم الله تعالى في وحيه كلمة النبوة والرسالة في حقي مئات المرات، ولكن المراد من هذا اللفظ هو المكالمات والمخاطبات الإلهية الكثيرة والمشملة على أنباء الغيب، ليس أكثر من ذلك. لكل أن يختار في كلامه مصطلحاً، لقولهم: "لكل أن يصطلح". فهذا مصطلح إلهي إذ أطلق هو ﷺ كلمة النبوة على كثرة المكاملة والمخاطبة. أي تلك المكالمات التي أخبر فيها عن أخبار غيبية كثيرة. واللغة على من يدعي النبوة متخلياً عن فيض النبي ﷺ، ولكن نبوتي هذه إنما هي نبوة النبي ﷺ، ليست بنبوة جديدة، ولا تهدف إلا إلى إظهار صدق الإسلام على العالم، وتبيان صدق النبي ﷺ. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٣٩-٣٤١)

لقد كتبت مراراً أن الأمر الحقيقي والواقعي هو أن سيدنا ومولانا النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، ولا نبوة مستقلة ولا شريعة بعده ﷺ. ومن ادّعى ذلك فهو ملحد ومردود بلا أدنى شك. ولكن الله تعالى أراد منذ البداية أن يُكرم شخصاً - لإظهار كمالات النبي ﷺ المتعدية وإثباتها - بمرتبة كثرة المكالمات الإلهية ومخاطباته بسبب أتباعه وطاعته النبي ﷺ، بحيث تخلق في ذلك الشخص صبغة النبوة كانعكاس. فمن

هذا المنطلق سماني الله تعالى نبيا بمعنى أن النبوة المحمدية انعكست في مرآة نفسي وأعطيت هذا الاسم على سبيل الظلية وليس على وجه الحقيقة لأكون نموذجا كاملا لفيوض النبي ﷺ. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٤٠ الحاشية)

إنما يقصد الله ﷻ من كلمة "النبي" في هذا الزمن أن ينال الإنسان شرف المكاملة والمخاطبة الإلهية على وجه أكمل فقط، وأن يكون مأمورا من الله لتجديد الدين ولا يلزم أن يأتي بشريعة جديدة؛ لأن الشريعة قد ختمت على النبي ﷺ ولا يجوز حتى إطلاق لفظ النبي على أحد بعده ﷺ ما لم يكن من أمته ﷺ، مما يعني أنه نال كل إنعام عن طريق اتباعه ﷺ وليس مباشرة. (التجليات الإلهية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٠١، الحاشية)

قد انقطعت الآن ما عدا النبوة المحمدية. لا يمكن أن يأتي نبي بشرع جديد، ولكن يمكن أن يأتي نبي بغير شرع جديد ولكن بشرط أن يكون من الأمة أولا. فبناءً على ذلك أنا من الأمة ونبي أيضاً. وإن نبوتي، أعني المكاملة والمخاطبة الإلهية، ظلّ لنبوة النبي ﷺ، وليست أكثر من ذلك. إن النبوة المحمدية هي التي ظهرت في. وبما أنني مجرد ظلّ له ﷺ ومن أمته، فلا ينال ذلك من شأنه ﷺ. وهذه المكاملة والمخاطبة التي أناها يقينية، ولو ساورني في ذلك شكٌ للحظة لصرتُ كافرا ولحبطتُ آخري. إن الكلام الذي نزل عليّ يقيني وقطعي، وكما لا يشكُّ أحد في الشمس وضوئها بعد رؤيتها كذلك لا يسعني الشكُّ في الكلام الذي ينزل عليّ من الله ﷻ، فأنا أؤمن به إيماني بكتاب الله ﷻ. من المحتمل أن أخطئ في تفسير الكلام الإلهي بعض الأحيان لأمد ما، ولكن من المستحيل أن أشكَّ في أنه كلام الله. ولما كان لقبُ "النبي" يطلق حصرا - في رأيي - على من ينزل عليه كلامُ الله اليقيني والقطعي بكثرة ويشتمل على الغيب؛ فلهذا قد سمّاني الله نبيا لكن بدون شريعة، لأن حامل الشريعة إلى يوم القيامة هو القرآن الكريم وحده. (التجليات الإلهية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤١٢)

"وإن قال قائل: كيف يكون نبيٌّ من هذه الأمة وقد ختم الله على النبوة؟ فالجواب إنه ﷺ ما سمى هذا الرجل نبياً إلا لإثبات كمال نبوة سيدنا خير البرية، فإن ثبوت كمال النبي لا يتحقق إلا بثبوت كمال الأمة، ومن دون ذلك ادعاء محض لا دليل عليه عند أهل الفطنة. ولا معنى لختم النبوة على فردٍ من غير أن تحتتم كمالات النبوة على ذلك الفرد، ومن الكمالات العظمى كمال النبي في الإفاضة، وهو لا يثبت من غير نموذج يوجد في الأمة. ثم مع ذلك ذكرتُ غير مرة أن الله ما أراد من نبوتي إلا كثرة المكاملة والمخاطبة، وهو مسلمٌ عند أكابر أهل السنة. فالنزاع ليس إلا نزاعاً لفظياً. فلا تستعجلوا يا أهل العقل والفطنة. ولعنة الله على من ادعى خلاف ذلك مثقال ذرة، ومعها لعنة الناس والملائكة." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٣٧، الحاشية)

"والنبوة قد انقطعت بعد نبينا ﷺ، ولا كتاب بعد الفرقان الذي هو خير الصحف السابقة، ولا شريعة بعد الشريعة المحمدية، بيد أني سُميتُ نبياً على لسان خير البرية، وذلك أمر ظلي من بركات المتابعة، وما أرى في نفسي خيراً، ووجدتُ كُلَّ ما وجدت من هذه النفس المقدسة. وما عني الله من نبوتي إلا كثرة المكاملة والمخاطبة، ولعنة الله على من أراد فوق ذلك، أو حسب نفسه شيئاً، أو أخرج عنقه من الرِّبقة النبوية. وإن رسولنا خاتم النبيين، وعليه انقطعت سلسلة المرسلين. فليس حقُّ أحدٍ أن يدعي النبوة بعد رسولنا المصطفى على الطريقة المستقلة، وما بقي بعده إلا كثرة المكاملة، وهو بشرط الاتِّباع لا بغير متابعة خير البرية. ووالله، ما حصل لي هذا المقام إلا من أنوار اتِّباع الأشعة المصطفوية، وسُميتُ نبياً من الله على طريق المجاز لا على وجه الحقيقة. فلا تهيج ههنا غير الله ولا غيره رسوله، فإني أُرَبِّي تحت جناح النبي، وقدمي هذه تحت الأقدام النبوية. ثم ما قلتُ من نفسي شيئاً، بل اتَّبعتُ ما أُوحي إليَّ من ربي. وما أخاف بعد ذلك تهديد الخليفة، وكلَّ أحدٍ يُسأل عن عمله يوم القيامة، ولا يخفى على الله خافية." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٨٨-٦٨٩)

ومخاطبته، وليس ضروريا أن يأتي بشريعة جديدة، كما ليس ضروريا ألا يكون تابعا لرسول مشرّع. فلا مانع في اعتبار فرد من الأمة نبيا على هذا النحو، ولا سيما إذا كان ذلك الفرد من الأمة مستفيضا من نبيه المتبوع. بل الفساد يحدث إذا حُرمت الأمة من المكاملة والمخاطبة الإلهية بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة. إن الدين والنبي الذي لا يحظى المرء نتيجة اتباعه بقرب الله حتى ينال شرف مكاملة الله، ليس ديننا ولا نبيا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٠٦) لا ينخدعنّ هنا أحد من لفظ "نبي"، فقد كتبت مرارا وتكرارا أن نبوتي ليست مستقلة، إذ إن النبي المستقل لا يمكن أن يُدعى أُمِّيًّا، بينما أنا أُمِّيَّة. فهذا اسم تشريفٍ شَرَفني الله تعالى به نتيجة اتّباعي النبي ﷺ لتكتمل المماثلة بعيسى ﷺ. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٦٠، الحاشية)

إنني أقرُّ في بيت الله، المسجد، وأمام المسلمين بكل صراحة بالأمور المفصلة أدناه وهي أنني أوّمن بحتم نبوة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ، والذي يُنكر ختم النبوة أعده ملحدا وخارجا عن حظيرة الإسلام، كذلك أوّمن بالملائكة والمعجزات وليلة القدر وغيرها. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٢٣٢)

تُلقب بي تهمة باطلة بأيّ قد ادعيْتُ النبوة بحيث لا تبقى لي علاقة بالإسلام، أي وكأني أعدُّ نفسي نبيا مستقلا بحيث لا أرى حاجة لاتباع القرآن الكريم، وأتخذ لي شهادةً مستقلةً، وقبلهً مستقلةً، وأنسخ شرع الإسلام، وأخرج عن طاعة النبي ﷺ والافتداء به؛ إنها لتهمة باطلة تمامًا. وإن دعوى النبوة كهذه كفر عندي. ولا أقول ذلك اليوم فحسب، بل لم أزل أسجل في كل كتاب لي دوماً أنني لا أدعي بمثل هذه النبوة أبداً، وأنها تهمة باطلة تُوجّه إلي. والأساس الذي أدّعي النبوة بناء عليه إنما هو أنني أتشرف بكلام الله تعالى. إنه يحاورني ويكلّمني بكثرة، ويجب على أسئلي، ويُظهرني على كثير من أنباء الغيب، ويكشف لي أسرار المستقبل، فهو لا يكشفها

لأحد ما لم يكن محظوظاً بقرب خاص من عنده. وبسبب كثرة هذه الأمور فقد سماني نبياً. وإنني نبي وفق حكم الله تعالى. ولو أنني أنكرت ذلك لكنت عاصياً. وما دام الله هو الذي سماني نبياً فكيف يمكن أن أنكر ذلك. ولسوف أبقى ثابتاً على هذا الموقف إلى أن أرحل من هذه الدنيا. غير أنني لست بنبي بحيث أنفصل عن الإسلام أو أنسخ حكماً من أحكامه. كلا، بل إن رقبتي تحت نير القرآن الكريم، وليس لأحد أن ينسخ حتى نقطة أو حركة من القرآن الكريم. فإنني أعد نفسي نبيا من منطلق أن معنى النبي في العربية والعبرية هو الذي ينبئ بكثرة بتلقي الإلهام من الله تعالى. وهذا المعنى لا يتحقق بدون الكثرة، كما لا يُعد غنيا من يملك فلسا واحدا. فقد أعطاني الله من علم الغيب بكثرة بواسطة كلامه، وأظهر على يدي آلاف الآيات ولا يزال يُظهرها. وأقول، ليس مدحا لنفسي، بل بناء على فضل الله تعالى ووعدته بأنه إذا كانت الدنيا كلها في جانب وأنا في جانب وقدم أمر يُمتحن به عباد الله لوهبني الله الغلبة في هذه المواجهة، وأيدي من كل ناحية، ورزقي الفوز في كل مجال. فقد سماني الله نبيا لأنني أنا الوحيد الذي رُزقت في هذا الزمن بكثرة المكاملة والمخاطبة الإلهية وكثرة الاطلاع على الغيب. صحيح أن بعض الناس يرون الرؤى، ويتلقى بعضهم الإلهام أيضا، ويُطلع البعض على علم الغيب أيضا بما تشوبه بعض الشوائب؛ ولكن ذلك الإلهام يكون قليلا جدا من حيث المقدار ويحتوي على أخبار غيبية قليلة جدا، ومع هذا النقص يكون مشبوها فيه ومكدراً ومشوبا بالأفكار النفسانية. ففي هذه الحالة يقتضي العقل السليم أن ألا يُخلط الذي وحيه وعلمه بالغيب نزيه عن هذه الكدورة والعيب بغيره من الناس العاديين. بل يجب أن يُدعى باسم خاص للتمييز بينه وبين غيره؛ وقد سماني الله نبيا ليهبني هذه المرتبة المميزة. وقد أُعطيت لقب العزة للتمييز بيني وبين غيري. فإنني نبي وفرد من الأمة أيضا لتحقيق نبوءة سيدنا ومولانا ﷺ أن المسيح المقبل سيكون فردا من الأمة ونبيا أيضا وإلا فعيسى الذي يعلق الناس بعودته أملا باطلا وكاذبا أتى له أن يكون فردا من هذه

الأمّة؟ هل سيُسلم مجدداً بعد نزوله من السماء؟ ألن يبقى نبينا الأكرم ﷺ خاتم الأنبياء حينذاك. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٧٢٥-٧٢٦)

إن كفاءات الناس عند نزول القرآن تطورت وأخذت طابع المعقولية والمنطق، أما في زمن التوراة فكانت متصبّغة بصبغة الوحشية. لقد ظلت الكفاءات البشرية تتطور عبر العصور منذ آدم إلى أن اكتمل تطورها في عصر القرآن الكريم. لقد ورد في الحديث الشريف أن الزمان مستدير، وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١).

والضرورات بمنزلة محرّك للنبوة، والليالي المظلمة تجذب ذلك النور الذي ينبّجي العالم من الظلام، ووفقاً لهذه الضرورة بدأت سلسلة النبوة، ولما وصلت النبوة إلى زمان القرآن اكتملت، وكأن كل الضرورات قد سُدت، فاستلزم ذلك أن يكون النبي ﷺ خاتم الأنبياء. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٧)

... الحقُّ أنّ نسبة الأنبياء الآخرين إلى رسولنا ﷺ كنسبة الهلال إلى البدر. ينشأ الهلال في الظلام، ولكنه حين يكتمل يصبح بدرًا يصدّق ويؤكد حالته الأولى الهلالية. فاعلموا يقينا أنه لولا بعثة الرسول ﷺ لظَلَّ الأنبياء السابقون ونبوءاتهم خافية على الناس. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠٨٩٩/١/١، ص ٧)

يمكن فهمُ ختم النبوة كآلاتي: المقام الذي تنتهي عنده الأدلة والمعرفة تلقائياً قد سُمّي ذلك المقام ختم النبوة. والطعن بعد ذلك كالملاحدين هو ديدن الذين لا إيمان لهم. في كل شيء يكون بينات ويتوقف إدراكها واستيعابها على المعرفة الكاملة ونور البصيرة. ببعثة الرسول ﷺ تم تكميل الإيمان والعرفان، ونالت بها الأمم الأخرى أيضاً النور. لم تُعطَ أيّة أمة أخرى شريعةً بيّنة ومنيرة، لو كانت قد أُعطيَتْها فلمْ لم تترك أي أثر على الجزيرة العربية؟ لقد طلعت من الجزيرة العربية شمس أضاءت كل أمة وألقت أضواءها على كل قرية. إنه لمن مفاخر القرآن الكريم وحده أنه قادر على أن يتغلب على أديان العالم كلها في مسألة التوحيد والنبوة. إنه لمن مفاخر المسلمين أنهم أُعطوا

مثل هذا الكتاب. الحق أن الذين يهاجمون الإسلام معترضين على تعاليمه وهداياته إنما يتكلمون هذا جراء ظلمة باطنهم وعدم إيمانهم. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠/١/١٨٩٩م، ص ٨)

إن أكبر معاني خاتم النبيين إنما هو أن الله تعالى بدأ أمر النبوة من آدم عليه السلام وختمها على النبي ﷺ. هذا هو المعنى الظاهر البين.

والمعنى الثاني لحتم النبوة هو أن دائرة كمالات النبوة انتهت على النبي ﷺ. الحق والحق أقول إن القرآن الكريم قد أكمل الأمور الناقصة وخُتِمت النبوة، وصار الإسلام مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٤). باختصار، إن هذا الأمر هو من علامات النبوة، ولا داعي للخوض في النقاش عن كلفيته وكُنْهه. إن الأصول واضحة جلية، وهي تسمى الحقائق الثابتة، أما مثل هذه الأمور الفرعية الأخرى فلا حاجة للمؤمن للخوض فيها، إنما عليه أن يؤمن بها. وإذا اعترض عليها معترض فنستطيع إفحامه. وإذا لم ينته فيمكن أن نقول له أن يبرر بالدليل ما يوجد في دينه من أمور فرعية.

باختصار، إن ختم نبوة الرسول ﷺ هي علامة من علامات نبوته، ولا بد لكل مسلم من الإيمان بها. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠/١/١٨٩٩م، ص ٨-٩)

لقد أعطينا ذلك النبي الذي هو خاتم المؤمنين وخاتم العارفين وخاتم النبيين، وأنزل عليه ذلك الكتاب الذي هو جامع الكتب وخاتمها. كان النبي ﷺ خاتم النبيين، وخُتِمت به النبوة، ولكنها لم تُختم كما يتم القضاء على أحد بخنقه، لأن مثل هذا الختم ليس مدعاة للفخر. إنما المراد من ختم نبوة رسول الله ﷺ أنه قد خُتِمت عليه كمالات النبوة كلها طبعاً. أعني أن شتى الكمالات التي أُعطيت الأنبياء من آدم إلى المسيح بن مريم منفردين قد جُمعت كلها في نبينا ﷺ، وهكذا صار خاتم النبيين طبعاً. كذلك فإن كل التعاليم والوصايا والمعارف الواردة في مختلف الكتب والصحف قد خُتِمت على القرآن الكريم، فصار خاتم الكتب.

يجب أن تتذكروا هنا جيدا أن التهمة التي تُلصق بي وبجماعتي بأننا لا نؤمن بكون رسول الله ﷺ خاتم النبيين، إنما هي افتراء علينا عظيم. إن القوة واليقين والمعرفة والبصيرة التي نؤمن ونتيقن بها بأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء، لا يؤمن الآخرون بجزء واحد من المائة ألف جزء منها، لأنهم لا يقدرّون على ذلك. إنهم لا يفهمون الحقيقة ولا يستوعبون السر الكامن في مفهوم ختم النبوة لخاتم النبيين ﷺ. لقد سمعوا هذه الكلمة من الآباء والأجداد دون أن يعرفوا حقيقتها ولا يدرون ما هو ختم النبوة وما المراد من الإيمان به. ولكننا نؤمن بكون النبي ﷺ خاتم النبيين ببصيرة تامة يعلمها الله. لقد كشف الله علينا حقيقة ختم النبوة بحيث نجد من شراب المعرفة الذي سُقيناها لذة لا يتصورها أحد إلا الذين ارتَوَوْا من هذا النبع.

يمكن فهم ختم النبوة بالمثال التالي من أمثلة الدنيا: يبدأ القمر هلالاً، ويكتمل في الليلة الرابعة عشرة ويسمى بدراً، هكذا تماماً قد اكتملت كمالات النبوة على النبي ﷺ وخُتِمت. إن الذين يؤمنون بأن النبوة خُتِمت قهراً وأنه لا ينبغي تفضيل النبي ﷺ على يونس بن متى أيضاً، فإنهم لم يدركوا الحقيقة أصلاً، ولا علم لهم بفضائل النبي وكمالاته ﷺ، ومع ضعف فهمهم وقلة علمهم هذا يتهموننا بإنكار ختم النبوة! ماذا أقول لهؤلاء المرضى وكيف أتأسف عليهم؟ ولو أنهم ما كانوا متردّين لهذه الدرجة ومنحرفين عن حقيقة الإسلام كليةً، لما كانت ثمة حاجة لمجيئي؟ لقد ضعف إيمانهم جداً، ويجهلون مفهوم الإسلام وغايته تماماً، وإلا لما كان هناك سبب لأن يعادوا أهل الحق عداوةً تؤدي بصاحبها إلى الكفر. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٩، عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م، ص ٦)

من معاني كون النبي ﷺ خاتم النبيين أن الله تعالى قد زود بمحض فضله أمة النبي ﷺ بكفاءات عظيمة، حتى ورد في الحديث أيضاً: "عُلِّمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَئِيلَ." ومع أن المحدثين يرون أن هذا الحديث ضعيف، إلا أن نور قلبنا يراه حديثاً صحيحاً، ونسلم به بلا تردد وسؤال. ثم لم ينكره أحد من أولياء الله تعالى بناءً على كشفه، وكل من تكلم منهم في هذا الحديث صدّقه.

ولا يعني هذا الحديث أنّ علماء الظاهر في أمّتي هم كأنبياء بني إسرائيل، كلا. ينبغي ألاّ يغتَرّ أحد بلفظ العلماء. بعض العلماء يتمسكون بظاهر الكلمات ولا يحاولون الوصول إلى عمق معانيها، وهذا هو السبب في أنهم لا يتقدمون في تفسير القرآن الكريم.

ليس المراد من العالم الرباني أن يكون عالماً عديم المثال في الصرف والنحو أو المنطق، بل المراد أنه يخشى الله دائماً، ولا ينطلق لسانه باللغو أبداً. ولقد أتى علينا الآن زمان زعم فيه كل مَنْ هبّ ودبّ حتى غَسَّالُ الموتى أيضاً أنه عالمٌ، وتلقب بهذا اللقب، وهكذا قد أُسيءَ إلى هذا اللفظ إساءة بالغة، وصار يُستخدم فيما يتنافى مع مشيئة الله تعالى ومراده. مع أن القرآن الكريم قد قال في صفة العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٩)، أي إنما يخشى الله تعالى من عباده مَنْ هم علماء. وعلينا أن ندرك من هنا أن الذين يفتقرون إلى صفات الخوف والخشية وتقوى الله لا يستحقّون أن يُدعوا بلقب العلماء أبداً.

الحق أن العلماء جمعُ عالم، والعلم يُطلق على الشيء اليقيني القطعي. والعلم الحقيقي يُنال من القرآن الكريم، لا من الفلسفة الإغريقية ولا من الفلسفة الإنجليزية المعاصرة. كلا، إنما تُنال الفلسفة الإيمانية الحقّة من القرآن الكريم. إن كمال المؤمن ومعجازه هو الوصول إلى مرتبة العلماء وبلوغ مقام حق اليقين الذي هو درجة العلم النهائية. ولكن الذين ليسوا محظوظين بالعلوم الحقّة ولم تُفتح لهم سبل المعرفة والبصيرة محرومون تماماً من ميزات العلم الحقيقي وصفاته، وإنّ سمّوا أنفسهم علماء. لا يوجد فيهم الضياء والنور الذي يُنال بالعلم الحقيقي، بل هم في خسران تام، ويملأون عاقبتهم بالدخان والظلام، وفي مثل هؤلاء قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣).. أي أن الذي هو أعمى في هذه الدنيا سيحشر في الآخرة أيضاً أعمى، بمعنى أنّ الذي لم يوهب علم البصيرة والمعرفة في هذه الدنيا أنى له أن يجدها هنالك؟ فلا بدّ للإنسان من أن يأخذ معه من هذه

الدنيا العينَ القادرة على رؤية الله تعالى، أما الذي لا تتيسر له هذه العين في هذه الدنيا فلا يأمل أن يرى الله تعالى في الآخرة.

إن الذين يُعطون المعرفة والبصيرة الصادقة والعلم نتيجة خشيتهم لله هُم الذين قد شُبِّهوا في هذا الحديث بأنبياء بني إسرائيل. ذلك أن الله تعالى قد أعطى هذه الأمة منبع العلوم الحققة، القرآنَ الكريم. ونال الحقائق والمعارف التي بينها القرآن الكريم والتي لا تنال إلا بالتقوى الحقيقية وخشية الله، فقد نال ذلك العلم الذي يجعله مثيلاً لأنبياء بني إسرائيل. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٠، عدد ١٩٠٥/٣/٢٤ م، ص ٥)

لما وصف الله تعالى النبي ﷺ خاتم النبيين، أودع شخصه وجميع عمله وفعله إعجازاً؛ فمع أنه لم يتعلَّم ﷺ في حياته ولا تعليماً بسيطاً إلا أنه جاء بنعمة عظيمة مثل القرآن الكريم، ووهب الأمة معجزة عظيمة. (الحكم، مجلد ٤، عدد ١٦، رقم ١٩٠٠/٤/١٧ م، ص ٤)

إننا نؤمن بأن نبينا الأكرم ﷺ قد جاء بشريعة كاملة، وكان خاتم النبوة؛ إذ إن الكفاءات والقوى البشرية في ذلك العصر قد تطلبت ختم النبوة واكتمالها. فلا نؤمن بمجيء شريعة جديدة بعده ﷺ أبداً، غير أن نبينا ﷺ مثل موسى، كذلك كان لا بد لخاتم السلسلة المحمدية، الذي هو خاتم الخلفاء أي المسيح الموعود، أن يأتي على شاكلة المسيح الناصري عليه السلام. فأنا خاتم الخلفاء والمسيح الموعود في هذه الأمة. وكما أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة، بل جاء لإحياء شريعة موسى، كذلك لم آت بشريعة جديدة -ولا يقبل قلبي بحال نزول شريعة أخرى بعد القرآن الكريم، لأن القرآن شريعة كاملة وخاتم الكتب- وقد بعثني الله تعالى في هذا القرن بصفتي خاتم الخلفاء لإحياء الشريعة المحمدية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٧، عدد ١٩٠١/٥/١٠ م، ص ٢-٣)

إن كمال النبي يقتضي كمال الأمة، ولما كان النبي ﷺ خاتم النبيين، فحُتِّمَت عليه كمالات النبوة، وبُحِثِمَ كمالاتها عليه حُتِّمَت النبوة أيضاً. (الحكم، مجلد ٥، رقم

إنَّ حرف "لكن" هنا يفيد الاستدراك. لما لم يكن النبي ﷺ أبا أحد فلا اعتراض الذي وجهه الأعداء بالقول ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٤) يقع على النبي ﷺ، وكأن الله تعالى صدّق المعارض؛ فقال الله تعالى لدحض هذا الزعم: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لن يتحلى أحد الآن بمرتبة الأقطاب أو الأبدال أو الأولياء بغير خاتم النبي ﷺ. هذا هو حال الحكام الدينيين أيضا أنه لو لم يكن هناك خاتم على وثيقة رسمية لما عدّوها صالحة. كل من ينال شرف الإلهام أو المكاملة الإلهية إنما يناله ببركة خاتم النبي ﷺ فقط. فبهذا المعنى إنه ﷺ أب الناس جميعا. فقد نُفِيت النبوة من وجه وأثبتت من وجه آخر. وإذا قيل بأن سلسلة إفاضات النبي ﷺ قد انقطعت ولن ينال أحد الآن شرف المكاملة والمخاطبة لدُبر الإسلام كله. إن مثل جماعتنا كمثال الذي يرى صورته في مرآة بحيث يرى ما هو أمام المرآة فقط ولن يتراءى له شيء آخر. إن هؤلاء الناس لا يتأملون في هذه الآية، وأعلم جيدا أنهم يعتقدون اعتقادا أن سلسلة المكاملة الإلهية قد انقطعت. الكلام هو بمعنى الوحي. لم يُذكر الإلهام في القرآن أيضا بل ذُكر الوحي. والمعلوم أن الإلهام والوحي جاءا بمعنى واحد على وجه القطعية. إنهم لا يدركون أنه إذا انقطعت هذه السلسلة ماذا سيبقى من بركات الإسلام؟ فهذا هو المعنى الذي بيّنته في مثال المرآة وما ينعكس فيها، أي أن الظل يتضمن نقوش الأصل كلها. كذلك هو حال ظل النبوة أيضا، غير أن النبوة بغير واسطة رسول الله قد انقطعت، ومن أنكر ذلك فقد كفر وخرج من الدين. إذا كان الدين ميتا هكذا فكيف تُتَوَقَّع النجاة؟ وإن لم يتمكن الإنسان من إكمال المعرفة في هذا العالم فأَيّ دليل عنده أنه سيكملها يوم الآخرة. فلا سبيل إلا ما تقدّمه نحن. ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣) يتضح من عدة آيات في القرآن الكريم أن هذه الأمة هي خير الأمم، ولكن أين الخير إذا استمر الإلهام والمكاملة والمخاطبة في الأمة الموسوية وانقطع في هذه الأمة؟ فأين المماثلة بين هذه الأمة وأمة موسى؟

إن رسول الله ﷺ إنما هو مكمل هذا العالم أي قد انتهى عليه كمال هذا العالم (الروحاني). هذا هو معنى ختم النبوة، أي أنه لن يكون نبي ما لم يكن على نبوته خاتم رسول الله ﷺ. فيمكن مشاهدة نظيره في هذا العالم الدنيوي بحيث لا تُصدّق وثيقة رسمية ما لم يكن عليها خاتم حكومي. فتبين من هذه الآية أن الله تعالى قد رفض الأبوة الجسدية وأثبت الأبوة الروحانية. على أية حال، يجب الإيمان بأن بركات رسول الله ﷺ وإفاضاته سوف تبقى جارية. ما معنى الحب في الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)؟ ليس معناها قط أن الذي يحبه الله يُعَمِّيه في هذه الدنيا. لو ملك ضيقو الآفاق هؤلاء شيئا من العقل لعلموا أن الإنسان هو الذي يبحث عن اللب لا عن القشر. لقد طلب الأبدال جميعا اللب دائما. إن الإيمان الحقيقي هو أن يطلب المرء دائما أن تكون عيناه بصيرتين لا عمياوين. ما هو سبب كون المسلمين محل غضب؟ إنما السبب هو أنهم يقولون بلسانهم إنهم آمنوا ولكن ليس في قلوبهم شيء. هذا هو معنى الآية: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الحج: ٧٥)، وهذا هو العمى الذي ذكرته وهو سبب الفسق والفجور. وقد أقام الله تعالى هذه الجماعة لاستعادة البصيرة المفقودة. ويريد الله أن يُثبت أن النبي ﷺ حيٌّ وبركاته أيضا حية. لولا ذلك لما كان هناك فرق بين النصارى والإسلام، هذا ميت وذاك ميت، هذه قصة وحكاية، وتلك قصة وحكاية، فكيف يمكن البتُّ في الموضوع والحالة هذه؟ لقد أراد الله أن يُظهر البركات السماوية. ولكن كيف يُظهرها إن لم يأت إنسان مثل رسول الله ﷺ. هذا كله فعل الله تعالى، نحن عباد ولا نتوقع نجاحا ولا فشلا، هو أعلم بمن هو ذو حماس مفرط وسينفذ الله حكمته كما يشاء. (بدر مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨-١٢/٥-١٩٠٢م، ص ٣٧)

توجد في "البراهين الأحمدية" إلهامات وردت فيها كلمة نبي أو رسول، مثل: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق"، و"جريُّ الله في حلل الأنبياء" وغيرها، ولكنهم لا يتدبرونها. ومن المؤسف أنهم لا يدركون هل يُفَضُّ خاتم النبوة بمجيء

المسيح الإسرائيلي أم بمجيء محمد ﷺ نفسه؟ إنما ينكر ختم النبوة أولئك الذين ينزلون المسيح الإسرائيلي من السماء. أما نحن فلا نعتقد بمجيء نبي آخر، سواء أكان قديماً أو جديداً، بل نعتقد أن شخصاً آخر ألبس رداء محمد رسول الله ﷺ ولم يأت إلا هو ﷺ. (الحكم، مجلده رقم ٤٤، عدد ٣٠/١١/١٩٠١م، ص ٢)

أما قول الله للنبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ٢) فيعود تاريخه إلى زمن عيّر فيه أحد الكافرين ﷺ بأنه ليس لديه أولاد قائلاً: إنه "أبتر"، فقال الله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٤). فإن الروحانيين الذين سيأتون لاحقاً سيعدّون أبناءه ﷺ ويرثون علومه وبركاته وينالون نصيباً منها. وإذا قرأتم الآية المذكورة مع الآية: ﴿كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١) لتبينت الحقيقة تماماً. لو لم يكن للنبي ﷺ أبناء روحانيون أيضاً لاعتبر أبتر - والعياذ بالله - مع أن ذلك مقدر لأعدائه. ويتبين من: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ٢) أن النبي ﷺ قد أعطي أبناءً روحانيين بكثرة. ولو لم نعتقد أنه ﷺ أعطي أبناء روحانيين بكثرة لكننا ممن ينكرون هذه النبوءة.. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٣م، ص ٢)

اعلموا جيداً أنه لا يصبح أحد مسلماً صادقاً ومتبعاً للنبي ﷺ ما لم يؤمن به ﷺ خاتم النبيين. وإذا لم يتعد عن هذه المحدثات ولم يؤمن به ﷺ خاتم النبيين قولاً وفعلاً، فلا معنى لإيمانه. نعم ما قال سعدي:

بزه وورع كوش وصدق وصفا
وليكن ميفزائے بر مصطفی

أي: اسع جاهداً للتخلي بالزهد والتقوى والصدق والصفاء، ولكن لا تتجاوز سنة المصطفى ﷺ.

إن هدي الذي خلق الله لأجله الحماس في قلبي هو ترسيخ دعائم نبوة رسول الله ﷺ وحده التي أقامها الله تعالى إلى أبد الأبد، وتمزيق النبوات الكاذبة كلها إرباً، تلك التي أقامها هؤلاء القوم نتيجة بدعهم. انظروا إلى المتصوفين أصحاب الزوايا

وافحصوا أعمالهم، لتروا هل نحن نؤمن بأن النبي ﷺ خاتم النبيين أم هؤلاء؟ من الظلم والخبث الزعم أن الله تعالى لم يُرد من ختم النبوة إلا أن نؤمن باللسان فقط بأنه ﷺ خاتم النبيين، ونفعل ما يحلو لنا، ونخترع شريعة جديدة من عند أنفسنا. لقد اخترعوا من عند أنفسهم ما يسمونه "الصلاة البغدادية، و"الصلاة المعكوسة" وغيرهما. هل تجدون أثراً لذلك في القرآن الكريم وفي أسوة النبي ﷺ. وهل تجدون في القرآن الكريم أثراً لقولكم: "يا شيخ عبد القادر الجيلاني شيئاً لله؟" لم يكن للشيخ عبد القادر الجيلاني أي وجود في زمن النبي ﷺ، فمن أخبركم بمثل هذه الأقوال؟ اخجلوا قليلاً، هل هذا هو التزامكم بشريعة الإسلام؟ احكموا الآن بأنفسكم، كيف يليق بكم - وأنتم تأتون مثل هذه الأعمال - أن تتهموني بأي نقضت ختم خاتم النبيين؟ الحق أنه لو لم تُفحموا البدع في مساجدكم وآمنتم بنبوة خاتم النبيين الصادقة وتأسيتم بأسوته وجعلتم عمله سيرتكم، لما كانت هناك حاجة لمجيئي أصلاً. إن بدعكم هذه ونبؤاتكم الجديدة التي اخترعتموها هي التي هيّجت غيرة الله ليعث شخصاً في حلّة رسول الله ﷺ، ليمزق وثن النبؤات الكاذبة كلها. لقد أرسلني الله تعالى مكلفاً بهذه المهمة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ٥-٦)

معنى ختم النبوة أنه لا يمكن تصديق نبوة أحد بغير خاتمته ﷺ. عندما يُختم على ورقة تصبح رسمية وتُعدّ مصدّقة، كذلك النبوة التي لا تحمل خاتم رسول الله ﷺ وتصديقه ليست صحيحة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ٩)

... يقولون بأن الله سماني نبياً؟! نعم صحيح تماماً، نؤمن بأن رسول الله ﷺ ينبوع البركات. فإذا لم يكن السراج قادراً على أن يضاء به سراج آخر فهو لا يستحق المدح. ولكننا نؤمن بالنبي ﷺ نورا يستنير به الآخرون.

إن قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ صحيح تماماً. لقد نفى الله تعالى أبوته الجسدية واستثنى أبوته الروحانية. وإذا أقررنا - كما يقول معارضونا - أنه ليس له ﷺ ولد مادي ولا روحاني فهذا يعني

أنهم يحسبونه أبتر والعياذ بالله. ولكن الأمر ليس كذلك بل شأنه هو: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وقال الله تعالى في آية خاتم النبيين أنه ﷺ ليس أبا من الناحية الجسدية ولكن سلسلته الروحانية جارية. إن كلمة "لكن" تستخدم لخبر ما فات. فيقول الله تعالى له ﷺ بأنك خاتم، وإن سلسلة النبوة تجري بمخاطمك أنت.

ما ادّعت شيئاً من عند نفسي، بل ادّعت بحسب ما جاء في وعود الله تعالى. وهذا فعل الله وفضله وهو يفعل ما يشاء، وقد تحقق ما وعد الله أنبياءه. لقد ورد في البراهين الأحمدية منذ ذلك الوقت إلهام: "وكان أمراً مقضياً. صدق الله ورسوله، وكان أمراً مفعولاً" وغيره. فهناك عشرات الإلهامات من هذا القبيل التي يتبين منها بصرحة أن هذا ما قدره الله تعالى ولا دخل لي في ذلك. هل كنت موجوداً عندما وعد الله تعالى الأنبياء هذه الوعود؟ كما يرسل الله تعالى المرسلين كذلك حقق وعده الآن أيضاً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ١٠-١١)

إن ختم النبوة سلسلة علمية عجيبة حقاً، إذ إن الله تعالى يُقيم النبوة أيضاً، وللاستفادة منها يبدأ سلسلة أخرى. هذا بحث علمي، ولكن بُعد أن يؤتى نبي آخر يقلب هذه السلسلة رأساً على عقب مع أن حكمة الله ومشيئته لا تريد أن يأتي نبي آخر بغض النظر إذا كان بشريعة جديدة أم لا. لا يمكن أن يأتي نبي بعد رسول الله ﷺ منفصلاً عنه وبغير الاستفاضة منه ﷺ وإن كان بغير شريعة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٦)

التقدم المادي الذي حصل إلى الآن لم يحصل في الأزمنة السابقة، كذلك هي سلسلة التقدم الروحاني التي استمرت وبلغت أوجها على يد رسول الله ﷺ. هذا هو معنى خاتم النبيين. (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/١٩٠٢م، ص ٣٠)

إن مذهب محيي الدين بن عربي عن ختم النبوة هو أن النبوة التشريعية قد انتهت، وإلا هو لا يفرّق بين الكلام الإلهي والنبوة. لقد أخطأ العلماء في

هذه المسألة كثيرا. المراد من الألف واللام في "النبيين" في القرآن الكريم هو أن النبوة التشريعية انتهت الآن، ومن ادّعى شريعة جديدة فهو كافر، أما إذا أنكرنا المكاملة الإلهية أصلا فيعدّ الإسلام ديناً ميتاً ولا يبقى أي فرق بينه وبين الأديان الأخرى، لأنه بعد المكاملة لا يبقى شيء إذا وُجد في أحد سُمّي نبيا. فعلامة النبوة هي المكاملة فقط، لكن المسلمين اتخذوا لأنفسهم مذهبا أن المكاملة الإلهية قد انقطعت. فمن هنا يتبين أن غضب الله العظيم هو على هذه الأمة فقط، وسيعدّ دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦-٧) خداعا محضا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٦، عدد ٢٧/٢/١٩٠٣ م، ص ٤٢)

معنى ختم النبوة أن جميع كمالات النبوة ومحاسنها اختتمت عليه، وسُدّ باب كمالات النبوة مستقبلا، فلن يأتي أي نبي مستقل بعده ﷺ.

إن كلمة "النبي" مشتركة في العربية والعبرية، ومعناها الذي يتلقي النبأ من الله، ويدلي بالنبوءة. فالذين كانوا يتلقون الأنباء من الله مباشرة يُسمّون أنبياء، وصار ذلك اصطلاحاً. يتبين من هذه الآية أن الله ﷻ قطع النبوة للمستقبل، وختم أنه لن يُبعث نبي دون مُهر (ختم) النبي ﷺ. وما لم يكن أي أحد من أمته ولم يكسب الفيوض منه ﷺ، فلا يسعه الفوز بشرف مكاملة الله. فإذا كان هناك أحد يدعي أنه يستطيع الفوز بشرف المكاملة الإلهية دون أن يكون من أمة النبي ﷺ ودون أن ينال الفيض من فيوضه ﷺ فأعرضوه عليّ.

هذه الآية وحدها دليل قوي على ما نقوله، أي لن يأتي عيسى عليه السلام بل القادم سيكون من هذه الأمة، لأنه سيكون نبيا ولا يمكن أن ينال أي شخص فيض النبوة بعد النبي ﷺ ما لم ينل الفيض من النبي ﷺ. وبتعبير آخر ما لم يكن من أمته ﷺ. إن آية خاتم النبيين صريحة فكيف يمكن أن يأتي. فإما أن تعزلوه من النبوة وتجزئوا هذه الإساءة والإهانة، أو لا بد من القبول أن القادم سيكون من هذه الأمة حصراً.

إن مصطلح "النبي" كان يطلق على النبي المستقل، أما بعد ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فقد انقطعت النبوة المستقلة.

خاتمة نزول مسموع است معجزة آل نبي متبوع است

أي: الخوارق التي تظهر من أي ولي هي في الحقيقة معجزة للنبي المتبوع. تذكروا جيدًا وبتدبر أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين وأن عيسى ﷺ حائز على شرف النبوة سلفًا، فهل يمكن أن يأتي مرة أخرى ويخسر نبوته؟ هذه الآية تمنع بعثة أي نبي مستقل بعد النبي ﷺ، غير أنه يمكن أن ينال شخص من أمته ﷺ وبفيضه الدرجة التي كان ينالها نبي مستقل في زمن مضى. وهذا يزيد النبي ﷺ شرفًا ومكانة. أما إذا جاء عيسى نفسه فهذا يستلزم تكذيب آية خاتم النبيين، إذ سيعد المسيح هو خاتم النبيين، وبذلك تصبح بعثة النبي ﷺ غير أبدية لأنه جاء ثم رحل بعد مدة من الزمن بينما كان المسيح قبله ﷺ وسيكون بعده أيضًا. باختصار إن اعتقاد بعثة المسيح الإسرائيلي نفسه ثانية يتسبب في نشوء مفاسد كثيرة، ويضطر المرء إلى إنكار ختم النبوة، وهذا كفر. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣ م، ص ٣-٤) معنى ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ينحصر في نظر هؤلاء في أن باب الإلهام بعده ﷺ قد أغلق للأبد، وأن بركة المكاملة والمخاطبة الإلهية قد انقطعت عن أمته نهائيًا، لكننا نلاحظ أن كل قرن كان يترقب أن ينال واحدًا أو عدد من أفراد الأمة شرف المكاملة الإلهية حتمًا لكي يزيلوا الغبار عن الإسلام ويجلوا وجهه من جديد ويصقلوه للعالم. فحين يُسأل هؤلاء عن دليل صدقهم، إذ ليس عندهم آيات وخوارق، يذكرون غيرهم، وهم شخصيًا محرومون. كان الصحابة ببركة صحبة النبي ﷺ والتعایش معه قد تصبَّغوا بصبغته ﷺ فبرؤية تحقق نبوءات النبي وخوارقه الكثيرة كل حين وأن كان إيمانهم يتقوى ويتزكَّى ويتربَّن، وأخيرًا بلغوا الكمال التام تدريجيًا بقطع أشواط التقدم وتصبَّغوا بصبغة النبي ﷺ. أما هؤلاء فحين يُسألون عمَّا عندهم لتقوية إيمانهم فسوف يذكرون أن الخوارق والمعجزات كانت تظهر قبل ثلاثة عشر

قرناً، وكانت تصدر النبوءات أيضاً، أما الآن فلا شيء منها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٥)

النبوة التي منعها الله في القرآن الكريم بعد النبي ﷺ لا تعني أنه لن يكون في الأمة أي خير وبركة مطلقاً، ولن يكون لها شرف المكالمات والمخاطبات بل المراد من ذلك أنه بدون ختم النبي ﷺ لن تستقيم أي نبوة. فحين لم تستخدم كلمة النبي بحق أفراد هذه الأمة فسبب ذلك أن النبوة لم تكن قد انقطعت بعد موسى عليه السلام بل كان سيأتي النبي العظيم من أولي العزم وصاحب الشريعة أي محمد ﷺ لذا أبقى هذا اللقب جارياً بحققها، أما بعد النبي ﷺ فلما كان كل نوع من النبوة قد انقطع إلا بإذن منه ﷺ، لذا كان من الضروري نظراً إلى عظمتهم ﷺ أن لا تُستخدم هذه الكلمة. في الآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١)، قد نفى الله تعالى أولاده ﷺ الماديين وفي الوقت نفسه أثبت أولاده الروحانيين، أي أنه ﷺ أبٌ روحاني أيضاً، وأن النبوة الروحانية وسلسلة الفيوض ستستمر بعد وفاته ﷺ، وأنها ستكون تابعة له غير منفصلة عنه، وستستمر النبوة التي عليها خاتمه ﷺ. وإلا لو فهم أنّ باب النبوة مغلق نهائياً، فهذا والعياذ بالله يستلزم انقطاع الفيض، وهو يؤدي إلى النحوسة والإساءة إلى النبي، فكأن الله ﷻ قد كذب حين وصف هذه الأمة بـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١١) والعياذ بالله. فلو فسّرنا أنّ باب النبوة في المستقبل مغلق من كل النواحي لصارت هذه الأمة شر الأمم بدلاً من خير أمة، فحين لم تُفُز بشرف المكاملة والمخاطبة الإلهية فقد أصبحت ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأنعام: ١٨٠)، وينبغي أن توصف ببهائية السيرة، لا بخير الأمم. كما يصبح دعاء الفاتحة أيضاً لاغياً، حيث ورد ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فهل علّمنا أن ندعو الله تعالى أن يرزقنا الأطعمة الشهية التي رزقها السابقين؟ وهل هناك أمنية لثرت إنعاماتهم ولذا تم المادية؟ كلا، وإذا كان هذا هو المعنى فما الذي بقي لإثبات فضل الإسلام؟

بل هذا يفرض التسليم بأن القوة القدسية للنبي ﷺ لم تكن شيئاً يذكر، وأنه كان أقل درجة من موسى عليه السلام، إذ قد جاء بعده مئات الأنبياء في أمته بينما كره الله أمة النبي ﷺ إذ لم يكلم ولا واحداً من أمته، لأنه معلوم أن الحبيب يكلم حتماً. كلا بل إن سلسلة نبوة النبي ﷺ مستمرة لكن عن طريقه وبخاتمته، وسلسلة فيوضه جارية إذ قد تشرف الآلاف من هذه الأمة بشرف المكالمات والمخاطبات الإلهية وكانت فيهم خصائص الأنبياء، فقد خلا مئات الصالحين العظام، الذين ادَّعوا بذلك، فيمكن أن تقرأوا للاطلاع على ذلك كتاباً واحداً "فتوح الغيب" لحضرة عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه، وإلا حين قال الله ﷻ ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ (الإسراء: ٧٣)، إذا كان الله بنفسه جعل هذه الأمة عمياء، فهذا غريب! إذ جعلها بنفسه عمياء، وهو نفسه أورد الزجر والتوبيخ بحق الأعمى، حيث قال أنها ستكون عمياء في الآخرة أيضاً. فما ذنب هذه الأمة المسكينة؟ فمثله كمثل من قال لأحد إذا سقطت من هذا المكان فسوف تُسجن، ثم دفعه بيده.

فكأنه ﷻ بقطع سلسلة النبوة قال إنها حُرمت من المكالمات والمخاطبات وإنها خلقت لتعيش كالبهائم، ومن ناحية يقول: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. فأخبرونا كيف نرفع هذا التناقض، ففي موضع سماها بخير أمة، وفي موضع آخر قال بأنها عمياء، وستبقى في الآخرة أيضاً عمياء، والعياذ بالله، فكم من المعتقدات الباطلة ابتُدعت.

إذا جاء أحد من الخارج لإصلاحها فهذه أيضاً مشكلة، فهي إساءة إلى نبي هذه الأمة، والأمة أيضاً منكسة الرأس إذ لم يبق فيها من يقدر على الإصلاح وأنه لا يمكن لأحد أن يشرف بالمكالمة. وليس ذلك فحسب بل يقع الاعتراض على النبي ﷺ أن أمة نبي عظيم مثله قد ضعفت وانحطت لهذه الدرجة. كلا ليس الأمر هكذا، بل النبوة باقية في أمته بعده ﷺ وهناك أنبياء، إلا أن كلمة "النبي" لا تطلق

عليهم بسبب عظمة النبوة، لكن البركات والفيوض موجودة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٨)

إذا أمعنا النظر وجدنا أن شوكة النبي ﷺ تكمن في أن لا يقال نبيا لأحدهم بعد نبينا ﷺ، أما حين سمي الآخرون بعد موسى أيضًا أنبياء فهذا يحط من شأنه لأن موسى ﷺ كان نبيا، وجاء بعده آلاف الأنبياء الآخرين فلم تثبت ميزته وعظمته. لكن على عكس ذلك قد روعيت عظمة النبي ﷺ واحترام لفظ النبي له، إذ لم يُجعل أحد شريكًا في هذا الاسم بعده بأي وجه.

صحيح أن آلاف الصلحاء في أمة النبي ﷺ كانوا مستنيرين بنور النبوة وظل يوهب للآلاف نصيب من أنوار النبوة، ولا يزال يوهب. لكن لما كان النبي ﷺ قد سُمِّي بخاتم النبيين فلم يشأ الله ﷻ أن يحط من شأنه ﷺ بمنح هذا اللقب لغيره أيضًا. لقد نال ألوف مؤلفة من أفراد أمة النبي ﷺ درجة النبوة، وكانت آثار النبوة وبركاتها توج فيهم، إلا أنهم لم يُلقَّبوا باسم "النبي" هذا في الظاهر حفظا لشأن النبي ﷺ وسدًا لباب النبوة. وفي الطرف الآخر لما كانت فيوض النبي ﷺ وبركاته الروحانية لم تنقطع بل كانت أنوار النبوة مستمرة، كما يستشف من ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ أنَّ بخاتم النبي ﷺ وإذنه وبنوره يستمر نور النبوة أيضًا، ولم يغلق هذا الباب، كان من الضروري أن يُنشر ويشاع ذلك في الظاهر أيضًا، لذا قد استخدم ﷺ كلمة "نبي الله" بجلاء لتحقيق مماثلة أفراد أمة النبي ﷺ بأنبياء السلسلة الموسوية، وبذلك قد راعى كلا الأمرين بمنتهى اللطف والحكمة، لئلا يحدث الخط من شأن النبي ﷺ من ناحية، وتتم المماثلة بسلسلة موسى أيضًا من ناحية أخرى. فلم تُستخدم كلمة النبي لمدة ثلاثة عشر قرنًا مراعاةً لاحترام عظمة نبوة النبي ﷺ. وبعد ذلك حين رسخت معتقدات الناس بعد مرور هذه المدة الطويلة على أن النبي ﷺ هو وحده خاتم النبيين وأنه إذا استخدم اسم النبي بحق أحد فلا يحط من شأن النبي ﷺ مطلقًا، فقد استخدم اسم النبي بحق المسيح في الظاهر أيضًا. فمثله تمامًا كمثل قوله ﷺ أول

الأمر "لا تزوروا القبور" ثم بعد مدة قال: "فزوروها"، فكان النهي أولاً أيضاً بحكمة لأن الناس كانوا حديثي العهد بترك الأوثان، وكان يخشى أن يعودوا إليها. ثم حين لاحظ أن إيمانهم تقوى واكتمل ولم يجد أي بدعة وشرك طريقه إلى إيمانهم فقد سمح لهم بذلك. فالقضية نفسها هنا. فلم تُستخدم كلمة "نبي" بحق أحد خلال ثلاثة عشر قرناً ماضياً نظراً لهذه العظمة، وإن كانت صفات النبوة وأنوارها موجودة، وكانوا يستحقون أن يُسمَّوا أنبياء، إلا أنه لم يُعطَ لهم هذا الاسم نظراً لعظمة نبوة خاتم النبيين. أما الآن فحين لم يبق ذلك الخوف فقد سَمَّى المسيح الموعود في الزمن الأخير نبي الله. فكان إطلاق كلمة نبي الله صراحة على خدامه عليهم السلام وخلفائه يقتضي مراعاة أمرين، أولهما عظمة النبي عليه السلام والثاني عظمة الإسلام. فاحتراماً لعظمة النبي عليه السلام لم تُستخدم كلمة النبي بحق أولئك خلال ثلاثة عشر قرناً، لكي لا تسيء إلى ختم النبوة له، لأنه لو أُطلق اسم النبي بعده على خلفائه وصلحاء أمته على شاكلة أفراد أمة موسى عليه السلام لكان في ذلك إساءة إلى ختم النبوة ولم تكن لتبقى أي عظمة للنبي عليه السلام. فرفع الله تعالى بحكمته ولطفه هذا الاسم عن أفراد أمته لمدة ثلاثة عشر قرناً، لكي تتحقق عظمة نبوته عليه السلام. ثم لما كانت عظمة الإسلام تقتضي أن يكون في هذه الأمة بعض الأفراد الذين يُطلق عليهم اسم نبي الله، لكي تتم مماثلة هذه السلسلة بسابقتها، فقد استصدر عليه السلام من لسانه عليه السلام اسم النبي بحق المسيح الموعود في الزمن الأخير. وبذلك وفق بين أمرين متناقضين بمنتهى الحكمة والبلاغة إذ حقق المماثلة بالسلسلة الموسوية وحافظ على عظمة النبي عليه السلام ونبوته أيضاً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٩)

إن آية خاتم النبيين تفيد انقطاع النسل المادي فقط لا الروحاني، فالكلمات التي تنفي، بحد زعمهم، النبوة هي نفسها - في رأينا تُثبت - استمرار النبوة. فلمَّا كان الله تعالى يريد كمال عظمة النبي فقد كتب إن النبوة ستُنال في المستقبل بخاتم أتباعه فقط، أما إذا فُسر بأن النبوة انقطعت مطلقاً ونهائياً، فمنه تأتي رائحة

بجل الله. إنما المعنى أن كل نوع من الكمال قد حُتِم على النبي ﷺ وأن أمته في المستقبل ستَنال تلك الكمالات بمهره وخاتمته. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٩٩)

إن عدم تسمية أي من المجدين والمأمورين السابقين في هذه الأمة "نبيا" يثبت علو شأن النبي ﷺ وعظمته، وقد حظي بهذا الفضل رسول الله ﷺ وحده، ولم يحظ به موسى عليه السلام قط؛ لأنه جاء بعد موسى كثيرون سُمُوا أنبياء وبكثرة أي بالمئات بل بالآلاف، وهذا جعل شأن موسى عليه السلام أدنى، لأن اللقب الذي تلقاه هو أعطيه الآخرون أيضا بكثرة ولم يُستخدم لفظ خاتم النبيين بحق موسى بل استخدم بحق رسول الله ﷺ. لقد قدّر الله تعالى أن يخلق في هذه الأمة أناسا كثيرين وأكرمهم بشرف المكاملة ولكن لم يستخدم بحقهم كلمة "نبي" مراعاة لعظمة رسول الله ﷺ. ولو لم يُدع أحد باسم "نبي الله" في هذه الأمة لبقى جانب من المماثلة مع موسى ناقصا إلى حد كبير ولحازت الأمة الموسوية أفضلية من وجه؛ لذا فقد منح رسول الله ﷺ هذا اللقب بلسانه شخصا كان من المقدر أن يأتي في الدنيا بصفة المسيح ابن مريم، إذ كان هناك جانبان جديران بالاهتمام، أولهما ختم النبوة، وقد روعي هذا الجانب بعدم استخدام كلمة "نبي" بكثرة كما استخدمت في أمة موسى، والجانب الثاني كان المماثلة؛ فقد حققها إذ أعطى شخصا لقب "نبي". فكان استخدام هذا اللفظ ضروريا لإكمال المماثلة، وهذا ما تحقق. والحكمة التي كانت جديرة بالاهتمام هنا لم تكن موجودة في سلسلة موسى، لأن موسى لم يكن خاتم النبيين. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٢)

النبوة تعني المكاملة، فالذي ينبئ عن الغيب هو نبي، فإذا اعتبرت النبوة في المستقبل باطلة فلن تبقى هذه الأمة خير أمة، بل ستكون "كالأنعام". (بدر، مجلد ٢، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٩٩)

الذي يحبه الله لا يجرمه من الكلام، فحين يحب الله ﷻ إنسانا ببركة اتباع النبي ﷺ فهو يكلمه أيضاً، ويكشف عليه أخبار الغيب، وهو ما يسمّى النبوة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١/٥/١٩٠٣م، ص ١١٣)

إن لفظة "النبوة" في إلهاماتنا مشروطة بشرطين أحدهما أنها ليست تشريعية، والثاني أنها بواسطة النبي ﷺ. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ١٢)

عندما أستخدم كلمة النبي بحقي فإنما أريد بها دوماً المفهوم الذي لا ينافي ختم النبوة، وعندما أنفيها فأريد بها النبوة التي تنافي ختم النبوة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١/٥/١٩٠٣م، ص ١١٧)

لا يحرز الأنبياء المعرفة التامة دون الوحي، إن مغزى الهدف الذي من أجله يعتنق المرء الإسلام هو أن يتشرف بالوحي نتيجة اتباعه له. ثم لو سُلّم بانقطاع الوحي فقد انقطع وحي النبي ﷺ فقط، ولم تنقطع ظلاله وآثاره أيضاً. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٤/٩/١٩٠٣م، ص ٣٥٨)

تذكروا أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء أي لن يأتي أي كتاب جديد أو شريعة جديدة بعد نبينا ﷺ ولن تنزل أحكام جديدة، فسوف يبقى هذا الكتاب وهذه الأوامر حصراً. وحيثما وردت كلمة النبي أو الرسول بحقي في كتبي فلا يُقصد منها البتة تعليمُ شريعة جديدة أو أوامر جديدة، وإنما القصد منها أن الله ﷻ حين يبعث أحداً عند الضرورة الحققة، تطلق عليه كلمة النبي أو الرسول نظراً لتشريفه ﷺ إياه بالمكالمات الإلهية وإظهاره عليه الغيب، فيتلقى ذلك المبعوث لقب النبي، ولا يعني أنه ﷺ يؤتيه شريعة جديدة أو هو ينسخ شريعة النبي ﷺ والعياذ بالله. بل كل ما يناله فإنما لاتباعه الكامل والصادق للنبي ﷺ حصراً، وبدون ذلك يستحيل أن يناله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٤م، ص ٢)

كان النبي ﷺ أفضل الأنبياء جميعاً وأعلامهم درجة، حتى ختم الله تعالى عليه سلسلة النبوة، أي انتهت عليه كمالات النبوة بطبيعة الحال. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٩/٢٤/١٩٠٤م، ص ٥)

يقولون إن باب المكالمات والمخاطبات الإلهية مغلق لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي لأن النبي ﷺ خاتم النبيين لذا انقطعت هذه البركة والفضل بعده. ولكنني أتأسف على عقولهم إذ لا يفهم هؤلاء الأغبياء أنه إذا أغلقت أبواب المعرفة والبصيرة إلى جانب ختم النبوة لما ثبت أن النبي ﷺ نبي أيضاً، والعياذ بالله، فضلا عن كونه خاتم النبيين، لأن النبي يُبعث لينشأ يقيناً وبصيرة وإيمان حُلُوً بالله تعالى، وأن يشاهد المرء تجلي قدرات الله وتصرفاته وصفاته بوضوح. والمعلوم أن وسيلتها أيضاً هي مكالماته ﷺ ومخاطباته وخوارقه، ولكن إذا أغلق هذا الباب نهائياً فما الفائدة من بعثته ﷺ أصلاً؟ أقول بكل أسف إنهم لم يقدرُوا النبي ﷺ ولم يدركوا شأنه العظيم قط وإلا لما اخترعوا أفكاراً سخيفة كالمذكورة. لو قُبِلَ معنى الآية كما يقولون لاضطررنا إلى القبول أن النبي ﷺ كان أبتراً، والعياذ بالله، لأن القرآن ينفي أولاده الماديين، وهم ينفون وجود أولاد روحانيين، فماذا بقي بعد ذلك؟

الحق أن الله تعالى بيّن من خلال هذه الآية الكمال العظيم للنبي ﷺ والتأثير الكبير لقوته القدسية أن سلسلة أولاده الروحانيين وتأثيراته الروحانية لن تنتهي أبداً. وإذا أمكن لأحد أن ينال فيضاً أو بركة فلا يمكنه ذلك إلا إذا فني في اتباعه ﷺ كلياً ونال درجة الفناء في الرسول وإلا فلا. وإذا ادّعى أحد النبوة بغير ذلك فهو كذاب لأن باب النبوة المستقلة مسدود، ولا يمكن أن يأتي نبي بدون اتباع النبي ﷺ والعمل بشريعته وبغير الفناء في الرسول ﷺ، فلا يمكن أن يأتي نبي مستقل ومع شريعة. غير أن باب النبوة لم يُغلق على الفانين في الرسول من أفراد أمته وأتباعه الكَمَل. لذلك جاء في البراهين الأحمديّة إلهام نصه: "كل بركة من محمد فتبارك من

عَلَّمَ وتعلَّم. "أي إن شرف المكالمات والمخاطبات الذي أُعطيته إنما هو ببركة اتباع النبي ﷺ فقط، لذا فإنها تظهر منه وحده. كل ما كان من التأثيرات والبركات والأنوار فهي له ﷺ. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ١٠/٣١/١٩٠٥م، ص ٦)

يقولون: لقد ادَّعيت النبوة، فأقول: هذا نزاع لفظي فقط. النبي هو من ينبئ، فماذا سيسمى مَنْ كانت بينه وبين الله تعالى مكالمات ومخاطبات؟ ثم فضل هذه النبوة يعود إلى النبي ﷺ وهي نتيجة اتِّباعه. وأرى من الكفر واللعنة أن يقول المرء بأن أحدا يستطيع أن ينال نصيبا من ينبوع النبوة دون الاستفاضة من رسول الله ﷺ، أو أن يدَّعي نبوة مستقلة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥م، ص ٣)

من المسلم به أن نهاية أي شيء تكون بنهاية الغاية المتوخاة منه، كما أنه عندما يتم بيان كل شيء في الكتاب ينتهي الكتاب. كذلك إن الغاية المتوخاة من الرسالة والنبوة حُتِمت على رسول الله ﷺ، هذا هو معنى ختم النبوة لأن هذه السلسلة ظلت جارية طويلا وانتهت على الإنسان الكامل. (خطابه عليه السلام ورسالة حول مسألة وحدة الوجود ص ١٧-١٨)

معنى (خاتم النبيين) أنه لن يأتي بعد النبي ﷺ أي نبي مشرع، وأنه لا يمكن أن يأتي بعده نبي لا يحمل تصديقا من خاتم النبي ﷺ.

يقول رئيس المتصوفين ابن عربي: إن انقطاع النبوة وموت الإسلام سيَّان. انظروا أن في زمن موسى عليه السلام كانت النساء أيضًا يتلقين الإلهام إذ كلم الله أمَّ موسى عليه السلام. وما قيمة الدين الذي لا تستمر بركاته وفيوضه بل انقطعت. إذا كان الله ما زال يسمع الآن كما كان يسمع في الماضي، ويرى الآن أيضًا كما كان يرى في الماضي، وإذا كان في الماضي يتكلم أيضًا كما يسمع ويرى، فلأي سبب انقطعت الآن صفة التكلم هذه؟ إذا كان الأمر كذلك فيخشى أن يفقد الله ﷻ يوماً من الأيام القدرة على السمع والرؤية أيضًا. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٢، عدد ١٠/٥/١٩٠٨، ص ٤)

إنما دعواي أن الله تعالى قد بعثني بسبب المفاصد المنتشرة في العصر الراهن، ولا يسعني إخفاء تشريفي بالمكاملة والمخاطبة، وأن الله يكلمني بكثرة، وهذا ما يسمى النبوة. لكنها ليست نبوة حقيقية، فالنبأ كلمة عربية تعني الخبر، فالذي يتلقى الخبر من الله وينقله إلى العالم، يقال له نبي في اللغة العربية. أنا لا أعلن أي دعوى منفصلاً عن النبي ﷺ. إنما النزاع لفظي، فكثرة المكاملة والمخاطبة هي النبوة بتعبير آخر. لاحظوا كيف يوضح ذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها، "قولوا إنه خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده". إذا كانت النبوة في الإسلام قد انقطعت فاعلموا أن الإسلام هو الآخر قد مات، ولم تبق له علامة مميزة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١٢)

الآية ٤٢: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي أن رحيمية الله خاصة بالمؤمنين فقط، ولا نصيب فيها للكافر والمتمرّد. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥١، الحاشية)

"وهو فيضُ صفة الرحيمية، ولا ينزل هذا الفيض إلا على النفس التي سعى سعيها لكسب الفيوض المترقّبة، ولذلك يختص بالذين آمنوا وأطاعوا ربّاً كريماً، كما صرّح في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٣٦-١٣٧)

الآية ٤٧: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾

الأنبياء هم أولئك الأفراد العظام - من جملة سلسلة الفطرة الإنسانية المتفاوتة - الذين يُعطون النور الباطني بكثرة وكمال، فكأنهم صاروا نورا متجسدا. فمن هذا المنطلق سُمّي النبي ﷺ في القرآن الكريم نوراً وسراجاً منيراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿المائدة: ١٦﴾، وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. وبناء على هذه الحكمة فإن نور الوحي -الذي يُشترط له أن يكون نور الفطرة؛ كاملٌ وعظيمٌ- قد أُعطيهِ الأنبياء وحدهم، وجُعِلَ هذا النور خاصاً بهم دون غيرهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٩٦، الحاشية)

"وكذلك لفظ المنارة التي جاء في الحديث.. فإنه يعنى به موضع نور، وقد يطلق على علمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرف بأنوار تسبق دعواه، فهي تكون له كعلم به يهتدون. ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٥٧-٤٥٨) أي هو سراج منير بحد ذاته وينور الآخرين. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٢)

كان في إحدى القرى مائة منزل، وكان المصباح يُشعل في منزل واحد فقط. فحين علم الناس بذلك جاءوا بمصابيحهم وأشعل الجميع مصابيحهم من ذلك المصباح. فعلى غرار ذلك يمكن أن يتضاعف النور من نور واحد. هذا ما أشار الله تعالى إليه في الآية الكريمة: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢٥)

المبعوثون من الله للإصلاح الروحاني كالسُرج، ولذلك ورد بحق النبي (في القرآن الكريم): ﴿دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. إذا كان في المكان المظلم خمسون أو مائة إنسان، وكان عند أحدهم سراج منير فسوف ينجذب إليه الجميع، والسراج سوف يبدد الظلام، وينور المكان ويضيئه.

فالحكمة اللطيفة الأخرى في تسميته بالسراج أنه من سراج واحد يمكن إضاءة آلاف السرج، دون أن يحدث فيه أي نقص، وهذا الأمر ليس في الشمس والقمر، فالمراد من ذلك أن بإطاعة النبي ﷺ واتباعه سيصل مئات الألوف إلى هذه المرتبة

حيث لن يكون فيضه خاصا بأحد، بل يكون عاما وجاريا. باختصار، من سنة الله ﷻ أن الظلام حين يصل منتهاه يبعث الله ﷻ نظرا لبعض صفاته إنسانا مزودا بالعلم والمعرفة من عنده، ويودع كلامه تأثيرا والتفاتة جذبا، وتكون أدعيته مقبولة، إلا أنه يجذب ويؤثر حصرا في الذين يجدرون بهذه البعثة. فانظروا أنه قد سمي النبي ﷺ سراجا منيرا، لكن أبا جهل لم يقبله. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١١)

الآية ٤٩: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

أي أن الله تعالى كافل أمره بنفسه ولا يُصدر الأوامر بعد التشاور مع أحد. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٨)

الآية ٥٧: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا أي سلِّموا بالإخلاص والحب الحقيقي. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٧١، الحاشية رقم ١١)

لقد مضى في العالم عشرات الملايين من ذوي الفطرة الطاهرة هؤلاء وسيكونون في المستقبل أيضا ولكننا وجدنا أفضل وأعلى وأسمى منهم جميعا؛ بطل الله الذي اسمه محمد ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. دعوا جانبنا ذكر صلحاء أقوام لم يُذكروا في القرآن الكريم بالتفصيل، بل نبوح هنا برأينا في هؤلاء الأنبياء فقط الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم مثل موسى وداود وعيسى عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء. فنستطيع أن نقول حلفا بالله بأنه لو لم يأت نبينا الأكرم ﷺ إلى الدنيا ولو لم ينزل القرآن الكريم، ولم نشاهد بأم أعيننا البركات التي رأيناها لاشتبه علينا صدق الأنبياء السابقين جميعا

لأن الحقيقة لا تتسنى من القصص فقط، إذ من الممكن ألا تكون تلك القصص صحيحة. ويمكن أيضا أن تكون جميع المعجزات المنسوبة إليهم مبالغات لأنه لا يوجد لها أدنى أثر الآن. بل الحق أنه لا يمكن العثور حتى على الله بواسطة الكتب السابقة، ولا يمكن أن نعرف على وجه اليقين أن الله تعالى يكلم الإنسان. ولكن ببعثة النبي ﷺ اتخذت كل هذه القصص صبغة الحقيقة. والآن ندرك جيدا - ليس على سبيل القول بل على سبيل الحال - ماهية المكاملة الإلهية وكيف تظهر آيات الله وكيف تُجَابُ الأدعية. وقد وجدنا كل ذلك نتيجة اتباع النبي ﷺ. وكل ما تسرده الأمم الأخرى كقصص وجدناه بالتمام والكمال. فقد تمسكنا بأهداب نبي يُري وجه الله عيانا. فنعلم ما قال الشاعر:

محمد عربي بادشاه هر دوسرا کرے ہے روح قدس جس کے در کی درباری

اُسے خدا تو نہیں کہہ سکوں یہ کہتا ہوں کہ اس کی مرتبہ دانی میں ہے خدادانی

أي: إن محمدًا العربي هو مَلِكُ الْعَالَمِينَ، الذي يخدمه روح القدس كحاجب. لا أستطيع أن أسميه ﷺ إلها، ولكن أستطيع القول أن معرفة الله تتسنى بمعرفة مرتبته ﷺ. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٠١-٣٠٢)

انظروا إلى صدق ووفاء سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ، فقد تعرّض لأنواع الهجمات الشريرة، وكابد صنوف المصائب والآلام، ولكنه لم يكثر لها بتاتا، وبسبب هذا الصدق والوفاء أنزل الله عليه فضله، ومن أجل ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

تتضح من هذه الآية أن أعمال النبي ﷺ قد بلغت من العظمة بحيث لم يستخدم الله للإشادة بها وتحديد وصفها كلمة معينة. لا شك أنه كان بالإمكان استخدام كلمات لائقة بها، ولكن الله لم يستخدمها قصداً، ذلك لأن أعماله الصالحة فاقت الوصف. ولم يستخدم الله تعالى مثل هذه الآية بحق أي نبي آخر. كانت روحه ﷺ متحلية بالصدق والوفاء، وكانت أعماله مرضية عند الله تعالى

بحيث أمر الناس بالصلاة عليه للأبد شكراً على هذه النعمة. (تقرير الجلسة السنوية ١٨٩٧م، ص ٥٠-٥١)

نشكر الله تعالى كثيراً على أن ذلك النبي المعصوم قد جاء ونجّانا من عبدة الأوثان. هذا هو السر وراء بلوغ سيدنا رسول الله ﷺ وحده تلك المرتبة العالية جزاءً على مننه أن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٢) لو كان المرء على معرفة تامة بتلك الأحداث التي عاشها النبي ﷺ، وبأوضاع العالم عند بعثته، وبمنجزاته بعد بعثته، لم يملك إلا أن يقول في نشوة: "اللهم صل على محمد". أقول والحق أقول، ليس وهماً أو افتراضاً، إن القرآن الكريم وتاريخ العالم يشهدان شهادة كاملة على منجزات النبي الأكرم ﷺ، وإلا فلماذا قيل بحقه بوجه خاص: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لم يصدر هذا النداء بحق أي نبي آخر. لم يظهر في العالم بنجاح وبمدح كاملين إلا هذا الإنسان الوحيد الذي سُمّي محمداً ﷺ. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٣)

هناك ثلاثة سبل فقط لاستجابة الدعاء وهي، أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ (آل عمران: ٣٢)، ثانياً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وثالثاً: موهبة من الله. (كتيب رقم ١، خطابه عليه السلام ورسالة حول مسألة وحدة الوجود، ص ٢٢)

الآية ٦١: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾

كما لا يمكن لسارق ذي قلب أسود أن يقف في الضوء كذلك لا يستطيع خائن ذو قلب أسود أن يتوقف لمدة طويلة في هذا المركز لأنوار الله وتجلياته. لذلك

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا يُجَاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥٨/٤/١٩٠٧ م، ص ٨)

الآية ٦٢: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾

الاعتقاد المتفق عليه في الكتاب المقدس لدى اليهود والكتاب المقدس في الإسلام هو أن الذي تُطْلَق عليه كلمة "ملعون" في كتب الله يُحْرَم ويشقى من رحمته تعالى إلى الأبد، كما أشير في الآية: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾. أي أن الزنا ومروجي الزنا في المدينة ملعونون، أي أنهم حُرِّموا من رحمة الله إلى الأبد، فهم يستحقون بأن تقتلوهم حيثما وجدتموهم. ففي هذه الآية إشارة لطيفة إلى أن الملعون يكون محروما من الهداية إلى الأبد، ويكون حماس الكذب والسيئة غالبا عليه من حيث خلقته، ولهذا السبب صدر الحكم بقتلهم، لأن الذي لا يمكن علاجه وهو مصاب بمرض مُعْدٍ وعضال كان موته خيرا. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٣٧-٢٣٨)

الآية ٧١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

وأكد على ثبات اللسان أيضا على الصدق والصواب فقال: ﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي لا تقولوا إلا ما هو صحيح ومعقول تماما ولا دخل فيه للغو والعبث والكذب قيد شعرة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٠٩-٢١٠ الحاشية)

... قولوا كلاما مبنيا على الصدق والسداد والحق والحكمة. (القول الحق، الخزائن

الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣١)

أي اجتنبوا اللغو من القول وانطقوا بما يليق بالمقام. (فلسفة تعاليم الإسلام،

ال خزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧)

قولوا قولا حكيما ومعقولا دائما واجتنبوا اللغو. (محاضرة لاهور، الخزائن

الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٧)

الآية ٧٣: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

أي عرضنا أمانتنا - وهي عشق الله وحبه وطاعته الكاملة حتى بعد المرور من الابتلاء - على ملائكة السماء جميعا، وعلى كافة مخلوقات الأرض، وعلى الجبال، أي على الكائنات الضخمة والقوية ظاهريا، ولكن كل هذه المخلوقات رفضت حمل هذه الأمانة، وخافت حملها نظرا لعظمتها. ولكن الإنسان حملها لأنه كان يتحلى بصفتين اثنتين: أولاها أنه كان جاهزا ليظلم نفسه في سبيل الله. والصفة الثانية أنه كان قادرا على أن يبلغ في حب الله مبلغا ينسى فيه نفسه تماما. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٧٥-٧٦)

الظلمية ميزة فريدة ومحمودة مميزة فريدة ومحمودة جدا أُعطيها الإنسان ولم تُعطها الملائكة فيقول الله تعالى مشيرا إلى هذا الأمر: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي أن الإنسان يتحلى بصفة الظلوم والجهول، لذا حمل هذه الأمانة التي لا يستطيع حملها إلا الذي يتحلى بصفة عداوة نفسه والشدة عليها.

باختصار، إن صفة الظلمية مركبٌ لمراتب سلوك الإنسان، ووسيلة عظيمة أُعطيها لنيل مقامات القرب؛ فتتجلى في أوائل المجاهدات الشاقة بصورة نار جهنم، ولكنها في النهاية توصل إلى نعماء الجنة. والحق أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧٣) هو الآخر يشير إلى صفة الظلمية المحمودة. (مرآة كمالات

الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٢-١٤٣)

الظلمية التي يتحلى بها المؤمن تحببه إلى الله تعالى، وبركتها يجتاز مراحل السلوك

العظيمة ويقبل لنفسه بطيب خاطر أنواع مرارة لا تطاق، ويتحمل صليّ أصناف الجحيم وحرقتها. فلهذا السبب حين مدح الله الإنسان بأعلى أنواع المديح وفضّله على الملائكة، بيّن سبب أفضليته أنه ظلوم وجهول، حيث يقول ﷻ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي أن هذه الأمانة -التي هي ابتلاء كامل من الرب، ولا يقدر على حملها إلا العبد الكامل- قد حملها الإنسان لأنه كان ظلوما جهولا أي كان قادرا على أن يقسو على نفسه في سبيل الله، ويستطيع أن يتعد عن غير الله لدرجة يخلو ذهنه حتى من صورته أيضا.

فليكن واضحا أننا سنرتكب خطأ فاحشا إذا استنتجنا هنا من "الظلوم" معنى الكافر والمتمرد والمشرك والمنحرف عن جادة العدل؛ لأن الله جلّ شأنه قد استخدم كلمة الظلوم والجهول هنا في محل مدح الإنسان وليس في محل الذم. وإذا كانت في محل الذم، والعياذ بالله، لكان المعنى أن الإنسان كان الأسوأ من غيره على الإطلاق إذ حمل أمانة الله تعالى المقدسة وانقاد لأمره ﷻ. بل سنضطر للقول، والعياذ بالله، بأن الأنبياء والرسل كانوا هم الأظلم والأجهل -بالمعنى المذموم- لأنهم حملوا هذه الأمانة قبل غيرهم. بينما يقول الله جلّ شأنه بأنه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، فكيف صار أسوأ من غيره؟ ثم عدّ الأنبياء أسياد العادلين، فكيف يمكن عدّهم ظلومين جهولين بالمعنى الآخر؟

وإضافة إلى ذلك فإن هذا الزعم يستلزم اعتراضا على الله تعالى أيضا وهو أن الأمانة التي أراد تسليمها لم يكن فيها خير وصلاح وبركة، بل كانت تحتوي على شرّ وفساد لدرجة أن قبلها الشرير والظالم ولم يقبلها الأبرار والصالحون.

ولكن هل يجوز سوء الظن بالله بأن ما ينبع من نبعه ﷻ وما يسمّيه أمانته التي يجب أن تُردّ إليه ﷻ مرة أخرى، أن يكون سيئا ونجسا في الحقيقة -والعياذ بالله- ولا يقبله إلا الظالم والمتمرد والعاصي والمحروم كليّا من نعمة العدل؟ الأسف كل الأسف أن أصحاب هذه الأفكار الشنيعة لا يُعيرون عظمة الله أدنى اهتمام، ولا

يتدبرون أن الأمانة إذا كانت خيرا محضا فكيف صار حملها ظلما؟ أما إذا كانت شرا وفسادا فلماذا نُسبت إلى الله تعالى أصلا؟ وهل الله تعالى مبدأ للفساد؟ والعياذ بالله. وهل الشيء الذي ينبع من نبعه المقدس يجوز تسميته فسادا وشرا؟ الظلمة تعود إلى الظلمة والنور إلى النور، فكانت الأمانة نورا والإنسان الظلوم الجهول أيضا نورا بحسب المعنى الذي بينته، فقد قبل النور نورا.

إن ذلك النور الأجلى الذي وهب للإنسان، أعني للإنسان الكامل، لم يكن في الملائكة، ولا في النجوم، ولا في القمر، ولا في الشمس، ولم يكن في بحار الأرض ولا أنهارها، ولا في اللؤلؤ، ولا في الياقوت، ولا في الزمرد، ولا في الماس، ولا في اللؤلؤ؛ باختصار، لم يكن ذلك النور في أي شيء من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان، أي ذلك الإنسان الكامل الذي كان سيدنا ومولانا، سيد الأنبياء، سيد الأحياء محمد المصطفى ﷺ أتم وأكمل وأعلى وأرفع فرد من نوع البشر، فقد أُعطي هذا النور لذلك الإنسان، كما أُعطيته الآخرون أيضا -بحسب مراتبهم- الذين تصبغوا بصبغته، أي لأولئك الذين كانوا متصبغين بالصبغة نفسها إلى حد ما. والمراد من الأمانة جميع القوى والعقل والعلم والقلب والروح والحواس والخوف والحب والعزة والجاه وجميع النعم الروحانية والمادية التي يهبها الله تعالى للإنسان الكامل ثم يعيد الإنسان الكامل تلك الأمانة كلها إلى الله تعالى بحسب الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٩)؛ بمعنى أنه يفنى فيه ويحلك وينذر نفسه في سبيله. وإن هذه الميزة وجدت بوجه أعلى وأكمل وأتم في سيدنا ومولانا وهادينا النبي الأمي الصادق والمصدق محمد المصطفى ﷺ كما شرحت ذلك في مقالي "حقيقة الإسلام"، حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنِّي صَلَاحِي وَسُكِّي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣-١٦٤)، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٤)، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿آل عمران: ١٣٢﴾، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: ٢١)، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المؤمن: ٦٧).

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَعِبَادَتِي وَمَجَاهِدَاتِي وَتَضَحِيَاتِي ... أي ليس في الدنيا منذ بدايتها إلى نهايتها إنساناً كامل وفانٍ في الله من الدرجة العليا مثلي حتى يعيد إلى الله تعالى أماناته كلها؛ ففي هذه الآية ردّ على أولئك الموحّدين قليلي الفهم الذين يقولون بأنه لا تثبت أفضلية نبينا ﷺ الكلية على الأنبياء السابقين، ويقدمون لذلك أحاديث ضعيفة ويقولون بأن النبي ﷺ منع من أن يُفَضَّلَ على يونس بن متى. ولكن قليلي الفهم أولئك لا يدركون أنه لو كان ذلك الحديث صحيحاً، فهو على سبيل التواضع الذي كان من عادة النبي ﷺ بوجه عام. والمعلوم أن لكل حادث حديثاً؛ فلو كتب أحد الصالحين مثلاً في نهاية رسالته: "أحقر عباد الله" فأَي غباوة وخبث نفسٍ أكبر من الاستنتاج من ذلك أنه أسوأ من كل شخص في العالم كله حتى من الوثنيين والفاسقين أجمعين؛ حيث يُقر بنفسه أنه أحقر عباد الله؟!

يجب الانتباه جيداً إلى أنه ما دام الله جلّ شأنه قد سمّى النبي ﷺ أول المسلمين عدّه سيد المطيعين جميعاً وعدّه ﷺ أول من أعاد الأمانات كلها قبل غيره، فهل يبقى لمن يؤمن بالقرآن الكريم مجال بعد ذلك أن ينتقد -أيّاً كان نوع انتقاده- شأن النبي ﷺ العظيم؟ لقد بيّن الله تعالى في الآية المذكورة أنفاً مدارج كثيرة للإسلام وبيّن أن الدرجة العليا هي تلك التي أودعت فطرة النبي ﷺ. سبحان الله ما أعظم شأنك يا رسول الله!

موسى وعيسى همه خيل تواند جمله درین راه طفیل تواند

أي: إن موسى وعيسى بل كل الأنبياء من حزبك أنت، وكلهم سلكوا هذا المسلك بفضلك أنت.

فقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ يعني: اتَّبِعُوا سبيلي الذي هو الحقيقة العليا للإسلام. عندها يحبكم الله. وقوله ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي قل لهم بأني أُمِرْتُ بأن أسلِّم وجودي كله لله تعالى وأفوض نفسي له؛ أي أفني نفسي في سبيل الله وأكون خادماً للعالمين كما هو رب العالمين، وأكون كلياً له وَجْلاً ولسبيله. لذا فقد سلَّمتُ لله كل ما كان لي، فلم يعد لي شيء، بل كل ما كان لي فقد صار لله رب العالمين.

أما الشبهة في أنه هل ذهب أحد من المتقدمين إلى هذا المعنى لكلمتي الظلوم والجهول الواردتين في هذه الآية؟ ومن أهل اللغة يستنتج هذا المعنى من كلمة "الظلم"؟ فجوابها أننا لسنا بحاجة إلى أيِّ سند بعد كلام الله تعالى. إن بعض آيات الله يفسر بعضها الآخر. فما دام الله تعالى قد سمَّى بعض المتقين ظالمين أيضاً وعدَّ الظلم هو المرتبة الأولى من مراتب التقوى الثلاث، فقد فهمنا من ذلك بالقطع واليقين أنه ليس المراد من الظلم المذكور هنا ذلك الظلم البعيد عن التقوى، الذي هو شعار الكفار والمشركين والعصاة. بل المراد هو الظلم الذي هو شرط محتوم للمتقين في مراتب السلوك الابتدائية؛ أي كبث المرء أهواءه النفسانية وسعيه لإنقاص ظلمة الطبيعة البشرية من نفسه. وقد استُخدم "الظلم" بمعنى النقص في آية أخرى أيضاً وهي: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: ولم تنقص. انظروا القاموس، والصراح، والصراح حيث ورد الظلم بمعنى النقص أيضاً. وهذا ما استُنتج من الآية المذكورة أي "ولم تنقص".

وبالإضافة إلى ذلك لم أنفرد في استنتاج هذا المعنى بل قد ذهب إلى المعنى نفسه كبار العلماء والمحققين من أصحاب اللغة؛ فقد استنبط صاحب "الفتوحات المكية" -وهو من أهل اللغة أيضاً في تفسيره الذي طُبِعَ في مصر- المعنى نفسه، حيث قال في تفسير الآية: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ بأن الظلوم والجهول جاءتا في محل المدح، والمراد منهما أن الإنسان المؤمن يظلم نفسه نوعاً ما في سبيل

العمل بأوامر الله بحيث يعادي أهواء النفس ورغباتها، وبذلك يقلل وينقص من ثورة النفس وهياجها. ثم ينقل صاحب التفسير الحسيني من تفسير "الخواجه محمد بارسا" أن معنى الآية هو أن الإنسان حمل تلك الأمانة لأنه كان ظلوماً؛ أي كان قادراً على أن يتخلى عن نوازع نفسه ورغباتها، أي ينقص من أهواء النفس ويقضي عليها نهائياً ويفنى في الله تعالى. وكان الإنسان جهولاً لأنه يملك قدرة على أن يهمل غير الحق ويتجاهله تماماً، وينفي كل ما سواه قائلاً: "لا إله إلا الله". يقول ابن جرير، وهو رئيس المفسرين، في تفسير هذه الآية بأن لفظي الظلوم والجهول جاءتا في محل المدح وليستا في محل الذم.

فلباب القول أن الأكابر والمحققين الذين نور الله تعالى عيونهم بنور المعرفة قد ذهب معظمهم إلى أنه لا يمكن أن يستنبط من الآية معنى سوى أن الإنسان بحمله أمانة الله نال لقي الظلوم والجهول على سبيل المدح لا الذم؛ وقد أورد ابن كثير أيضاً بعض الروايات في تأييد هذا المعنى.

ولو تأملنا وتدبرنا في الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ لعلمنا يقيناً أن الأمانة التي عرضت على الملائكة والأرض والجبال والكواكب كلها فأبين حملها، عندما عرضت على الإنسان فلا شك أنها تكون قد عرضت أولاً على أرواح الأنبياء والرسل لأنهم أسياد الناس وأول المستحقين لمفهوم الإنسانية الحقيقي. وإذا استنبط من الظلوم والجهول معنى الكافر والمشرک والمتنمرد الشديء المتنمرد فسيطلق هذا الاسم على الأنبياء قبل غيرهم، والعياذ بالله. لذا فقد بات واضحاً بداهة أن لفظي الظلوم والجهول قد وردتا هنا في محل المدح. والمعلوم أنه لما كان الانقياء لأمر الله وعدم الإعراض عنه ليس معصية بل هو عين السعادة، فكيف يمكن أن يناسب مقتضى الحال في هذا المقام المعنى الحقيقي للظلوم والجهول الذي يستلزم الإباء والتمرد؟ لا يخفى على المطلع جيداً على أساليب الكلام في القرآن الكريم أن الله الكريم الرحيم

جلّ شأنه يستخدم في بعض الأحيان بحق عباده الخواص لفظا يبدو غير جميل في الظاهر ولكنه يكون محمودا جدا وفي محل المدح من حيث المعنى، كما قال الله جلّ شأنه بحق نبيه الأكرم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى: ٨). ومعلوم أن معنى "الضال" كما هو شائع ومعروف ومتداول بين أهل اللغة؛ هو المنحرف عن جادة الصواب، فبهذا يكون معنى الآية بأن الله وجدك (يا رسول الله) منحرفا عن الصراط المستقيم فهداك، مع أن النبي ﷺ لم يضل الطريق المستقيم قط. ومن اعتقد -مع كونه مسلما- أن النبي ﷺ قام في حياته بعمل الضلال فهو كافر وملحد ويستحق أن ينقذ فيه حد شرعي، بل يجب أن يُستنبط من الآية هنا معنى يناسب سياقها، وهو أن الله جلّ شأنه قال عن النبي ﷺ أولا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى: ٧-٩). وجدك ضالا، أي عاشقا لوجه الله فجذبك إليه، ووجدك فقيرا إليه فأغناك. والآيات التي تليها تمثل قرينة على صحة هذا المعنى، إذ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١٠-١٢) فهذه الآيات جاءت مرتبة السياق تماما، وهي تشرح وتصرح بالهدف الكامن في الآيات الأولى فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ثم قال مقابل ذلك: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي أذكر بأنك كنت يتيما فأويناك، فعليك أن تؤوي الأيتام كذلك. ثم قال ﷻ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ وقال مقابل ذلك: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أي كنت أنت أيضا راغبا في وصالنا وكنت باحثا عن جمالنا وحقائقنا ومعارفنا، فكما ربيناك كالأب تربية جسدية، كذلك فتحنا عليك بصفة المعلم أبواب العلوم كافة، وأسقينك شراب لقائنا أكثر من غيرك، وأعطيناك كلّ ما سألنا، فلا ترُدُّ أنت أيضا السائلين، ولا تنهرهم. واذكر أنك كنت عائلا وكانت أسباب معيشتك الظاهرية منقطعة تماما فتولّاك الله بنفسه وأغناك عن تقديم حاجاتك لغيره. فلم تعد محتاجا إلى الوالد ولا إلى الأم ولا إلى المعلم ولا لطلب حاجتك من الآخرين بل سوى الله تعالى جميع أمورك بنفسه،

وتكفلك منذ ولادتك، فعليك أن تشكره وتعامل المحتاجين على المنوال نفسه. فيتبين بجلاء تام من هذه الآيات كلها أنه ليس معنى "الضال" هنا هو المنحرف عن جادة الصواب بل فيه إشارة إلى العشق البالغ منتهاه. وبهذا المعنى جاءت بحق يعقوب عليه السلام الآية: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٦). فمع أن الكلمتين "الظلم" و"الضلال" تعطيان أيضا معنى أن يترك أحد جادة الاعتدال والإنصاف ويتبع شهوات غضبه وبهيميته، ولكنهما وردتا أيضا في القرآن الكريم بحق العشاق الذين يدوسون نفوسهم وأهواءها تحت الأقدام في نشوة العشق في سبيل الله. وبهذا المعنى يقول الحافظ الشيرازي في بيت شعر له:

آسمان بارامانت نتوانست كشيد قرءه فال بنام من ديوانه زدند

أي: لم تستطع السماء أن تحمل حمل الأمانة، فأخرجوا القرعة باسمي أنا المجنون. إن ما يقصده الشاعر من هذا الجنون هو حالة العشق وشدة الحرص على الطاعة.

إذًا، فهذه هي حقيقة هذه الآيات التي فتحها الله عليّ، ولم أستنبط قط معنى يستلزم أن الأمانة الإلهية لم تكن مقدسة أو كانت تحتوي على فساد فقبلها المفسد الظالم ولم يقبلها الأبرار، الأمر الذي يؤدي إلى عدّ جميع الأنبياء والرسل المقدسين -الذين هم أعظم حاملين لتلك الأمانة- ظالمين. لقد شرحتُ من قبل أن الأمانة وحقيقة الإسلام شيء واحد في الحقيقة، وأن الأمانة والإسلام شيء محمود في الحقيقة، ومعناه أن يعاد إلى الله تعالى عطاؤه كما تُعاد الأمانة إلى صاحبها. فمن قبل شيئا محمودا ومرغوبا فيه ولم يُعرض عن أمر الله وآثر رضاه وَعَجَلَى على رغباته الشخصية فأئى له أن يكون جديرا بالذم؟

وجدير بالتذكر أيضا أن الله تعالى يقول بعد آية حمل الأمانة: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٤)؛ أي أن حمل الإنسان أمانة الله تعالى استلزم

أن يعذب المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين قبلوا باللسان فقط ولم يلتزموا بها عمليا، وليكون المؤمنون والمؤمنات الذين حملوا الأمانة والتزموا بها عمليا مورد رحمة الله تعالى.

إن هذه الآية أيضا تعلن بكل وضوح وصراحة أن المراد من الظلوم والجهول في الآية هم المؤمنون الذين قبلت طبائعهم ومواهبهم الأمانة ثم التزموا بها، لأنه من الواضح تماما أن المشركين والمنافقين لم يقبلوها بوجه كامل. وإن وجود لام التعريف في "حملها الإنسان"، يفيد التخصيص في الحقيقة، ويتبين أن الله تعالى يقصد من وراء ذلك أن جميع الناس لم يقبلوا هذه الأمانة بوجه كامل بل قبلها المؤمنون فحسب. ولكن مع أن بذرة المهوبة كانت موجودة في طبائع المشركين لكنهم لم ينالوا - بسبب النقص في المواهب - نصيبا كاملا من هذه العبارة البديعة، أي الظلوم والجهول. أما الذين أعطوا قدرة أكبر فقد نالوا هذه النعمة كاملة. إنهم لم يقرؤا بقبول الأمانة بلسانهم فقط بل أثبتوا بأفعالهم وأفعالهم أنهم أعادوا الأمانة التي حملوها من قبل بكمال الأمانة والإخلاص.

وليكن واضحا أيضا في الأخير أن لفظ "الجهول" أيضا قد استخدم، على غرار "الظلوم"، بمعنى يليق بالالتقاء والاصطفاء، لأنه إذا كان المراد منها معنى الجهل الحقيقي - أي الجهل بالعلوم والمعتقدات الصحيحة، والتورط في أمور سخيفة وغير صحيحة - فذلك ينافي صفات المتقين بكل صراحة ووضوح، لأن التقوى الحقيقية لا تجتمع مع الجهل قط. إن التقوى الحقيقية تكون مصحوبة بالنور كما يقول الله جلَّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَثْقُلُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٣٠)، ويقول أيضا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ (الحديد: ٢٩)؛ أي إذا داومتم على التقوى وتمسكتم بها وثبتم عليها لوجه الله، فسوف يجعل الله بينكم وبين غيركم فرقا واضحا وهو أنكم ستعطون نورا تسلكون به في جميع مسالككم بمعنى أن ذلك النور سيعم أفعالكم وأقوالكم وقواكم وحواسكم؛

فسيكون في عقولكم نور وفي كل ما تقولونه تخميناً نور، وفي عيونكم نور، وفي آذانكم نور، وفي لسانكم نور، وفي كلامكم نور، وفي كل حركة من حركاتكم وسكناتكم نور، والسبل التي تسلكونها ستصبح نورانية. باختصار، ستملاً كافة السبل لقواكم وحواسكم نورا وستمشون في النور كلياً.

ويتبين من هذه الآية بكل جلاء أن التقوى لا يمكن أن تجتمع مع الجهل قط، غير أن فهم المرء وإدراكه يمكن أن يزيد أو ينقص بحسب مراتب التقوى. ومن هنا يثبت أيضاً بأن الكرامة العظيمة والعليا التي يُعطاهها الأولياء البالغون درجة الكمال من التقوى هي أن كافة حواسهم وعقولهم وفهمهم وقياسهم يودع نورا، وتُغسل قوتهم الكشفية بمياه النور وتُطهر لدرجة لا تكون في نصيب غيرهم، وتغدو مرهفة جداً وتُفتح عليهم الينابيع المقدسة من المعارف والحقائق، ويجري فيض سائغ من الله تعالى في كل ذرة من كيانهم مجرى الدم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٧-١٧٩)

إن قوله تعالى ﴿فَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أيضاً يدل على أن المطيع الحقيقي لله هو الإنسان الذي يبلغ في طاعة الله حدَّ الحب والعشق، ويُرسي ملكوت الله على الأرض متحملاً آلاف البلايا. فأتى للملائكة أن يقوموا بمثل هذه الطاعة الممزوجة بلوعة القلب؟ (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٠، الحاشية)

عرضنا على المخلوقات الأرضية والسماوية أمانتنا التي يجب أن تعاد كأمانة، فرفض الجميع حملها خشية حدوث إشكال ما من جراء حملها، ولكن حملها الإنسان لأنه كان ظلوماً جهولاً. فهذان اللفظان وردا في محل المدح للإنسان ولم يردا في محل الذم. ومعناها أن في فطرة الإنسان صفة أنه يستطيع أن يظلم نفسه ويقسو عليها لوجه الله. وكذلك كان قادراً على أن ينيب إلى الله تعالى ناسياً نفسه، لذا فقد قبل أن يرى نفسه كأمانة ثم يبذلها في سبيل الله. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٣٩)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة "سبأ"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١١: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآتَيْنَاهُ
الْحُدَيْدَ﴾

... يا جبال ويا طيور أذكروني مع عبدي هذا بالوجد والرقعة. (حقيقة الوحي،

الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٩٣)

العمل الذي يصدر بعيدا عن الأسباب المشهودة يضمن في طياته صبغة الإعجاز. الأمور التي تصدر فيها المعجزات تكون فيها أفعال كثيرة يشارك فيها آخرون أيضا، ولكن النبي يقوم بالعمل نفسه بغير تلك الأسباب لذا يكون فعله معجزة. والأمر نفسه يوجد في قصة سليمان عليه السلام.

ألم يكن الناس ينظمون قصائد قبل بعثة النبي ﷺ؟ كانوا ينظمونها طبعاً، ولكن الكلام الفصيح والبليغ الذي قدّمه النبي ﷺ لم يكن نتيجة الجمع بين غث وسمين بل كان من الوحي، وكان معجزة لأنه ما كان نتاج أسباب عادية. لم ينل النبي ﷺ أيّ تعليم، وقدّم ذلك الكلام بغير جهد ولا سعي. وعلى غرار ذلك كانت معجزة تليين الحديد إذ لم تكن ناتجة عن أسباب عادية، ومن الممكن أن يكون لها معنى آخر. ويراد من الحديد المشاكل الصعبة أيضاً، وقد سهلت على سليمان ولكننا لا ننكر المعجزة الحقيقية بأي حال. وإلا لو لم يكن الإيمان بقدرات الله فما معنى الإيمان به؟ أما ما كان منافياً لقانون الطبيعة المذكور في القرآن الكريم فلا نقبله خارقاً للعادة.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٦)

الآية ١٤: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

يظنّ بعض من قليلي الفهم أن كل إنسان سيدخل جهنم لا محالة؟ كلا، هذا ظن خطأ، غير أنه مما لا شك فيه أن قليلاً هم الذين في مأمن من عذاب جهنم تماماً. ولا غرابة في ذلك، إذ قال الله تعالى: ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٣، عدد ١٦/٩/١٩٠٠م، ص ٦)

السعيد من يعيش في صحبة عباد الله الذين يرسلهم الله في وقت مناسب ويحقق الهدف الذي يرسلون من أجله. لا شك أن هؤلاء يكونون قلة، ولكنهم يوجدون حتماً، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. ولو لم يكونوا قلة لقلّت أهميتهم. ترى أن الذهب والفضة لا يوجدان بكثرة كما يوجد الحديد والقصدير. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠١م، ص ٥)

لقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم ﴿قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، أي العباد الشاكرون والمتفلسون دوماً قليلون. الذين يتبعون القرآن الكريم في الحقيقة وأعطاهم

الله حبه والتقوى، هم السواد الأعظم في الحقيقة رغم قلة عددهم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤ م، ص ٢)

إن الله تعالى لا يبالي إذا كان عددهم كبيراً، فهو لا يبالي بالعدد بل يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ثم انظروا كم من الخلق غرقوا في زمن نوح عليه السلام، وكم كان عدد الناجين. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٧، عدد ٢٦/٤/١٩٠٦ م، ص ٢)

الآية ١٥: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾

أي: لم يكن هناك ما يدل على موت سليمان، بل كان الذنب كله لدابة الأرض التي أكلت عصاه، فخر. إن ما قاله الله تعالى هو الحق والصواب تماماً، وهذه ليست قصصاً وأساطير، بل هي حقائق ومعارف. كان الإسلام عصا الحق وكان قائماً على نفسه، وما كان لأحد من الآريين أو الهندوس أو المسيحيين أن يواجهه، ولكن منذ أن وُلدت دابة الأرض هذه وتركوا القرآن الكريم، واعتمدوا على الروايات الموضوعية، بدأت الهجمات تُشن على الإسلام من كل حذب وصوب. ودابة الأرض في الحقيقة هي أَرْضَةٌ لا خير فيها، وتأكل الخشب والتراب، وفيها مادة الإفناء، وتدمر كل شيء جيد، وفيها مادة نارية أيضاً.

فالمراد من دابة الأرض هم المشايخ والعلماء المعاصرون الذين يستنبطون معاني خاطئة، ويوجهون إلى الإسلام تهماً باطلة.... باختصار، إن منسأة الإسلام التي كانت بها شوكة الإسلام ورُعبه والأمن والسلام، قد هدمتها دابة الأرض هذه. فكانت تلك دابة الأرض، ولكن هؤلاء أسوأ من تلك، لأنها عاثت الفتنة في البلاد فقط، أما هؤلاء القوم فقد سببوا الفتنة في الدين، فارتد عنه أكثر من مئة ألف شخص. كان هناك وقت حين كانت القيامة تقوم بارتداد شخص واحد، أما الآن

فقد ارتد أكثر من مئة ألف شخص لا شك أن الإسلام دين كامل بحد ذاته، ولا عيب فيه، وهو دين طاهر، ولكن لا خير في صديق أحمق. لقد ألحقت دابة الأرض هذه بالإسلام -بصفتها صديقه الأحمق- ضررا بات تَدَارِكُهُ أمراً صعب المنال للغاية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٢م، ص ٥)

إن هؤلاء المسلمين هم دابة الأرض، ولذلك يعارضون من يأتي من السماء. إن الذي يتكلم بحديث أرضي هو دابة الأرض. هكذا قال الله تعالى. لا يستفسر عن الأمور الروحانية إلا الذين في طبائعهم انسجام مع الروحانية. ولما لم يكن هؤلاء انسجام مع الروحانية، أكلوا منسأة الدين كما أُكِلَت منسأة سليمان من قبل. ثم يقول القرآن الكريم في هذه الآية عندما علمت الجنة بذلك تمرّدوا. كذلك عندما علمت الأمة المسيحية حالة الإسلام هذه -أي حين علم المسيحيون أن دابة الأرض هذه قد أضعفت عصا الحق وهيأت لتلك الأمم فرصة الهجوم عليه؛ هجمت على الإسلام. الجنة تهاجم خفية وتعادي متتكرة في لباس الحب مثل حُبِّ "الناحاش" ^١ لحواء، ولا بد أن تكون عاقبة هذا الحب كما كانت في أول الأمر حين حلّت بآدم مصيبة بسببه. لقد أظهر الناحاش آنذاك أنه أكثر نصحاً من الله تعالى، كذلك يعرض هؤلاء المسيحيون أيضاً على الناس الحياة الأبدية كما قدّمها الشيطان آنذاك، ومن أجل ذلك قد بدأ القرآن بذكر هذا الأمر وانتهى عليه، والسر في ذلك أن يُخبر بأن آدم آخر سيأتي في الزمن الأخير أيضاً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٢م، ص ٦)

﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ ثابت من القرآن الكريم أنه ما لم تتولد الروحانية في الإنسان يكون دودة الأرض. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٣)

^١ يقول المسيح الموعود عليه السلام: الخناس أحد أسماء الشيطان، أي حين يتخذ الشيطان سيرة الأفعى... ويوظف المكر والخديعة وإثارة الوسواس، ويختار أدق الطرق وأخفها للدغ، يسمى الخناس. واسمه في العبرية "ناحاش". (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية ج ١٧ ص ٣٧٣) (المترجم).

الآية ٢٩: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

نحن ورثة نبي كان ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ورسولا إلى: ﴿كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، والله قد حفظ كتابه الذي حقائقه ومعارفه تفوق الكتب جميعا، فكيف يكون الحائز على هذه المعارف والحقائق أقل درجة؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢ م، ص ١١)

الآية ٣١: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾
المراد من "اليوم" هنا هو عام، وهذا الأسلوب مستخدم في الكتاب المقدس أيضا. فبعد عام كامل نزل على أهل مكة عذاب معركة بدر التي كانت المعركة الأولى. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخرائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٤٣، الحاشية)

الآية ٤٤: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

انظروا إلتأثيرات القرآن الكريم العليا كيف ملأت قلوب أتباعه المخلصين بوحداية الله تعالى بقوة خارقة، وكيف اجتثت وقمعت تعاليمه العظيمة بأسلوب عجيب تلك الملكات الرديئة والعادات الراسخة منذ مئات السنين، واستأصلت من شغاف القلوب تلك التقاليد القديمة التي كانت قد أصبحت طبيعتها الثانية، وكيف سقت ملايين الناس الشراب العذب لوحداية الله ﷻ! وهو (أي القرآن الكريم) الذي استصدر من كبار المعاندين بتقديم شهادة عيان الاعتراف بفضائله العديدة المثل بالإنجازه البين ونتائجه البارزة والمثلى والطويلة المدى لتأثيراته العديدة النظير، لدرجة قد وقع تأثيره في قلوب أشد الملحدين إلحادا وأشد المتمردين تمردا أيضا؛ فعُدوا ذلك علامة بارزة على عظمة شأن القرآن الكريم، حتى اضطروا -مع إصرارهم المستمر على الإلحاد وعدم الإيمان- للقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ﴿إِنَّ هَٰذَا

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢١٣ - ٢١٤، الحاشية رقم ١١)

الآية ٥٠: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾

يجعل العقل حدوث أي نوع من التغير والتبدل فيه مستحيلا ويرفضه قطعاً في المستقبل أيضاً. وإن عودة المسلمين إلى الشرك من المحالات؛ إذ قد أنبأ الله تعالى نفسه في القرآن الكريم: ﴿مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ: ٥٠).. أي قد فُضي على الشرك وعبادة المخلوق قضاءً نهائياً بحيث لن تقوم له قائمة ثانية ولن يعود إلى سابق عهده قط. فإن صدق هذه النبوءة أيضاً أظهر من الشمس، لأن الشرك وعبادة المخلوق لم يحلّ محلّ التوحيد إلى يومنا هذا مع مرور عهود سحيقة في الأمم والبلاد التي مُحي منها الشرك والوثنية. وإن العقل موقن بصدق هذه النبوءة في المستقبل أيضاً يقيناً كاملاً؛ لأن تعليم التوحيد لم يتزلزل حتى في أوائل الأيام حيث كان عدد المسلمين ضئيلاً، بل ظلّ يتقدم يوماً بعد يوم، فكيف يمكن أن يحدث التزلزل الآن في الأمة وقد تجاوز عدد هذه الجماعة الموحّدة مئتي مليون؟ وبالإضافة إلى ذلك لقد حان أوانٌ بدأت فيه طبائع المشركين أيضاً تميل إلى التوحيد رويداً رويداً نتيجة كثرة سماعهم تعليم القرآن وصحبتهم الدائمة لأهل التوحيد. أينما نظرتم وجدتم أدلة التوحيد تقصف أبراج الشرك المزعومة والموهومة كالجنود البواسل. وحماس التوحيد الطبيعيّ قد أحدث اضطراباً في قلوب المشركين. وإنّ وهن بناء عبادة المخلوق يتكشف باستمرار على ذوي الأفكار السامية. وإن البنادق القوية لوحدانية الله تعالى لا تزال تنسف أكواخ الشرك المقرفة. فيتبين من هذه العلامات كلها استحالة انتشار ظلمة الشرك كما كان في الأزمنة الغابرة حين أشرك العالم المخلوقات بذات الخالق وصفاته. وما دام تطرّق التحريف والتبديل إلى مبادئ القرآن الكريم الصادقة مستحيلاً، أو كان استيلاء ظلمة الشرك وعبادة المخلوق على الخلق كله محالاً عقلاً، استحال نزول شريعة جديدة ووحى جديد أيضاً بموجب العقل، لأن

ما استلزم محالاً كان محالاً بحد ذاته. وعليه فقد ثبت أن النبي ﷺ هو خاتم الرسل في الحقيقة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٠٢ - ١٠٣، الحاشية)

... أي لن يأتي الكذب بشيء جديد لا يوجد رد عليه في القرآن الكريم، كذلك لن يعود إلى حالته الأولى. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٧، الحاشية رقم ١١)

الآية ٥٣: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾

أي مَنْ كان بعيداً عني فلماذا أجيب دعاءه؟ وكأن الله تعالى قد علّمنا درساً بذكر هذا الناموس الطبيعي. ولكن هذا لا يعني أن الله تعالى لا يمكن أن يسمع من بعيد حقيقة، كلا بل إنه يعلم حتى النيات الخفية في القلوب، بل الإرادات التي لم تنشأ بعد. إنما نبّه الله الإنسان إلى ضرورة قربهِ من الله تعالى، حيث بيّن أنه كما أن الصوت الصادر من بعيد لا يُسمع، كذلك فَمَنْ يبتعد عن الله تعالى بالوقوع في الغفلة والفسق والفجور، فليعلم أنه كلما ازداد بعداً عن الله تعالى وقع الحجاب والبُعد في استجابة أَدْعِيَتِهِ. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٣)

الآية ٥٥: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾

إن الإنسان الفاسق في الحياة الدنيا ليحمل في داخله جحيماً من الشهوات والأهواء، ويشعر بحرقة هذه الجحيم عند الخيبة والخسران؛ ولذلك فإنه عندما يُقذَف بعيداً عن شهواته الفانية، ويغشاه القنوط الأبدي سوف يكشف الله له تلك الحسرات في صورة نار مجسمة، كما يقول ﷺ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي سوف يوضع حاجز بينهم وبين شهواتهم، وهذه الحيلولة هي نفسها أصل

عذابهم... ويجب أن نتذكر هنا أن الله تعالى لا يصب من عنده على الإنسان أي مصيبة، وإنما يعرض عليه ما ارتكب هو نفسه من السيئات. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٩-٤١٠)

لو أبعد عن الإنسان شيء يحبه لكان ذلك عذاباً له. وإذا تيسر له ما يحبه كان ذلك مدعاة راحة له، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢٣)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير

سورة "الفاطر"



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٩: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

أي هل أنت مهلك نفسك بهذا الغم والمعاناة التي تكابدها من أجل الناس، وهل أنت قاضٍ على حياتك حسرةً على هؤلاء الذين لا يقبلون الحق؟
فالأسلوب الحكيم للتضحية بالنفس في سبيل القوم إنما هو أن يتحمل الإنسان العناء لمصلحتهم، عاملاً بالقوانين الطبيعية النافعة، ويُنذر نفسه لاتخاذ التدابير النافعة لهم؛ لا أن يشج رأسه بحجر، أو أن يبتلع سما ويرحل عن الدنيا متأثراً مما يرى فيه

قومه من بلاء شديد وضلال كبير وموقف خطير، ثم يحسب أنه قد أنقذ قومه بفعلته غير اللاتقة هذه. ذلك ليس من شأن الرجال، بل هو من صفات النساء. فإن من عادة عديمي الهمة أنهم يعمدون دائما إلى الانتحار فورا عند مواجهة مصائب يصعب عليهم تحملها. إن هذا الانتحار، مهما يقال في تبريره بعد ذلك، عارٌّ عند العقل والعقلاء بلا ريب. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٩)

الآية ١١: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

هذا ما نعتقد به نحن أيضا أن المقدسين يُعطون جسما نورانيا بعد الممات. والنور الذي يصحبهم، يصبح لهم جسداً وبه يُرفعون إلى السماء. هذا ما يشير إليه الله جلّ شأنه في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، أي أن الأرواح الطيبة والنورانية تصعد إلى الله تعالى، والأعمال الصالحة ترفعها أكثر، أي كلما كثرت الأعمال الصالحة رُفعت الروح أكثر فأكثر.

لقد أطلق الله تعالى على الروح هنا «الكلم» وفي ذلك إشارة إلى أن الأرواح كلها كلمات الله في الحقيقة، ولكنها تحولت إلى الأرواح كسير لا يُدرَك، ولا يمكن للعقل أن يسبر غوره.

وإلى هذا الأمر يشير مضمون الآية: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (النساء: ١٧٢). ولما كان ذلك سرّ الربوبية، فليس لأحد أن ينبس ببنت شفة أكثر من أن كلمات الله هي التي تلبس حلّة الروح بأمر الله وإذنه ﷻ، وتنشأ فيها كافة القوى والقدرات والخواص التي توجد في الأرواح. والأرواح الطيبة تتخلى عن جميع قواها في حالة فنائها في الله، وتغنى في طاعته، فكأنها تخرج من حالة الروح، وتتحول إلى كلمة الله نهائية، كما كانت كلمة الله بدايةً.

إدًا، فإن تسمية هذه الأرواح الطيبة بكلمة الله، إشارة إلى كمالتها البالغ ذروته، فإنها تُعطى لباس النور، وبقوة الأعمال الصالحة تُرفع إلى الله تعالى.

إن المشايخ الحرفيين في عصرنا يظنون بسبب أفكارهم السطحية أنه ليس المراد من الكلمات الطيبات إلا المعتقدات والأذكار والأشغال، وأن المراد من الأعمال الصالحات أيضا هي الأذكار والخيرات وما شابهها فقط؛ فإنهم بتفسيرهم هذا يخلطون بين العلة والمعلول، ويجعلون منهما شيئا واحدا. لا شك أن الكلمات الطيبات أيضا تعود إلى الله، ولكن المعنى الذي ذكرته معنى باطني، يعرفه العارفون، ويشمل إشارات دقيقة في القرآن الكريم. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٣-٣٣٤)

أقول لجماعتي: هناك حاجة للأعمال الصالحة. إن كان هناك شيء يمكن أن يصل إلى الله تعالى فإنما هي الأعمال الصالحة، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٨، عدد ٣١/٧/١٩٠١م، ص ٢-٣)

الآية ١٩: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾

لقد جاء في صحيح البخاري، الصفحة ١٧٢ "...فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَآ أَخَاهُ وَآ صَاحِبَاهُ. فَقَالَ عُمَرُ عليه السلام: يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رضي الله عنه ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ... وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ. يقول الله تعالى: لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. أي قد حلفت السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها مع علمها المحدود لأنه لو استنيط من الحديث معنى أن كل مَيِّت يعذب دون مبرر وبسبب بكاء أهله فقط لكان

الحديث معارضا ومخالفا للقرآن الكريم. والحديث الذي يعارض القرآن لا يُقبل. (الحق، مناظرة لدهيانة، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٠٩، الحاشية)

أَوَّلَتِ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَايَةً "إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ" الواردة في صحيح البخاري كتاب الجنائز، لتعارضها مع الآية: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وقالت إنه لا يتعلق بالمؤمنين، بل بالكفار الذين كانوا راضين ببكاء أهلهم، بل كانوا يوصونهم بذلك. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٩)

الآية ٢٣: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾

المراد من النور والحياة هو روح القدس لأن به تزول الظلمة وهو يحيي القلوب، لذلك سمي روح القدس أي روح القدسية التي بدخولها تُنال حياة مقدسة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٩٩)

الآية ٢٥: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ، أي ليس ثمة بلد عامر إلا وقد خلا فيه مرسل ومصلح. (الكحل لعيون الآرياء؟، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٩٣)

وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ، أي لا توجد بلد عامر ولا قرية عامرة إلا وأرسل إليها الرسول. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٢٨)

لا أعتقد مذهبا أن أساس الأديان الأخرى عدا الإسلام مبني على كذب بحت. بل أؤمن بأن الله الذي هو رب الخلق كله يهتم بالجميع وكما يسد حوائجهم الجسدية كذلك يقضي حاجاتهم الروحانية. ليس صحيحا أن الله تعالى اصطفى قوما واحدا منذ البداية ولم يأبه بغيرهم شيئا، ولكن صحيح تماما أن ذلك الوقت يأتي على قوم مرة وعلى قوم آخرين مرة أخرى. لا أقول ذلك إرضاء لأحد بل الله تعالى كشف علي أن "راجا رام شنذر" و"كرشن" وغيرهما كلهم كانوا عباد الله الصالحين، وكانوا

على علاقة صادقة معه. وأنا أتبرأ من الذي ينقدهم أو يسيء إليهم. وإن مثله كمثله
ضفدع في بئر لا يعلم عن سعة البحر شيئا. يتبين من القدر الذي يمكن العثور منه
على سوانحهم أنهم قاموا بمجاهدات عظيمة في سبيل الله وسعوا جاهدين ليجدوا
السبيل الحقيقي للوصول إلى الله تعالى. والذي يقول بأنهم ما كانوا صالحين، قوله
يتنافى مع القرآن الكريم لأن الله تعالى يقول فيه: ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.
فلا شك أن كل هذه الأديان كانت مبنية على الصدق والحق بداية ثم تطرقت إليها
أخطاء متنوعة بمرور الزمان لدرجة اختفت حقيقتها تحتها. (مجلة مقارنة الأديان،
مجلد ٣، رقم ١٠، ص ٣٥٢)

يعلّمنا الله تعالى أنه ما من منطقة أهلت ولا بلد إلا أرسل فيه نبي، فيقول الله
تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. ولكننا لا نستطيع أن نفهم عقيدة تقول
إن علاقة الله منذ القدم لم تكن إلا مع الآريا فقط وبقيت الأمم الأخرى كلها محرومة
من هدايته المباشرة مع وجود بلاد وأقاليم مترامية الأطراف يسكنها عباد الله تعالى
وكلهم بحاجة إلى هديه ﷺ. بل الحق أننا نرى قانون الله سائدا على عكس ذلك
تماما، حيث يؤكد ﷺ على وجوده في البلاد الأخرى أيضا من خلال وحيه وإلهامه.
فلا يمكن أن يُنسب إلى الله تعالى التحزب أو الانحياز إلى فئة من عباده دون فئة.
ومن تاب إليه ﷺ مخلصا له الدين تاب الله عليه بالرحمة. ولا يريد الله أن يضيع أحداً،
هنديا كان أم عربيا. إن رحمته واسعة وعامة وليست محصورة ببلد دون غيره. ونرى أن
نعم الله تعالى المادية أيضا موجودة في كل مكان، فمثلا الماء موجود في كل بلد
كوجوده في الهند، والغلال متوفرة في كل بلد كتوفرها في الهند.

باختصار؛ النعم المذكورة كلها موجودة في كل بلد كما هي في الهند. فما دام الله
تعالى لم يفرّق بين قوم وآخر أو بلد وآخر من حيث النعم المادية، فهل يجوز لأحد
أن يزعم أنه تعالى قد فرّق بينهم من الناحية الدينية؟ الناس كلهم عباده، سودا كانوا
أم بيضا.. هنودا كانوا أم عربا. إذن فإن الله الذي يملك صفات غير محدودة لا يمكن

أن تحدّه دائرة ضيقة، وإن اعتباره محدودا لا يدل إلا على جهل وضيق أفق. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٠٣-٣٠٤)

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وذلك لكي يشهد كل قوم على أن الله تعالى موجود، وهو يرسل رسله إلى الدنيا دائما. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٠)

كما أن الله تعالى ظل يربي أهل كل بلد بما يناسبهم، كذلك متّع كل بلد وقوم بالتربية الروحانية أيضا كما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فحريّ بالقبول دون أدنى نقاش أن ذلك الإله الحق والكامل الذي يجب على كل إنسان أن يؤمن به هو رب العالمين، وأن ربوبيته ليست خاصة بقوم دون قوم، أو بزمان دون آخر أو بلد دون غيره، بل هو رب الأمم كلها ورب الأزمنة والأماكن والبلاد كلها، وهو منبع الفيوض كلها، ومنه القوة كلها روحانية كانت أم مادية، وبفضله تتربّى كل الموجودات، وهو سند كل وجود.

إن فيض الله عام ومحيط بكل الأقوام والبلاد والأزمنة لكيلا يشكو قوم فيقولوا بأن الله منّ على قوم كذا وكذا ولم يمنّ علينا، أو أعطى قوم كذا كتابا منه ليهتدوا به ولكننا ما أعطيناه، أو ظهر بوحيه وإلهامه ومعجزاته في زمن كذا وكذا ولكنه بقي مخفيا في زمننا. فبيّظاره الفيض العام دحض الاعتراضات كلها من هذا القبيل وأبدى صفاته الواسعة إذ لم يحرم قوما من فيوضه المادية والروحانية ولم يحرم أيّ زمن. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية المجلد ٢٣، ص ٤٤٢)

ردّا على السؤال: هل كان زرادشت نبيا أم لا؟ قال عليه السلام: لا أقول إلا آمنتُ بالله ورسله. إننا نؤمن بأنبياء الله جميعا. ... لقد ظل ملايين المخلوقات يولدون وسكن ملايين الناس في بلاد مختلفة فلا يمكن أن يتركهم الله هكذا دون أن يتم عليهم الحجة بإرسال نبي. لقد ظل الأنبياء يأتون فيهم على أي حال، فيمكن أن يكون هو أيضا أحد من هؤلاء الرسل، ولكن تعليمه الصحيح ليس معلوما الآن

لأن بعض الأشياء تغيّرت تماماً نتيجة التحريف اللفظي والمعنوي بمرور الزمان. غير أن الحفظ الحقيقي وُعد به للقرآن الكريم وحده. يجب على المؤمن أن يحسن الظن أكثر من سوء الظن. لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، لذا يمكن أن يكون هو أيضاً رسولا. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٥)

يثبت من القرآن الكريم بجلاء أن الأنبياء خلّوا في الهند أيضاً، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، وكان حضرة كرشنا أيضاً أحد أولئك الأنبياء الذين بُعثوا من الله لهداية الخلق ولإقامة التوحيد. ومن هنا يتبين أن في كل أمة جاء أنبياء، وإذا كنا لا نعرف أسماءهم فهذا أمر آخر. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٧، عدد ٦/٣/١٩٠٨م، ص ٧)

هو ﷺ بحسب إيماننا رب العالمين، وهو خلق الغلال والهواء والماء والنور وغيرها من الأشياء لكافة المخلوقات؛ كذلك ظل يبعث في كل عصر مصلحين بين حين وآخر لإصلاح كل قوم، كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. إن الله إله العالم كلّ، فليست له أي قرابة أو صلة بأمة معينة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٦، عدد ٦/٢/١٩٠٨م، ص ٦)

الآية ٢٩: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

الذين يدركون عظمة الله وقدرته وإحسانه وحسنه وجماله هم الذين يخشونه في الحقيقة. والحق أن الخشية والإسلام شيء واحد من حيث المفهوم، لأن مفهوم كمال الخشية يستلزم مضمون الإسلام. إذًا، فإن مآل معاني هذه الآية وحصيلتها هي أن الوسيلة الكاملة لتحصيل الإسلام هي معرفة عظمة ذات الله وصفاته. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٥)

إن طبيعة الإنسان في معظم الحالات هي أنه ينال الهداية بمعرفة الله الكاملة كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أما الذين يملكون فطرة شيطانية فهم خارجون عن دائرة هذا القانون. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٢، الحاشية)

العلم لا يعني المنطق والفلسفة، بل العلم الحقيقي ما يهبه الله تعالى بمحض فضله. وهذا العلم هو وسيلة معرفة الله وخشيته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. العلم إذا لم يزد صاحبه خشيةً لله فاعلموا أن ذلك العلم لن يؤدي إلى زيادته في معرفة الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠٣ م، ص ٢)

ليس المراد من العالم الرباني أن يكون عالماً عديم المثل في الصرف والنحو أو المنطق، بل المراد أنه يخشى الله دائماً، ولا ينطلق لسانه باللغو أبداً. ولقد أتى علينا الآن زمان زعم فيه كل مَنْ هبَّ ودبَّ حتى غَسَّالُ الموتى أيضاً أنه عالمٌ، وتلقب بهذا اللقب، وهكذا قد أُسيءَ إلى هذا اللفظ إساءة بالغة، وصار يُستخدم فيما يتنافى مع مشيئة الله تعالى ومراده. مع أن القرآن الكريم قد قال في صفة العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، أي إنما يخشى الله تعالى من عباده من هم علماء. وعلينا أن ندرك من هنا أن الذين يفتقرون إلى صفات الخوف والخشية وتقوى الله لا يستحقّون أن يُدعوا لقب العلماء أبداً.

الحق أن العلماء جمعُ عالمٍ، ويُطلَق على الشيء اليقيني القطعي. والعلم الحقيقي يُنال من القرآن الكريم، لا من الفلسفة الإغريقية ولا من الفلسفة الإنجليزية المعاصرة. كلا، إنما تُنال الفلسفة الإيمانية الحقّة من القرآن الكريم. إن كمال المؤمن ومعراجهُ هو الوصول إلى مرتبة العلماء وبلوغ مقام حق اليقين الذي هو درجة العلم النهائية. ولكن الذين ليسوا محظوظين بالعلوم الحقّة ولم تُفتح لهم سبل المعرفة والبصيرة محرومون تماماً من ميزات العلم الحقيقي وصفاته، وإن سمّوا أنفسهم علماء. لا يوجد فيهم

الضياء والنور الذي يُنال بالعلم الحقيقي، بل هُم في خسران تام، ويملأون عاقبتهم بالدخان والظلام ... إن الذين يُعطون المعرفة والبصيرة الصادقة والعلم نتيجة خشيتهم لله هُم الذين قد شُبَّهوا في... الحديث بأنبياء بني إسرائيل. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٠، عدد ٢٤٤/٣/١٩٠٥ م، ص ٥)

تذكروا أن الجاهل هو الذي يزلّ دائما. لم يزلّ الشيطان بسبب العلم بل بسبب الجهل، لو كان كامل العلم لما زلّ. لم ترد في القرآن الكريم مذمة العلم بل ورد فيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، ويقول مثل معروف: العلم القليل فتنة. فلم يهلك معارضي العلم، بل الجهل أهلهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٢ م، ص ٢)

لا ينخدعن المرء من كلمة "علماء". العالم من يخشى الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وتكون العبودية التامة وخشية الله قد بلغت منهم مبلغا فيتعلمون العلم والمعرفة من الله تعالى وينالون البركة منه. إن المقام والمرتبة يُنالان نتيجة اتباع النبي ﷺ الكامل وجهه التام لدرجة أن يتصبغ المرء بصبغته ﷺ كليا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٣)

التقوى وخشية الله تنشأ بالعلم كما يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. يتبين من ذلك بجلاء أن العلم الحقيقي يخلق خشية الله. لقد ربط الله التقوى بالعلم، بمعنى أن الذي يكون عالما على الوجه الكامل تنشأ فيه خشية الله حتما. المراد من العلم بحسب فهمي هو علم القرآن الكريم وليس المراد منه الفلسفة أو العلوم المتداولة لأن الحصول عليها ليس مشروطا بالتقوى والبر، بل كما يتعلمها فاسق وفاجر كذلك يتعلمها ملتزم بالدين. أما علم القرآن الكريم فلا يُعطى لأحد سوى المتقي والملتزم بالدين. فالمراد من العلم هنا هو علم الدين وحده الذي تنتج عنه الخشية والتقوى. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٦ م، ص ٤)

الآية ٣٣: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذْنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

أي من المؤمنين من تغلبهم الأهواء النفسانية، ومنهم من كان في الدرجة الوسطى، وبعضهم يبلغون منتهى كمالات إيمانهم. ثم لو قال تعالى نظرا إلى فئة من المسلمين الضعاف والجنباء وناقصي الإيمان بأن الذين يبقون قائمين على الإيمان من الأعماق ولكن لا يعلنونه باللسان في مواطن تهدد حياتهم فهم معذورون، فإنه يقول إلى جانب ذلك بأن هناك مؤمنين أيضا يضحون بحياتهم في سبيل الدين بكل بسالة ولا يخشون أحدا. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٦)

أي أن بني آدم يملكون طبائع مختلفة، فمنهم ظالم وقد غلبت القوى البهيمية أو الغضبية على نور فطرتهم، ومنهم من يحتلون الدرجة الوسطى، وبعضهم من سبقوا في الحسنات والرجوع إلى الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٥، الحاشية رقم ١١)

أي فئة غلبت عليهم الظلمة الشيطانية وتضاءل فيهم نور روح القدس. والفئة الثانية هي التي يتساوى فيهم نور روح القدس والظلمة الشيطانية. والفئة الثالثة هم أولئك الذين غلبهم بريق روح القدس وصاروا خيرا محضا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ٥، ص ٩٧)

إن الله جلّ شأنه قصد من إنزال القرآن الكريم أن يكون قادرا على إصلاح جميع بني آدم وجميع الأزمنة وكافة المواهب ويكملها ويربيها، وأن تظهر على بني آدم صورة الإسلام وعظمته كاملة. ولأنه قد آن أوان ظهور هذه العظمة فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم قانونا كاملا وجامعا لجميع الأمم والأزمنة إلى يوم القيامة، وفتح باب الإفادة والإفاضة لكل موهبة أيّا كان مستواها كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١﴾ أي أن هؤلاء الناس الذين أورثناهم كتابا هم
ثلاث فئات:

(١) فئة الظالمين الذين يظلمون أنفسهم، أي يُكرهون النفس الأمانة على السير
على سبيل الله، ويخالفون النفس المتمردة ويستغلون في المجاهدات الشاقة.

(٢) الفئة الثانية تضم المقتصدين، أي الذين يُكرهون أنفسهم المتمردة ويُجبرونها
على بعض الخدمات في سبيل الله، فتنقاد نفوسهم لأداء بعض المهام بطيب خاطر
ابتغاء مرضاة الله وتؤديها بشوق وحب وإخلاص؛ فإنهم يعملون بأوامر الله تعالى
بشيء من التكلف والمجاهدة، وفي الوقت نفسه تصدر منهم طاعة ربهم الجليل
بحماس ورغبة قلبية دون أي تكلف بمعنى أنه لم تحصل لهم موافقة تامة لمقتضى إرادة
الله جلّ شأنه ومشيتته، ولم يتخلصوا تماما من معارضة النفس والمعركة معها، بل
توافقهم النفس في بعض سبيل السلوك وتعارض في بعضها الآخر.

(٣) والفئة الثالثة هم السابقون بالخيرات وذوو المراتب السامية، أي أولئك
الذين انتصروا على النفس الأمانة كلياً، وهم السابقون في الخيرات الذين زال
التمرد والأمر بالسوء من نفوسهم تماما. ويجوبون أوامر الله وجميع سبيل شريعته،
وقضاءه وقدره ومشيتته ومرضاته بطبعهم وليس تكلفاً وتصنعاً، ولا يدّخرون
جهداً في سبيل الطاعة. وتكون طاعة الله تعالى جزءاً من طبيعتهم وراحة
نفوسهم بحيث لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها. إن نفوسهم تطيع الله تعالى
بكمال المتعة والشوق واللذة وبشدة الرغبة وانسراح القلب المليء بالسعادة ولا
يضطرون ليُجبروا نفوسهم أو يُكرهوها على أيّ أمر وفي أيّ مقام أو أمر من
أوامر الله أو مشيئته ﷻ، بل تصبح نفوسهم مطمئنة وتكون إرادة الله إرادتهم
ومشيئته مشيئتهم ويجوبون أوامر الله ومشيتته كما يحبها الله تعالى، لذا لا يبتعدون
عن الله عند الابتلاء، بل يخطون إلى الأمام بخطوات حثيثة.

ثم يقول الله جلّ شأنه بأن هذه الفئات الثلاث محل فضله الكبير؛ أي أن الظالمين منهم أيضا مورد فضل الله وهم أصفياؤه ومحبوون عنده ﷻ، وكذلك حال المقتصدين منهم. أما السابقون بالخيرات فأمرهم واضح جليّ.

ويتضح من هذه الآية أن الله جلّ شأنه قد عدّ الظالمين لأنفسهم أيضا عباده الأصفياء ومحل فضله، وعدّهم من عباده الأحباء والأصفياء والجديرين بالإشادة الذين رضي الله عنهم كثيرا، مع أن القرآن الكريم زاخر بقول الله جلّ شأنه بأنه لا يحب الظالمين، ولا يمكن أن يكون الحائدون عن العدل مورد فضل الله تعالى بحال من الأحوال. فيتبين من هذا الدليل بالبداهة أن المراد من حزب "الظالمين" في هذه الآية ليس فئة المتمردين والعصاة والمشرّكين والكافرين الذين يتركون سبل العدل والحق ويعادون الله تعالى، لأن القرآن الكريم يعدّ مثل هؤلاء الناس مردودين ومورد غضب الله تعالى ويقول بصراحة تامة بأن الله لا يحب الظالمين والمعتدين الذين يحيدون عن طريق العدل والإنصاف، فأئى لهم أن يكونوا مورد فضل الله، وكيف يمكن أن يسمّوا المصطفّين والمختارين؟ فنضطر للقبول بناء على هذه الأدلة القاطعة واليقينية أن كلمة "الظالم" هنا لم تُستخدم بمعنى مذموم بل استخدمت بالمعاني الحمودة الجديرة بالإشادة وتستحق أن تنال نصيبا من درجة السابق بالخيرات، وهي بمنزلة الأخ الصغير لهذه الدرجة الفاضلة ولا يمكن أن يكون المعنى إلا أن المراد من الظالمين هنا هم أناس يمارسون في سبيل الله الجبر والإكراه على أنفسهم المعارضة، ويعكفون على مجاهدات شاقة ليل نهار ليكتب جراح أنفسهم، لأنه ثابت من اللغة أيضا أن كلمة "الظالم" قد وردت بمعنى النقص فقط ودون أي اعتبار آخر، حيث يقول الله جلّ شأنه في آية أخرى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ (الكهف: ٣٤) أي لم تنقص. وإنّ كبح جماح النفس في سبيل الله ظلّم من منطلق هذا المعنى دون أدنى شك. وبالإضافة إلى ذلك لا يسعنا أن نجعل كتب اللغة التي دُوّنت بعد القرآن الكريم بمئات السنين وفق الأساليب

السائدة في عصورها حَكَمًا على القرآن الكريم. بل القرآن الكريم يكفل نفسه بنفسه من حيث معانيه، وإن آياته يفسر بعضها بعضا.

والمعلوم أن الله تعالى لم يستخدم قط كلمة الإكرام أي "الاصطفاء" بحق الظالمين الآخرين، بل عدّهم مردودين ومخذولين ومغضوبا عليهم. أما في هذه الآية فقد عدّ الله ﷻ الظالمين أصفياءه ومحط فضله فتبين من هذه الآية بكل جلاء أن المقتصد عدّ مصطفىً لكونه مقتصدا، والسابق بالخيرات عدّ مصطفىً لأنه سابق بالخيرات. فهل بقي أيّ شك في إثبات أنّ المراد من "الظالم" في هذا المقام هو الظالم الذي يحبه الله، أي الذي يمارس الجبر والإكراه على نفسه من أجل الله تعالى ويكبح جماح الأهواء النفسانية وينقصها ابتغاء مرضاة الله جلّ شأنه؟ فقد سُمّي هؤلاء الظالمون في آيات أخرى في القرآن الكريم بـ "التوايين" أيضا الذين يحبهم الله جلّ شأنه.

إذًا، فمن الخطأ الفاحش الظنّ أن المراد من "الظالمين" المذكورين في هذه الآية أولئك الذين يعصون الله تعالى بشدة، ويمارسون الشرك والكفر والفسوق ويرضون به ويغضون سبل الهداية بل المراد هنا الظالمون الذين يسعون إلى الله تعالى على الرغم من أهواء النفس القوية باذلين كل ما في وسعهم. والقرينة الأخرى على هذا المعنى هي أن الله جلّ شأنه قد بيّن الغاية المتوخاة من نزول القرآن أنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وعدّ المتقين وحدهم بوجه خاص حائزين على الرشد والهداية والبركة من القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣). فبالنظر إلى هذه الغاية المنشودة يتحقق بالقطع واليقين أنه لا يمكن قط إطلاق كلمة "الظالم" الواردة في هذه الآية على عاصٍ ومرتد يترك طريق العدل ويختار الشرك والإلحاد عمدا، لأن شخصا مثله خارج عن دائرة التقوى بلا شك ولا يستحق مطلقا أن يُعدّ حتى من أدنى أنواع المتقين. ولكن هذه الآية لا تُدخل "الظالم" في حزب المتقين والمؤمنين فقط بل تعدّه رئيس المتقين والمختار منهم. فثبت، كما قلْتُ قبل قليل، أن الظالم المذكور في هذه الآية ليس من الظالمين الذين يخرجون من دائرة التقوى كليًا، بل

المراد هم أولئك الذين يواجهون ظلمة المعصية ولكن مع كل ذلك ليسوا متمردين بل يصارعون نفوسهم المتمردة دائما ويريدون أن يجتنبوا أهواء النفس تكلفًا وتصنُّعًا قدر الإمكان، ولكن تغلبهم النفس تارة وتوقعهم في المعصية، وتارة أخرى هم يغلبون ويزيلون تلك البقعة السوداء بكثرة البكاء. وإن هذه الصفة الموجودة فيهم ليست مذمومة بل محمودة وهي وسيلة للترقيات غير المتناهية والمجاهدات الشاقة. والحق أن صفة معارضة النفس هذه التي تسمى بتعبير آخر بالظُّلومية، إنما هي ميزة فريدة ومحمودة جدا أُعطِيها الإنسان ولم تُعْطَها الملائكة فيقول الله تعالى مشيرا إلى هذا الأمر: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٣) أي أن الإنسان يتحلى بصفة الظلوم والجهول، لذا حمل هذه الأمانة التي لا يستطيع حملها إلا الذي يتحلى بصفة عداوة نفسه والشدة عليها.

باختصار، إن صفة الظلومية مركَّبٌ لمراتب سلوك الإنسان، ووسيلة عظيمة أُعطِيها لنيل مقامات القرب؛ فتتجلى في أوائل المجاهدات الشاقة بصورة نار جهنم، ولكنها في النهاية توصل إلى نعماء الجنة. والحق أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا﴾ (مريم: ٧٢-٧٣) هو الآخر يشير إلى صفة الظلومية المحمودة؛ فلام التعريف في "الظالمين" هنا تفيد التخصيص، والمراد منها أن الظالمين نوعان:

(١) الظالمون المتقون الذين وُعدوا بالنجاة، وهم أحبباء الله، وُعِدُوا من الناجين في الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾.

(٢) الظالمون المشركون والكافرون والمتمردون الذين سَيُلْقَوْنَ في جهنم. ولقد قال تعالى في هذه الآية بأن المتقين أيضا ليسوا في منجى من مسّ هذه النار. والمراد من هذا البيان أن المتقين يُلقون أنفسهم في هذه النار بشتى الطرق بكل شجاعة وبطولة في هذه الدنيا التي هي دار الابتلاء، ويرمون بأنفسهم في نار مضطربة في سبيل الله. كذلك ينزل عليهم أنواع القضاء والقدر السماوي بصورة النار. إنهم يؤدُّون ويعذبون

وتحل بهم زلازل عنيفة لا يقدر على احتمالها أحد سواهم. ولقد ورد في حديث صحيح ما مفاده: إن الحمى التي تصيب المؤمن أيضا من فيح جهنم، فينال المؤمن في هذا العالم نصيبا من النار بسبب الحمى أو معاناة أخرى. وجاء في حديث آخر مفاده أنّ الجنة تتمثل للمؤمن جحيما في هذه الدنيا؛ بمعنى أن المصاعب الشاقة في سبيل الله تتراءى له بصورة جهنم، فحين يرُدُّها بطيب خاطر يجد نفسه في الجنة فجأة. وهناك أحاديث أخرى كثيرة تلخص في أن المؤمن يأخذ في هذه الدنيا نصيبا من نار جهنم، أما الكافر فيلقى فيها جبرا وإكراها، ولكن المؤمن يدخلها من تلقاء نفسه لوجه الله. وهناك حديث آخر بالمعنى نفسه بأن جزءا من النار مقدر لكل بشر، فليقبلها لنفسه في سبيل الله في هذه الدنيا إذا شاء أو ليقض حياته في الرفاهية والغفلة إذا شاء، ثم يقدم حساب تنعمه في الآخرة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٢٨-١٤٦)

الناس أربعة؛ الأول: الكافر الأزلي الذي يريد حياة التحرر والإباحية. ثم هناك ثلاثة أصناف للمؤمن، وهي: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات. والمؤمن الأول أي الظالم لنفسه هو من يصبح مغلوبا بأهواء النفس إلى حد ما، والمؤمن الثاني هو المقتصد المعتدل، والمؤمن الثالث الذي هو خير متجسد. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

عندما يأتي الأنبياء إلى الدنيا مأمورين يهتدي الناس بثلاثة طرق، لأن الناس أيضا ثلاثة أنواع: ظالم، ومقتصد، وسابق بالخيرات. السابقون بالخيرات يحتلون الدرجة الأولى ولا يحتاجون إلى الأدلة والمعجزات، وهم أصفياء القلوب وسعداء لدرجة أنهم يقتنعون بصدق المبعوث بالنظر إلى وجهه فقط، ويسمعون ادعاءه فقط ويتخذونه دليلا. يكون عقلهم دقيقا لدرجة فائقة، فيؤمنون بالأنبياء بالنظر إلى ملامحهم الظاهرية وبسماع كلامهم. والناس من الدرجة الثانية يسمون مقتصدين، وهم أيضا سعداء ولكنهم بحاجة إلى الأدلة ويقبلون نتيجة الشهادة. والناس من

الدرجة الثالثة ظالمون، تكون طبائعهم وفطرتهم مجبولة على ألا يقبلوا دون المعاقبة والقسوة عليهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤٣/٣/١٩٠٢م، ص ٦)

الناس في العالم ينقسمون إلى ثلاث فئات دائماً: السابق بالخيرات، المقتصد، والظالم لنفسه. السابقون لا يحتاجون إلى الآيات والمعجزات، فهم يعرفون من خلال القرائن والظروف السائدة، أما المقتصدون فيكونون حائزين على شيء من التنوير العقلي وشيء من الظلمة فيكونون بحاجة إلى الأدلة والمعجزات. والفئة الثالثة هي فئة الظالمين وهم أغبياء وبليدون جداً ولا يكادون يقبلون دون القسوة عليهم. وهذا النوع من الإكراه يوجد في كل دين لأن الظالمين لا يفهمون شيئاً بدونه. لقد تصادف وجود المسيح الناصري عليه السلام في زمن طيطس الرومي. كان قوم موسى يشكون كثيراً من الأعمال الجبرية وقسوة فرعون، فأروا في قبول دعوة موسى نجاتهم، ومع ذلك أرسل الله تعالى عليهم عذابه بين حين وآخر بُعْية إصلاحهم. فأرسل عليهم الطاعون تارة والزلازل تارة أخرى بشتى الأساليب ليؤمنوا، وظل الحال على هذا المنوال.

إذن، من سنة الله أنه يفهم الظالمين بهذه الطريقة. ولكن لماذا؟ لأن هذه الفئة تكون كثيرة العدد وغبية أيضاً. ففي هذا العصر أيضاً تكثر هذه الفئة الذين ينتقدون الآيات التي أظهرها الله تعالى، وينتقدون حديث الكسوف والخسوف أيضاً، واعترضوا على نبوءة عن ليكهرام، بل يعترضون على كل آية تظهر. ولكن الله تعالى هادي الجميع قد اختار الطريقة الثالثة والحجة الأخيرة، أي الطاعون. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٢م، ص ٦)

لقد قسم الله المؤمنين في القرآن الكريم في ثلاث درجات: الظالم، المقتصد، السابق بالخيرات. هذه مدارجهم وكلهم داخلون في الإسلام. الظالم هو الذي توجد فيه أخطاء وتقصيرات كثيرة. والمقتصد يكون في عراك بين النفس والشيطان فيغلب تارة ويُغلب تارة أخرى. تصدر منه بعض الأخطاء ويتحلى بالصلاح أيضاً. أما السابق بالخيرات فهو الذي يجتاز كلتا هاتين الدرجتين ويسبق في الخيرات بصورة دائمة،

ويحظى بالصلاحية الكاملة ويكون قد غلب النفس والشيطان. فيسميهم القرآن الكريم كلهم مسلمين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٧)

المراد من المقتصد هم أصحاب النفس اللوامة. والمعلوم أن المصائب الدنيوية تقتصر على النفس اللوامة، لأن الإنسان في هذه المرحلة يكون في صراع وعراك مع النفس الأمارة، إذ تقول النفس الأمارة: إن الراحة والسعادة تكمن في كذا وكذا فاختره، ولكن النفس اللوامة لا تفعل ذلك. في هذه الحالة يجاهد الإنسان ويتغلب على النفس الأمارة. فيبقى هذا الصراع قائما حتى تُهزم النفس الأمارة وتبقى النفس المطمئنة... فالمراد من الظالم في هذه الآية هم أصحاب النفس الأمارة، والمراد من المقتصد هم أصحاب النفس اللوامة، والسابقون بالخيرات هم ذوو النفس المطمئنة.

ما لم يحدث تغير كامل في الحياة يبقى الصراع قائما إلى الوصول إلى مرحلة النفس اللوامة. وعندما ينتهي هذا الصراع يدخل الإنسان في دار النعيم. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥١)

والمراد من الظالم أناس يتبعون النفس الأمارة أي يسلكون سبيلا تدفعهم إليها أنفسهم، وهم كالصم والبكم، ومثلهم كمثل البهائم لذا فهم لا يندرجون تحت أية قائمة، وهم يكثر. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣، عدد ٦/٢/١٩٠٣م، ص ٢٠)

المؤمنون فئات ثلاث، أولا المستعدون للعتار، ثانيا: المقتصدون الذين يحاولون اجتناب العثار ويخشون الله دائما، ثالثا: الذين يجتازون كل عثرة كما تنسلخ الحية من جلدها، ويسعون لكل خير ويتحاشون كل شر... فالقسم الأول: ظالم لنفسه. والثاني: مقتصد، والثالث: سابق بالخيرات. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣م، ص ١٧)

الحق أن جميع الناس ليسوا على مستوى واحد، وقد ذكر القرآن الكريم أيضا فئات مختلفة للمؤمنين فقال: ﴿مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٨/٧/١٩٠٤م، ص ٤)

لقد قسم الإسلام الناس إلى ثلاث فئات: ظالم لنفسه، مقتصد، وسابق بالخيرات. أما فئة "ظالم لنفسه" فهم أسرى في مخالف النفس الأمانة وهم على الدرجة الابتدائية، ويسعون قدر الإمكان لينجوا من هذه الحالة. المقتصدون هم من نجوا من النفس الأمانة إلى حد ما ولكنها تهاجمهم بين حين وآخر فيندمون بسبب هذا الهجوم، ولا يكونون قد نجوا منها كلياً.

أما السابقون بالخيرات فهم الذين لا تصدر منهم إلا الحسنات، وهم فوق الجميع. تصدر منهم الأفعال الحسنة بصورة طبيعية، وكأن الموت أصاب أنفسهم الأمانة، وهم في حالة النفس مطمئنة. تصدر منهم الحسنات كعمل طبيعي. وما يحسبه الآخرون حسنة يكون في أعينهم ذنباً أحياناً. والسبب في ذلك أن معرفتهم وبصيرتهم تكون متقدمة كثيراً، لذلك يقول الصوفية: "حسنات الأبرار سيئات المقربين". (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٥-٦)

إن الناس ثلاثة أنواع. تغلب أهواء النفس على فئة "ظالم لنفسه"، كأثم في قبضة النفس. والفئة الثانية هم: "مقتصد"، أي الذين تغلبهم النفس تارة، وتارة أخرى هم يغلبونها، ويكونون قد خرجوا من الحالة الأولى. والفئة الثالثة تتكوّن من الذين تحرروا من مخالف النفس كلياً ويُسمّون "سابق بالخيرات"، ويصبحون لله تعالى تماماً، ويحوزون قوة علمية وعملية. هؤلاء الناس يكونون مفيدين ونافعين لخدمة الدين. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٦ م، ص ٤)

الناس ثلاثة أنواع فطرّة. النوع الأول ظالم لنفسه فطرياً، والثاني، مقتصد، أي محظوظون بالحسنة جزئياً ومشوبون بالسيئة جزئياً. والنوع الثالث نافرون من السيئات والسابقون بالخيرات. وهذه المرحلة الأخيرة تتسم بميزة أنه لا يصلها إلا الأصفياء والمجتبون فقط. إن حزب الأنبياء عليهم السلام يكونون من هذه السلسلة الطاهرة، وهي جارية منذ البداية، والدنيا لا تخلو منهم. (خطاب المسيح الموعود عليه السلام ورسالة حول مسألة وحدة الوجود، ص ٢٢)

الصفتان الأوليان أدنى درجة، يجب أن تكونوا من السابقين بالخيرات. فالثبات على صفة واحدة ليست خصلة حميدة؛ فالماء الراكد في مكان يكون أخيراً آسناً، وتنشأ فيه رائحة كريهة ويصبح سيئ الطعم بسبب اختلاطه بالوحل. بينما يكون الماء الجاري دوماً نقياً وطيب المذاق، وإن كان الوحل موجوداً تحته أيضاً إلا أنه لا يؤثر فيه. وكذلك حال الإنسان؛ إذ يجب ألا يستقر على حالة واحدة، فهذا خطير. بل يجب أن يتقدم الإنسان إلى الأمام كل حين وأن، ويستبق الخيرات، وإلا لا ينصره الله، ومن ثم يصبح بلا نور. الأمر الذي يؤدي أحياناً إلى الارتداد في نهاية المطاف. ومن ثم يصبح قلب الإنسان أعمى. إنما ينصر الله أولئك الذين يتقدمون على درب الحسنات، ولا يستقرون في مكان واحد، وهم الذين تكون عاقبتهم حسنة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨م، ص ٦)

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، أي تكون حالة هؤلاء كما لو فتحت جميع نوافذ البيت ولم يُعد فيه أية زاوية مظلمة بل يدخله الضوء بصورة واضحة جلية. كذلك تكون مكالماتهم أجلى وبكثرة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٦، عدد ٢٧/٢/١٩٠٣م ص ٤٢)

الدعاء هو ما يدعو به أحباء الله، وإلا فيسمع الله للهندوس أيضاً، وتحقق بعض مراميمهم. ولكنه ابتلاء وليست دعاء. فمثلاً إذا طلب أحد طعاماً ألن يعطيه الله وقد وعد: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. الكلاب والقطط أيضاً تملأ بطونها، وتُرزق الحشرات والديدان أيضاً، ولكن كلمة ﴿اصْطَفَيْنَا﴾ خاصة بمناسبات معينة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤، عدد ١٣/٢/١٩٠٣م، ص ٢٨)

لقد وضع الله تعالى بين عباده تمايزاً كما يقول: ﴿مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾... الأهم في الموضوع ألا تتوجهوا إلى هذه الأمور بل تقدّموا في التقوى والطهارة. إن أمركم وحسابكم مع الله يختلف عن أمر المعارضين وحسابهم إذ أقسموا أنهم لن يقبلوا مهما كان الكلام صادقا. يقول الله تعالى

أيضا عنهم بأنهم سيقبلون يوم القيامة فقط. إن طبائعهم مبنية على أنه مهما قُدِّم لهم من شيء أو كلام جيد نفروا منه، وإذا كان كلامًا سيئًا فرحوا به. لقد قدمنا لهم القرآن الكريم والأحاديث والأدلة العقلية والمعجزات ولكنهم لا يأبهون بها بل يصرون على أمر واحد. فلما لم يرد الله أن يكون هناك مذهب واحد فماذا يمكن أن نفعله؟ ولكن الذين وهبهم الله تعالى فهما سليما عليهم أن يشكروا الله، إذ لا يستفيد إلا الذين طهَّروهم الله بنفسه. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٤-٣٥، عدد ١٠-١٧/١٠/١٩٠٤م، ص ١)

إن المؤمنين ثلاثة أنواع، النوع الأول هم: ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾، أي الذين فيهم شائبة الذنب، وبعضهم مقتصدون وبعضهم صالحون تماما. ولا ندري أية درجة يحتلها مختلف الناس. لكل شخص علاقة مختلفة مع الله فيعامله بحسب علاقته. إنني واثق من أن الله تعالى سيعامل كاملي الإيمان معاملة مميزة لأن فرقانا يوضع بين المؤمن والكافر. ليس المراد من المؤمن المذكور في القرآن أن يكون كلامه مقتصرا على اللسان فقط حيث يعمل صباحا أعمال الإيمان ويعمل مساء أعمال الكفر، ويتناول لقمة من الترياق ولقمة من السم. هذا الشخص لا يُعطى الفرقان المقدر للمؤمن. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ٩/١٧/١٩٠٤م، ص ٣)

المؤمنون ثلاثة أنواع: (١) الظالمون أي الذين يرتكبون أنواع الذنوب وتكون كفة ذنوبهم ثقيلة. (٢) المقتصدون الذين يرتكبون الذنوب ويكسبون الحسنات أيضا إلى حد ما فيبقون على قدم المساواة في كلتا الحالتين. (٣) والناس في الدرجة الثالثة هم أولئك الذين يسبقون في الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة.... باختصار، للمؤمنين ثلاث درجات، الظالم، والمقتصد، والسابق بالخيرات. ففي حال كونه ظالما يشعر الإنسان بسوء أعماله. وفي حال "مقتصد" يوفَّق لكسب الحسنات، ولكنه لا يكسبها بالكامل. وفي حال "سابق بالخيرات" يكسب الحسنات بالكامل بقدر ما كان في وسع فطرته، ويسعى إلى الأمام لكسب الأعمال الصالحة، وفي هذه

الدرجة يطلع الإنسان على عظمة الله وجلاله وقدرته بحيث يبدو كأنه يراه لأن الله يُريه الطريق بتصرفاته الخارقة للعادة.

إن تأييد روح القدس الذي يحالف المؤمن هو إنعام من الله فقط ويناله الذين يؤمنون بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم بصدق القلب ولا يُنال بمجاهدة بل بالإيمان وحده ويُنال مجانا. والشرط هو أن يكون المرء صادقا في الإيمان وثابت الأقدام وصابرا في الامتحان. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٢٤-٤٢٦)

ورد في القرآن الكريم: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فنحن نعد أصحاب الطبقات الثلاث مسلمين، لكن ماذا نقول للذين يكفرون المؤمنين. فالذين لا يكفروننا فسوف نعدمهم من المكفرين ما لم ينشروا إعلانا بأنه لا علاقة لهم بمؤلاء المكفرين، وما لم يكتبوا أسماءهم بأنهم يعدونهم كفارا بحسب الحديث الصحيح. (بدر مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٤٠٨/٥/١ م، ص ٢٠)

الآية ٤٤: ﴿اَسْتَكْبَارًا فِي الْاَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ اِلَّا بِاَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا سَنَةَ الْاَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

لقد تلقى اليهود من عيسى ﷺ جوابا أن المراد من بعثة إيليا ثانية هو مجيء النبي يوحنا -أي يحيى- فكل إنسان متدين يمكن أن يفهم أن البعثة الثانية لعيسى بن مريم أيضا ستتحقق على المنوال نفسه، لأنها السُّنة نفسها التي قد خلت: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٧٩)

إن عادة أهل الله تقتصر على أمرين اثنين، عندما يرون علامات البلاء يدعون الله، ولكن عندما يرون أن هذا هو قضاء الله وقدره يصبرون كما صبر النبي عند وفاة أولاده بمن فيهم ابنه إبراهيم أيضا. ما دام الله قسم هذا الموضوع على قسمين وهكذا جرت سنته وقال أيضا: ﴿لَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فكم هو خطأ كبير

أن يريد الإنسان خلاف ذلك. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٣)

اعلموا أن جميع الآيات والعلامات لا تتحقق بحسب فهم العامة أبداً، وإلا لما أنكر الناس وما اختلفوا عند بعثة الأنبياء. اسألوا اليهود هل يؤمنون بأن جميع الآيات والعلامات كانت قد تحققت عند مجيء المسيح عليه السلام؟ كلا. اعلموا أن قدر الله وسنته في هذا الأمر ليس إلا ما ذكرته: ﴿لَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ١)

إن الله لا يبدل سنته، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وأن الله تعالى لا يضيع مثقال ذرة من حسنة أحد. وكذلك يؤاخذ الله على مثقال ذرة من السيئة أيضاً. إذن يجب أن يسعى المرء كثيراً لاجتناب الذنوب. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٨)

إن الله تعالى يريد تغييراً طاهراً، وما لم يحدث ذلك التغير لا منجى ولا خلاص من عذاب الله، هذا قانون الله تعالى وسنته التي لا تتبدل، لأنه قرّر بنفسه: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. فالذي يريد أن يحدث له تغيير في السماء، أي ينجو من العذابات والآلام التي أعدّها له معبّة أعماله، فإن واجبه الأول أن يحدث تغييراً في نفسه. فحين يحدث تغييراً في نفسه، فإن الله يرفع عنه العذاب والألم بحسب وعده الذي قطعه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١٢)، ويحوّل الألم إلى الراحة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ٢)

تزكية النفس لا تتحقق دون الفضل من الله، فهي سنة الله غير المتبدلة الذي قال: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وإنما القانون الأولي لجذب الفضل هو أن يقوم الإنسان باتباع رسول الله ﷺ. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٤/٥/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية: ٤٦: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾

أي لو بطش الله بالناس بسبب ذنوبهم لما ترك حيا على ظهر الأرض. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥١-٦٥٢)

أي لو بطش الله بالناس بما تعمّدوا فعله لما بقي حي يمشي على ظهر الأرض أبدا. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣١)



فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
٢	يبلغ الإنسان كماله الروحاني والجسدي بعد عبوره المراتب الستة الضرورية لكماله
٢	المخلوق الحقيقي يخلق جميع الأعضاء الداخلية والخارجية في الرحم في وقت واحد فلا تقديم فيها ولا تأخير
٣	تفصيل المراتب الستة الروحانية مقابل المراتب الستة الجسدية
٣	عدّ الله النطفة هي المرتبة الأولى لوجود الإنسان بعد خلق آدم
٤	المرتبة الأولى لوجود المؤمن الروحاني هي الخشوع والرقّة التي تيسر له في الصلاة وذكر الله
٥	إذا نزل فيض الله بغير عمل فيكون تحت صفة "الرحمن"
٥	إذا نزل فيض الله نتيجة عمل أو عبادة أو مجاهدة فيكون تحت صفة "الرحيم"
٧	السبب وراء العلاقة مع الرحمن والرحيم أو عدمها هو هو، والفرق الوحيد هو العلل الجسدية والروحانية
١١	التشابه بين الخشوع والنطفة
١٣	لا يفتر قلب المرء عن لغو الكلام والأعمال والصحبة الطالحة واللهو إلا إذا تعلق بالرب وغلبته عظمتُهُ وَجَلَّ وهيبته
١٤	ترك لغو الكلام والأعمال هو ما يقال له العلاقة بالله
١٧	بيان المرتبة الثالثة للوجود الروحاني مقابل الوجود الجسدي

١٨	سُمِّيت الزكاة زكاة لأن الإنسان يتطهر من قذارة البخل بأدائها أي بإنفاق ماله المحبب عنده
١٩	تفصيل الدرجة الرابعة للوجود الروحاني
٢١	كلمة ﴿رَاعُونَ﴾ تُستعمل في العربية حين يحاول الإنسان السلوك بأدق السبل بقدر وسعه وطاقته
٢٣	سبل التقوى الدقيقة هي نقوش لطيفة وجميلة للجمال الروحاني
٢٦	ذكر الله المليء بالحب الذي يسمى الصلاة يكون غذاء أساسيا لهم في الحقيقة
٢٨	حب الله الذاتي روح جديدة تنزل على قلوبهم كشعلة نار
٢٩	الروح من خلق الله ولكنها تفوق فهم الناس
٣٠	لا يكون الحب من جانب واحد بل المراد هو حب الخالق والمخلوق
٣١	جمالان لخلق الإنسان، جمال المعاملة وجمال البشارة
٣٥	الحب المجازي حبٌّ نَحْسُ ينشأ من جانب واحد ويموت كذلك
٣٨	ثلاثة شروط لإجابة الدعاء
٤٠	المقارنة بين معجزة معرفية لمراتب الخلق الروحاني والمادي، والتحدي للآتيان بنظيرها من الكتب السماوية
٤٠	المعجزة المعرفية المذكورة حقيقة بديهية وبينة
٤١	معنى "أفلح": أُصِير إلى الفلاح.
٤١	بيان أعمال الإنسان الست
٤٤	حب الله الذاتي روح تعمل عملها في المؤمن ولا تنفصل عن روح القدس
٤٤	خمس حالات ردئية للنفس الناقصة
٥٢	البركات كلها في الإخلاص، والإخلاص كله في البحث عن رضا الله ورضاه يكمن في ترك المرء رضاه الذاتي
٥٢	عندما يُحدث المؤمن في نفسه تغيرا كاملا يتجلى الله عليه بتجل جديد

٥٤	عندما تنشأ الرقة والحرقه يفتح باب الفلاح
٥٤	المعجزة ما لا يقدر الإنسان على الإتيان بمثله
٥٦	بلغ العالم الكبير والعالم الصغير الكمال بعد إكمال خلقهما تدريجاً
٥٧	سنة مراحل لخلق العالم الصغير والعالم الكبير
٥٨	حالات النطفة ودرجاتها المختلفة
٥٩	يبلغ الإنسان الكمال بعد ستة مراحل
٦٠	المراتب الستة لخلق الإنسان الروحاني
٦٢	مراتب الكلام الستة
٦٥	مراحل التغيرات في النطفة
٦٦	إن عمر الدنيا من آدم إلى آخر الدنيا هو سبعة آلاف سنة
٦٧	نبوءة عظيمة عن الزمن الأخير تنبأ بها لبيد بن ربيعة العامري
٦٧	ابتلاء كاتب الوحي، عبد الله بن أبي السرح
٦٨	الفرق بين كلام الله وكلام الإنسان
٦٩	عندما تمر نطفة الرجل والمرأة من مراحل تدريجية تتولد الروح في القالب نفسه
٧٢	كلمة الموت المستخدمة في القرآن تعطي عدة معان
٧٣	زمن ضعف الإسلام هو الزمن الراهن الذي جاء عنه أن القرآن سيرتفع فيه من الأرض
٧٣	علامة ظهور المسيح الموعود أنه سيظهر بعد خروج الدجال
٧٤	أنبأ القرآن بظهور المسيح ابن مريم إلى ١٤٠٠ عام
٧٥	حالة العرب عند بعثة النبي ﷺ
٧٥	أمهل الله تعالى الظالمين في زمن نوح إلى ألف عام، ولو طرحنا الآن القرون الثلاثة لـ "خير القرون" لبقينا ألف عام
٧٦	معنى "آوى" تقديم المأوى لأحد بعد تعرضه للإيذاء، ولم يتعرض عيسى لأي إيذاء قبل حادث الصليب

٧٧	كلمة "قرار" تدل على عيش عيسى في كشمير بالأمن والسلام، وبغير معارضة أو إيذاء
٧٩	كلمة كشمير تُلفظ في اللغة المحلية "كشير" وتدل على أنها كلمة عبرية ومركبة من كاف واشير ومعناها بلاد الشام بالعبرية
٧٩	قبل ألفي عام جاء نبي إسرائيلي إلى كشمير وكان يُسمى النبي الأمير، وقبره معروف بقبر "يوز آسف" في حارة خانيار
٨٠	آسف في العبرية يُطلق على شخص يبحث عن قومه، وجاء عيسى إلى كشمير باحثاً عن قومه
٨٧	إذا عوقبت طائفة تصلح طائفة أخرى نفسها بنفسها
٨٨	البريء هو من يُدان بالجرمة أولاً، ثم يبرئ ساحته بشهادات الشهود
٨٩	من سنة الله أنه يزيل نبأ الوعيد بالتوبة والاستغفار والصدقة والدعاء
٩٠	إن لم يكن الرجل تقياً فأنى لزوجته أن تكون صالحة، فإذا كان الرجل صالحاً يمكن أن تكون المرأة أيضاً صالحة
٩١	الرجل إمام في البيت، فإذا ترك تأثيراً سيئاً تأصل تأثير سيئ
٩٢	لو تبني المرء التقوى والطهارة الباطنية لأُنقذ من الابتلاءات
٩٣	إن لم تزن زوجتك ولكنها لا تتوقف عن النظر إلى الآخرين بنظر الشهوة... فلك أن تطلقها
٩٤	فليجتنبوا كل ما لا يجوز رؤيته وسماعه وفعله، وهذا سيؤدي إلى طهارتهم الباطنية
٩٥	تخبرنا التجارب الصارخة أن عاقبة النظر إلى النساء غير المحرمات ليست محمودة
٩٥	عدم مراعاة أهل أوروبا مقتضيات الحجاب يجعلهم يتورطون في الفسق والفجور
٩٩	لا تتركوا الحسنة لعناد الإسلام، هذا لن يضر الإسلام بل سيضركم أنتم

١٠٠	السّر في الحجاب الإسلامي
١٠١	غَضّ البصر هو النظر بعين فاترة.. بحيث يصون المرء نظره عما لا تحِلّ رؤيته
١٠١	حقيقة الحجاب الإسلامي
١٠٢	مقارنة تعليم القرآن عن غَضّ البصر مع تعليم الإنجيل
١٠٢	الإفراط والتفريط في أوروبا بشأن الحجاب
١٠٣	الأمر بنكاح الأرملة كالأمر بنكاح العذراء
١٠٣	من كانت تحب الله ورسوله فلتبحث عن زوج صالح بعد الترمّل
١٠٩	كلما أُطلقت كلمة "الخلق" دون الإشارة إلى ما هو مذموم، أريدَ منها الأخلاق الفاضلة دائما
١١٣	تكفي آية واحدة: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة﴾ بأن الصحابة أحدثوا في أنفسهم تغييرات كبيرة
١١٤	الدين والدنيا لا يجتمعان في مكان واحد إلا إذا جعل الله أحدا سعيدا إلى هذه الدرجة
١١٥	لا يريد الله أن تتركوا الدنيا
١١٦	التخلف عن أمر الله معصية ومدعاة لدخول الجحيم
١١٨	جاء في بني إسرائيل مسحاء كثر والمسيح الأخير هو من ذكره القرآن باسم المسيح عيسى بن مريم
١٢٥	جاءت كلمة "منكم" في القرآن ٨٢ مرة، والمراد كل مرة سوى مرتين أو ثلاث مرات هم المسلمون القادمون إلى يوم القيامة
١٣٥	وعد الله بوجود الخلفاء على الدوام لينالوا أنوار النبوة على سبيل الظلية ويُلزمو الناس ويظهروا لهم مزايا القرآن وبركاته
١٣٦	جاء بعد موسى إلى المسيح آلاف الأنبياء والمحدثين الذين ظلوا عاكفين على خدمة التوراة كالخدام

١٣٨	المجددون لا ينقصون ولا يزيدون في الدين شيئا بل يقيمونه في القلوب مجددا. والقول بأن الإيمان بهم ليس واجبا انحراف عن أمر الله
١٣٩	الخلافة الإسلامية دائمة لأن كلمة "يرثها" تقتضي الدوام
١٤٠	إذا كان المقصود هو إبقاء الأمة عمياء وإبقاء الدين ميتا فما معنى القول بأنكم خير أمة وأخرجتم لخير الناس وهدايتهم
١٤١	المماثلة التامة بين خلافة موسى وخلافة محمد ﷺ توجب مجيء المسيح الموعود ﷺ
١٤٢	أنا خاتم الخلفاء في الإسلام من حيث الروحانية كما كان المسيح ابن مريم خاتم الخلفاء في السلسلة الإسرائيلية
١٤٨	القرآن يصف خلفاء كلتا السلسلتين مختلفين من وجه كما يُستنبط من لفظ "كما"
١٤٨	يقول الشيخ محيي الدين ابن عربي في كتابه فصوص الحكم إن إحدى علامات المهدي هي أن عائلته ستكون من حدود الصين وتكون ولادته نادرة بحيث تولد معه ابنة توأما
١٤٩	أزال أبو بكر ﷺ الشبهات كلها بكل جلاء ولم يبق صحابي لم يعتقد بوفاة الأنبياء السابقين
١٥١	أوجه التشابه بين السلسلة المحمدية والسلسلة الموسوية
١٥٣	أوجه التشابه بين أبي بكر ﷺ والمسيح الموعود ﷺ
١٥٥	أوجه التشابه بين يوشع بن نون وأبي بكر ﷺ
١٥٧	التشابه بين السلسلة العيسوية والسلسلة المحمدية في التكفير
١٥٩	إذا كنتم تريدون أن ينزل فيكم عيسى بعينه فقد كذبتكم القرآن ولم تنالوا نورا من سورة النور
١٦١	كان مع مسيلمة قرابة مئة ألف جاهل وفاجر، وثارت الفتن وزادادت المصائب
١٦٤	كلمة "كما" تقتضي التشابه بما فيه التشابه الزمني

١٧٣	جاء النبي ﷺ في وقت كان مجيء نبي صادق وكامل ضروريا
١٧٤	النبي يكون بشيرا للصالحين ونذيرا للطالحين
١٧٦	الاستنباط من كلمة "القدر" أن الإنسان خُلق ليبقى محروما من قوى أعطاه الله إياها سوء فهم كبير
١٧٩	القدر نوعان: معلّق ومبرم. الصدقة والدعاء تزيل القدر المعلق
١٨٠	زوال العذاب بالدعاء والصدقة حقيقة ثابتة يتفق عليها ١٢٤ ألف نبي
١٨١	القدر المعلق يكون دقيقا في الأغلب لدرجة أن الناظر إليه بنظرة عابرة يحسبه مبرما
١٨٢	القدر المبرم نوعان: المبرم الحقيقي وغير الحقيقي، المبرم الحقيقي لا يزول بينما يمكن أن يزول غير الحقيقي
١٨٤	أولياء الله يبلغون من قرب الله مقاما ثواري فيه صبغة الألوهية صبغة بشريتهم كلية
١٨٥	اعلموا أن القرآن منبع البركات ووسيلة صادقة للنجاة
١٨٦	الأنبياء يتعلمون في مدرسة الله، ويدعون تلاميذ الرحمن ويكون تقدمهم أيضا تدريجا
١٨٩	جميع المرسلين أوادم روحانيين والصالحون من أمهم أجيالهم
١٩١	"هونا"، أي عدم إيذاء أحد إيذاء جسديا ظلما وكون المرء غير ضار، والعيش بالصلح
١٩٢	القلب لا يبقى مستقيما ما لم ينل الترياق من السماء
١٩٥	ما لم يتمن المرء الأولاد بنية أن يكونوا أتقياء وورعين... كانت أمنيته عبثا ولغوًا تماما بل معصية وإثما
١٩٥	قبل أن يتمن المرء أولادا صالحين لا بد له من إصلاح نفسه
١٩٦	ينبغي فعل الخير ابتغاء مرضاة الله وطاعة لأوامره فقط، بغض النظر هل يترتب عليه الثواب أم لا

١٩٦	لا أصلي صلاةً لا أدعو فيها لأحبائي وأولادي وزوجتي
١٩٨	يجب على المرء أن يربي أولاده بدافع الرحمة فقط وليس رغبة في أن يخلّفوه
١٩٩	يقول القرآن إن الجسد والروح كلاهما ينالان الجزاء في الجنة
٢٠٠	غاية خلق الإنسان هي عبادة الله، ولكنه لو قلب فطرته بتأثير الأسباب والعلاقات الخارجية وأفسدها، فلن يعبأ به الله
٢٠١	يجب على الجميع أن يحرروا أنفسهم من عبودية الشيطان
٢٠٧	إن نور الهداية الذي ظهر في جزيرة العرب بصورة خارقة ثم انتشر في الدنيا كلها كان نتيجة أدعية النبي ﷺ
٢٠٧	الله يُجَلِّي وجهه بواسطة آياته على قلوب خلقه النشيطة، وبسبب أدعية النبي المتضرعة تنزل آياته ﷻ على الأرض مثل المطر
٢١١	عندما يأتي المبعوث من الله تودّع فطرته مواساة صادقة لعامة الناس وللجماعة أيضا
٢١١	مهمة المعلّم والواعظ هي الوعظ والنصيحة فقط، أما نافذة القلب فتنتفتح بفضل من الله فقط
٢١٣	الأنبياء لا يحبون الشهرة بل يخفون أنفسهم ولكن حُكم الله يُخرجهم
٢١٥	الله جامع الشؤون كلها وهو الاسم الأعظم. إن الاسم الأعظم كان مع رسول الله ﷺ وجماعته مع جميع الصفات
٢١٦	كلما يُكمل الإنسان إيمانه ويتقوى في اليقين يعالجه الله بنفسه
٢٢٣	"نُودِي" تشير إلى أن الله هو من بارك من في النار ومن حولها
٢٢٤	﴿استيقنتها أنفسهم﴾ أي آمنت قلوبهم بالآيات
٢٢٤	هناك آخر امتحان للمؤمن وآخر معركة تنتهي عليها كافة مراتب سلوكه
٢٢٤	الحالة الخامسة التي تحب النفس الأمانة مفايدها حبا شديدا
٢٢٥	حين يتغير ملكوت روحاني يطرأ الدمار على ملكوت سابق

٢٢٥	البحث عن ذات عليا والجذب إليه في فطرة الإنسان
٢٢٧	ذكر قصة ملكة بلقيس في القرآن
٢٢٧	الأجرام الكبيرة مثل الشمس والقمر هي المرايا التي عُبدت خطأ
٢٢٨	الدنيا صرح مرد من الزجاج وتعمل من ورائها قوة خافية، وتلك القوة هو الله
٢٣٠	تخطيط تسعة أشرار في المدينة لقتل النبي ﷺ
٢٣٠	ينزل العذاب في الدنيا عندما يبلغ الشر والظلم والكبر ذروته
٢٣١	بين الله في القرآن علامة معرفته أنه يجيب دعوة المضطرين
٢٣٢	المراد من المضطر في كلام الله هو المتضرر للابتلاء لا للمعاقبة
٢٣٢	الشرط الثاني لإجابة الدعاء هو أن يكون في قلب الداعي ألم لمن يدعو له
٢٣٤	القادم بالقوة السماوية ذكر بكلمة النزول، والخارج بقوة أرضية ذكر بكلمة "خروج"
٢٣٥	دابة الأرض اسم جنس يُطلق على مشايخ ذوي اتجاهين، فمن ناحية لهم علاقة بالدين والحق، ومن ناحية بالدنيا والدجل
٢٣٦	ألقي في قلبي أن دابة الأرض هو الطاعون الذي وُعد به في القرآن
٢٣٧	كلما وردت دابة الأرض في القرآن مضافة أريد بها الجرثومة
٢٣٨	إذا انكشف الحق فإن تركه بسبب الأوهام الباطلة جهل تام وبسبب هذه العادة حُرّم اليهود الأشقياء من قبول الحق
٢٣٩	كان ﷺ يعلم أن مذهب التثليث يكون في أوج رقيته في ذلك الزمن، فعلم المسلمين دعاء. وتشير في هذا الدعاء كلمات "المغضوب عليهم" أنهم يعارضون مسيح الإسلام
٢٤٠	السّر في تقدم النبي ﷺ التدريجي هو أن القرآن وحده كان وسيلة تقدمه
٢٤٠	في قوله إن دابة الأرض تخرج من الأرض إشارة إلى أن المسلمين ومشايخهم يصبحون دابة الأرض لميلهم إلى الأرض

٢٤١	دابة الأرض تفيد معنيين: الأول العلماء الذين ليس لهم من السماء نصيب. والمعنى الثاني هو الطاعون
٢٤٢	النبوءة عن المسيح الموعود أن دعاواه ستتوقف لحد كبير على الآيات
٢٤٥	من الخطأ تماما الظن أن باب الإلهام في الأمة مسدود، وكلام بعض أفراد الأمة، رجالا ونساء، مذكور في القرآن
٢٤٦	تهمة النصارى بموسى بالوكر، بينما لم يكن ذلك ذنبا
٢٤٦	الله لا يخزي الأنبياء، بل بقوة إيمانهم يرون التضحية بأرواحهم في سبيل الله مدعاة لسعادتهم
٢٤٧	اعلموا أن الشرك ظلم عظيم، ولكن المراد منه هنا هو تجاوز التمرد حدوده وبلوغ الأعمال الفاسدة منتهاها
٢٤٨	ذكر الله في هذه الآية "أحمدين"، وعدّهما من نعمه الكاثرة
٢٥٠	جعل الله الموت ضروريا لكل شيء سواه، فكما ينحل الجسم ويرد عليه الموت كذلك يحدث التغير في الصفات الروحانية ويرد الموت على الروح
٢٥١	الإيمان أن يقبل المرء قبل أن يبلغ علمه الكمال، وعندما لا تزال تجذبه الشكوك والشبهات
٢٥٢	أسلم يهودي بتأثير من: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا...﴾
٢٥٢	على المؤمن أن يعتبر بغيره
٢٥٣	أسلوبان للحصول على رضوان الله وقربه. ١: يحرز الإنسان تقدما نتيجة الأحكام الشرعية. ٢: نتيجة التكاليف الشرعية
٢٥٣	ينال أهل الله درجات بعد المصائب
٢٥٤	من الخطأ القول إن مئات الناس صاروا أولياء بمجرد ذهابهم إلى ولي
٢٥٤	من صفات الله أنه يترك عائلة ويصطفى أخرى
٢٥٦	وضع الشروط مع الله للدعاء خطأ وحق كبير

٢٥٦	الهدف من الامتحان والابتلاء هو لتكشف الحقائق الخفية
٢٥٧	فلتكن النماذج العملية سامية لتتسبب في التغيير، وليكن التغيير واضحا حتى يشعر به المرء بنفسه
٢٥٩	تذكروا أن الابتلاء والامتحان شرط الإيمان ولا يكتمل الإيمان ولا تيسر نعمة عظيمة بدونها
٢٦٠	يريد معظم الناس أن يتحقق لهم كل شيء دنيوي في لمح البصر... أما في الأمور الدينية فيقولون: اجعلونا أولياء الله بنفخة واحدة
٢٦٢	ما لم يدعم المرء إيمانه بالصمود تنقطع نصره الله أيضا
٢٦٦	الصلاح نوعان: أن يحرز الإنسان الحسنات بتحمل المشاق وأن تتحول المشاق والصعوبات إلى المتعة واللذة
٢٦٩	اللذة والمتعة تنشأ في الصلاة نتيجة العلاقة بين العبد وربّه
٢٧٠	الصلاة وسيلة اجتناب الذنوب كلها
٢٧٠	طلب من النبي ﷺ الإغفاء عن الصلاة
٢٧١	الصلاة تعني حب الله وخشيته والاستمرار في ذكره ﷻ
٢٧٢	الصلاة مركبة لمن يريد الوصول إلى الله
٢٧٢	الصلاة المؤداة بقلب متألم تُخرج الإنسان من المشاكل كلها
٢٧٢	ثمرات الصلاة الحقيقية
٢٧٢	هذه المفخرة موجودة في العبادة الإسلامية وحدها، حيث إن المقصود في أولها وآخرها هو الله وحده لا غير
٢٧٣	بركات الصلاة
٢٧٤	إن النبي ﷺ كان أميا محضا لا يعرف الكتابة ولا القراءة
٢٧٤	معجزة القرآن: لم تستطع التوراة ولا الإنجيل إصلاحا قام به القرآن
٢٧٥	لن يُمح القرآن من الصدور كما محيت التوراة والإنجيل من قلوب اليهود والنصارى

٢٧٩	طلب كفار مكة من النبي ﷺ آيات من ثلاثة أنواع
٢٨٣	عاقبة المفتري
٢٨٤	أجر المجاهدة في سبيل الله وإنعامها
٢٨٧	لا يتم شيء بغير المجاهدة
٢٨٩	جاهدوا لإصلاح نفوسكم
٢٩٣	السعي لتزكية النفس في غار حراء
٢٩٤	اسعوا بكل ما في وسعكم لإزالة أمراضكم الروحانية
٢٩٤	الساعي إلى الله تعالى لا يفشل أبدا
٢٩٧	الكشوف والرؤى الصالحة تكون مليئة بالاستعارات
٢٩٩	يتبين من الأحاديث أن الدجال سيكون غالبا في الأرض
٣٠٠	صفات يأجوج ومأجوج والدجال في الأمم الأوروبية
٣٠٣	الثبات على التوحيد من فطرة الإنسان التي فُطر عليها
٣٠٧	النفوس المقدسة التي يصطفئها الله لرسالته تكون في رفع الحُجُب والصفاء كقصر زجاجي لا كثافة فيه ولا حجاب
٣٠٨	كل القوى التي أعطيها الإنسان إنما الهدف الحقيقي منها هو معرفة الله وعبادته ومحبته
٣١٢	لا تنال روح الإنسان السكينة والطمأنينة إلا بوصال الله
٣١٣	الفُطْر يعني الشق، والمراد من فطرة الإنسان أنه فُطر بوجه خاص
٣٢٣	ثلاثة أنواع الشرك
٣٢٤	الإسلام يجعل مدار الأعمال على النيات
٣٢٦	المراد من الساعة زمن دمار اليهود
٣٢٧	زمن ولادة المسيح الموعود
٣٢٨	فترة الضلال ستمتد إلى ألف عام

٣٢٨	زمن الصدق والصلاح والعفة
٣٣٠	عمر النسل الإنساني هو سبعة آلاف سنة
٣٣٢	حقيقة نعماء الجنة الأخروية
٣٣٣	الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأَيُّ خصوصية تثبت حياة المسيح؟
٣٣٦	قصة زواج زينب عليها السلام
٣٣٨	في الابتلاء يمتحن الله صبر المبعوث واستقامة جماعته
٣٣٩	بإتباع النبي ﷺ يتيسر وصال الله، وبدونه لن ينال أحد غايته، وإنْ قضى حياته كلها في السعي والمجاهدة
٣٤٠	في جميع الأنبياء يكون جذب وبسببه ينجذب الناس إليهم
٣٤١	الذي لا يعظم الصحابة فلم يعظم النبي ﷺ مطلقاً
٣٤١	لا يكون المرسلون والمبعوثون من الله جنباء أبداً
٣٥١	باب النبوة والوحي الجزئي مفتوح دائماً لهذه الأمة المرحومة
٣٥١	النبي محدث والمحدث نبي؛ باعتبار المحدثية نوعاً من أنواع النبوة
٣٥٢	النبوة التي ليس فيها إلا المبشرات باقية إلى يوم القيامة
٣٥٢	الرسول هو من تلقى أحكام الدين وعقائده بواسطة جبريل
٣٥٣	مجيء المسيح ابن مريم بعد خاتم النبيين يستلزم فساداً عظيماً
٣٥٤	حقيقة الرسول أنه يحصل على علوم الدين بواسطة جبريل
٣٥٨	القول "إن عيسى عليه السلام سيأتي مجرداً من نبوته" وقاحة نكراء وإساءة بالغة!
٣٥٩	الذي يتلقى الوحي من الله مباشرة، والله يكلمه كما كلم الأنبياء فليس من غير المناسب إطلاق كلمة النبي أو الرسول عليه
٣٦٠	أُغلقت أبواب النبوة كلها، لكن باباً واحداً مفتوح، وهو باب سيرة الصديقين، باب الفناء في الرسول
٣٦٠	الذي يتلقى الخبر من الله وينقله إلى العالم، يقال له نبي في اللغة العربية

٣٦١	النبي لفظ مشترك بين العربية والعبرية، وهذا اللفظ يسمى في العبرانية "نابي"
٣٦٢	انعكست كل كمالات المحمدية مع النبوة في مرآتي ظليا
٣٦٥	أنا مرآة تنعكس فيها الصورة والنبوة المحمدية انعكاسا كاملا
٣٦٧	لا نبي بعده ﷺ إلا الذي هو من أمته ومن أكمل أتباعه
٣٧٢	إن سيدنا ومولانا النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، ولا نبوة مستقلة ولا شريعة بعده ﷺ، ومن ادعى ذلك فهو ملحد ومردود بلا أدنى شك
٣٧٥	الذي ينكر ختم النبوة أعده ملحدا وخارجا عن الإسلام
٣٧٧	لولا بعثة الرسول ﷺ لظل الأنبياء السابقون ونبوءاتهم خافية
٣٧٨	شرح كلمة "خاتم النبيين"
٣٧٩	تُلصَق بي وبجماعتي تهمة بأننا لا نؤمن بكون رسول الله ﷺ خاتم النبيين، ولكنها افتراء علينا عظيم
٣٨٥	إن بدعكم ونبؤاتكم الجديدة هي التي هيّجت غيرة الله ليعث شخصا في حلة رسول الله ﷺ، ليمزق وثن النبوات الكاذبة
٣٨٦	ختم النبوة سلسلة علمية عظيمة
٣٨٦	مذهب محيي الدين ابن عربي بشأن ختم النبوة
٣٨٧	معنى النبي الحرفي والاصطلاحي
٣٩٢	احتراما لعظمة النبي ﷺ والإسلام لم تُستخدم كلمة النبي بحق الخلفاء والصالحين
٣٩٦	اعتقاد ابن العربي رحمه الله في ختم النبوة
٣٩٧	قول عائشة رضي الله عنها في ختم النبوة
٣٩٧	الحكمة في تسمية النبي ﷺ سراجا
٤٠١	كانت أعماله ﷺ مرضية عند الله لدرجة أمر ﷺ أن يصلي عليه الناس في المستقبل على سبيل الشكر

٤٠١	ثلاثة وسائل لإجابة الدعاء
٤٠٢	توضيح استخدام كلمة "ملعون"
٤٠٣	شرح جميل لـ ﴿ظلوما جهولا﴾
٤٠٥	النور الأجلى الذي وُهب للإنسان، أعني للإنسان الكامل...
٤٠٨	﴿ظلوما جهولا﴾ وارد هنا في محل المدح
٤١١	إذا داومت على التقوى وتمسكت بها وثبتت عليها لوجه الله، فسوف يجعل الله بينكم وبين غيركم فرقا
٤١٣	النبي يقوم بالعمل نفسه بغير الأسباب لذا يكون فعله معجزة
٤١٥	معنى دابة الأرض
٤١٦	المسلمون المعاصرون هم دابة الأرض
٤٢٤	كان أساس هذه الأديان في البداية على الحق والصدق
٤٢٧	الخشية والإسلام شيء واحد من حيث المفهوم
٤٢٨	المراد من العالم الرباني
٤٢٩	التقوى وخشية الله تنشأ بالعلم
٤٣١	ذكر ثلاث فئات أورثناهم كتابا
٤٣٣	القرآن الكريم يكفل نفسه بنفسه من حيث معانيه
٤٣٤	نوعان للظالم
٤٣٥	ثلاث طرق للهداية
٤٣٥	فئات المؤمنين الثلاثة
٤٤٠	ثلاثة أنواع للمؤمنين
٤٤١	إن عادة أهل الله تقتصر على أمرين اثنين
٤٤٢	تركبة النفس لا تتحقق دون الفضل من الله



فهرس الآيات المفسرة

رقم الآية	سورة المؤمنون	الصفحة
١٥-٢	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾	٢-١
١٦	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ...﴾	٧٢
١٧	﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ....﴾	٧٢
١٩	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ....﴾	٧٢
٢٥	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...﴾	٧٤
٢٨	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَكَ....﴾	٧٥-٧٤
٣٨	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا....﴾	٧٥
٤٥	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلٍّ مَا جَاءَ...﴾	٧٦-٧٥
٥١	﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...﴾	٧٦
٥٢	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ....﴾	٨٢
٥٤	﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا...﴾	٨٢
٧٢-٧١	﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ...﴾	٨٣
٩٢	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ...﴾	٨٣
٩٧	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ....﴾	٨٣
١٠١-١٠٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ....﴾	٨٤
١٠٢	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ...﴾	٨٤
<u>سورة النور</u>		
٣	﴿الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ....﴾	٨٧

٨٨	﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ....﴾	٥
٨٩	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ....﴾	٢٣
٩٠	﴿الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ....﴾	٢٧
٩٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا.....﴾	٢٨
٩٤	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ...﴾	٣١
١٠٠	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ.....﴾	٣٢
١٠٣	﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ﴾	٣٣
١٠٤	﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ.....﴾	٣٤
١٠٦-١٠٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾	٣٦
١١٣	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ....﴾	٣٨
١١٦-١١٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ....﴾	٤٦
١١٦	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ....﴾	٥٥
١١٦	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ....﴾	٥٦
١٧١	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ....﴾	٥٧
١٧٢	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى...﴾	٦٢
سورة الفرقان		
١٧٣	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى.....﴾	٢
١٧٥	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤-٣
١٨٢	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا....﴾	٥
١٨٣	﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ....﴾	٨
١٨٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾	٢١
١٨٥	﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي....﴾	٣١
١٨٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ.....﴾	٣٣

١٨٦	﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا....﴾	٤٢
١٨٧	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ...﴾	٤٥
١٨٨-١٨٧	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾	٤٨-٤٦
١٨٨	﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا...﴾	٥٠-٤٩
١٨٨	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا....﴾	٥١
١٨٨	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ....﴾	٥٣-٥٢
١٨٩	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا....﴾	٥٥
١٨٩	﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ....﴾	٥٨
١٩٠	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	٦٠
١٩٠	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ....﴾	٦٤-٦١
١٩١	﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا.....﴾	٦٥
١٩٣	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ.....﴾	٧٣
١٩٤	﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا.....﴾	٧٥
١٩٨	﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا.....﴾	٧٧
١٩٩	﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا.....﴾	٧٨

سورة الشعراء

٢٠٥	﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا...﴾	٤
٢١٣	﴿وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ....﴾	١٥
٢١٣	﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ.....﴾	٢٠
٢١٤	﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ...﴾	٦٣-٦٢
٢١٦	﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ...﴾	٨١
٢١٦	﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ....﴾	٨٢
٢١٧	﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ....﴾	٩٢-٩١

٢١٧	﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ....﴾	١٣١
٢١٨	﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ....﴾	١٨٣
٢١٨	﴿بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ....﴾	١٩٦
٢١٨	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ....﴾	٢١٥
٢١٨	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ...﴾	٢٢٠-٢١٨
٢١٩	﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ.....﴾	٢٢٣-٢٢٢
٢٢٠	﴿يُقْفُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ...﴾	٢٢٤
٢٢٠	﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...﴾	٢٢٨-٢٢٥

سورة النمل

٢٢٣	﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ.....﴾	٩
٢٢٤	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا.....﴾	١٥
٢٢٤	﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً...﴾	٣٥
٢٢٥	﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا...﴾	٤٥
٢٣٠	﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ...﴾	٥٤-٤٩
٢٣١	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ....﴾	٦٣
٢٣٢	﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ....﴾	٧٢
٢٣٣	﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ...﴾	٨١
٢٣٣	﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا...﴾	٨٦-٨٣
٢٤٣	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ....﴾	٩٠
٢٤٣	﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ....﴾	٩١
٢٤٣	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَّرِكُمْ آيَاتِهِ...﴾	٩٤

سورة القصص

٢٤٥	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾	٨

٢٤٦	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ...﴾	١٦
٢٤٦	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا...﴾	٣٤
٢٤٧	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا...﴾	٣٧
٢٤٧	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ...﴾	٣٩
٢٤٧	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ...﴾	٦٠
٢٤٨	﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ...﴾	٧١
٢٤٩	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾	٨٦
٢٤٩	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾	٨٩

سورة العنكبوت

٢٥١	﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا...﴾	٣
٢٦٥	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ..﴾	١٠
٢٦٦	﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾	١١
٢٦٨	﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾	١٨
٢٦٨	﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾	٣٧
٢٦٨	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ...﴾	٤٤
٢٦٩	﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾	٤٦
٢٧٣	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا...﴾	٤٧
٢٧٣	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ...﴾	٥٠-٤٨
٢٧٦	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ...﴾	٥٤-٥١
٢٨٣	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ...﴾	٥٨
٢٨٣	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ...﴾	٦٥
٢٨٣	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ...﴾	٦٩

٢٨٤	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ....﴾	٧٠
سورة الروم		
٢٩٧	﴿لَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ...﴾	٥-٢
٣٠٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٢٣
٣٠٣	﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا.....﴾	٣١
٣١٣	﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا.....﴾	٣٢
٣١٣	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ...﴾	٤١
٢١٤	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	٤٢
٣٢٠-٣١٩	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا...﴾	٤٨
٣٢٠	﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾	٥١-٤٩
٣٢٠	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ...﴾	٥٥
سورة لقمان		
٣٢٣	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ...﴾	١٤
٣٢٤	﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي...﴾	١٦
٣٢٤	﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ...﴾	١٩
٣٢٥	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ.....﴾	٢٠
٣٢٦	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ...﴾	٣٥
سورة السجدة		
٣٢٧	﴿يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...﴾	٦
٣٣١	﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ...﴾	١٢

١٨	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن...﴾	٣٣٢
٢٢	﴿وَلَنَذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذَى...﴾	٣٣٣
٢٤	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾	٣٣٣
٢٨	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى...﴾	٣٣٤
سورة الأحزاب		
٦-٥	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ...﴾	٣٣٥
١١	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ...﴾	٣٣٧
١٢	﴿هَٰذَاكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ...﴾	٣٣٨
٢٢	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...﴾	٣٣٨
٢٤	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...﴾	٣٣٩
٣٤	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ...﴾	٣٤٤
٣٧	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ...﴾	٣٤٥
٣٨	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ...﴾	٣٤٥
٤٠	﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ...﴾	٣٥١
٤١	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن...﴾	٣٥١
٤٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا...﴾	٣٩٧
٤٧	﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ...﴾	٣٩٧
٤٩	﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾	٣٩٩
٥٧	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾	٣٩٩
٦١	﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ...﴾	٤٠١
٦٢	﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا...﴾	٤٠٢
٧١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا...﴾	٤٠٢

٧٣	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ...﴾	٤٠٣
سورة سبأ		
١١	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا...﴾	٤١٣
١٤	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ...﴾	٤١٤
١٥	﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ...﴾	٤١٥
٢٩	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا...﴾	٤١٧
٣١	﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ...﴾	٤١٧
٤٤	﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا...﴾	٤١٧
٥٠	﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي...﴾	٤١٨
٥٣	﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ...﴾	٤١٩
٥٥	﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...﴾	٤١٩
سورة فاطر		
٩	﴿أَفَمَنْ رُزِيَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ...﴾	٤٢١
١١	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ...﴾	٤٢٢
١٩	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ...﴾	٤٢٣
٢٣	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ...﴾	٤٢٤
٢٥	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا...﴾	٤٢٤
٢٩	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ...﴾	٤٢٧
٣٣	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا...﴾	٤٣٠
٤٤	﴿اسْتَكْبَرًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾	٤٤١
٤٦	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا...﴾	٤٤٣

